



إسماعيل شموط

أيام الغزو

(يوميات إسماعيل شموط أثناء احتلال الكويت)

منشورات تكوين | مرابا
TAKWEEN PUBLISHING



أيام الغزو

(يوميات إسماعيل شقّوط أثناء احتلال الكويت)

إسماعيل شقّوط

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

الكاتب: إسماعيل شقّوط
عنوان الكتاب: أيام الغزو (يوميات إسماعيل شقّوط أثناء احتلال الكويت)

X

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تخيد داخلي: سعيد البقاعي

X

ر.د.م.ك: 978-9921-775-09-9
الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2022

2000 نسخة

X

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

X

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: + 965 58 81 04 40

بغداد - شارع المنتبى، بناية الكاهجي

تلفون: + 964 78 11 00 58 60

takween.publishing@gmail.com | takweerkw

com

takween_publishing

TakweerPH

شكر وامتنان

إلى عائلة الفنان التشكيلي الفلسطيني الكبير إسماعيل شُمُوط، وبخاصة ابنه الدكتور يزيد، على موافقتهم ودعمهم لطباعة هذا العمل.

وإلى روح الروائي الكبير إسماعيل فهد إسماعيل، لمحافظته على النسخة الوحيدة من اليوميات.

وإلى روح الأستاذة سحر صالح، والروائي الكبير إبراهيم نصر الله، والأستاذة لميس شخشير، لسعيهم للوصول إلى عائلة الفنان إسماعيل شُمُوط.

وإلى الروائي سعود السنعوسي، لعنايته باليوميات، وتصديّيه لكتابة المقدمة.

وإلى الأستاذ عبد العزيز عبد المحسن السهلي، لمساهماته وملاحظاته القيّمة.

منشورات تكوين

إحدى وثلاثون سنة...

هي رحلة هذه الأوراق، قبل أن تصير كتابًا بين يديك!

الخميس، يوم الغزو العراقي للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠، وفي منطقة «الجابرية»، حيث كان بيت الفنان ذائع الصيت، وأبرز مؤسسي حركة الفن التشكيلي الفلسطيني «إسماعيل شموط»، هناك أمسك «الرّسام» عن تتمة لوحة، ومكث يفكر في «كتابة» هذه اليوميات.

وبعد أسبوع، في ذاك البيت، في التاسع من الشهر المذكور، دُعيت شخصيات كويتية وفلسطينية ناشطة سياسيًا في الخميس الثاني للاحتلال لعقد اجتماع تشاوري، تمخض عن تشكيل «لجنة التآخي الكويتية الفلسطينية» للنهوض بمهامها إزاء الاضطراب الذي بدأ يلقي بظلاله على العلاقات الشعبية بين المواطنين من جهة، والجالية الفلسطينية كبيرة العدد المقيمة في الكويت من جهة أخرى. وبعدها انفضّ الاجتماع الأول على اتفاق بانعقاد اجتماعات دورية، وحين انصراف الأعضاء المشاركين، طلب شموط من الروائي الكويتي الرّاحل إسماعيل فهد إسماعيل، المكوث بضع دقائق، في ما يشبه اجتماعًا ثلاثيًا خاصًا بمعزل عن اللجنة المنبثقة. ضمّ الاجتماع المصغّر صاحب الدعوة وزوجته الفنانة التشكيلية الفلسطينية تمام الأكل، المعروفة في الكويت بـ«تمام شموط»، والروائي إسماعيل. تخلّلت الاجتماع المفترض أن يكون بضع دقائق ثلاثة فناجين قهوة استغرقت ما يربو على الساعة، في ذاك المناخ المحمّل بالفجيعة وخرس المفاجأة خارج أسوار البيت. فأشار شموط أخيرًا إلى سبب استبقاء إسماعيل فهد بعد انصراف الحضور. وجّه يده صوب حاملٍ خشبي في صالون الضيوف يحمل اللوحة غير المكتملة بحجم متر مربع، وقال إنه شرع في رسمها قبل أسبوعين من وقوع الحدث، لكنه عاجز الآن عن إتمامها. ثم وجّه

سؤاله إلى إسماعيل كأنما يبحث فيه عن عاجز آخر يسوّغ عجزه الذاتي عن مواصلة التعبير إبداعًا: «هل أنت قادرٌ على الكتابة؟» ولمّا أجابه إسماعيل بالنفي، وشموط يعرف أن إسماعيل قد مارس الرسم في حياته المبكرة، قال التشكيليُّ للروائي:

«بما أنني عاجز عن مواصلة الرسم، وأنت عاجز عن متابعة الكتابة؛ ما رأيك أن نتبادل أدوارنا؟ أنت ترسم وأنا أكتب».

- «ما الذي يمنع؟».

أجابه إسماعيل، رغم أنه لم يمك بعدُها خلال شهور الاحتلال بريشة ولا قلمٍ قط، وقد أحال بيته في «بيان» إلى خلية مقاومة مسلحة سُميت «أبو الفهود» تيمناً بالشهيد الشيخ فهد الأحمد الصباح، ولانخراط أبناء الشهيد في النهوض بمهام العمليات المسلحة المقاومة ضمن المجموعة في بيت إسماعيل فهد إسماعيل الذي نسي تمامًا أمر الاتفاق... «أنت ترسم وأنا أكتب».

كان شموط في الأساس، ومنذ اليوم الأول للاحتلال، وقبل ميثاق الرسم والكتابة بينه وبين إسماعيل فهد إسماعيل، قد انشغل بفكرة التدوين على جهاز الكمبيوتر، بما يُشبه الفعل الغريزي إزاء تهديد وجودٍ لا سبيل إلى مقاومته إلا بالكتابة لمن لا يُجيد حمل السلاح، ولأنه الفلسطيني صاحب التجربة الأطول والأقوى والأشد قتامة مع الاحتلال الإسرائيلي منذ ما يربو على الأربعة عقود آنذاك، كان يعي تمامًا أهمية المقاومة بما يملك من وسيلة يمتاز بها، وهو الذي ما ملك مثل الريشة والألوان سلاح بقاءٍ وحضور ذاكرة فلسطينية، أمام محتل ما فتى يلتهم أراضيه ويسلب حقوقه ويعبث بتاريخه. أما والحالة تشبه حبسة الفنان في لاجدواه وعالمه المفرغ من المعنى، إزاء ظرف طارئ غير مفهوم ولا واضح العواقب، فقد أوجد شموط ضالته بالكتابة، وهو الذي مارسها من قبل لتأريخ مسيرة الفن التشكيلي الفلسطيني في عدة إصدارات مطبوعة بين (١٩٥٧-١٩٨٩)، غير أنها جاءت هذه المرة في ثوبٍ رديفٍ مُغاير لما اعتاد كتابته؛ الكتابة بصفته الوسيلة الأمثل في كويت الداخل. وحيث صارت الحياة شبه مقطوعة عن خارجها، في زمن ما قبل الإنترنت

والتدوين الجمعي والتأريخ اللحظي بالصوت والصورة، الكتابة بصفتها فعل مقاومة البقاء ضد النسيان في الدرجة الأولى، ومحاولة إيجاد وطنٍ مؤقت بديل على الورق، وطن مهَّد بالمحو والتزوير وعدم اليقين بما يُخفيه الغد، لكن من أجل عودته كان لا بد ألا ينساه التاريخ، ولكي لا ينساه التاريخ كان لا بد من الكتابة، ومن أجل الكتابة تخلَّى التشكيلي عن ترف مزاجية الريشة والألوان وتسلَّح بالحروف، علَّه يُجاري اليومي من أحداثٍ متسارعةٍ تفرِّخُ أحداثًا تتمخَّض عن أحداث تنمو على محو وطن من الخارطة.

وهكذا استمرت الاجتماعات الدورية لـ«لجنة التآخي الكويتية الفلسطينية» في بيت شموط، رغم وعورة الأحداث وجدَّة المعطيات التي فرضتها المواقف السياسية الدولية المتباينة إزاء غزو الكويت، وعلى رأسها موقف منظمة التحرير آنذاك. ولم يتفتح التشكيليُّ والروائيُّ بشأن ميثاقهما المنبثق ثاني أسابيع الاحتلال؛ «أنت ترسم وأنا أكتب». شموط كان يعرف طبيعة النشاط المُقاوم الذي انخرط فيه إسماعيل، وإسماعيل لم يحسب اقتراح شموط بتبادل الأدوار إلا اقتراحًا في لحظة عاطفية فرضتها مرارة الحدث ووقع المفاجأة في أيامها الأولى.

غير أن شموط في زيارته إلى إسماعيل فهد إسماعيل، بعد أيام من التحرير، في بيت الأخير في «بيان»، والكويت تضجُّ بأجواء الاحتفال وانسحاب القوات العراقية تحت السماء المشبعة بدخان حرائق النفط، جاء التشكيليُّ إلى الروائي يحمل معه مغلَّفًا كبيرًا بما وعد:

- «أدري أنك نسيت أمر اتفاقنا في اجتماعنا الأول لطبيعة عملك في ظروف الاحتلال.. أنت لم تزاول الرسم..».

مدَّ يده إليه بالمغلَّف الثقيل:

- «.. حصيلة الجهد».

تلقّف إسماعيل المغلّف محرّجًا ثم فضّه، فوجد بين يديه أربع مئة وخمسين صفحة دقيقة الخَطّ من القطع الكبير. قال عنها إسماعيل:

- «وجدتني في مواجهة هذه الأوراق الكثيرة الكبيرة... بحروف طباعية دقيقة... يوميات الاحتلال... قرأت أولى وثانية... وعاشرة... تذكرت دأب الجبرتي عبر جهده في ملاحقة الأخبار... كان شموط حريصًا على تدوين الأحداث المهمة تحت الاحتلال في الداخل، وملاحقته مجريات الأمور عربيًا بناءً على ما يسمعه من أخبار، مع إمام كافٍ بانعكاس الحدث عالميًا... دون أن يغفل عن تدوين قرارات مجلس الأمن الدولي بهذا الشأن».

وبموازاة يوميات إسماعيل شموط، حصيلة جهد شهور الاحتلال السبعة، تحرّك حِسُّ الروائي في إسماعيل فهد إسماعيل، الذي أمسك عن الكتابة قسرًا زمن الاحتلال، وقرّر أن تكون اليوميات نواةً لمجريات القَص في روايته السباعية «إحداثيات زمن العزلة»، رواية حربه وسلّمه، متكئًا على هذه الذخيرة المعلوماتية التي فرضت لاكتمالها - كما يقول - ألا يُطوِّع الروائي الأحداث من أجل كتابة رواية متخيلة، ولا يبتدع شخصيات من خيالٍ في رواية هي للتسجيل أقرب من التخيل. غير أن قربه الزمني من الحدث وقف حائلًا بينه وبين الكتابة وهو الذي ما شُفي بعد من مرارة الغزو، وجاء كل ما كتبه في مسوداته الأولى مشبعًا بالعاطفة «الشخصانية» على حد تعبيره، فأوجد له بُعدًا آخر ينأى به بعيدًا ما دام هذا النوع من الكتابة يتطلّب إمهال عبور «الزمان» حتى تتسنى له كتابة موضوعيّة، فكان بُعد «المكان» حيلة إسماعيل فهد إسماعيل على الزمن، حيث اختار الفلبين مكانًا لعزله، لكتابة مشروعه الروائي الأكبر بعد التحرير، ينقطع فيه للكتابة خمس سنواتٍ متخفّفًا من أية عاطفة ترتفع في نفسه، فتُفسد سلامة النّص الروائي لو بقي في الكويت التي ما فتئت تعلق جراحها، وتُحصي الشهداء والأسرى والمفقودين وآثار الدمار بعد التحرير من الغزو الغاشم.

وكانت النسخة الوحيدة من يوميات إسماعيل شموط، المطبوعة من الكمبيوتر، محمولة معه إلى مانيلا في علبة كرتونية بحجم علبة الطماطم والخيار، أول ما تضمنته حقيبة

إسماعيل فهد إسماعيل في هجرته الكتابية حيث مكث مع يوميات شموط في العاصمة الفلبينية يكتب ويمحو حتى عام ١٩٩٦ زمن صدور الرواية في الكويت بعد عودته، مكتملة في أجزاءها السبعة، حيث دعمها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. وتلقفها القراء المهتمون، وطلبتها مكتبة الكونغرس لتصير في أرشيفها عملاً روائياً تسجيلياً كأهم ما كتب روائياً عن شهور الغزو كما أخبرني إسماعيل فهد إسماعيل، الذي التقيته بعد أربع عشرة سنة من صدور الرواية المتكئة على يوميات إسماعيل شموط.

وحدث بعد قراءة السباعية أن كتبت حولها مقالة نُشرت في جريدة «القبس» عام ٢٠١٠، لفتت فيها إسماعيل فقرةً توجس منها، وكنتُ لم ألتقه بعد، ولا أعلم بحديثات مسودة يوميات شموط، حيث بعد قراءتي لمجمل ما كُتب عن الاحتلال في الرواية الكويتية آنذاك كتبتُ عما جاء فيها من ذاكرة تسجيلية بصفته العمل الأدبي الوحيد الذي تدور أحداثه في زمن احتلال الكويت من دون أن يترك شاردة ولا واردة. وكما لو أن إسماعيل استشعر مسؤولية من تلك العبارة تحديداً، أخرج من درج مكتبه قصاصة المقالة شتاء ٢٠١٠، وقرأ الفقرة أمامي في أول لقاءٍ يجمعنا في مكتبه في منطقة «الصالحية»، وأخبرني -للأمانة- بحكاية اليوميات المطبوعة من كمبيوتر الجابرية، وأن تلك التفاصيل الدقيقة ما كان لها أن تُكتب في روايته الكبيرة لولا ميثاق إسماعيل شموط: «أنت ترسم وأنا أكتب»، فرنّت ضحكته عالية: «لكني كتبت على ضوء ما كتب.. وما رسمت لوحة!».

فطلبتُ منه في ٢٠١٦ يوميات شموط، على ما دأب أن يُسميها، فقال يختبر جديتي: «أربع مائة وخمسون صفحة من القطع الكبير وبخطٍ دقيق»، وقلت له: «هات». فأحضر لي اليوميات في لقاءٍ تلاه، في علبة الكرتون إياها، التي حملها إلى الفلبين أواخر عام ١٩٩١، ومكثت في مسكنه الجديد في حَوَّلي، شارع المثني، بعد عودته من الفلبين في ١٩٩٦ وحتى ٢٠١٦ وقت أن طلبتها.

وقرأت تلك التفاصيل بحرارتها التي ما بردت مُذ نقرَ شموط حرفه الأول على لوحة المفاتيح بكمبيوتره القديم في الجابرية في الثالث والعشرين من أغسطس ١٩٩٠، بتقلب

العواطف اللحظية، وكيفية تلقي كاتبها واستيعابه للأحداث الجارية من حوله، وبصرف النظر عن آراء المؤلف الشخصية وبعض الأخطاء البسيطة على ندرتها، فإن هذه اليوميات صارت بين يديك، تتفق معها أو تختلف؛ كرّت التفاصيل طازجة مكتوبة في ضفيرة ثلاثية الخُصل لسيرة الاحتلال، سيرة كويت الداخل، وسيرة أخبار الخارج، وسيرة ذاتية للفنان التشكيلي وأفراد عائلته وشتاتها المعاد بعد خروجه من فلسطين إلى القاهرة ثم إلى روما حيث درس الفنون الجميلة ثم إلى بيروت، ثم إلى الكويت عام ١٩٨٣ حيث حطّ رحاله بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان. وكانت هذه اليوميات آخر ما كتب قبل أن يترك الكويت بعد التحرير، وتحديدًا في عام ١٩٩٢ حيث تنقّل بين كولون في ألمانيا والعاصمة الأردنية عمّان، قبل أن توافيه المنية في ألمانيا عام ٢٠٠٦ بعد عملية جراحية في القلب.

قلت لإسماعيل فهد إسماعيل بعد قراءتي لليوميات: إن هذه الوثيقة التاريخية ينبغي لها أن تكون مطبوعة في كتاب، للتاريخ، وللكويت وللذاكرة الإنسانية ولإسماعيل شموط الذي كتب ما كتب ورحل. فقال في شك: «هات لي ناشرًا مغامرًا!»، كان مترددًا بشأن بعض الآراء التي تضمنتها اليوميات، وكنت أنظر إلى التاريخ أكثر. وقبل عثوري على ناشر مغامر كنت قد حظيتُ في دبي بلقاء السيد بلال إسماعيل شموط، عام ٢٠١٨، ابن الفنان التشكيلي صاحب المخطوط، في عشاءٍ رتبته الصديقة الفلسطينية سحر صالح، كانت متحمّسة لإنجاز المشروع قبل أن توافيها المنية في مارس ٢٠٢١. فأخبرني بلال بأنه لا يعرف شيئًا عن المسودة الوحيدة التي في حوزتي، وأن أمرًا مثل هذا ينبغي أن يتم الترتيب له مع العائلة، ومع الفنانة التشكيلية تمام الأكل، أرملة شموط، على وجه الخصوص. ولم ألتقِ بلالًا مرّةً أخرى، لكنني طلبتُ مساعدة الأستاذ الروائي الفلسطيني الأردني إبراهيم نصرالله، في ٢٠١٩، فتواصل بدوره متحمّسًا مشكورًا مع وريثة الفنان إسماعيل شموط، فعاد إليّ بجوابٍ يشبه موافقة مبدئية. فتركت المهمة لمنشورات «تكوين» التي ما ادخرت جهدًا للتواصل مع أسرة الفنان التشكيلي الراحل لإنجاز هذا العمل الكبير.

وأخيرًا، إليك عزيزي القارئ تلك الأوراق التي لبثت إحدى وثلاثين سنة منذ نموها في ذاكرة كمبيوتر «الجابرية» لسبعة شهور، ثمّ مكوّنها في مغلف كبير في بيت إسماعيل فهد

إسماعيل في «بيان» لحوالي سنة، وفي علبة كرتونية بحجم علبة الطماطم والخيار
محمولة إلى «مانايلا» لتمكث هناك خمس سنوات، ثمَّ إلى شقَّة إسماعيل فهد إسماعيل في
«حوَلِّي» لتمكث عشرين سنة في الكويت، ثمَّ بضع سنوات في مكتبي، قبل أن تتسلَّمها
منشورات «تكوين» مشكورة، لتتبنى طباعتها ونشرها بالاتفاق مع أسرة الكاتب بعد أكثر
من سنة.

وها قد وصلنا إلى نهاية الرحلة المختصرة لهذه المسودة القابعة في تلك العلبة الكرتونية
قبل أن تصير هذا الكتاب الذي بين يديك!

فشكراً للفنان التشكيلي الكبير إسماعيل شموط، الذي خطَّ هذه الذخيرة، وللروائي الكبير
إسماعيل فهد إسماعيل، الذي حافظ عليها، ولعائلة الفنان وتعاونها على إنجاز هذا الحُلْم،
ولروح الصديقة سحر صالح، وللروائي الكبير إبراهيم نصرالله.. والشكر موصول في مبتداه
ومنتهاه إلى الناشر المغامر الذي نفَّذ طباعة ونشر هذه الذخيرة التاريخية؛ منشورات
«تكوين».

سعود السنعوسي

٢٠٢٢

آب / أغسطس ١٩٩٠

كنا ونحن صغار نردد مع أسماء الشهور في فلسطين مرادفات لها معناها، كأن نقول: «شباط يبشبط وبيلبط وريحة الصيف فيه» و«آذار الهدار أبو الزلازل والأمطار» و«تموز بيستوي فيه الكوز (ثمرة الصبار)» أما عن آب فكنا نقول: «آب اللهاب» وفي آب / أغسطس من هذا العام ١٩٩٠ جاء «آب اللهاب».

في اعتقادي أننا نمر في أصعب وأخطر مازق يهدد العرب في تاريخهم الحديث، وفي شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولسنين طويلة إن فشلت الجهود التي تبذل في هذه الأيام للحيلولة دون وقوع الكارثة.

إن نكبة ١٩٤٨ والعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ونكسة حزيران عام ١٩٦٧ وغيرها من المآسي الأصغر والأقل خطورة، ستعد مصائب صغيرة جدًا في حياة العرب، والفلسطينيين بشكل خاص، بالمقارنة بهذه الكارثة إن وقعت، لا سمح الله.

اليوم هو الخميس الموافق ٢٣/٨/١٩٩٠، أي بداية الأسبوع الرابع من الاحتلال العراقي للكويت، حيث ارتفع ضجيج قرقعة الحرب وهدير طبولها إلى درجة مخيفة بين العراق وقوات بعض الدول العربية والغربية، وعلى رأسها أو أضخمها حجمًا، قوات الولايات المتحدة الأميركية، التي سيبلغ عددها بعد اكتمالها كما هو مخطط لها -وفق ما نسمعه من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة- إلى حوالي ربع مليون مقاتل أميركي، مزودين بأحدث الأسلحة البرية والجوية والبحرية المعقدة والمتطورة جدًا، ولا تزال القوات المتعددة الجنسيات من الدول الشقيقة و«الصديقة» تتدفق على المنطقة وتتمركز في أراضي السعودية وبعض دول الخليج العربي.

يبدو أن هناك مبالغة في الإعلان عن حجم القوات الأمريكية التي سيتم إحضارها.

إن هذه الأحداث التي تطورت بشكل مخيف جداً، وبسرعة لا مثيل لها من قبل، ظللت، ليس فقط المنطقة، بل العالم كله بظلال سوداء يصعب من خلالها رؤية ملامح المستقبل. وتهدد بالفعل السلام العالمي وضرب اقتصاده.

العراق الذي يملك كمية هائلة من الأسلحة، إذ يقال إن لديه الآن ما يزيد على خمسة آلاف دبابة، لا أعرف أنواعها، إلا أنني أعتقد أن معظمها مستورد من الاتحاد السوفييتي، وأن عنده حوالي ألف طائرة، مقاتلة وقاذفة، وعدد لا يستهان به من الصواريخ القادرة على حمل قنابل جبارة وفتاكة، أهمها القنابل الكيماوية المتنوعة القدرات والإصابات، وحوالي مليون مقاتل، يمكن زيادة العدد إلى أكثر من ذلك في حالة استدعاء جنود الاحتياط. من هؤلاء حوالي مئة وخمسين ألفاً منتشرون الآن في الأراضي الكويتية حتى اليوم - من المحتمل جداً أن يكون عدد هذه القوات قد ازداد أو هو في طريقه إلى الازدياد، خاصة بعد موافقة العراق الكاملة على المطالب الإيرانية وسحب قواته من الأراضي الإيرانية التي كانت تسيطر عليها القوات العراقية نتيجة الحرب العراقية الإيرانية.

لقد شهدت الأسابيع الثلاثة الفائتة تفاقماً هائلاً ومخيفاً للأزمة التي نشأت منذ فترة بين العراق والكويت وتطورت أحداثها بسرعة لم تكن في الحسبان عند الجميع.

منذ شهور شعر البعض بأن هناك مشاكل سياسية واقتصادية بين العراق والكويت تتعلق بأربع نقاط أساسية: بئر النفط المسمى «بئر الرميطة» الذي يقع على الحدود الكويتية العراقية، والديون، ومسألة جزيرة بوبيان وتطلع العراق إلى امتلاكها أو استئجارها وما إلى ذلك...

ففي حوالي العشرين من شهر تموز/يونيو، أذاع العراق عبر وسائله الإعلامية نص مذكرة بعث بها إلى جامعة الدول العربية تعلن عن حقوق له في الكويت، بل اتهمت المذكرة الكويت بأنها سرقت حقوق العراق وأنها ترفض الامتثال وتلبية مطالب العراق. لقد كانت لهجة المذكرة شديدة جداً، ومفاجئة للعامة، وأثارت ردود فعل كثيرة، في الكويت والدول العربية والعالم.

تدخلت بعض الدول العربية وتحركت بسرعة لتدارك المشكلة وما يمكن أن يتبعها من آثار، واتفق على عقد اجتماع في جدة يحضره ممثلون عن العراق والكويت لحل الخلاف، وكان قد حدد يوم السبت ٢٨/٧/١٩٩٠ موعدًا للاجتماع.

لكن تصريحات لمسؤولين في الكويت وبغداد أدت إلى تأجيل الاجتماع إلى يوم الثلاثاء ٣١/٧/١٩٩٠. أبرزت تلك التصريحات هي التي صدرت على لسان ولي عهد الكويت الشيخ سعد العبد الله الصباح عندما قال إنه متوجه إلى جدة للتفاوض وأنه لا مجال للضغط والابتزاز. والآخر الذي ورد على لسان أحد كبار المسؤولين العراقيين -أظنه نائب رئيس مجلس قيادة الثورة السيد عزت إبراهيم- الذي قال إن على الكويت، إن أراد الحضور إلى جدة، أن يكون مستعدًا للموافقة على طلبات محددة.

تم الاجتماع يوم الثلاثاء وانتهى في نفس اليوم دون الاتفاق على شيء.

يوم الأربعاء استمعت إلى نشرة أخبار لندن في الساعة الرابعة بعد الظهر، فكان أول خبر في النشرة بعنوان:

«انهيار المفاوضات الكويتية العراقية في جدة».

شاهدتني تمام أستمع إلى الأخبار فسألتنى هل من جديد؟ فقلدت لها صوت مذيع الأخبار في إذاعة لندن وهو يقرأ عنوان ذلك الخبر.

لم يسبق أن قمت بتقليد صوت المذيع من قبل، لكن الخبر بالنسبة إليّ، وبشعور دفين لا أدري سببه، جعلني أردد ذلك العنوان وكأنه يحمل في طياته مفاجآت لا يتوقعها أحد.

في اليوم التالي -الأربعاء- سارت الأمور الحياتية الخاصة بشكل طبيعي جدًا. عاد السيد عزت إبراهيم الذي ترأس وفد العراق في اجتماع جدة صباح يوم الأربعاء إلى بغداد، وعاد الشيخ سعد العبد الله عصر ذلك اليوم إلى الكويت. أحسنا بالخوف من فشل المفاوضات، لكننا قلنا في أنفسنا: لا بد وأن تحل المشاكل بشكل أو بآخر. وقد ساعد في طمأنتنا

تصريحان، واحد من الكويت والآخر من بغداد صدر أمس يوم الأربعاء يقولان إن المفاوضات سوف تستأنف بين البلدين الشقيقين.

(صباح يوم الخميس ٢/٨/١٩٩٠) لم تُرد تمام إزعاجي، وهي أكثر الناس معرفة بحالتي الصحية، فأفقت مبكرًا نسبيًا على صوت أناشيد «وطنية» مختلطة، مع مناقشات غير مألوفة في البيت صباحًا. كانت الساعة حوالي الثامنة صباحًا، ولفت سمعي صوت ابني يزيد وزوجته وابنته ووجود ابن شقيقتي إياد، فلم أدخل الحمام كعادتي بل خرجت أستفسر عن سبب هذا النقاش والتجمع. فإذا بهم جميعًا متجهمو الوجوه يركزون أنظارهم على جهاز التلفزيون! وآخرون يتابعون الأخبار من الراديو!

علمت أن القوات العراقية احتلت الكويت ليلاً، وأن الجنود العراقيين منتشرون في المدينة وفي مناطق كثيرة من الكويت!

محطة الإذاعة والتلفزيون الكويتيان لا تزالان تعملان باسم الكويت، بينما إذاعة وتلفزيون بغداد يذيع بيان إسقاط الحكم الكويتي والإطاحة بعائلة الصباح. كان واضحًا أن البث التلفزيوني لا يعمل من محطات إرساله الطبيعية، وكذلك البث الإذاعي، فقد كانت الصورة والصوت غير الصورة والصوت المعروفين في الكويت.

وعلمنا لاحقًا أن مبنى الإذاعة والتلفزيون أو بالأحرى مبنى وزارة الإعلام قد قُصف واحتلته القوات العراقية. ظل التلفزيون الكويتي يعمل حتى يوم ٣/٨/١٩٩٠، أما الإذاعة فقد تم التشويش عليها ثم انقطع بثها بعد ذلك.

كان من المقرر في ذلك اليوم (٢/٨/١٩٩٠) أن يصل ابن عمي أمين زوج شقيقتي مع عائلته إلى الكويت آتين من القاهرة بعد قضاء إجازة الصيف فيها.

لقد أقفل مطار الكويت منذ الصباح، وقيل إنه قصف وأتلفت كل مدرجاته باستثناء واحد منها.

عند الظهر وبعد أن تمالكنا أنفسنا وتأكدنا أن الاحتلال العراقي للكويت حقيقة حقيقية، تناولنا الهاتف وطلبنا منزل ابن العم في القاهرة، فردت الشقيقة أنعام التي كانت قد علمت بهذه المفاجأة المرعبة،طمأنها عنا جميعاً، وقالت إن شركة الطيران أحاطتهم علماً بأن الرحلة مؤجلة إلى أجل غير مسمى، وأن أمين ذهب ليتأكد بنفسه من الشركة.

في اليوم التالي انقطعت خطوط الهاتف مع العالم الخارجي، ولم يعد الاتصال ممكناً حتى مع المناطق الأخرى في الكويت، بين الجابرية والأحمدي مثلاً أو الفنطاس وغيرها من المناطق الكويتية.

أتابع تذكر الأحداث وتدوين مذكراتها يوم الجمعة ٢٤/٨/١٩٩٠:

مرت الأيام بطيئة... سريعة... منذ الاجتياح العراقي، وحملت في طياتها الكثير من التطورات الغريبة غير المتوقعة على الإطلاق.

ففي اليوم الثاني للاجتياح أعلنت وسائل الإعلام العراقية تشكيل حكومة مؤقتة للكويت سميت «حكومة الكويت الحرة المؤقتة» دون ذكر أسماء أعضائها، وذلك لتبرر أن قدوم القوات العراقية لاحتلال الكويت كان تلبية لنداء «أهل الكويت الذين قاموا بثورة شعبية، ونجدة لانتفاضة فتية آمنوا بربهم في الكويت».

(يوم ٤/٨/١٩٩٠) أعلنت أسماء أعضاء الحكومة المؤقتة برئاسة شخص يدعى «العقيد علاء حسين علي» ومعه عدد من المقدمين والعقداء. الأسماء غير معروفة في الكويت، بل أكد أكثر من مصدر أنها غير معروفة على الإطلاق وأنها ليست أسماء كويتية. كما أعلن في نفس اليوم عن إنشاء جيش شعبي وأن العراق قد فتح باب التطوع فيه لكافة العرب ليحل محل القوات العسكرية العراقية، وأن العراق سوف يسحب جيشه من العراق بعد توفير العدد الكافي من أفراد الجيش الشعبي ليساند «الحكومة الثورية المؤقتة» في تسيير شؤون الكويت.

بعد أن تمكنت القوات العراقية من إسكات تليفزيون الكويت والسيطرة على القناة التي كان يبث عليها الكويت، وغابت عن الشاشة الصغيرة تلك الوجوه المعروفة في الكويت التي قد غابت منذ صباح يوم الاجتياح- بدأت وجوه جديدة تظهر على الشاشة لإذاعة البيانات والأخبار السياسية، وهي وجوه غير معروفة، وظهرت بشكل مثير للضحك بقدر ما هي مثيرة للأسى والحزن.

لقد كان مظهر الذين ظهروا على الشاشة الصغيرة مضحك لأنهم كانوا يحاولون تقليد الكويتيين بلباسهم ولكن بشكل كوميدي مثير للغضب والحنق والاشمئزاز. فقد كنا نشعر بأن هؤلاء ومن يقف وراءهم يستخفون بعقولنا وأحاسيسنا بمحاولتهم السخيفة بهذا الديكور المسرحي غير المتقن إضافة إلى كونه عملية خداع باطلة.

والسؤال الذي طالما تساءلناه هو هل هم يعتقدون أن الناس يمكن أن تنطلي عليهم مثل هذه الأساليب؟ ألهذا الحد يمكن أن يستخف الحاكم بعقول الناس في الداخل والخارج؟

بعد بيان بثه تليفزيون العراق يوم ٣/٨/١٩٩٠، قال فيه إن مجلس قيادة الثورة العراقية قرر بعد أن استتب الأمن والاستقرار في الكويت، وبناء على طلب حكومة الكويت الحرة المؤقتة، التي لم نكن نعرف بعد ممن تتألف، سحب القوات العراقية وفق جدول زمني بدءاً من يوم الأحد ٥/٨/١٩٩٠.

وقد عرض التليفزيون العراقي في يوم الأحد عملية انسحاب صورية للقوات العراقية فشهدنا بعض وحداته وهي تعود إلى البصرة حيث استقبلت، كما شاهدنا مناظرها على الشاشة الصغيرة، بالحفاوة والاحتفالات وكأنها عائدة بالنصر المظفر!

وكانت العناوين التي تظهر على شاشة التليفزيون الكويتي مكتوبة بقلم الرصاص وبطريقة بدائية جداً، منها: «تليفزيون حكومة الكويت الحرة المؤقتة»، وشعارات مثل: «تزهو الكويت بثورتها المجيدة ورجالها الأبطال» و«الكويت أرض الأمجاد والعزة».

وبعد يومين أو ثلاثة أعلن على لسان الحكومة المؤقتة تغيير اسم دولة الكويت من دولة إلى جمهورية. وبعد يوم أو اثنين من إعلان الجمهورية صدر قرار عن مجلس قيادة الثورة في العراق يقضي بضم الكويت إلى الجمهورية العراقية بناء على طلب «الحكومة الكويتية المؤقتة» وبحجة «الحق التاريخي للعراق بالكويت» باعتبار أنها كانت وحتى وقت قريب جزءًا من العراق، لكن «الاستعمار البريطاني سلخ الفرع عن الأصل».

بعد أربعة أيام من الاجتياح بدأت العناوين تظهر بشكل أفضل وملونة على شاشة التلفزيون، ومقدم الأخبار أو المذيع العراقي بلباس كويتي صار يقول أحيانًا شعارات مقروءة مثل: «هنا صوت أحرار الكويت» أو «نقدم إليكم من تلفزيون حكومة الكويت الحرة المستقلة».

في اليوم الأول للاحتلال وتحت وطأة الواقعة المفاجئة، رحنا نتلقط الأخبار من كافة مصادرها العربية والأجنبية. وقال البعض منا إن الأربع والعشرين ساعة القادمة سوف تقرر مصير خط سير الأحداث.

المفاجأة الأخرى كانت تجاهل معظم وسائل الإعلام العربية، ولمدة ست وثلاثين ساعة تقريبًا -وخاصة في دول مجلس التعاون الخليجي- ما جرى تجاهلاً تاماً. فسّر البعض أن السبب ربما يكمن في الرغبة في دراسة هذه الأحداث والخروج بموقف موحد، وبخاصة موقف لدول مجلس تعاون دول الخليج العربي، وهو ما حدث بالفعل مساء يوم الجمعة ٣/٨/١٩٩٠ إذ صدر عن اجتماع لوزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي بيان شديد اللهجة يندد بالعدوان ويطالب بانسحاب القوات العراقية فوراً من الكويت وبدون شروط.

وصادف يوم احتلال القوات العراقية الكويت أن كان في القاهرة مؤتمر لوزراء خارجية منظمة الدول الإسلامية، الذين اضطروا إلى طرح المشكلة، واتخذوا قراراً ضعيفاً حول هذه القضية بعد يومين من الاجتياح.

وزراء الخارجية العرب، الموجودون في القاهرة أيضًا لحضور مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، اجتمعوا وناقشوا القضية ولم تتفق كافة الأقطار العربية على موقف واحد حول الحدث.

أمريكا والاتحاد السوفييتي ودول أخرى نددت بالاحتلال وطالبت بالانسحاب الفوري وغير المشروط.

أمريكا ودول كثيرة في العالم من التي تودع فيها أرصدة وموجودات الكويت جمّدت كل ما للكويت من أرصدة وموجودات. كما أنها فعلت نفس الشيء مع أرصدة العراق.

حركت أمريكا حاملة طائراتها «إندبننت» تجاه الخليج.

عزت إبراهيم، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي، سافر يوم ٣/٨/١٩٩٠ إلى السعودية وقابل الملك فهد.

مجلس الأمن الدولي اجتمع يوم ٤/٨/١٩٩٠ واتخذ قرارًا بعدم جواز استيلاء دولة ما بقوة السلاح على أراضي دولة أخرى، وطالب العراق بسحب قواته العسكرية فورًا من الكويت، كما قرر المقاطعة الشاملة للعراق.

بعد عملية الضم دعا الرئيس حسني مبارك، الذي اتخذ موقفًا ضد احتلال العراق الكويت رغم ما يربط مصر بالعراق من علاقات حسنة جدًا ما أثار العراق وأغضبه، دعا مبارك يوم ٨/٨/١٩٩٠ في مؤتمر صحفي هام إلى اجتماع للقمّة العربية يعقد في القاهرة خلال أربع وعشرين ساعة بسبب خطورة الأحداث وتطور مضاعفاتها العربية والدولية. وقد كان مبارك واضحًا مباشرًا في حديثه منذرًا بمستقبل عربي أسود إن لم يجرّ وبسرعة فائقة، تدارك هذه الأحداث الرهيبة سريعة التطور. وقد حدد يوم الخميس ١٠/٨/١٩٩٠ موعدًا للاجتماع. تطور آخر هام جدًا تمثّل في تحرك العالم ضد إجراءات العراق وتحريك قواته التي انتشرت في أرض الكويت، وخاصة على الحدود الكويتية السعودية، ما دعا دول العالم

الغربي وخاصة أمريكا إلى اتخاذ الاحتياطات اللازمة للحفاظ على مصادره النفطية في الخليج العربي.

اجتمع مجلس الأمن الدولي اجتماعًا آخر واتخذ قرارات جديدة تقضي بضرورة اتخاذ اللازم لصد العدوان العراقي ضد الكويت وتدارك الأخطار المحدقة بالمصالح الحيوية لدول المنطقة وللدول الغربية، وإيقاف الزحف العراقي. وأكد على قرار مجلس الأمن الدولي السابق بمقاطعة العراق مقاطعة شاملة والتي ووفق عليها بأغلبية الأصوات (امتنعت اليمن وكوبا عن التصويت).

طلبت السعودية الحماية من مجلس الأمن الدولي، فوافق على ذلك، وكانت أمريكا أول من بدأ في نقل قواته وتحريك أساطيله إلى السعودية والخليج العربي. ولحقت بأمريكا دول غربية أخرى فقررت إرسال قوات لها، ولو رمزية، ليصبح اسم القوات كلها «القوات المتعددة الجنسيات».

انعقد اجتماع مؤتمر القمة العربي الذي دعا إليه مبارك بموافقة كافة الدول الأعضاء بجامعة الدول العربية (باستثناء تونس التي كانت قد طالبت بتأجيل عقد الاجتماع لمدة أسبوع لأسباب غير مقنعة) ولكن بعد يوم من التاريخ الذي حدد، أي يوم ١١/٨/١٩٩٠، حضر معظم الزعماء العرب من ملوك وأمراء ورؤساء جمهورية، باستثناء الحسن ملك المغرب وقابوس سلطان عمان والرئيس العراقي صدام حسين الذي أناب عنه طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية العراقية.

افتتح الرئيس مبارك الجلسة الأولى العلنية والتي بثت من معظم تليفزيونات العالم، بخطاب مكتوب حدد المطلوب إقراره بجملة فقرات يتضمنها قرار واحد، خلاصته التنديد بالاجتياح العراقي وضرورة الانسحاب العسكري العراقي من الكويت فورًا دون شروط، وعودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الاجتياح، وضرورة إرسال قوات عربية للمشاركة في الدفاع عن أراضي المملكة العربية السعودية إلى جانب القوات الأجنبية المتعددة الجنسيات والتي تشكل القوات الأمريكية فيها القوة الأساسية.

انقسم العرب إلى مجموعات عند التصويت على القرار، فقد صوتت لصالح القرار اثنتا عشرة دولة عربية هي دول مجلس التعاون الخليجي الست ومصر وسوريا والمغرب ولبنان والصومال وجيبوتي، وعارض القرار كل من العراق وليبيا وفلسطين (إلا أن هناك من يقول إن فلسطين -حسب المعلومات والتصريحات والتصحيح اللاحق- لم تعارض القرار بل تحفظت عليه) مثلما فعل الأردن والسودان وموريتانيا، وامتنعت عن التصويت كل من الجزائر واليمن. وتغيبت تونس عن هذا الاجتماع.

وقد كان لتحفظ فلسطين والأردن وليبيا أسبابه التي تتمثل في عدم جواز المشاركة مع أمريكا التي تعتبر العدو الرئيسي للعرب بشكل عام، وللفلسطينيين بشكل خاص لأسباب لا يجهلها أحد. فهي تحفظت على القرار لأنه ضم مجموعة قرارات في قرار واحد، فهذه الدول عبّرت عن عدم قبولها احتلال الكويت وضمها إلى العراق.

وكانت السعودية قد طلبت الحماية من أمريكا قبل انعقاد مؤتمر القمة العربي.

أتابع لليوم الثالث الكتابة حول الأحداث التي شدت أنظار العالم كله:

في نفس اليوم الذي دعا فيه الرئيس المصري حسني مبارك إلى اجتماع طارئ للقمة العربية أعلن العراق (٨/٨/١٩٩٠) بأنه أبلغ الهيئات الدبلوماسية العربية والأجنبية في الكويت بأن عليها أن تقفل سفاراتها خلال فترة اسبوعين من تاريخه في الكويت على اعتبار أن بغداد هي عاصمة العراق التي أصبحت الكويت جزءاً منه، وبالتالي فإن بغداد هي مقر سفارات العالم في العراق.

وتفاقت الأمور إلى درجة كبيرة جداً! فالقوات التي يتواصل تدفقها على المنطقة بمعداتها العسكرية الرهيبة، يقابلها عدم تزحزح العراق عن موقفه باعتبار الكويت جزءاً من أرضه في وجه العالم الرافض لهذا الأمر، حتى من قبل حلفائه كالأردن واليمن وفلسطين وكل الأقطار العربية وكافة دول العالم. وكانت قد بدأت معركة الخطابات التي اشتملت على الاتهامات والمبادرات من قبل العراق وردود فعلها الكلامي عند دول العالم وخاصة أمريكا.

كان العراق يوجه في كل يوم تقريبًا رسالة أو مبادرة معظمها باسم الرئيس صدام حسين، وكان أبرزها التي ضمنها استعداده للبحث في قضية الكويت على الأسس التالية:

ربط الانسحابات من المناطق المحتلة في منطقة الشرق الأوسط بعضها ببعض ووفق برنامج زمني، ثم التباحث في «قضية الكويت» وتسويتها في الإطار العربي، دون التنازل الصريح عن استعداد العراق للتخلي عن اعتبار الكويت جزءًا من أرض العراق التاريخية. بمعنى آخر أن يتم انسحاب متزامن للقوى المحتلة من الأراضي الفلسطينية واللبنانية والسورية (مرتفعات الجولان ومنطقة الإسكندورنة السورية التي ضمتها تركيا منذ عقود إلى أراضيها) والسعودية أو الاتفاق على شيء من هذا القبيل، أما احتلال الكويت فقد اعتبرته المبادرة قضية عربية داخلية يمكن البحث فيها في الإطار العربي بعد الانسحابات المذكورة.

لكن أحدًا لم يُعر مبادرات العراق الاهتمام اللازم، وظل المطلب هو الانسحاب العراقي غير المشروط من الأراضي الكويتية وإعادة الحكومة الشرعية لتسلم البلاد كما كانت عليه الأمور من قبل.

ولا تزال القوات الأمريكية وغيرها من قوات الدول الشقيقة والصديقة تتدفق على السعودية، وتنقل إلى المنطقة أعقد الأسلحة المتطورة من طائرات وسفن وصواريخ... الله وحده يعلم مدى خطورتها على المنطقة إن أعطيت الأوامر لانطلاق قذائفها وصواريخها.

والعراق يحشد من جهته قواته... ويزيدها حجمًا وينشرها في كافة المناطق الإستراتيجية، خاصة بعد فك ارتباطه ومعظم مشاكله مع الدولة الأم إيران، بهدف تأمين حدوده الشرقية ونقل أجزاء من قواته التي كانت ترابط في الأراضي الإيرانية، وعلى حدودها مع العراق، إلى خطوط المواجهة مع السعودية وما فيها من القوات المشتركة... الآخذة في الازدياد.

لقد جاءت موافقة العراق على المطالب الإيرانية، وهي العودة إلى الاتفاقية التي كانت قد عقدت بين العراق وإيران عام ١٩٧٥، في بيان من بيانات الرئيس العراقي مفاجئة للجميع!

وتساءل الكل عن جدوى الحرب التي استمرت ثماني سنوات.. واستهلكت البلايين من الدولارات ومئات الآلاف من الضحايا؟

المقاطعة الاقتصادية ضد العراق أحكمت، وأنابيب ضخ النفط عبر أراضي صديق أمس السعودية أقفلت، كما تم نفس الشيء من قِبَل الصديق الآخر في شمال العراق والتي يمتد فيها خط أنابيب نفط العراق الثالث عبر أراضيهِ، ألا وهو تركيا. أما خط الأنابيب الأول المغلق منذ سنين، والذي دعا العراق إلى مد خطوط أنابيب بديلة منه في كل من السعودية وتركيا، فهو الخط الممتد من العراق عبر الأراضي السورية. وقد حاول العراق في خضم هذه الأزمة أن يقنع سوريا بإعادة فتحه دون جدوى.

ووضع الأردن في موقف لا يحسد عليه، فالعالم يطالبه بإقفال منفذ العراق الوحيد له وهو ميناء العقبة، بينما مصالحه الاقتصادية تتطلب إبقاء هذا المنفذ مفتوحًا لأنه يدر على الأردن دخلاً يخفف من أعبائه الاقتصادية المنهارة منذ أكثر من سنتين. لكنه أعلن أخيرًا التزامه بقرار مجلس الأمن الدولي بمقاطعة العراق، ولكن بدون تشنج بحيث أبقى له بعض الروابط مع العراق. وقد طالب الأردن بتعويضات عن خسائره من جراء إغلاق ميناء العقبة في وجه البضائع العراقية، فتعهدت أمريكا بالتعويض.

يوم ٨/٨/١٩٩٠ أعلن العراق أن الحياة الطبيعية سوف تمارس في الكويت بدءًا من اليوم التالي للإعلان، لكن الحياة الطبيعية لم تعد إلى الكويت حتى يوم ٢٥/٨/١٩٩٠.

وكنتيجة لتأثير المقاطعة المحكمة أصدر الرئيس العراقي قرارًا بإعدام من يتاجر في الأغذية بهدف الاستفادة من الأوضاع.

وفي يوم ١٢/٨/١٩٩٠ وجه صدام حسين رسالة إلى «الماجدات» العراقيات، أي النساء يناشدهن بعدم التبذير في المأكل والمشرب والملبس...!

اتخذ العراق إجراء آخر أزعج العالم كثيرًا وتسبب في تعميق المعاداة وازدياد أعدائه عندما أعلن في بيان جديد أن العراق قرر الاحتفاظ بالرعايا الأجانب الغربيين والأمريكيين، وحتى بعض رعايا دول أوروبية شرقية ويابانية، من الذين كانوا يعملون ويقيمون في الكويت والعراق، وعدم السماح لهم أو لعائلاتهم من النساء والأطفال بمغادرة الكويت والعراق، وأنه سوف ينقلهم إلى الأماكن والمنشآت الإستراتيجية العراقية، التي يتوقع العراق ضربها من قبل القوات المحتشدة في السعودية، فاعتبر العالم هذا التصرف لإنسانيًا ومخالفًا لكل الأعراف والقوانين الدولية ولحقوق الإنسان، وأن الرعايا المحتجزين لدى العراق، ويقدر عددهم بأكثر من عشرين ألف محتجز هم في حقيقة الأمر رهائن.

كل هذا أربع سكان الكويت من كويتيين وعرب وأجانب وآسيويين فبدأت الهجرات من كل حذب وصوب وعبر منافذ العراق والسعودية وتركيا بشكل جنوني!

إن أكثر من ربع مليون إنسان غادروا الكويت والعراق خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، معظمهم من المصريين، عبر الأردن. وقد تسبب ذلك في ازدياد الأزمة الاقتصادية في الأردن، إذ إن المارين أو الفارين من الكارثة المحتملة الوقوع لا يحملون معهم سوى القليل من المال.

اضطر الأردن إلى إقفال حدوده لمدة يومين (٢٢ و ٢٣/٨/١٩٩٠) بعد أن احتشد عشرات الآلاف من المصريين على الحدود العراقية الأردنية وقرب ميناء العقبة انتظارًا لنقلهم إلى مصر عبر خليج العقبة. وطالب الأردن بمساعدة العالم لحل هذه المشاكل، فتجاوبت مع هذه الاستغاثة عدد من الدول والهيئات العالمية.

كيف سقط الكويت وبهذه السرعة المذهلة؟

يقال إن القوات الكويتية قاومت الجيش العراقي عند الحدود، وأن الطيران الحربي الكويتي أبلغ بدخول القوات العراقية فقام بعضه بالإغارة على الجيش العراقي وأوقع إصابات لا يعرف عددها في الأفراد والمعدات.

ولما تيقنت الحكومة الكويتية ليلة الاجتياح بأن العملية الحربية هي عملية اجتياح كامل للأراضي الكويتية، اتخذت العائلة الحاكمة قرارها بالمغادرة، فغادرها معظم مسؤوليها ومعظم أفراد العائلة ليلاً. لم يبقَ في البلد وزير واحد! الوحيد من أفراد العائلة الحاكمة الذي يقال إنه بقي (كيف ولماذا؟ لا أعرف) وقاوم، هو الشيخ فهد شقيق الأمير الذي استشهد في أول أيام الاجتياح في قصر دسمان الخاص بالأمير والذي أحرق في أول يوم للاجتياح.

ولأنه من عادة الكويتيين وكثير من المقيمين فيه أن يمضوا الصيف الحار جداً، أو بعضه، خارج الكويت، فإن عدد الموجودين في الكويت من الكويتيين والمقيمين، عرباً وأجانب، في يوم الاحتلال العراقي للكويت يقدر بثلاثي عدهم إن لم يكن أقل.

بعد يوم أو اثنين، وبعد أن صحا الناس من هول ما حدث، تنادى الشباب الكويتي ملين نداء الضمير والواجب الوطني فراحوا يفتشون عن سبل للتعبير عن مقاومتهم للاحتلال العراقي بالوسائل المدنية، كتسيير شؤون الحياة بعيداً عن التعاون مع سلطات الاحتلال، أو النضالية السلمية، كالتظاهر ضد الوجود العسكري العراقي وكتابة الشعارات المعادية للعراق على الجدران، أو العسكرية كاستعمال السلاح ضد الجنود والآليات العسكرية العراقية.

لم يكن يمضي يوم، بعد يوم الاحتلال، دون أن تضرب وتتحرق آلية عسكرية عراقية أو تفجر بمن فيها. لذلك تشاهد الآليات المحترقة، ومنها دبابات، على جوانب كثير من الطرقات والبيادين.

وفي إحدى الليالي جرى الاتصال بطرق مختلفة وطلب من الناس الصعود إلى أسطح المباني في الساعة الثانية عشرة ليلاً والتهاتف بأعلى الأصوات للكويت وذكر كلمة «الله أكبر» فكانت تظاهرة لها هيبتها الخارقة... إذ هزت حناجر المنادين ليل الكويت وكأنهم يودون أن يصل صوتهم إلى الله... وإلى العالم بعد أن قطعت السلطات العراقية كل سبل اتصالاتهم مع هذا العالم.

على صعيد الاقتصاد العالمي فقد أحدثت هذه الأزمة انهيارات كبيرة في بورصات العالم وارتفع سعر برميل النفط إلى أكثر من واحد وثلاثين دولارًا (كان قبل حوالي شهرين يباع بأقل من نصف هذا الثمن) ويمكن بالطبع تصور آثار ارتفاع سعر النفط على السلع الاستهلاكية وعلى المستهلك في العالم كله.

من الأمور التي لفتت وتلفت الأنظار هي الأضرار التي لحقت بالمؤسسات والمنشآت والدمار الذي لحق بالمؤسسات هذه. إن المرء يمكن أن يتفهم دوافع سرقة الأجهزة ومحتويات البيوت التي لا أحد فيها، أو التي أجبر ساكنوها على إخلائها، لكن تدمير وتخريب أو حرق أجهزة مهمة جدًا وغالية الثمن في مؤسسات الدولة لأمر لافت للنظر ومحير في نفس الوقت. فإن كان ما أعلن صحيحًا عن أن ضمَّ الكويت إلى العراق هو عمل نابع من الموقف القومي، فلماذا ولمصلحة من تتم عملية التخريب هذه؟

يقينًا في ذلك اليوم تابعنا الأخبار من محطات التليفزيون والإذاعات، واعتقدنا أن الأزمة سوف يتحدد مسارها بعد أربع وعشرين ساعة!

أخذنا فورًا نفكر في تخزين الممكن من المواد الغذائية تحسبًا للطوارئ، فنحن الذين مررنا بمثل هذه الأزمات من قبل نعرف ما يترتب عليها من فقدان للغذاء والماء والدواء.

طوابير المنتظرين على المخابز طويلة، لكن الشباب تمكنوا من إحضار ما يلزم ليومين أو ثلاثة، تمام وأنا والكل كلف بشراء كل ما أمكن من المواد الغذائية التي تتوفر في الجمعيات وفي الدكاكين. اشترينا عددًا من صناديق الماء، واتبعنا طريقة ملء كل زجاجة بلاستيكية من زجاجات الماء بعد استهلاك ما بها من الماء بماء حنفية ماء الشرب في البيت... وحفظها.

كما رأينا أن لا يخرج أحد منا بمفرده قدر الإمكان إلا بصحبة واحد آخر معه، تحسبًا لحدوث مكروه لاسمح الله لأحد.

ذهب إياد مع بشار أو مع يزيد أو بلال أكثر من مرة إلى منزل والده بمنطقة سلوى لإحضار المهم من المستندات وغيرها من الأغراض المهمة، وحفظت عندنا.

(٢٥/٨/١٩٩٠) أعلن ظهرًا أن مجلس الأمن الدولي وافق على قرار يقضي بالسماح للقوات المتعددة الجنسيات باستعمال القوة إن لزم الأمر من أجل تنفيذ الحظر المفروض على العراق. وقد اتخذ القرار بأغلبية الأصوات (١٣ صوتًا كانوا مع القرار، من ضمنهم الدول الخمس دائمة العضوية، و٢ امتناع عن التصويت هما اليمن وكوبا).

كما نقلت الأخبار أن الاتحاد السوفييتي قد أرسل أمس رسالة عاجلة إلى العراق، تضمنت طلب انسحاب القوات العراقية من الكويت، وطلب الاتحاد السوفييتي الرد عليها خلال ساعة ونصف. لكن صدام حسين رد على السفير السوفييتي بأنه يحتاج إلى عدة أيام للرد على الرسالة. اعتبر السوفييت أن ذلك بمثابة رد، فأعطى الاتحاد السوفييتي تعليماته إلى مندوبه في الأمم المتحدة بالموافقة على قرار مجلس الأمن السابق الذكر.

وكانت أمريكا حريصة ومنذ مدة على ضرورة صدور مثل هذا القرار بموافقة كافة الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن.

كما نقلت الأخبار اليوم، أن غرفة العمليات العسكرية الأمريكية قد نُقلت من أمريكا إلى السعودية، وبأن القوات والمعدات الحربية صارت موجودة بالفعل على الأراضي السعودية وفي تركيا وفي البحر (الخليج العربي) وفي دولة الإمارات العربية المتحدة -وربما في غيرها- في أكثر مما أعلن عنه.

قال مراسل الإذاعة البريطانية في لندن عصر اليوم من واشنطن إن الرئيس الأمريكي الذي يقضي إجازته في بيته بولاية «مين» Main يتابع مع مستشاريه العسكريين والسياسيين تطورات الموقف في منطقة الخليج العربي، وأن الخبراء يقولون إن العد العكسي للإجراء العسكري قد بدأ فعليًا.

في منتصف ليلة أمس انتهى موعد الإنذار العراقي للسفارات العربية والأجنبية بضرورة إغلاق سفاراتها في الكويت، والتي كانت بعضها قد حاصرتها قوات عسكرية عراقية. غير أن معظم السفارات لم تدعن لطلب العراق، وأبقت على سفاراتها وعلى بعض العاملين فيها.

وكان من المتوقع أن تُقدِّم القوات العراقية على اتخاذ إجراء ما إزاء عدم موافقة معظم دول العالم على الطلب العراقي بإقفال سفاراتها، كقطع الماء والكهرباء وخطوط الهاتف عن هذه السفارات. لكن وحتى ظهر اليوم لم تتخذ مثل هذه الإجراءات.

(الأحد ٢٥/٨/١٩٩٠) تحدثت الأنباء عن أن العراق قد أفرج عن أكثر من خمسين فردًا من الرعايا الأمريكيين الدبلوماسيين، نساء وأطفالًا، وأنه سمح لهم بمغادرة العراق عن طريق تركيا.

كذلك فقد أفرج عن أكثر من ثلاثين فرنسيًا من الأطفال والنساء سمح لهم بالسفر عن طريق الأردن. وجميع هؤلاء من عائلات الدبلوماسيين العاملين في الكويت.

لا جديد فيما يتعلق بالسفارات في الكويت، باستثناء قطع الماء والكهرباء عن بعضها.

عاد الحديث عن تحركات دبلوماسية عربية وأجنبية لإيجاد حل للأزمة، لكن الأخبار نقلت أيضًا ما مفاده أن خطة عسكرية قد اعتمدت لضرب العراق!

رحب العراق بزيارة الأمين العام للأمم المتحدة ديكيولار الذي طلب من وزير الخارجية العراقي المجيء إلى الأمم المتحدة بنيويورك للتباحث معه حول ما يمكن إجراؤه. ويعتقد بأن الزيارة ستتم لبغداد خلال الأسبوع القادم.

الموقف الغربي لا يزال يتسم بالتصلب تجاه رفض إجراء أية مباحثات مع العراق إلا بعد انسحابه من الكويت دون شروط مسبقة.

قالدهايم، المستشار النمساوي، والأمين العام السابق للأمم المتحدة اجتمع أمس مع الرئيس العراقي، ونجح في أن يعود ومعه أكثر من ثمانين نمساويًا من الذين كانوا في العراق والكويت، لكنه لم يحرز أي نجاح في محاولته إقناع العراق بالقبول بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي التي تقضي بضرورة الانسحاب غير المشروط من الكويت وإطلاق سراح ما يسميهم الغرب بالرهائن، بينما يسميهم العراق بالضيوف.

لم نسمع اليوم أصوات انفجارات أو أصوات الرشاشات كما تعودنا على ذلك خلال الفترة السابقة إلا بشكل متقطع وقليل جدًا.

على الصعيد المعيشي، بدأت المواد الغذائية تقل تدريجيًا في الأسواق، وخاصة الفواكه والخضراوات التي كانت تصل من البلاد العربية كالأردن ولبنان وفلسطين ومصر، وكذلك من بلدان أخرى كتركيا التي كانت مصدرًا مهمًا للعديد من المواد الغذائية، كالأجبان والزيوت والزيتون واللحوم والفواكه.. ومن غيرها من بلدان العالم كله.

الدجاج أيضًا بدأ في النقصان من الأسواق، وذلك بسبب عدم استيراد العلف اللازم. وذكر لي ابني يزيد أنه ذهب اليوم إلى دكان يبيع الدجاج الحي، من عاداته أن يقوم بذبح الدجاج وتنظيفه، وكانت بضاعة مثل هذه الدكاكين كاسدة بسبب الدجاج الكويتي المذبوح والطازج أو المجمد المستورد والمتوفر في الجمعيات بأسعار زهيدة. المهم أن صاحب المحل قال ليزيد إن عليه أن ينتظر دوره، ونصحه بأن يعود بعد الظهر لعله يجد منها واحدة أو اثنتين.

التعامل بالدينار العراقي يسير تدريجيًا، فهناك دكاكين خاصة رفعت أسعار السلع بنسب تتناسب مع قيمة الدينار العراقي الشرائية في هذه الأيام بالكويت. مثالًا على ذلك أن صندوق من البطاطا أو من البصل تبعه هذه المحال بمبلغ يماثل خمسة أضعاف سعره بالدينار الكويتي على الأقل، فصندوق البطاطا يباع بمبلغ خمسة دنانير عند هذه الدكاكين سواء كان دينارًا كويتيًّا أو عراقِيًّا.

هناك سوق شعبي في منطقة خيطان لبيع الأجهزة والأثاث المستعمل من كافة الأنواع. والذين يشترون من هذه الأسواق لا يشترونها لمنازلهم، بل للمتجارة بها. إنهم يشترون هذه الأشياء ويحملونها إلى البصرة لبيعها هناك، فمثل هذه الأجهزة رغم قدمها مرغوبة في العراق. كما أن كثيرين من المشتريين -حسبما نقل إليّ- هم من العراقيين الذين معظمهم من الجنود أو الضباط، ولسان حالهم يقول إنها فرصة لعلها لا تستمر طويلاً.

الساعة الآن الثالثة ليلاً، أي فجر يوم الاثنين ٢٧/٨/١٩٩٠، وبعد أن أنهى ما أكتبه الآن سأوي إلى الفراش مع الشعور والإحساس بأن المعركة العسكرية يمكن أن تكون قد بدأت، أو أنها قد تبدأ الليلة أو غداً، وربما بعد أسبوع أو ربما بعد شهر أو أكثر! ويا ويلها من معركة إن نشبت لا سمح الله.

إننا أصبحنا نتمنى أن ينتهي هذا الحال بأسرع ما يمكن، وبالطبع ندعو ونصلي لو أن الحل يأتي سلمياً، لكنني أشعر في أعماقي بأن الأمور قد تطورت إلى درجة أصبح فيه الحل السلمي ضعيفاً جداً أمام الحل العسكري... اللهم الطف بنا يا رب.

الهدوء التام يخيم على الكويت في هذا الليل، وكأنه هدوء ما قبل العاصفة!

من الطرائف التي نقلتها الأخبار الألمانية أن جنوداً عراقيين حاولوا دخول السفارة الإيطالية، لكن السفير الإيطالي منعهم من دخول السفارة، وقال لهم ليس أمامهم إلا أن يقتحموا السفارة بالقوة إن هم صمموا على دخول السفارة. وتقول المصادر إن سبب رغبة العراقيين في دخول السفارة عائد إلى استغراب وجود مصابيح كهربائية مضاءة في السفارة بالرغم من أن الكهرباء قد قطعها الجنود العراقيون عن السفارة... فعُلم أن لدى السفارة -تضيف المصادر- مولداً كهربائياً.

(الاثنين ٢٧/٨/١٩٩٠) اتصلت السفارة الألمانية الشرقية تطلب المساعدة بإرسال أحد أبنائنا، بشار أو يزيد، للمساعدة في الترجمة بينهم وبين الجنود العراقيين المحاصرين لسفارتهم، لتبين بعض التفاصيل حول قرارهم بالسفر في اليوم التالي إلى بغداد، بعد أن قطعت عنهم

موارد الماء والكهرباء. فذهب يزيد وبشار للقيام بهذه المهمة. ونقلوا إلينا الصورة التالية:
كان هناك عدد من الجنود يحيطون بالسفارة فطلب منهم يزيد السماح له بالاتصال بالسفير
بناء على طلبه، فرد أحد الجنود بأنه لا مانع.

وكان في سفارة ألمانيا الديمقراطية إضافة إلى سعادة السفير وزوجته حوالي عشرين من
الألمان الغربيين الذين لجؤوا إلى هذه السفارة معتقدين أنها أكثر أمنًا من سفارة ألمانيا
الغربية، وأنه من المحتمل أن تقطع موارد الكهرباء والماء... لكن الذي حصل هو عكس توقع
هؤلاء الألمان، فبالرغم من قطع الكهرباء والماء عن السفارة الغربية، فإن وجود مقر بيت
السفير الغربي، الذي لم تقطع الكهرباء والماء عنه، قرب مقر السفارة أمنًا لمن هم في سفارة
ألمانيا الغربية ما يحتاجونه من الكهرباء والماء.

أما سفارة ألمانيا الشرقية ومن كان فيها فقد قاسوا الأمرين. قال يزيد وبشار إن حالهم كان
مزريًا بسبب الحرارة الشديدة وقلة الماء، وعدم وجود كهرباء تشغل المكيفات.

المهم أنه كان من المقرر أن يتم سفر هؤلاء في صباح اليوم التالي، إلا أن قرارًا جديدًا نقل
بعد حوالي نصف ساعة، وترجمه أولادنا لهم بأن السلطات العراقية غير مسؤولة عنهم في
السفارة وأنهم فقدوا الحصانة الدبلوماسية وعليهم التصرف على مسؤوليتهم وأن
السلطات العراقية غير مسؤولة عن مرافقتهم في الغد إلى بغداد.

أسقط في يد السفير ولم يدر في حينها ماذا يفعل خاصة وأن كمية الأغذية لديهم لا تكفي
إلا لبضع ساعات، وأن من بين الموجودين من الألمان أطفالًا ونساء في حالة تعيسة.

في اليوم التالي قرر جميع من في السفارة مغادرة المكان والتسليم بالأمر الواقع. فخرجوا
وتم احتجازهم بالطبع من قبل السلطات العسكرية العراقية ولا يعرف أحد مكان وجودهم
حتى اليوم.

الخيار الدبلوماسي لحل أزمة الخليج، أي الأزمة الناشئة عن احتلال العراق للكويت (من قبل وبعد «نكسة» حزيران صار الاسم السياسي للمشكل الفلسطيني هو أزمة الشرق الأوسط) بدأ يكتسب مكانة أكبر من الخيار العسكري. وقد انعكس ذلك على سوق البورصات في العالم، وانخفض سعر برميل النفط إلى سبعة وعشرين دولارًا بعد ان كان قد وصل قبل يومين إلى أكثر من ثلاثين دولارًا للبرميل الواحد.

وكان تليفزيون العراق قد عرض مقابلة مع ياسر عبد ربه، ومن قبله مع أبو اللطف، تحدثا فيها عن موقف المنظمة من «الوجود العسكري الأمريكي وضرورة محاربة هذا الوجود العدواني والتصدي له».

أما تليفزيون السعودية والإمارات فقد عرضا قبل ثلاثة أيام مقابلة الملك فهد، هاني الحسن وصبحي أبو كرش، وهما عضوا لجنة مركزية في حركة «فتح»، ثم أجرى التليفزيون السعودي حديثًا مطولاً مع هاني الحسن، عبّر فيه عن امتنانه للسعودية وعن الموقف الفلسطيني تجاه أزمة الخليج، وتعاطف الفلسطينيين مع الخليجيين والسعوديين، ولم يتعرض للوجود العسكري الأمريكي كما فعل عبد ربه وأبو اللطف.

جويد الغصين كان أكثر المسؤولين الفلسطينيين وضوحًا في موقفه الراض للاحتلال العراقي للكويت ورفض مبدأ الحق التاريخي كمبرر لاحتلال دولة عربية مستقلة، من قبل دولة عربية أخرى وضمها إلى أراضيها، وقد جاء هذا على لسانه من خلال إذاعة وتليفزيون الإمارات وكذلك نقلته بعض إذاعات العالم.

(الأربعاء ٢٩/٨/١٩٩٠) منذ أيام تكهنت بأن العراق، الذي يحتفظ بألوف الرهائن من الرجال والنساء والأطفال الغربيين واليابانيين، سوف يفرج عن بعض النساء والأطفال. أمس مساء أعلن العراق باسم الرئيس العراقي السماح لكافة النساء والأطفال المحتجزين بمغادرة العراق أو البقاء فيها أو العودة إليها.

حتى ظهر الأربعاء لم تتمكن بعدُ أية سفارة من الحصول على التصاريح اللازمة لخروج النساء والأطفال من العراق، لعدم وصول تعليمات خطية إلى وزارة الداخلية العراقية في بغداد. لكن الاعتقاد سائد بأن المسألة هي مسألة وقت لعمل الترتيبات اللازمة لتنفيذ هذا الأمر.

لقد عرض التلفزيون العراقي قبل أيام زيارة قام بها الرئيس العراقي للمحتجزين الأجانب في مقر حجزهم، حيث يتواجد حوالي من ثلاثين إلى خمسين شخصًا من الرجال والنساء والأطفال. تحدث إليهم الرئيس العراقي عن بعض جوانب المشكلة، وأن احتجازهم ما هو إلا محاولة للضغط من أجل تجنب الحرب المدمرة التي «تسعى أمريكا ومن معها إلى شنّها على العراق».

الخيار العسكري ينحسر بينما الخيار الدبلوماسي يتقدم، بالرغم من هذه التحركات، إلا أن المعلن من المواقف السياسية للخصمين لا تزال تراوح مكانها. فالعراق، وقبل زيارة ديكويلار للمنطقة للتباحث مع العراق، أعلن أمس أن الكويت أصبحت المحافظة التاسعة عشرة للعراق، وأن اسمها تغير ليعود إلى اسم المنطقة الأصلي زمن الحكم العثماني وهو «كاظمة». والمعلومات تفيد بأن العراق أخذ في ترتيب شؤون الحياة في الكويت، وقد أحضر لهذا كوادرن من مناصب عالية لتسيير الحياة وفق القوانين العراقية، وتعديل ما يلزم في هذا الخصوص وبالقوة إن لم تسر الحياة بالتي هي أحسن.

من ناحية أخرى فإن مواقف معظم الدول العربية والدول الغربية بزعامة أمريكا لم يتزحزح عن مطرحه فالمطالب ثلاثة: الانسحاب العراقي من الكويت بدون شروط، وعودة الشرعية، والحفاظ على حياة الرهائن والإفراج عنهم.

الرئيس الأمريكي قطع إجازته يومين واجتمع أمس مع الكونغرس وأطلعه على الوضع. هناك ما يفيد بأن ٧٥٪ من الرأي العام في أمريكا تقف إلى جانب خطوات الرئيس بوش. لكن مرور الوقت والانتظار ربما يؤثر في شعبية بوش، إن بقيت هذه القوات في الصحراء السعودية دون إجراء عسكري يحسم الموقف ويحقق الأهداف غير المعلنة وهي: القضاء

على القوة العسكرية العراقية والقضاء على صدام حسين نفسه باعتباره شخصية خطيرة
يجب القضاء عليها.

كيسينجر نصح اليوم بضرورة توجيه الضربة العسكرية ضد العراق بالسرعة الممكنة، وهو
القائل في بداية الأحداث إنه إذا بقيت القوات العراقية محتلة للكويت شهرين أو ثلاثة فإن
الوضع الجديد سيصبح أمرًا واقعًا ينبغي تداركه من الآن...!

أمس عقد الرئيس المصري مؤتمرًا صحافيًا مهمًا، تحدث فيه عن تطور الأحداث في منطقة
الخليج واحتمالات المستقبل وخشيته من وقوع الحرب التي ستكون، كما قال، كارثة
الكوارث على العرب والعالم. وناشد الرئيس المصري مرة أخرى الرئيس صدام بتجنيد
المنطقة هذا الخطر الكبير. تحدث عن الوساطات العربية وعن القمة التي عقدت في
القاهرة وما احتوته من مهازل... كان حديثه ارتجاليًا وصريحًا بالعامية... لكنه جعلنا نشمئز
من القيادات العربية ومن أنفسنا كعرب في هذه المرحلة وفي هذه الظروف الحرجة جدًّا.

أمريكا اتخذت قرارًا بطرد ستة وثلاثين عراقيًا من العاملين في السفارة العراقية بواشنطن،
منهم عدد من الدبلوماسيين والآخرين موظفون في السفارة. ويبدو أن هناك اتجاهًا من
قِبَل دول غربية أخرى لتحذو حذو أمريكا...

نتابع الأخبار، إذاعياً وتلفزيونياً، وندعو الله أن تزداد نسبة الرطوبة لأنها تسمح لنا بأن
نشاهد محطات دول الخليج التلفزيونية بشكل أفضل.

تعلمنا لعبة الطرنيب، ونلعبها في الليل لكي نمضي الوقت الطويل الذي لا نستطيع عمل
شيء آخر فيه بسبب التوتر الذي نعيشه.

أنا غير قادر على الرسم ولا أتصور أنني قادر على القراءة بتركيز، لذلك فالوقت طويل
وممل!

فرحنا أمس بخبر السماح للنساء والأطفال الأجانب بالسفر إلى خارج الكويت والعراق، فناديا (زوجة ابني، وهي ألمانية) ولبنى حفيدتي، تستطيعان السفر في هذه الحالة إلى ألمانيا حتى انتهاء هذه الأزمة... ولكنني خائف، خائف، خائف... من أن تروح لبني ولا تعود، وهذا شعور دفين في نفسي لأسباب كثيرة لم أفصح عنه لأحد...!

استمرت متابعتنا آخر الأخبار قبل بدء لعب «الطرنيب» فلم يكن هناك جديد، سفر النساء والأطفال يتعثر بسبب اهتمام السفارات الأجنبية المعنية بتأمين اللازم وتسفير رعاياها بسلام.

منظمة الأوبك وافقت في اجتماع لها في قيينا على زيادة حصص الإنتاج لتعويض النقص الناتج من مقاطعة نفط العراق والكويت. ولم تعترض على ذلك سوى العراق، حتى إيران التي كان من المتوقع معارضتها القرار وافقت عليه دون أن تلزم نفسها بزيادة إنتاجها...!

تحدث بعض الإذاعات عن أن العراق تقدم بمبادرة سرية تقول باستعداد العراق للانسحاب من الكويت مع انسحاب متزامن للقوات الأجنبية من المنطقة شريطة أن تضمن له أمريكا... نعم أمريكا... منفذًا بحريًا على الأراضي الكويتية، لكن الموقف الأمريكي، كما تقول الأخبار ومن أكثر من مصدر، ترفض هي ومن معها إلا الانسحاب غير المشروط.

(الخميس ٣٠/٨/١٩٩٠) منذ أيام ونحن نناقش موضوع بلال، ابني الثالث، ودراسته في أمريكا، هل يسافر وعن أي طريق..؟

الطريق الممكن هو عن طريق الأردن، لكن كان هناك موضوع تأجيل خدمة العلم في الأردن والتي لم ننجزها له بسبب الأحداث، إذ إن تأجيل الخدمة كان ساريًا حتى منتصف الشهر الحالي آب. كذلك نفكر في كيفية الصرف على دراسته وإقامته هناك!

ومن ناحية أخرى فإنه يخشى على شقته الصغيرة التي يسكنها في أمريكا وأثتها بأثاث بسيط قبيل مجيئه إلى الكويت، وعلى سيارته التي ركنها قرب المبنى الذي يسكنه. وكنا قد

أرسلنا إلى الجامعة التي يدرس فيها قسط النصف الأول من السنة الدراسية، ١٩٩٠/١٩٩١ لكنه أبلغنا أن جامعات أمريكا سوف تحفظ حقوق الطلبة الذين اضطرتهم ظروف الكويت إلى التأخر عن الحضور.

قررنا إرسال إشارة إلى مكتب الشقق التابع لها شقته للحفاظ على شقته إلى حين عودته، وأن يكون سفره إلى أمريكا، بعد أن يستقر الحال إن شاء الله، في نهاية السنة الحالية أو في بداية السنة القادمة.

الملك حسين وبعد أن التقى زعماء المغرب العربي الخمسة، وأطلعهم على مشروع حل لأزمة الخليج، يعتقد أنه متفق عليه مع الرئيس عرفات، انتقل إلى الدول الأوروبية لاستطلاع الآراء حوله.

الأخبار تقول إن العراق أجّل السماح للنساء والأطفال الغربيين بمغادرة العراق لأسباب تنظيمية، بينما مصادر دبلوماسية -حسبما تقول الإذاعات- ذكرت أن العراق يشترط أن تُحضر الطائرات القادمة لنقل النساء والأطفال مواد غذائية وطبية.

قالت الأخبار آخر الليل إن العراق قد سمح لطائرة اللوفتهانزا الألمانية بالقدوم إلى العراق لنقل حوالي مئة وأربعين امرأة وطفلاً من الرعايا الغربيين، وخاصة الألمان من المقيمين في العراق.

تأجل اجتماع ديكويلار مع عزيز إلى يوم غد الجمعة بدلاً من الموعد الذي كان مقرراً اليوم الخميس. ديكويلار صرح في باريس اليوم أنه متوجه إلى منطقة الشرق الأوسط لتنفيذ مقررات الأمم المتحدة المتعلقة بأزمة الخليج.

العراق أعلن حسب أخبار الإذاعات الغربية أن صدام لم يتقدم بمبادرة للانسحاب المتزامن مع انسحاب أمريكا في المنطقة، بل إنه يصر على ضرورة الاحتفاظ ببئر الرميلة وتأمين منفذ له على البحر...! هكذا أذيع الخبر...!

أذاع التلفزيون العراقي الليلة مقابلة تليفزيونية مع الرئيس العراقي لمحطة التلفزيون الأمريكي الـ CBS حيث كانت الأسئلة الموجهة إلى الرئيس العراقي جريئة جداً. دارت الأسئلة حول ما إذا كان العراق، كما تردد، على استعداد للانسحاب من الكويت، والجواب كان: «الكويت جزء من العراق... فكيف ولمن ينسحب العراق من جزء من أراضيه!».

من الأسئلة الجريئة كان سؤال، أن الرئيس بوش يتهمه بأنه يشبه أو يتشبه بـ«هتلر» لأنه هاجم دولة ضعيفة شقيقة وجارة...!

والموضوع الآخر كان يدور حول احتمالات الحرب وما يمكن أن يهدد العراق والمنطقة، فكان الرد بأن «العراق إذا ما قدرت أمريكا خوض الحرب، فإنها ستكون مستعدة لخوضها والانتصار فيها، رغم تمنيات العراق بعدم حدوث ذلك لأن الحرب ستكون وبالاً، ليس على المنطقة فحسب، بل على العالم بشكل عام».

أنهى وزراء الخارجية العرب المجتمعون في إطار جامعة الدول العربية، وهم وزراء أو ممثلون عن دول مجلس التعاون الخليجي الست ومصر وسوريا ولبنان والمغرب وليبيا وجيبوتي والصومال، أنها الجلسة الأولى وقرروا تشكيل لجنة من سبعة أعضاء لإقناع الدول العربية التي لم تحضر الاجتماع بضرورة حضورها وطرح أفكارها، خاصة وأن بعضها يحوم ويدور بمبادرات لحل الأزمة، وأن أي مبادرة عربية يجب أن تنطلق من موقف عربي واحد.

لكن المتوقع هو فشل الاجتماع بسبب الانقسام في الموقف العربي العام.

(الجمعة ٣١/٨/١٩٩٠) مررت في شارع تونس بحولي، فأصبت بالحزن الشديد على حال البلد، ولهذا الشارع الذي كان يعج بالحركة والنشاط. السيارات قليلة في الشوارع، وهي تمر بالإشارات دون اعتبار لها، على عكس ما كانت عليه الحال في بداية الأمر. المحال مغلقة، ومعظم المحلات التي كانت تعرض في قتريناتها الأجهزة الكهربائية والإلكترونية وغير ذلك من الأجهزة والأدوات المتنوعة، قد خلت من هذه الأشياء. وبعض الجنود مما يسمى

بالجيش الشعبي العراقي يترنحون من شدة الحر في ظلال الأقبية التي تتقدم المحلات التجارية، أو على قارعة الطرق وفي زواياه، يحملون رشاشاتهم يتلفتون حولهم كالمضائعين. كثير من الناس بدؤوا يقفون على الطرقات وهم يبيعون بعض السلع الغذائية البسيطة. هناك سلع اختفت تمامًا ولم يعد الحصول عليها ممكنًا.

وجدت في البيت عند عودتي عددًا من الأصدقاء: د. إبراهيم، وهو كغيره، حائر في موضوع: نسافر أم لا! مشكلة الدكتور إبراهيم زوجته التي تلح في كل يوم على السفر إلى الخارج، وهو خائف عليها وعلى أطفاله. وكان إبراهيم قد أحضر إليّ قبل أيام لوحتي «حنون على قبر الشهيد» التي اشتراها لإعدادها للسفر في حال استقر الرأي على السفر. على أية حال هو لا يفكر في السفر، وسوف يذهب مع زوجته وأولاده حتى الحدود الأردنية ثم يعود هو لمتابعة عمله كطبيب... حسبما يقول... والله أعلم.

وكان في البيت اثنان من زملاء يزيد، علي وفؤاد، وهما أخوان كويتيان، الأخير يفكر أو يمكن القول إنه قرر السفر، فكافة أفراد أسرته في الأردن ويود نقلهم إلى السعودية.

ذهبت تمام وإياد مع يزيد لشراء مواد غذائية احتياطية لبيت ابن العم أمين، في حال فاجأنا بقدومه من مصر مع عائلته.

عاملان مهمّان يدعوان إلى التفاؤل بنجاح المساعي السلمية لحل أزمة الخليج. الأول يتمثل في العبء المالي الضخم المترتب على الحشد العسكري الأمريكي في منطقة الخليج، والذي يقدره المعنيون بأنه سيبلغ حوالي مليارين ونصفًا من الدولارات في نهاية شهر أيلول القادم (ويقول خبراء عسكريون إن التكاليف ستبلغ ضعف هذا المبلغ).

إن تكلفة النقل اليومية للقوات الأمريكية، وما تحتاجه من استمرار -إمداد تمويني وحربي- يبلغ ثلاثين مليون دولار يوميًا. لذلك قال الرئيس الأمريكي إن على الدول الحليفة أن تشارك في تحمل هذه النفقات وغيرها والتي قدرت بحوالي ٢٣ مليار دولار.

إن الإدارة الأمريكية لا تستطيع تحمل هذه التكاليف وحدها وإلا تعرضت لانتقادات كثيرة من الشعب الأمريكي. كما أنها لا تستطيع تحمل العبء الأكبر لهذه التكاليف ولمدة طويلة لأنها في النهاية ستُلقَى على عاتق دافع الضريبة الأمريكي.

العامل الثاني هو تأثير الحصار الاقتصادي على الوضع المعيشي في العراق. تقول الأخبار إن المؤمن ستوزع على الناس ببطاقات تموين في العراق. وتشير التقارير إلى أن العراق لا يملك من المواد الغذائية إلا ما يكفي أسابيع قليلة، مر منها أربعة.

هذان العاملان، بالإضافة إلى عامل ثالث لا يمكن إغفاله وهو خشية وقوع الحرب وآثارها من قبل الطرفين، أخذت تضغط تجاه إيجاد الحل السلمي.

ونقلت الأخبار أن اجتماعًا مهمًا يُعقد الآن في عمّان، بين السكرتير العام للأمم المتحدة ووزير خارجية العراق، وأن مساعدي ديكيولار متفائلون بهذا الأمر.

القوات الأمريكية وقوات حليفاتها تمركزت في أراضي السعودية ودولة الإمارات وقطر، وربما في غيرها، إضافة إلى تلك التي تتحرك في البحار القريبة. وتقدر المؤسسات العليمة بأن أكثر من ألف دبابة وأكثر من ست مئة طائرة أمريكية (من ضمنها طائرة 117F) وعشرات السفن العسكرية بما فيها حاملات الطائرات المجهزة بأحدث أنواع القذائف والصواريخ وأجهزة التنصت أصبحت متواجدة في المنطقة وعلى استعداد تام.

لكن الكل يدعو ويتمنى ابتعاد شبح الحرب عن المنطقة...

مشكلة المدنيين الفارين من أرض المعركة المتوقعة تفاقت وتسببت في الكثير من الأزمات الإنسانية. فلقد دخل الأردن ما يزيد على ثلاث مئة ألف إنسان هارب! وحوالي عشرات، إن لم يكن الآلاف من الفارين عبر إيران، وحوالي مئتي ألف عبروا الحدود التركية.

هناك مناشدات لتقديم العون إلى هؤلاء اللاجئين أو الفارين أو العائدين إلى بلدانهم، وتقوم بلدان ومؤسسات إغاثة بتقديم العون، خاصة لأولئك الذين حشروا بين الحدود العراقية

والأردنية، فالأردن غير قادر على تحمل مشكلات تأمين الغذاء لهم.

أبو عمار زار ليبيا أمس واجتمع مع العقيد القذافي، وينوي العقيد إطلاق مبادرة حول الأزمة غدًا بمناسبة «ذكرى الفاتح من سبتمبر»...!

يزيد، ابني، يشتري أسبوعيًا مجلة الـ«دير شبيغل» الألمانية الغربية، اليوم اطلع على مقالة منشورة في هذه المجلة بتاريخ ٢٣/٧/١٩٩٠ تحت عنوان: «هل تهاجم بغداد الكويت؟» وتفيد المقالة بأن القوات العراقية تدرت منذ حوالي أربعة أشهر لاحتلال الكويت، وأن عملية الاحتلال لن تستغرق سوى ساعات. وأن المبررات للإقدام على هذه العملية في «تآمر الكويت ضد العراق، وسرقة نفطه والاعتداء على أرضه»... وأنه سيتم ضم الكويت إلى العراق، كما أنه من المتوقع أن يوافق العراق على كافة المطالب الإيرانية لحفظ خطوطه الخلفية...

بعد أن أطلعني يزيد على هذه المقالة، قلت له: «ولماذا لم تقرأها من قبل، وتخبرني بمحتواها قبل كل ما حدث؟» قال لقد حصلت على المجلة قبل الأحداث بيومين، ولم أقرأ قبل الاجتياح العراقي سوى القليل مما ورد في المجلة..!

على أية حال ولنفترض أن يزيد أخبرني بفحوى هذه المقالة قبل ٢/٨/١٩٩٠ فإني متأكد من أنني لن أولي هذا الأمر الأهمية اللازمة... ولكنني قد قلت إن هذه لا تعدو كونها أضغاث أحلام، فكيف يمكن لدولتين عربيتين عضويتين في جامعة الدول العربية والأمم المتحدة، وفي منظمات دينية وإقليمية سياسية وجغرافية أن تغزو إحداهما الأخرى وتحتلها... والعالم يتفرج؟

ومن؟

الكويت؟

إنه لأمر مستحيل، فهي دولة ذات موقع خاص في العالم، وخاصة العالم الغربي الذي يعتمد إلى حد كبير على إنتاجها من النفط المتميز والوفير فيها، هكذا كان يمكن أن يكون رد فعلي على مقالة كهذه.

اليوم أقول إن الإنسان يجب أن لا يستبعد أي شيء، ففي هذا العالم الذي نحيا فيه اليوم، كل شيء ممكن...!

لقد زالت، ولو مؤقتًا، فلسطين...

لقد نشأت دولة على أرض فلسطين باسم جديد ولغير الفلسطينيين... «إسرائيل». ممكن إذن أن تزول دول... أو أن تخرب دول، ولبنان خير مثال...

ممكن إذن أن تنشأ دول...

...لكن الأزمة لم تنته بعد، ومع انتهائها ونتائجها يمكن أن نقول إن كان المستحيل، في مثل أزمة الكويت، أصبح ممكنًا أم لا في هذه الأيام... ومن يعيش ير... عجبًا...

وممكن أيضًا... أن تعود فلسطين، أو جزء منها، ليقام عليه دولة فلسطين الموعودة...
فلسطين المستقلة...

وممكن أيضًا أن لا تحقّق إسرائيل أحلامها...

أيلول / سبتمبر ١٩٩٠

(السبت ١/٩/١٩٩٠) عدت فوراً من جولة تسوقية في منطقة الشويخ، شارع أسواق المنتجات التركية حيث تمكنا من شراء بعض الحاجيات التي توفرت هناك. كنت ويزيد وإياد، وقد رحنا عبر «الدائري الرابع» ثم شارع طريق المطار، حتى جسر الدائري الثاني المتقاطع مع شارع طريق المطار، ثم يميناً نحو كراج الغانم الضخم. مداخل الكراج سليمة إلا واحداً منها فيبدو وكأنه تعرض للفتح بالقوة. أراد إياد أن يسأل عن عيسى الذي وعده بأن من الممكن أن يفتح الكراج للعمل اليوم السبت. لم يجد عيسى هناك، وعلى المدخل الجانبي الذي كان مخصصاً للخروج وجدنا بعض الجنود العراقيين بأسلحتهم الخفيفة، اثنين أو ثلاثة، واثنين مدنيين قالوا إنهم يسلمون سيارات حجزت في الكراج لمن يثبت أنها له فقط، وأن الكراج لا يعمل.

رحنا تجاه شارع «الكندا دراى» ثم نحو الأسواق المقصودة. على جانب من الدوار الكبير الذي ينتهي عنده شارع الكندا دراى كانت هناك سيارتان تبيعان الكيوي المعب، سعر العبدة (كيوي طازج - حوالي ٣٠ - ٤٠ حبة) بخمسة عشر ديناراً عراقياً... وباذنجان الكيس بعشرين ديناراً عراقياً، لم نشتر شيئاً ودخلنا سوق المنتجات التركية، وجدنا هناك سيارات فتح أصحابها صندوقها الخلفي وقد امتلأ بنوع أو بنوعين من السلع. واحد يبيع السمك المجلد أو المقعد -هندي- وآخر يبيع معلبات، أو بالأحرى بقايا معلبات! محل واحد من عشرات المحلات، التي كنا نشترى منها كل ما يمكن أن يخطر على البال من مواد التغذية، كان مفتوحاً.

عرفنا أن المحل مفتوح من شدة الازدحام عليه. فذهبنا تلقائياً إليه، وإذا بالناس تخرج من المحل وهي تحمل صندوقاً أو أكثر، أو صفيحة صغيرة أو كبيرة...

وجدناه يبيع جبن نابلسي «نصية» وزيت الزيتون بصفائح كبيرة وكذلك مرتبان، اللبنة
بالزيت وآخر فلفل أحمر، وما عليك إلا أن تقرر فوراً ماذا تريد وتأتي للبائع لتسأله عن المبلغ
الذي يجب دفعه...!

ليس هناك مجال للسؤال قبل الشراء، لأنه من الممكن أن تنفذ هذه السلعة وأنت تسأل عن
سعرها. اشترينا «نصيتين» جبنة نابلسية، واحدة لنا والأخرى لابن العم أمين. وفي محل
آخر يبعد قليلاً رأينا الناس يتدافعون إلى الداخل، أو يخرجون منه وهم يحملون كراتين
أخرى.

والناس من مختلف الأجناس، كويتيين وفلسطينيين وآسيويين. المصريون والسوريون
واللبنانيون قلة. وبالطبع كان هناك عراقيون بلباس عسكري أو مدني، معظمهم مسلح.
واحد من العراقيين كان يلبس الدشداشة، حاسر الرأس، وقد ربط على وسطه حزام من
الرصاص الذي نسميه بـ«السلحلك» ومسدس ضخمة على جانبه ويتحرك بعنجهية واضحة،
وخلفه يسير مسلح باللباس العسكري حاملاً الـ«كلاشنكوف».

كان ذلك المحل يبيع خضراوات معلبة مجلدة، ومرة أخرى أقول ما تبقى من هذه المواد،
فليس أمامك مجال للاختيار. عبأنا من الموجود صندوقاً من السبانخ والأرضي شوكي
والقرنبيط والفول، ودفعنا ثمنها بالدينار الكويتي. إنه يقبل الدينار العراقي والكويتي،
والأخير يحسب بنسبة واحد لثلاثة أو لأربعة.

كما أعلمنا صاحب المحل عن وجود شيء يشبه «الهامبورغر» مكتوب عليه كلمة «كفتة»..!
أخذنا منها عشرة علب لنا ومثلها لأمين، لا أذكر كم دفعنا، ولكن ما أذكره أنه عند دفع الثمن
قال لنا صاحب المحل خذوا علبة إضافية بلا مقابل، كانت لكنته البائع سورية.

اتجهنا بعد ذلك إلى الدوار الداخلي القريب من شجرة الخضار الكبيرة، وإذا بنا نكتشف سوقاً
كبيرة هناك تبيع فاكهة الكيوي والكمثري (عرموط) كما وجدنا علبة من البطاطا المحضرة
للقلي وأخرى تشتمل على دجاج مجلد وسمك مجلد أيضاً، لكن الأشياء طرقت من شدة

الحر. كما كان هناك بعض صناديق من البرتقال سعر الصندوق ما يعادل عشرة دنائير كويتية. المهم أننا اشترينا بعضاً من هذه الأشياء وذهبنا بعدها إلى الشبيرة. منظر الشبيرة محزن جداً.. أهذه التي كانت مملوءة بثنتى أنواع الفاكهة والخضراوات، والتي كانت تأتي من كل حذب وصوب في العالم...؟ لم يكن فيها سوى بسطات حقيرة قذرة تباع الباذنجان والثوم، وفقوساً وخياراً لا يؤكل، بل كنا نرميه في الزباله أو نطعمه للحيوانات، وكثيراً من البطيخ العراقي الكالح اللون والطويل الشكل، لم نشتر شيئاً من هذا، ركبنا السيارة لنعود إلى البيت بسرعة قبل أن تفسد بعض المواد المثلجة.

طريق العودة كانت عبر الدائري الثالث ثم الرابع حيث مررنا بمعارض سيارات العالم. هذا معرض البويك وهذا للكاديلاك وذاك لكافة أنواع الجنرال موتورز، شفروليه وبونتياك وغيرها، ثم هذا معرض التويوتا والآخر للمازدا ونيسان، ثم المرسيديس والفلوقو... وغيرها ولا يسع المرء بعد مشاهدته هذه إلا أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله... وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وعلى طول الطريق في زهابنا وعودتنا تُشاهد السيارات المرماة على الطرقات والشوارع، مسروقة، منهوبة، محطمة أو محروقة. مئات السيارات ومن مختلف الأنواع. معظمها، إن لم أقل كلها، بدون دوايب وبدون قطعها التي أمكن فكها أو نزعها، أغطية موتورات هذه السيارات مفتوحة وقطعها مسروقة...!

إن الإنسان ليشعر ببالغ الحزن والأسى على هذه المناظر المخزية والتي تذكر بهجوم المغول على بغداد وإتلافهم وإحراقهم كل ما كانت تذكر به من مظاهر الحضارة العربية، فكراً وعلماً، وفناً... قبل مئات السنين!

كما شاهدت عشرات السيارات العسكرية المحروقة أو آثار سيارات منسوفة أو محروقة في مختلف المناطق التي مررنا بها. الجنود العراقيون موجودون عند مداخل بعض الشوارع الفرعية، وهناك بعض الحواجز في الشوارع الكبيرة، كالدائري الرابع وطريق

المطار، حيث يقف بعض الجنود الذين تبدو عليهم آثار الإرهاق والملل من مهمة سخيفة في إعطاء الإشارة باليد للمارين بسياراتهم لكي يسيروا في اتجاههم.

تذكرت الجنود السوريين في لبنان وقلت في نفسي «ما أشبه اليوم بالبارحة».

المحال في كافة المناطق ما زالت مغلقة، أهو موقف لأصحاب هذه المحال في وجه الوضع الجديد؟ أم أنه نابع من الخوف لما يمكن أن يأتي؟ أم خوف على ما لدى هذه المحال من بضاعة مخبأة في مخازنها بعد أن نهب ما في معارضها؟ أم لأن معظم أصحاب المحال أو العاملين فيها قد غادروا البلد أو كانوا في الأصل غير موجودين في الكويت بسبب إجازة الصيف...؟

مما لا شك فيه أنه شكل من أشكال رفض التعاون مع الوضع الجديد... ولكن إلى متى؟ لا أحد يستطيع التكهن... لا أحد.

هناك أمر في غاية الأهمية لم أذكره حتى الآن لكونه أمرًا حيويًا جدًّا وبدونه تزول إمكانية البقاء في هذا البلد، وهو استمرار توفر الكهرباء والماء. وهذه نعمة كبيرة والحمد لله، راجين أن لا نحرم منها في هذه الظروف الصعبة والمخيفة. ففي حال انقطاع التيار الكهربائي تنعدم، لا سمح الله، كل سبل الحياة، وفي مثل هذه الحالة لن يكون أمامنا سوى التوكل على الله والرحيل... إلى أين؟ لا ندري!

الكهرباء هي التي توفر تدفق الماء من معامل تكرير مياه البحر التي نستعملها ونشربها. والكهرباء هي التي تشغل البرادات والمجلدات (فريزر) التي نحتفظ بموادنا الغذائية فيها لأسابيع قادمة لا يعلم إلا الله ماذا تحمل لنا أيامها من مفاجآت!

وهي أيضًا، أي الكهرباء، التي توفر لنا تشغيل المكيفات في المنزل فتخفف من درجة الحرارة التي تصل إلى حوالي الخمسين مئوية في الظل خارج المنزل، وتخففها إلى حوالي العشرين داخل المنزل.

وفي هذه الأيام، حيث بدأت نسبة الرطوبة في الجو في الازدياد، تصبح الحاجة إلى تشغيل المكيفات ضرورية لتخفيف درجة الحرارة ونسبة الرطوبة في آن. ونحمد الله أن اثنين من المكيفات في منزلنا لا يزالان يعملان، لأن الثالث تعطل وهو الذي يكيف غرفتي النوم اللتين يشغلانها يزيد وزوجته وبشار وبلال وإياد. وقد حاول الشباب أن يجدوا فنيًا لإصلاحه ولكن دون جدوى.

إن الحرارة لا تزال مرتفعة بالطبع، وستبقى كذلك حتى أواخر شهر أيلول القادم أملين أن تظل هذه المكيفات قادرة على العمل، فهي على أية حال قديمة، وربنا يستر.

مع بداية شهر تشرين أول يصبح بالإمكان العيش بدون المكيفات... وأملنا كبير أن تكون هذه الأزمة قد مرت وحلت بسلام وبطريقة تكفل إعادة الحقوق لأصحابها، وأن نظل وأقاربنا وأصدقائنا وأحبابنا بخير، وأن يعود أصدقائنا ممن غادر البلاد لأسباب قاهرة سالمين بإذن الله.

زارنا حسن، صهرنا، مساء السبت، حيث تناولنا العشاء التقليدي التقشفي، فقد بدأت مظاهر التقشف تبدو على مائدة الطعام. وحدثنا أبو علي عن أنه هنا لينام قليلاً، وأنه سيسافر إلى الأردن لتأمين بعض احتياجات زوجته وبناته الذين تقرر بقاؤهم في الأردن إلى إشعار آخر، ثم إلى السعودية وبعدها يعود إلى هنا من أجل متابعة مصلحته. تناولنا الحديث عن الوضع العام وعن موضوع مجيء أبناء العم، أبو زكي وأبو إياد وحمدي، واتفقنا على أن ينقل لهم صورة عمًا يجري في الكويت حاليًا وعن توقعاتنا، وأنه من الصعب في هذه الظروف أن يقدم أحد نصيحة إلى أحد في هذا الشأن، على أمل تفهم الوضع واتخاذ القرار اللازم والمناسب مع شيء من التشجيع على المجيء... وعلى الله التوكل.

(الأحد ٢/٩/١٩٩٠) اليوم هو الذكرى، سيئة الذكر، الأولى للاحتلال... أي مرور شهر على غزو العراق الكويت!

السلطات العراقية العسكرية أعلنت عن ضرورة تسيير الحياة بالقوة في «المحافظة التاسعة عشرة للعراق، محافظة كاظمة» أي الكويت، وأن من لا يتجاوب من أصحاب المحال فإنه يعرض نفسه أو محلاته لمشاكل كثيرة... لكن البلد لا يزال مُضربًا، كما ذكرت سابقًا، ولا أظن أن المحال ستفتح والأسواق ستعمل... إنه العصيان المدني... وهو شكل من أشكال مقاومة الاحتلال... ومن ناحية أخرى أعلن عبر نشرة أخبار تليفزيونات دول مجلس التعاون الخليجي أن المقاومة الكويتية قررت التضافر ضد الاحتلال العراقي على نفس الطريقة التي مورست في بداية هذه الحالة، وحددت الساعة الثانية عشرة ليلاً، لصعود الناس إلى أسطح المنازل والهتاف بعبارات مثل «الله أكبر... ولا إله إلا الله».

لقد لبى الناس النداء وخرجوا إلى أسطح منازل الكويت وهتفوا لمدة حوالي نصف ساعة، وكان صدى الهتاف مهيبًا في ليل الكويت الذي اختلط مع أصوات رشات من إطلاق النار وبعض الانفجارات.

ولا يمكنني أن أنسى صوت لبنى الحبيبة، حفيدتي، وهي تصرخ بأعلى صوتها الطفولي، على سطح البيت، ملبية النداء و.. «الله أكبر...» وإلى جانبها والداها وعمها بشار يشاركون إخوتهم الكويتيين بالتعبير عن رفضهم الاحتلال...

على الصعيد السياسي، وفي سبيل البحث عن حل، قالت الأخبار إن ديكيولار لم يحقق مع طارق عزيز أي نجاح، وأن المباحثات لم تسفر عن تغيير في المواقف، بل قيل إنها منيت بالفشل.

هناك تصريحات لمسؤولين ودبلوماسيين من مختلف أنحاء العالم تقول إن احتمالات الحل الدبلوماسي باتت ضعيفة جدًا بسبب إصرار العراق على عدم البحث في موضوع الكويت.

من أهم أخبار أمس خبر الاتفاق بين بوش وگورباتشوف على الاجتماع يوم ٩/٩/١٩٩٠ للبحث في أزمة الخليج. وقالت الأخبار إن بوش اتصل بگورباتشوف وتشاورا حول قضايا الساعة وعلى رأسها أزمة الخليج. وقال بوش إن رغبته في الاجتماع مع گورباتشوف ليس

بسبب خلافات في وجهات النظر حول أزمة الخليج، بل لكونهما متفقين على معظم جوانب هذا الموضوع.

وتذكر الأخبار أن للاتحاد السوفييتي حوالي مئة خبير عسكري وحوالي خمس مئة عامل فني (ويقال إن العدد يصل إلى سبعة آلاف) لا يزالون في العراق ولم يطلب السوفييت سحبهم حتى اليوم.

هل سيكون هذا الاجتماع المفاجئ والمهم هو «يالطا» الجديدة؟ أم هو اجتماع لتحديد الخطوط الحمراء والخضراء، وبالتالي تقسيم التركة؟

من ناحية أخرى نقلت الأخبار عن مسؤولين خليجيين أن منظمة التحرير الفلسطينية قد فقدت مكانتها في دول مجلس التعاون الخليجي، وذلك بسبب موقف قيادة المنظمة من أزمة الخليج.

كما علق وزير خارجية بريطانيا دوغلاس بأن المنظمة قد فقدت مصداقيتها أمام العالم الغربي بسبب موقفها هذا. وقال هيرد بأن موقف ياسر عرفات لا يعبر عن رأي الفلسطينيين، وأن هناك انقسامًا في الرأي بين القيادة الفلسطينية حول هذه الأزمة.

وقالت إذاعة لندن اليوم إن ياسر عرفات حاول قبل يومين الهبوط بطائرته في مطار أبو ظبي، إلا أن الشيخ زايد آل نهيان أمير دولة الإمارات أمر بعدم السماح للطائرة بالهبوط، وأنه غير مستعد لاستقباله... والله أعلم.

بدأت عملية إجلاء النساء والأطفال الضيوف الرهائن، من بغداد إلى العالم. ولقد وصلت أولى هذه الطلائع من الإنكليز والفرنسيين والأمريكيين وغيرهم بطائرة عراقية عملاقة حملت الرعايا إلى فرنسا وإنجلترا وأمريكا. الألمان نجحوا في إرسال طائرة لهم ونقلوا فيها أول دفعة من رعاياهم. الإيطاليون واليابانيون كان سفرهم عبر الأردن.

ويبلغ عدد الذين تم إجلاؤهم حتى الآن حوالي سبع مئة وخمسين من النساء والأطفال، من ضمن هؤلاء خمسة عشر رجلاً أمريكيًا من كبار السن والمرضى الذين توسط من أجلهم عضو الكونغرس الأمريكي جيس جاكسون، الذي زار العراق، والتقى الرئيس صدام حسين.

ناديا، زوجة ابني يزيد وهي ألمانية كما سبق وذكرت، ولبنى الحفيدة، أحيطتا علمًا بأن تكونا مستعدتين للمغادرة غدًا صباحًا في الساعة الخامسة والنصف، حيث تقلهن ناقلة ركاب «أتوبيس» من الكويت إلى سفارة ألمانيا الغربية في بغداد.

من المحتمل بقاؤهم في سفارة بغداد لمدة يوم أو اثنين إلى حين الانتهاء من المعاملات الروتينية، والحصول على تأشيرة الخروج اللازمة، ثم يغادرون العراق على متن طائرة اللوفتهانزا التي تنتظر في مطار بغداد لهذا الغرض. ناديا سعيدة بالخبر، وتقول إنها حزينة أيضًا لكونها تغادر مع لبنى وهدما، وأن زوجها وأهل زوجها سيظلون في هذه المنطقة الخطرة. إنها، كما تقول، ستكون أول العائدين إلى الكويت عندما تزول هذه الغمامة السوداء التي تخيم على الكويت والمنطقة بشكل عام.

لبنى فرحة لأنها مسافرة، إنه لأمر جديد في حياتها بعد هذه الأحوال غير الطبيعية التي نعيشها، وهي تطمئننا بأنها لن تطيل الغيبة، وأن من حق جدتها وجدتها الألمانيين أن يشاهداها.

إنني راضٍ عن سفرهما ولكني لست مسرورًا، راضٍ لأن ناديا بالذات والتي أمضت فترة عصيبة من حياتها أثناء هذه الأزمة في هذا الشهر، سوف ترتاح من عبء هذه الظروف الصعبة.

في الأيام الأولى بعد اجتياح الكويت كادت ناديا تفقد أعصابها، بل يمكن القول إنها قد أصيبت بما يشبه الانهيار العصبي. فلم تتمكن من الأكل لولا إصرارنا عليها ومحاولتنا الدائمة توصية يزيد لرعايتها وإقناعها بأن عدم الأكل سيسبب لها انهيارًا صحيًا لا نستطيع

في هذه الظروف معالجته... فسفرها سيهدئ من أحوالها، رغم انشغالها المتوقع على زوجها وعلينا، خاصة إذا ما وقعت الواقعة لا سمح الله.

تواصلت وقائع أمس بأخبار اليوم الاثنين ٣/٩/١٩٩٠، تابعنا الأخبار وكان جل اهتمامنا منصبًا على ما يتعلق بإجلاء الرعايا الأجانب الغربيين واليابانيين من النساء والأطفال.

أخبار المساء قالت إن عمليات الإجلاء تعثرت وتباطأت بسبب طلب العراق أن تقوم الطائرات العراقية بهذه المهمة رامية من وراء ذلك إلى اختراق الحصار، وفرض فتح المطارات أمام الطائرات العراقية.

الدول الغربية لا تريد منح العراق هذه الفرصة، وطلبت إيضاحات صريحة من العراق حول هذه المشكلة، فهي تريد لطائراتها أن تنقل الرعايا من بغداد إلى بلدانها مباشرة.

الحل الآخر هو الموافقة على نقل الرعايا على الطائرات العراقية إلى عمّان، ثم تقوم دول العالم بنقل رعاياها بالطريقة التي تناسبها، لا يوجد سوى مطار عمّان الذي يستقبل الطائرات العراقية منذ فرض الحصار الاقتصادي ضد العراق.

أصيبت ناديا بشيء من خيبة الأمل، وتقلصت معدتها، وكانت تحاول بجهد كبير أن توحى بأنها في حالة طبيعية وغير قلقة كثيرًا، إلا أنها لم تفلح في ذلك. ولم ندر ماذا يمكن أن نعمل سوى محاولة التخفيف عنها وتطمينها بأن كل شيء سيسير، إن شاء الله، على ما يرام. لكننا كنا جميعًا في غاية القلق عما يمكن أن تسفر عنه هذه العملية من نتائج! وكان شقيقي جمال وزوجته وابنتاه وولده قد جاءوا لوداع ناديا ولبنى والمبيت عندنا، كما فعلوا أكثر من مرة خلال هذه المحنة.

وكان يزيد قد أبلغ بضرورة إحضار ناديا ولبنى في الساعة الخامسة والنصف صباحًا إلى مقر السفارة الألمانية، حيث ستقلهم من هناك الأتوبيسات إلى السفارة الألمانية في بغداد.

وكانت لبنى في حالة غريبة، هي أقرب ما تكون إلى الفرحة لأن جديدًا سيطرًا على حياتها، وأنها سوف تلتقي «أوبا وأوما» في ألمانيا.

ولبنى طفلة في منتهى الذكاء، قادرة على تحسس مشاعر الآخرين والتفاعل معها. فقد أحست بمشاعر أمها المضطربة، فلم تحاول الاعتراض على تعليماتها. وكانت فرحة بوجود جمال شقيقي وعائلته، لعبت مع علاء وداليا ورناء، ومعنا جميعًا بصورة أو بأخرى. وهي ذات شخصية أسرة وقادرة على إثبات حضورها... فلا يخلو الجو من وجودها. إنها تفرض وجودها...

تناولنا العشاء الخفيف التقليدي المبسط، ناديا لم تستطع الأكل، وتقنيات أكثر من مرة، تركنا موضوع معالجة وضعها لزوجها، ولجانا إلى المذيع لعله يحمل أخبارًا جديدة...

وبعد متابعة أخبار التليفزيونات، أحسست بأن الشقيق جمال يود أن يحدثني في شؤونه الحياتية، وماذا عساه أن يفعل في المستقبل الغامض الآتي؟ انزويت معه في غرفة الاستقبال واستمعت إلى ما يدور في ذهنه، إنه قلق على مستقبله... وأين يذهب... وأين وماذا يعمل؟

لميس أحيطت علمًا بأن مدرسة البيان التي تعمل فيها مدرّسة للموسيقى، وهي مدرسة خاصة، لن تفتح هذه السنة، وأن كل مدرّس أو مدرّسة فيها عليه أن يفتش عن عمل له! إن معظم الهيئة التدريسية من الفلسطينيين.

جمال خائف من المستقبل، فبدخله ودخل زوجته كانا قادرين على تسيير شؤون حياتهم، فكيف سيتمكنون من العيش بدخل أحدهما فقط!

حاولت قدر استطاعتي أن أطمئنه بأن الحياة مستمرة وسوف تستمر، وأن ما جرى ويجري إنما أصاب الجميع بتغيرات شاملة في حياتهم، وأن هذا قدرنا، وليس أمامنا سوى الصبر والأمل بالله بأن يفرجها على الجميع.

رحنا نعلم «جمال» لعبة الطرنيب، ولعبنا، أنا وإياد مقابل جمال وبشار. لعبت لكن بالي مشغول جدًا بما يحمله الغد بخصوص ناديا ولبنى... في حوالي الواحدة ليلاً، ومن أجل تمشية الوقت الذي يمر ببطء شديد، جلسنا نشاهد مسرحية «المتشائل» إلى أن نعست لميس واحمرت عينا جمال، فقاموا للنوم.

تمام كانت قد ذهبت للنوم مبكرًا على اعتبار أنها ستذهب مع يزيد وبشار في الصباح الباكر لتوصيل ناديا ولبنى. يزيد راح يكتب على الكومبيوتر رسائل بخصوص عمله إلى ألمانيا، بلال راح يلعب الورق مع كل من داليا وجولي وسالي -وهذه ليست المرة الأولى التي نشرك الشغالتين باللعب مع أحد منا، مرة تشاركهم تمام ومرة أنا وتمام لإشعارهم بأنهم جزء من العائلة في هذه الظروف الاستثنائية.

ثم شغل بلال نفسه في موتورات صغيرة، وشرح لعمه كيفية عمل الدينامو، إياد ذهب أيضًا إلى النوم وكذلك فعل بشار.

لم أنم في الليلة الماضية، وفي حوالي الثالثة بعد منتصف الليل جاء جمال ولميس وقالوا إنهم غير قادرين على النوم. أخذنا نشاهد بواسطة الفيديو مقتطفات من مسرحيات وغيره حتى صارت الساعة الرابعة والنصف.

استيقظت ناديا، التي أشك في أنها عرفت النوم في الليلة الماضية، وامتلاً البيت بالحركة، هذه لبنى وقد لبست ملابس بسيطة للسفر، وهذا علاء الذي لم يكمل نومه...

تمام استعدت... وخلال نصف ساعة كانوا مستعدين للسفر... والوداع كان سريعًا، ولم يأخذ شكله التقليدي، فهناك ما هو أقوى من دموع الوداع، إنه القلق على ما هو متوقع لا سمح الله.

في الخامسة وخمس دقائق مشت السيارتان، الأولى يقودها يزيد ومعه زوجته وابنته، والثانية يقودها بشار ومعه والدته.

بعد حوالي ساعة رجوت «جمال» و«لميس» بالذهاب للنوم، بقيت أنا وبلال ننتظر عودة تمام ويزيد وبشار، الذين عادوا إلى البيت في الساعة الثامنة والنصف، فكانت تلك الساعات الثلاث والنصف من أطول الساعات في حياتي... يا ويلاه كم كانت تلك الساعات طويلة وعصيبة!

كَمْ هائل من الكوابيس انقضت عليّ بتأخر عودة تمام ويزيد وبشار، فتارة أتصور أن أحد الحواجز -وكانت في تلك الليلة منتشرة أكثر من أي يوم مضى- أوقفهم بعد أن علم بأنهم ينقلون «أجنبية» ألمانية..! وأنه من المحتمل أن تكون التعليمات عند هذا الحاجز هي إيقاف أي من الأجانب! وأنه لربما تم نقلهم جميعًا إلى مقر قيادة القوات العراقية، أو أن خلافًا قد نشأ بينهم حول مرافقة ناديا... و... و...

بعد عودتهم علمنا أن كل شيء سار ببساطة وعلى ما يرام دون أية مشاكل من تلك التي كان يمكن وقوعها. كم كان مريحًا... بل مريحًا جدًا... أن أعرف أن الأمور سارت على ما يرام... ورحت، بعد سماع قليل من التفاصيل، لأنام.

تقول تمام بأن ناديا كانت في غاية التوتر، وقد أحست بأنها تفقد بيتها، وقالت لتمام: «ماما أود لو رحلتي تتعثر وأبقى معكم...» لكن القرار كان قرارها، وفي رأيي أنه كان يجب أن تسافر، راجيًا أن يكون إلى حين، من أجل الحبيبة لبنى. بقيت ناديا، كما تصف تمام، متماسكة إلى حين تحركت السيارة فانفجرت ناديا بالبكاء وهي تلوح لهم بيدها مودعة!

استيقظت في حوالي الواحدة ظهر اليوم الاثنين، وكان إياد وحده في قاعة الجلوس، قال: هناك أخبار جديدة... يا خالو... قلت اللهم اجعله خيرًا إن شاء الله... قال إن الوالدين ومعهما رائد والشقيقتان، إضافة إلى حوالي خمس وخمسين عائلة، منهم أيضًا ابن العم أبو زكي، على مدخل الحدود العراقية من جهة الأردن، لكن سلطات الحدود لم تسمح لهم بالدخول إلى العراق ومن ثم إلى الكويت... وأن «تمام» قامت بالاتصال بـ«أبو محمد» لعمل شيء من أجل تأمين دخولهم.

استمعت إلى إياد من جديد لكي ألم بمزيد من التفاصيل، وعرفت منه أن الأخ عمر، عدیل شقيقي جمال، الذي وصل ظهر اليوم من الأردن برًا قابل «أمين» ابن عمي، والشقيقة إنعام زوجته عند الحدود الأردنية العراقية، وأن «أمين» حمّله رسالة إلينا لإحاطتنا علمًا بحالهم، لاتخاذ ما يمكن عمله.

وقد عرفنا أن هذه المجموعة من العائلات حصلوا على تاشيرة مرور في الأردن، وأنهم وصلوا مطار عمان جواً وتوجهوا منه بحافلة ركاب (أتوبيس) إلى الحدود الأردنية العراقية، خرجوا من الأردن وأصبحوا في المنطقة المحايدة بين الأردن والعراق، حيث يوجد نحو ستين ألف إنسان ينتظرون الدخول إلى الأردن، معظمهم، من المصريين والآسيويين.

اتصلت فوراً بـ«أبي محمد» (عوني) فلم أجده، تركت له رسالة مع ابنته. كلمته بعد ذلك فوجدته، وقال إنه أرسل برقية على الجهاز إلى بغداد بهذا الخصوص، وأنه مستغرب من هذا التصرف لأن برقية أرسلت منذ أيام وإجراءات معينة اتخذت بهذا الشأن. ومن جهتنا، فإن الشيء الوحيد الذي يمكن عمله هو من خلال «أبو محمد» أو من خلال الأخ «أبو الأديب» الذي اتصلت به لاحقاً وأحطته بهذا الموضوع، فأبدى استغرابه أيضاً من عدم السماح لهم بالدخول، ووعدنا بعمل اللازم. إننا ندعو الله أن تكون أمورهم قد تيسرت وأن يكونوا الآن في طريقهم إلى الكويت.

إن المدة التي يستغرقها السفر بالأتوبيس من الحدود المذكورة إلى الكويت هي حوالي خمس عشرة ساعة على الأقل... كان الله في عون الجميع على تحمل هذه المشقات.

وها نحن مستنفرون، وكلما رنّ جرس الهاتف تتوجه أنظارنا إلى من يرد لنقرأ على وجهه ما يمكن أن يفيد بأن المكالمة من أمين ليعلمنا بأنهم الآن في الكويت من أجل الذهاب لإحضارهم.

الآن وبعد أن تجاوزت الساعة الحادية عشرة تأكدنا أن اتصالهم، فيما لو كانوا قد وصلوا، لن يكون قبل الصباح. فهناك قرار بمنع التجول من الحادية عشرة ليلاً وحتى الصباح...

أهم الأخبار السياسية المتعلقة بالأزمة... خبر سمعناه قبل قليل أفاد بأن الأمين العام لجامعة الدول العربية قدم استقالته كأمين عام للجامعة.

الملك حسين ما زال يواصل جولته في أوروبا فزار إسبانيا وبريطانيا وفرنسا-اجتمع في فرنسا إضافة إلى الفرنسيين مع ديكيولار- وهو اليوم في ألمانيا الغربية حيث اجتمع مع هلموت كول المستشار الألماني.

السوفييت يصعدون من لهجتهم ضد العراق، وقالوا إن الوجود الأمريكي سببه الاجتياح العراقي للكويت، وأنهم يطالبون العراق بالانصياع لقرارات الأمم المتحدة.

الموقف الأمريكي وموقف حلفاء أمريكا، وخاصة بريطانيا، لم يتغير. ففي بريطانيا رئيسة الوزراء تاتشر من ناحية، ودوگلاس هيرد، وزير خارجيتها، وجَّه عبارات شديدة اللهجة، واعتبرا الرئيس صدام «مجرم حرب يجب محاكمته على نسق محاكمات نورنبرگ».

أمس كان هناك خبر بأن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد نقلت مقرها من دمشق إلى بغداد، لكن الخبر نفاه متحدث باسم الجبهة في دمشق، تزامن هذا الخبر مع زيارة لجورج حبش للعراق.

الموقف الفلسطيني أصبح مبهمًا لنا، ومشوشًا ومشوقًا إلى حد بعيد، وكأن هناك اتفاقًا على عزل قيادة منظمة التحرير الفلسطينية عن جماهيرها، على الأقل في منطقة الخليج، حيث تزداد كمية التصريحات وبيانات التأييد للسعودية وموقفها تجاه أزمة الخليج من قِبَل أبناء الجاليات الفلسطينية في هذه الدول. سبب ذلك هو المواقف المتناقضة بين موقف قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وموقف الجاليات الفلسطينية في دول الخليج.

قيادة المنظمة اتخذت موقفًا ضد التواجد العسكري الأمريكي في الأراضي العربية لكنها لم تفصح عن موقفها تجاه من تسبَّب في هذا التواجد، أي موقفها من الاحتلال العراقي للكويت، وضم الكويت إلى العراق.

الفلسطينيون في الكويت يشعرون بخوف كبير من تصاعد الموقف المعادي لهم عند بعض الكويتيين، ممن يعتقدون أن الفلسطينيين لم يقفوا مع الكويتيين في محنتهم.

وهذا غير صحيح، لأن الجالية الفلسطينية في الكويت لم تقف مع النظام العراقي، ولم تلج له مطالبه، ولم تظهر الجالية أي نوع من الدعم والتأييد وهو أمر أزعج ويزعج السلطات العراقية المحتلة للكويت.

إن موقف المنظمة غير الصريح في هذا الشأن، واستغلال هذا الظرف من قبل جهات عربية ودولية لمصالح خاصة أو لمصالح سياسية لتشويه سمعة الفلسطينيين عربيًا ودوليًا، ساعد على وجود فرص الشقاق بين الفلسطينيين والكويتيين. أضف إلى ذلك وجود من يعمل بمثابة دؤوبة على الإيقاع بين هذين الجسمين لمصالحه السياسية.

ولكن العلاقات مع الكويتيين الواعين والمتفهمين الذين يقدرّون موقف الجالية الفلسطينية في الكويت، الذي لم يساند الغزو العراقي للكويت، في علاقات قوية ومتفهمة للحقيقة.

إنهم يعرفون أنه لم تخرج مظاهرة واحدة تأييدًا لصدام حسين ونظامه وغزوه الكويت واحتلالها وضمها إلى العراق، الشيء الذي كانت وما تزال تتمناه السلطات العراقية الغازية.

ولا بد من التذكير من أنه لم يصدر عن أي فلسطيني مسؤول، كبيرًا كان أم صغيرًا، ما يفيد بأن المنظمة والشعب الفلسطيني يوافق أو يؤيد العراق على احتلاله الكويت وضمه لها.

صحيح أن الموقف الفلسطيني كان مائعًا في هذه القضية، وقد أسهمت وسائل الإعلام العربية والغربية في تكبير الصورة المشوّهة للفلسطيني، وأنه مؤيد للإرهاب لأن الذي «يقف مع الإرهابي والديكتاتور صدام حسين هو ياسر عرفات... رئيس منظمة التحرير الفلسطينية...».

وهذا مكسب كبير للعدو الصهيوني فيما يتعلق بقضية فلسطين، إضافة إلى المكاسب الأخرى التي حوّلت أنظار العالم عن انتفاضة الشعب الفلسطيني التي تحتفل اليوم بذكرى

مرور ألف يوم على انطلاقها.

بريطانيا، وعن لسان هيرد وزير خارجيتها أعلن أول من أمس وقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية على مستوى الوزراء، وأنه سيتم على مستويات أدنى مستقبلاً.

(الثلاثاء ٤/٩/١٩٩٠) في الصباح الباكر رن جرس الهاتف، ورد بلال، وكان من قبل السفارة الألمانية في الكويت -حسب علمي أن خطوط الهاتف مقطوعة عن السفارة- لعله واحد من طرفها خارج السفارة، مكلف بإبلاغ يزيد أن زوجته وابنته والآخرين الذين سافروا أمس إلى بغداد وصلوا في خير، وأنهم الآن يقيمون في فندق الميريديان ببغداد انتظاراً لنقلهم إلى المطار وتسفيرهم. وأضاف يقول: نرجو أن تكون لدينا أخبار حسنة بعد ظهر اليوم.

الساعة الآن الثالثة ظهراً ولم نتسلم بعد المكالمة التي نتظرها من ابن العم أمين والشقيقة إنعام وأولادهما، والتي نتوقع أن يخبرانا فيها بمكان وجودهم لإحضارهم...!

... دخل عليّ يزيد الآن وأخبرني بأنه أعلن في أبناء ألمانية أن الرعايا من النساء والأطفال الألمان الذين أحضروا أمس من الكويت سوف ينقلون بطائرة عراقية استأجرتها ألمانيا من بغداد إلى عمّان، وأن هناك طائرة عسكرية ألمانية ستنقلهم إلى ألمانيا.

ذهبت في حوالي العاشرة والنصف صباحاً (الحادية عشرة والنصف حسب التوقيت العراقي المفروض علينا العمل بموجبه هنا) مع بشار بسيارتي، التي أقودها للمرة الأولى منذ بدء الاحتلال، إلى بنك الكويت الوطني - فرع السالمية، وقابلت صديقاً لي كان مديراً لفرع البنك في الجابرية منذ ستة أعوام، ولم يكن في البنك سوى عدد قليل من الناس. سحبت وكذلك بشار مبلغ الـ ٢٥٠ ديناراً كويتيًّا لكل منا خلال أقل من عشر دقائق. معظم من كان في البنك من الزبائن كانوا من الكويتيين. قبل أسبوعين كان على المرء أن ينتظر ساعات طويلة لكي يأتي دوره ويتسلم المبلغ المعلوم.

عرجت في طريقي على مكتب المنظمة، دخلناه من الباب الجانبي، ووجدت معظم العاملين فيه وهم يستخدمون غرف الاتحادات الشعبية. وعملت شهادة إثبات جنسية لزوجتي محمود سلمان، شقيق صهرنا نصر، وذلك بسبب فقدان وثيقتها. تحدثت مع عدد من الإخوة هناك، واستمعت لبعض الآراء والتحليلات المتناقضة، هذا يقول إن الوضع سيؤول إلى هذا الاتجاه، والآخر يقول لك عكس ذلك. فالحالة مختلطة والآراء والاستنتاجات متضاربة بسبب عدم وضوح الرؤية، وتناقض موقف القيادة الفلسطينية للمنظمة مع موقف ورأي الجالية الفلسطينية في الكويت.

من الأخبار... زيارة جورج حبش إلى العراق والحديث الذي أدلى به هناك من خلال الشاشة الصغيرة... حيث أيد بقوة موقف العراق «ضد الحشود العسكرية الأمريكية واستعداده وكوادر جبهته لدعم العراق في التصدي للقوات الإمبريالية». كان حديثه متطرقاً إلى جانب العراق... لكنه لم يتطرق إلى موضوع الاحتلال العراقي للكويت...!

هيرد، وزير الخارجية البريطانية، التقى الشيخ جابر أمير الكويت في الطائف، وقيل على لسان الأخير وعلى لسان الشيخ صباح وزير الخارجية الكويتي إن المسؤولين الكويتيين شبعوا من القرارات والتصريحات، وأنهم يودون أن يروا بلدهم وقد تحرر من الوجود العراقي بأي شكل من الأشكال، حتى لو أن الحل الوحيد لتحقيق ذلك هو الحل العسكري.

المحللون السياسيون في العالم يولون اجتماع بوش غورباتشوف، أهمية خاصة. ويعتقدون بأن بوش سوف يطالب غورباتشوف بموقف صريح من الأحداث في منطقة الخليج. ومعروف أن السوفييت أدانوا الغزو العراقي للكويت، وطالبوا العراق بسحب قواته من الكويت وإعادة الشرعية إليها، لكن السوفييت لهم حتى الآن أكثر من خمس مئة خبير وعامل فني، أو أكثر، في العراق، ولم يطلب السوفييت سحبهم كنوع من الاحتجاج العملي على عدم تجاوب العراق مع المطالب الدولية.

الأمريكيون يعرفون أن السوفييت لا يستطيعون المشاركة في المجهود الحربي بمنطقة الخليج ماليًا، لكنهم واثقون بأنهم قادرين على الإسهام بوحدات عسكرية... ولو رمزية،

إضافة إلى القطعة البحرية العسكرية الوحيدة التي كانوا قد أرسلوها منذ بداية الأحداث إلى الخليج العربي، لذلك من المعتقد أن قمة هلسنكي ستكون لها آثارها على أزمة الخليج بشكل واضح.

شيفرنادزة، وزير الخارجية السوفييتي، صعد من لهجته الهجومية ضد العراق، وتقدم بأفكار عامة لحل أزمة الخليج تنطلق من عقد مؤتمر دولي تشارك فيه أطراف الصراعات في الشرق الأوسط، بما في ذلك إسرائيل...!

الفكرة جديدة في حد ذاتها، وهي دعوة إلى خلط أوراق منطقة الشرق الأوسط من أجل البدء في البحث عن حل لأزمة الخليج أولاً، وربما... أزمة الشرق الأوسط أو أزماته من بعد. إن أمريكا لا ترغب في الإقدام على الخيار العسكري ضد العراق إلا بعد استنفاد كافة السبل الضاغطة من أجل تنفيذ المطالب التي أصبحت معروفة وهي الانسحاب وعودة الشرعية وإطلاق سراح الرهائن.

السفن الأمريكية اعترضت اليوم سفينة عراقية «زنوبيا» محملة بالشاي قبالة الساحل العماني وأجبرتها على التوقف لفحص ما تحمله.

في حوالي التاسعة مساء قمنا لتناول العشاء، بعد أن أجريت اتصالاً مع أبو محمد لأسأل عن أي جديد يمكن أن يكون قد وصله بخصوص الفلسطينيين المحتجزين على الحدود، ومن ضمنهم أبناء العم أمين وياسين... لم يصله شيء، لكنه أفاد بأن الدكتور إبراهيم عثمان وصل اليوم عبر البر من الأردن ولكنه لم يرَ أحداً من أولئك عند الحدود. واستنتج أبو محمد من هذا أنه من الممكن أن يكونوا قد عادوا إلى الأردن...!

وأثناء تناولنا العشاء في المطبخ رنَّ جرس الهاتف فرد بلال، وكانت لميس، زوجة أخي، على الخط، طلبت إياد لتسأله عن جديد فيما يتعلق بوصول العائلة، فقال لها.. لا حتى الآن... ثم تغير وجه إياد وقال: بابا... بابا... الحمد لله على السلامة. علمنا عندئذٍ أنهم وصلوا.

أنهينا عشاءنا بسرعة، وذهبت مع إياد ويزيد وبشار إلى بيت الشقيق جمال للسلام على ابن العم أمين والشقيقة إنعام وأولادهما، وسماع بعض تفاصيل رحلة العذاب. وذهبنا بسيارتين من أجل إحضارهم إلى منزلنا. بقيت تمام في البيت تحضّر لمبيت أمين وعائلته عندنا.

لم يكن اللقاء درامياً كما توقعت، بل شبه عادي، لكن بحرارة متزايدة. كان الإرهاق بادياً على محياهم، أرجلهم وأقدامهم جميعاً منتفخة ومتورمة من أثر المكوث في الأتوبيس مدة ثلاثة أيام تقريباً. قصتهم طويلة ومريرة، قالت إنعام إنها عاشت أحداث فيلم دريد لحام «الحدود» عن الواقع في هذه الرحلة.

ومن شدة تعب القادمين الأعزاء، وتلبية لرغبة علاء ابن أخي، بقي الجميع في بيت جمال للمبيت عنده.

في الواحدة والنصف ليلاً حملت الأخبار الألمانية أن الألمان الذين غادروا الكويت من النساء والأطفال، ومنهم ناديا والحبيبة لبنى، قد وصلوا بسلامة الله إلى مطار فرانكفورت على الطائرة العسكرية الألمانية.

(الأربعاء ٥/٩/١٩٩٠) استيقظت على سماع صوت ضحكة الشقيقة إنعام في بيتنا... للوهلة الأولى، وتحت تأثير بقايا النوم، خيل إليّ أنني أحلم، لكنني تذكرت أنها وزوجها وباقي أفراد العائلة قد وصلوا أمس ليلاً، قمت فوراً، لكن... وبعد أن أنهيت مهام الحمام الروتينية الصباحية، كانت الشقيقة إنعام قد غادرت إلى بيتها. فهم سيتناولون الغداء عندنا اليوم، معنا ومع جمال وعائلته.

ألقيت تحية الصباح على من كان في قاعة الجلوس...

أحضر يزيد آلة التسجيل الصغيرة خاصته، وقال: اسمع يا والدي، فإذا بصوت ناديا بالألمانية تجيب على أسئلة الصحفيين لدى وصولها إلى مطار فرانكفورت، حيث تحدثت عن الأوضاع في الكويت واستمرار المقاومة وسماع أصوات الانفجارات والرصاص، لكنها

اعتذرت عن الإجابة على سؤال أخير هو ماذا تتمنين على حكومتنا عمله بخصوص أزمة الخليج؟

وكانت أسارير يزيد مرتاحة كونها ولبنى بالطبع وصلتا بخير والحمد لله. وعلى العموم يزيد كان مرتاحًا منذ أن أصبحت ناديا في عهدة السفارة، بسبب قلقه عليها بوجودها في هذه الظروف الصعبة معنا.

أما عن تفاصيل رحلة العذاب، رحلة أمين وعائلته من القاهرة وحتى الكويت، فقد بدأت منذ قرر أمين وإنعام ضرورة العودة إلى وطنهم الصغير، بيتهم في الكويت الذي أسسوه منذ ما يزيد على ربع قرن، راح أمين يسأل عن إمكانية السفر والوصول إلى الكويت. بالطبع لم يبدأ بهذا إلا بعد مرور أسبوعين على بداية الأزمة. وجرت عملية اتصال بواسطة برقيات «الجهاز اللاسلكي» أن برزت بوادر الأمل. بدأت السفارة بإعداد كشف بأسماء المحجوزين في القاهرة أو مصر بشكل عام، ممن كانوا يمضون إجازة الصيف هناك، والراغبين في العودة. (ومن لا يريد العودة؟) فمعظمهم نفذ من بين أيديهم المال لاستمرار بقائهم لفترة أطول، وآخرون رغم وجود شقق خاصة بهم ويملكونها هناك، ويجوز أن تكون لديهم إمكانية الصرف من مال لهم في القاهرة، إلا أن الرغبة تضاعفت في العودة إلى الكويت، حيث موقع أعمالهم وموظنهم الثاني.

السلطات المصرية بدأت بعدم فتح إقامة إلا لمدة أسبوع واحد فقط لحملة وثائق السفر المصرية من الفلسطينيين المقيمين في مصر في هذه الظروف... أسبوع واحد من أجل مغادرتهم أرض مصر... أرض الكنانة...

إن البيت الذي يسكنه المرء في مكان عمله وحياته، في أي بقعة كانت، هو الوطن الصغير بحق ولا غنى عنه، مهما كانت المخاطر. ويبدو أننا نحن الفلسطينيين قد تعلمنا من تجاربنا الكثيرة، سواء عاشها المرء أو سمع عنها من قريب له، بأن بيتك هو وطنك الصغير الذي لا يجب التخلي عنه أو هجرته!

وردت إشارة تقول إن الدفعة الأولى يمكنها أن تتوجه من القاهرة جواً إلى عمان. وكانت الدفعة الأولى مؤلفة من خمسين نفرًا، أي حوالي عشرين رجلاً مع أفراد من عائلاتهم.

وفي صباح يوم الأحد ٢/٩/١٩٩٠ بدأت الرحلة، وصلوا إلى مطار عمّان، ومنه مباشرة وبواسطة ناقلة ركاب «أتوبيس» أقلتهم إلى الحدود الأردنية العراقية. لم يسمح لهم بشراء حاجتهم من الأكل والشرب لهم ولصغارهم، فالطريق إلى الحدود تستغرق حوالي ست ساعات، ورافقتهم سيارتان للشرطة واحدة أمامهم وأخرى وراءهم، ليس احتفاء بمقدمهم ولا من أجل الحماية والتكريم، بل خوفاً من أن يتسلل أحدهم إلى أرض «المملكة».

قضوا حاجتهم في مقر الحدود الأردنية، ومروا منها بسلام واحترام، وودعهم المرافقون بعد أن عدوهم «رأساً رأساً»، وحملتهم الناقلة من بعد إلى الحدود العراقية والتي تبعد حوالي سبعين كيلومتراً عن الحدود الأردنية.

الضابط العراقي المسؤول في نقطة الحدود العراقية الأردنية، وبعد أن اكتشف أنهم لا يحملون تأشيرات دخول إلى العراق قال لهم إنه من المستحيل دخولكم العراق. شرحوا له أنهم ذهبوا إلى السفارة العراقية في القاهرة، وأن سفارة العراق قالت لهم إن البلاد مفتوحة لكل فلسطيني، فلا حاجة إلى التأشيرة. العرب دائماً، وخاصة المسؤولين منهم، يقولون إن قلوبنا وعيوننا ودماءنا من أجل فلسطين! لكن الحدود... معلى... مقفلة!

أجاب ضابط الحدود مختصراً الطريق عليهم وعليه بعد محاولة رجائه لتيسير أمورهم بقوله: «لو أن الله ينزل من سمائه إلى الأرض لن أسمح لكم أن تدخلوا العراق إلا بتأشيرة دخول».

كلام واضح وأسلوب «مهذب» مباشر، قالوا له لكننا نحمل إقامة عمل صالحة كمدرسين وعاملين في حقل التربية في الكويت... انصرف الضابط ولم يرد عليهم...

حاول النسوة والأطفال أن ينتزعوا موافقة الضابط بدموعهم وتوسلاتهم، وهو أسلوب فلسطيني تعلمه الفلسطينيون من نكباتهم، وأنا أمقته جدًّا، ولكن دون جدوى! وكانت الساعة قد بلغت العاشرة ليلاً.

يحكون عن مناظر عشرات الآلاف من الهاربين من الكويت والعراق وينتظرون بين الحدود العراقية الأردنية منذ أكثر من أسبوع أو اثنين تحت مظلات وخيام مذلة ومعظمهم من الجاليات الآسيوية الذين هربوا من الجوع في الكويت ومن الاحتمالات المخيفة المتوقعة. ولكن دولهم لا تملك المقدرة على تحمل نفقات إجلائهم، ولا هم يملكون ما يمكنهم من دفع تكاليف السفر...

عادوا إلى الحدود الأردنية توسلاً لإيجاد حل، خاصة وأن الضابط الأردني الذي قابلهم هناك عند دخولهم كان مهذبًا ومقدرًا لظروفهم، فأعلمهم أن الحل هو في إرسال جوازات سفر الجميع إلى عمّان، وأنه لا يمكن عمل شيء الآن، ولا بد من الانتظار حتى صباح الغد لإجراء الاتصال ومن ثم إرسال الجوازات. طلب منه أمين أن يسمح لهم بإحضار الناقلة إلى قرب مركز الحدود، لأن الناقلة أوقفت على بعد حوالي كيلومترين من المركز حسب الأوامر والتعليمات، من أجل أن تتمكن النسوة والأطفال من قضاء حاجتهم في مراحيض المركز، فوافق الرجل. في الصباح تم الاتصال بعمّان، وتم إبلاغ المشكلة، وأرسلت الجوازات. وبقي الجميع تحت أشعة الشمس الحارة وغبار الصحراء في الناقلة أو حولها حتى حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً... وصلت الجوازات، المنتظرة وقد مهّرت بأختام السفارة العراقية، أي بتأشيرات الدخول...

تحركت الناقلة إلى الحدود العراقية فوصلوها في حوالي الثانية بعد منتصف الليل، وبدأت معاملة الدخول وما احتوته من مشاكل إنزال الحقائب والشنط، فتحها وإفراغها وتفتيشها ثم إعادتها إلى مكانها في الناقلة...

المهم أن الناقلة بجميع ركابها تحركت في حوالي الرابعة صباحًا من الحدود العراقية تجاه الكويت التي وصلوها في حوالي الثامنة والنصف ليلاً.

وقفت الناقلة في شارع بيروت، وكان خاليًا من أي سيارة أو أحد... أحسوا بالخوف... لكن لم تمض دقيقة واحدة حتى شاهدوا سيارة قادمة من بعيد تجاههم فوقف أمين في وسط الشارع مشيرًا بيديه لإيقاف السيارة، فإذا بصاحب السيارة من معارف أمين، طلب إليه أمين إيصاله إلى بيت جمال في الجابرية...

كان جميلًا ومفرحًا أن نجتمع ثانية، أنا وجمال وأمين وعائلاتنا، لتناول الغداء في منزلنا، وكان هناك نوع واحد على المائدة.

من أبرز أخبار اليوم، الأفكار التي طرحها وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر أمام الكونغرس، إذ قال إن الإدارة الأمريكية تفكر في تشكيل حلف أو ائتلاف جديد يتكون من دول منطقة الخليج ودول أخرى لها مصالح مشتركة في المنطقة، له كيان سياسي وعسكري قادر على تقديم العون العسكري كلما دعت إليه الحاجة. وأن هذا لا يعني وجود قوات عسكرية على أراضي السعودية أو أراضي دول أخرى في المنطقة لأمد طويل، بل يمكن أن يكون البر مكانًا لتواجد هذه القوات. الهدف هو بقاء القوات الأمريكية، أو جزء منها، كقاعدة دائمة لضمان أمن دول الخليج والمصالح الأمريكية والغربية فيها، حتى بعد انسحاب العراق من الكويت!

وأعلن بيكر أن العراق أعيد أدراجه ضمن الدول المساندة للإرهاب. وكان العراق كذلك لسنوات استمرت حتى عام ١٩٨٢ ثم أسقطت عنه هذه الصفة.

طارق عزيز طار إلى موسكو لمقابلة المسؤولين فيها، ومن المحتمل أن يقابله غورباتشوف للتباحث في آخر التطورات. لكن المصادر تقول إن السوفييت لا يعتقدون أن هذه الزيارة ستسفر عن شيء لتصلب وتعنت الموقف العراقي.

أعلن الأردن أن خسارته من الأحداث الأخيرة في منطقة الخليج تبلغ حوالي ٢٠٠٠ مليون دولار كل عام.

أبو إياد، صلاح خلف، قال في حديث له نشرته إحدى الصحف، إن العراق على استعداد، في حال التفاوض معه، «لانسحاب من الكويت مقابل الاحتفاظ بجزيرة بوبيان وحقل الرميلة...».

العراق أعلن بعد إذاعة تصريح أبو إياد بأن ما قاله صلاح خلف لا يعبر عن موقف العراق من الأزمة ولا يقبل به...!

عصر يوم الأربعاء هذا قرع جرس الباب، وقيل لي إن شخصًا بالباب، وكان الشخص كويتيًّا، وسيارة واقفة وسط الشارع وموتورها يعمل، يحمل قطعة كبيرة من سمك مجلد تزن حوالي ثلاثة كيلوغرامات، من نوع أشبه بالهامور، وسأل هل يعيش أحد في هذا البيت... قلت نعم.. فناولني قطعة السمك وشكرته وقلت له: «كثير الله من أمثالكم لسد حاجة الناس المحتاجين».

الحقيقة أنه لم يعطني فرصة لكي أفكر في تلك اللحظة لأقول له إن لدينا ما يكفيننا حتى الآن من الغذاء، وأنه لربما يوجد أحد أحوج منا إلى هذا... لكنه انصرف وبسرعة إلى بيت مجاور.

في المساء رن الجرس، ومرة أخرى قيل لي إن أحدًا بالباب، ذهبت ورحبت بالطارق بعد إلقائه التحية، وسأل: هل توجد عائلة كويتية تعيش هنا؟ قلت: لا، ولكن توجد عائلة تسكن هذا البيت، أعاد السؤال «كويتية» قلت: بل فلسطينية، فأفل عائدًا، وقال: شكرًا، قلت: ولماذا تسأل، قال: نحن نوزع على العائلات الكويتية فقط!

قلت متسائلًا... للكويتيين فقط... قال: نعم... قلت: على أية حال شكرًا لكم، ولكن هل تذكر لي اسم الجهة التي تقوم بهذا العمل، قال... أبناء الخير، قلت له شكرًا مرة ثانية.

أحطت أحد الأصدقاء الكويتيين بما حدث، فقال: هناك من يوزع ما لديه من مؤن مخزنة للعائلات، ويشترط بأن تكون كويتية، لكن هذا ليس موقف الكويتيين الحقيقيين!

(الخميس ٦/٩/١٩٩٠) نفتقد لبنى وناديا، حيث كانت لبنى بخفة دمها تملأ البيت صخبًا وفرحًا، ولا جديد عندنا بخصوصهما باستثناء ما ذكرته سابقًا.

عن الأخبار السياسية فقد نقلت الأنباء أن الملك حسين بعد جولته العربية والأوروبية عاد إلى الأردن، وأنه توجه إلى العراق وقابل الرئيس صدام حسين أمس واليوم، لكن الأوساط السياسية المتابعة لا تتوقع من وراء هذه الزيارة والمباحثات التي دارت بين الزعيمين أي تغيير في المواقف.

نتائج اجتماع طارق عزيز في موسكو لم تسفر عن أي جديد. بل على العكس فإن غورباتشوف الذي التقى عزيز ليلة أمس صرّح، أو نقل على لسانه، بأن الخلافات بين الطرفين كبيرة، وأنه «لا يجوز أن يحصل المعتدي على أية مكاسب من جراء عدوانه». أي أن الاجتماع لم يحقق للعراق شيئًا على الإطلاق، بل كان على العكس من ذلك.

استعدت اليابان لإرسال معدات نقل متنوعة للقوات العسكرية المتواجدة في السعودية بما قيمته ألف مليون دولار، كمساهمة منها في مصاريف الحشد العسكري في منطقة الخليج.

ثلاث سفن حربية إسبانية عبرت قناة السويس في طريقها إلى الخليج العربي.

مجلس النواب التركي عقد اجتماعًا خاصًا لبحث أزمة الخليج ووافق على إرسال وحدات عسكرية إلى مختلف منطقة في الخليج إن دعت الحاجة، كما قال تورغوت أوزال رئيس الوزراء التركي «إن على الرئيس العراقي صدام حسين أن يغيب عن مسرح السياسة بعد إنهاء أزمة الخليج».

في الكويت علمنا أن النار أطلقت على أمريكي في منطقة الجابرية أثناء محاولته الهرب عندما داهمت قوة عراقية مجمعة سكنيًا بحثًا عن الأجانب المختبئين لاعتقالهم. ذكرت الأنباء عن مصادر دبلوماسية أمريكية في الكويت أن الأمريكي المصاب نقل إلى أحد المستشفيات لمعالجته. أخبار لاحقة نقلت على لسان متحدث رسمي عراقي في بغداد أن

«الأمريكي المصاب، اصيب بطريق الخطأ، وأنه أجريت له الإسعافات اللازمة، لكن ساقه بترت...!».»

لم تحاول أمريكا والغرب بشكل عام أن يفتعلوا من وراء هذا الحادث قضية كبرى، كان يمكن أن تكون الشرارة التي تنطلق منها الحرب.

السفير الألماني الصديق الدكتور كورت ميركل وزوجته، سفير ألمانيا الديمقراطية في الكويت، والذي ظل هو وزوجته في السفارة التي قطع عنها الماء والكهرباء، اضطر إلى مغادرة السفارة بعدما نفذت قدرة الاحتمال، وقرر اللجوء إلى سفارة ألمانيا الغربية في الكويت التي كانت تتمتع بوفرة الماء والكهرباء، فألقي القبض عليه وهو في طريقه إلى السفارة الغربية، ونقل إلى بغداد. ونقلت الأنباء أنه موجود الآن في سفارة ألمانيا الديمقراطية في بغداد.

وكنا، أنا وتام، نتناول العشاء عند السفير الألماني المذكور يوم الثلاثاء ٣١/٧/١٩٩٠. وكنا وحدنا مع الصديق السفير وزوجته. وقد عرجنا في حديثنا على موضوع الخلاف العراقي الكويتي، وكانت توقعاتنا متفقة بأن أقصى ما يمكن أن يحدث هو احتلال جزيرة بوبيان، ومنطقة بئر الرميلة النفطية...

ثم تتدخل الدول العربية والأجنبية لحل النزاع وتسوية الخلاف. لكن توقعاتنا لم تكن، كتوقعات الكثيرين، دقيقة.

ومن ضمن الأحاديث التي دارت بيننا في تلك الأمسية، تحدثت زوجته عن أنها كانا أول من افتتح بعثة لألمانيا الديمقراطية في قبرص حوالي عام ١٩٧٠، وبعد حوالي سنتين كلفتها الدولة بالانتقال إلى الفلبين لافتتاح مقر للسفارة هناك، بعدها أوفدا لافتتاح مقر سفارة أخرى في بلد آخر، وصارت أمنيتهما أن يرسل الدكتور كورت سفيراً في بلد ما توجد فيه سفارة لألمانيا الديمقراطية مؤثثة ومجهزة بكل ما تحتاجه السفارة. فكان حظهما

السيئ أن يرسل إلى الكويت في فترة شهدت فيها ألمانيا الديمقراطية تطورات لم تكن تخاطر على بال أحد على الإطلاق...

فإذا بالتغيرات التي اجتاحت أوروبا الشرقية بسبب سياسة البريسترويكا السوقية تخلع نظام الحزب الواحد في ألمانيا الشرقية، وتهدم الجدار، جدار برلين الشهير! ويتفق على توحيد ألمانيا خلال العام ١٩٩٠.

كان ذلك قد حصل خلال شهور قليلة. وتستطرد السيدة بيروتا (Beruta) قائلة إن حظهم السيئ أرسلهم إلى هنا لكي يقوموا بإقفال سفارة بلادهم في الكويت التي كانت مفتوحة، بعد أن كانوا يوفدون لافتتاح سفارات لبلادهم في بلاد العالم.

إنهم الآن -تقول السيدة بيروتا- ينتظرون الأمر من بلادهم لكي ينفذوا عملية الإقفال هذه خلال فترة لا تتجاوز الأيام أو الأسابيع على الأكثر.

وحتى تكتمل «الرواية» وتصبح الحقيقة وكأنها خيال فذ، حدثت أحداث الكويت المستحيلة، ولم يكن السفير الألماني قد تسلم بعد الأمر بإغلاق سفارة البلاد التي كانت تدعى بـ«جمهورية ألمانيا الديمقراطية».

و«ضمت» الكويت لتصبح جزءًا من دولة واحدة هي «العراق» وليتواجد بها، ولو إلى حين، أربع سفارات لألمانيا في بلد واحد...

وكانت قد حدثت مثل هذه الحالة في اليمن بعد توحيد شطريها، إذ تواجدت أربع سفارات لألمانيا -الغربية والشرقية- في بلد واحد أيضًا... لكن شتان بين تلك الحالة وهذه.

والسفير اليوغسلافي في الكويت حسن درويش بيكوفيتش صديقنا، الذي زارنا بعد عودتنا من يوغسلافيا أي قبل أسبوعين من الاجتياح لمشاهدة ما صورته عن «إيغالو» الذي تم اعتقاله من قبل العراقيين.. ونقل إلى بغداد.

كذلك تم اعتقال الصديق عدنان بدرا سفير لبنان...

أول سفينة ركاب غادرت ميناء الشويخ بالكويت أمس كانت سفينة هندية أجلت أكثر من سبع مئة هندي من الكويت إلى الهند.

ولا تزال مشكلة المحجوزين بين العراق والأردن قائمة ومتفاقمة. هناك محاولات جادة دولية لإجلاء هؤلاء المساكين الآسيويين، لكن المشكلة في أن أعدادهم على الرغم من إجلاء البعض تتزايد بسبب التدفق غير المنقطع لسيل الهجرة من الكويت والعراق. إن مناظر هؤلاء، كما شاهدناهم من خلال شاشات التليفزيون، وهم يتراخضون ويتصادمون في سبيل الحصول على الماء والغذاء، هائمين على وجوههم في صحراء الأردن المغبرة والحارة جداً... وبدون نظام رغم المحاولات المستميتة لتنظيم شؤونهم ولكن دون جدوى... مناظر تبعث على الأسى والحزن والخزي... يبدو أن الجوع والعطش أقوى من النظام والضبط والربط.

يقول بعض المتبرعين للإغاثة بأن الأمراض بدأت تفعل في هؤلاء... الله وحده قادر على رحمتهم... إن أراد. والعالم غافل عن مثل هذه المآسي لأنها تخص أناساً من العالم الثالث...

أما ذلك الأمريكي الذي أصيب أمس في الكويت، وأحدث ضجة كبيرة في أنحاء العالم... فهو ينتمي إلى العالم الأول!

بناية الخليجية نهبت للمرة الثانية، لكن اللصوص وصلوا حتى الطابق الذي تشغله «منظمة ضمان الاستثمار في العالم العربي».

ذهب يزيد وبشار مع صديقهما وزميل يزيد، علي الحمدان، لتفقد الحال، فشاهدوا آثار «بساطير» عسكرية على أبواب الغرف والمكاتب التي فتحت عنوة بهدف التفتيش عن ما خف حمله وغلا ثمنه، لكن الغنيمة لم تكن كما تمنى اللصوص. هناك آثار تخريب على شكل «فشة الخلق» ضد كل شيء دون التفكير فيما يفعلون.

إنها ظاهرة تستحق التأمل، فكثير من المؤسسات والهيئات الرسمية والخاصة جرى ويجري تخريبها أو تدميرها أو سرقتها... وعلى عينك يا تاجر... آخر أخبار عمليات النهب هي نقل كافة محتويات المعاهد العلمية، كمعهد الكويت للأبحاث العلمية، ومحتويات كثير من المدارس والجامعة وغيرها، ومطابع الكويت وآلاتها الطباعية الحديثة وكل ما بها من ورق من كافة الأنواع...

والسؤال هو لماذا يحدث هذا. إن كان الكويت كما يعلن العراق بأنها هي جزء من العراق؟

هل يشعر العراقيون بأن هذه الكويت لن تكون لقمة سائغة في حلوقهم، وأنه بحكم هذا الموقف التضامني العالمي المتصلب بمواقفه تجاه هذه الأزمة لن يتمكن من تحقيق أطماعه في ضم الكويت... «إذن فلتضرب الكويت... وعليّ وعلى أعدائي...».

أهذا هو إذن الموقف القومي العربي حسب مفهوم النظام العراقي!

كثيرون غادروا، لكن كثيرين منهم يعودون أيضًا... معظم الذين يعودون هم من ذوي الدخل المحدود، والذين لهم في هذا البلد أكثر من عشرين أو ثلاثين سنة فيه، وممن يحملون وثائق السفر سيئة الطالع، ووثائق السفر المصرية الخاصة بالفلسطينيين، والذين نفدت أموالهم في الخارج.

الدكتور إبراهيم زقوت بعث يسأل إن كان هناك من ينصحه بالعودة، فبعث إليه الصديق العزيز الدكتور محمد علي عيسى، وزميله وصديقنا الدكتور محمد أبو لعد بأن يعود.

الدكتور صلاح الدين الغول عاد هو وزوجته، وهو يعمل في مكان عمله بمستشفى الأمراض الصدرية.

الدكتور محمد علي شعبان يمارس عمله كمدير لمستشفى الأمراض الصدرية، وزوجته معه.

تحدث وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر إلى الكونغرس الأمريكي عن الوضع العام المتعلق بأزمة الخليج، وأبرز ما ذكره هو ما يتعلق بالمصاريف التي ترتبت وسترتب على المجهود العسكري الأمريكي في منطقة الخليج. إن التقديرات الأولى هي مبلغ خمسة وعشرين بليون دولار. وقال إن هذه المصاريف لن تتحملها الخزنة الأمريكية وحدها، بل إن على الدول الغنية أن تساهم فيها، ومن ضمنها دول منطقة الخليج.

في لندن، اجتمع البرلمان البريطاني للمرة الأولى في جلسة استثنائية منذ اجتماعه في مثل هذه الحالة أواسط السبعينيات لمشكلة جزر «الفوكلاندي»، عندما شنت بريطانيا الحرب ضد الأرجنتين لمحاولتها استعادة تلك الجزر. تحدثت مارغريت تاتشر، رئيسة الوزراء، عن قضية الكويت وتاريخها، وحرص بريطانيا على إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل غزو العراق الكويت. وقد طلبت من البرلمان منحها الثقة والصلاحيات التي تخولها اتخاذ القرارات المناسبة في الظروف الحالية لتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي بخصوص أزمة الخليج. ونالت الثقة بنسبة كبيرة جدًا. إذ صوّت لصالح مشروعها أكثر من أربع مئة عضو، بينما عارضها خمسة وثلاثين فقط.

وقد أوضح وزير الدفاع البريطاني أن الحكومة أقرت إرسال قوات إضافية إلى منطقة الصراع في الخليج العربي. كما تم إيضاح أن التكلفة اليومية لنقل الجنود البريطانيين إلى منطقة الخليج هي مليون جنيه. ولبريطانيا ١٢ سفينة حربية في البحر قرب منطقة الصراع وثلاثة أسراب من الطائرات الحربية.

في فرنسا صرح رئيس أركان القوات المسلحة الفرنسية بأن فرنسا مستعدة لأي حرب استنزافية، وأن السيناريوهات قد أعدت لمواجهة أية احتمالات عسكرية ضد العراق لإجباره على الانسحاب من الكويت. كما ذكر أن فرنسا تعرف جميع المواقع الإستراتيجية العراقية، وأن وجود الرهائن في هذه المواقع لا يمنع من القيام بهجوم عسكري ضد العراق، إذا ما دعت الحاجة إليه.

(الجمعة ٧/٩/١٩٩٠) تابعنا الأخبار من الإذاعات ومحطات التليفزيون، أنا وتمام والشباب، ثم تناولنا العشاء إياه والحمد لله، ورحت ألعب مع أبنائي «الطرنيب» وكان شريكي الليلة بلال، غلبنا يزيد وبشار (أمس أنا ويزيد غلبنا بشار وبلال). بعد ذلك وفي حوالي منتصف الليل بدأنا بمحاولة تحليل لآخر الأخبار، وصار عندنا تصور لآفاق المستقبل القريب والبعيد... كنت قد ذكرت أن أحد أجهزة التكييف عندنا عاطل عن العمل، أو أنه لا يؤدي وظيفته التبريدية. حضر «عيسى» عن طريق جمال ولميس، وأصلح الجهاز. أمضى حوالي الساعة في سد فتحات صغيرة في أنابيب غاز المكيف وعبأه بالغاز، وطالب بأربعين دينارًا كويتيًّا أجره على ذلك... ثم... وبواسطة جمال تنازل الأخ وقبل خمسة وثلاثين دينارًا!

جيمس بيكر وصل السعودية وقابل الشيخ جابر أمير الكويت، واستقبله الملك فهد، وأجرى حديثًا معهما منفردين ومع وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل. استعدت السعودية على ما يبدو، وكذلك الكويت للمساهمة بنصيب الأسد في المصاريف العسكرية.

وعقد بيكر والفيصل مؤتمرًا صحفيًّا تحدثا فيه عن التطورات الأخيرة في هذه الأزمة وأكدوا على أن لا مساومة على ضرورة انسحاب العراق غير المشروط من الكويت، وعودة الشرعية إليه. وأشار سعود الفيصل أن التضامن العالمي الواسع مهم جدًا في سبيل إيجاد حل سلمي للأزمة إن أمكن.

طه ياسين رمضان، الذي أوفد إلى الصين، لم يحقق النجاح الذي كانت تتطلع إليه العراق، فقد أعلنت الصين أنها «ترغب في أن ترى العراق يسحب قواته من الكويت بأسرع ما يمكن».

وزير الخارجية الهندي قال أمام برلمان بلاده إن العراق نكث بوعده للسماح للرعايا الهنود بمغادرة الكويت والعراق وأنه اشترط على الهند أن تحمل سفنها وطائراتها مواد غذائية وطبية للعراق وهي قادمة لإجلاء رعاياها.

تقرر أن يدفع إلى الدول الثلاث المتضررة مادياً بسبب أزمة الخليج ما يعوضها عن خسائرها، وهي مصر وتركيا والأردن. المبلغ المتوقع دفعه يبلغ حوالي عشرة بلايين دولار ربما يتم بواسطته إعفاء مصر من ديون عليها لأمريكا بقيمة سبعة بلايين دولار...

أقر البرلمان التركي مشروع قرار للحكومة التركية يقضي بالسماح لها بإرسال قوات عسكرية إلى منطقة الخليج إن دعت الحاجة. وهذه أول مرة يتخذ البرلمان التركي مثل هذا القرار في تاريخه الحديث. وقيل إن قوات تركية أصبحت مرابطة على الحدود التركية العراقية -حوالي ستين ألف مقاتل- وأنه من المحتمل نقل نحو خمسين ألف مقاتل آخر إلى أراضي السعودية إن دعت الحاجة.

كما أن سفناً بحرية تركية اتجهت نحو الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط.

الرئيس الأمريكي بوش قبل دعوة العراق للتحدث إلى العراقيين من خلال التليفزيون العراقي (بث مباشر) عن دواعي إرسال القوات الأمريكية وموقف الولايات المتحدة من أزمة الخليج. لم يحدد موعد لهذا بعد.

الترقب واضح عند الأوساط الدولية للقاء بوش غورباتشوف في هلسنكي بعد غد الأحد. وقد يصل بوش هلسنكي هذا المساء، بينما يصلها غورباتشوف غداً.

الصحف البريطانية متحمسة للخيار العسكري، وهي تجد فيه الحل الوحيد لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت، وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الاجتياح. وهي تدعو صراحة إلى ضرورة الإسراع بتوجيه الضربة العسكرية ضد العراق.

(السبت ٨/٩/١٩٩٠) أهم أخبار اليوم مزعجة ومخيفة. «ثلاثة من الفلسطينيين تم تصفيتهم من قبل عناصر، قيل إنها كويتية... أو هي، على الأقل، بلباس كويتي!» بحجة مخالفة التهديدات ضد التحاق الموظفين بأعمالهم في الوزارات.

أحد المجني عليهم قتل في منطقة السالمية بعدما أوصل ابنته (وربما تكون زوجته) للالتحاق بعملها في إحدى المؤسسات الحكومية، وقيل عن لسان شهود عيان إن الجاني ظل يحوم بسيارته وسلاحه حول الضحية محذراً من عدم اقتراب أحد لإنقاذه.

الشخصان الاثنان الآخرا تم قتلها في منطقتي حولي والنقرة. وقد تمت هذه الجرائم الثلاث فيما بين الساعة السادسة والسابعة صباحاً. وقال المصدر إنه تم إبلاغ السلطات العراقية بهذه الجرائم، إلا أن أحداً من العناصر العراقية لم يحضر إلا متأخراً جداً! دار معظم النقاش حول كيفية اتخاذ الاحتياطات الأمنية لحماية الجالية الفلسطينية من مثل هذه الأعمال الخطرة جداً جداً!

العراقيون يقولون ردّاً على طلب تسليح الفلسطينيين للدفاع عن أنفسهم، إن السبيل الوحيد هو الانخراط في الجيش الشعبي العراقي... لكن أحداً لم يوافق على ذلك...

لا شك أن مثل هذه الأحداث تساعد على تصعيد الموقف غير المتعاطف مع الكويتيين عند الكثيرين من الفلسطينيين.. يضاف إليها تصرفات بعض الكويتيين التي تنم عن الحس العنصري.

ذكر أحدهم أنه ذهب أمس إلى مكان يبيع الأسماك، وقال إنه محل كبير، ربما يكون سمكاً مجلداً. والمشترون كانوا خليطاً من الكويتيين والفلسطينيين وآخرين من جنسيات مختلفة رغم قلتهم. حضر مسؤول المكان وأمر الباعة أن يوزعوا السمك على الكويتيين بدون مقابل، وأن لا يعطوا الفلسطينيين حتى ولو دفعوا ثمن السمك!

وهذا مثال واحد من أمثلة عديدة، ونحن نسمع في كل يوم عن تصرفات مماثلة أخرى، منها أن سيدة كويتية كانت تقف حسب الدور في طابور لدخول الجمعية التعاونية، وكانت تمام زوجتي تقف أمامها، وفي لحظة دفعت هذه السيدة تمام بقبضتها قائلة لها: «أنتم ما تزالون هنا، ارحلوا عنا...».

على أية حال فإن هناك حملة رهيبة ضد الفلسطينيين، تنتشر في بعض الأوساط الكويتية غير المتعلقة أو ممن وقعوا تحت تأثير الإعلام المغرض والمضاد للفلسطينيين... مع الأسف.

وفي المقابل، هناك كويتيون كثيرون ممن يتفهمون حقيقة مواقف أغلبية الفلسطينيين في الكويت، وهؤلاء يعرفون أن تلك قلة قليلة من الفلسطينيين يتعاونون مع المحتل العراقي، والذين لا يمثلون إلا نسبة تقل عن الواحد في المئة من عدد أبناء الجالية الفلسطينية، يقابلهم عدد أكبر ممن تعاون مع حركة المقاومة الكويتية ضد المحتل العراقي، ومنهم من استشهد دفاعًا عن الكويت واستقلالها.

إن علاقاتنا الشخصية والعائلية مع كافة الكويتيين من أصدقائنا وجيراننا، وهم كثر، جيدة جدًا.. وهم يعرفون أن هناك الكثيرين جدًا من أمثالنا.

ويجب أن لا يغيب عن البال أن أجهزة الإعلام والتشويه، وعناصر السوء من جهات عديدة يهمنها أن تضرب الأسافين بيننا، نحن الفلسطينيين، وبين إخوتنا الكويتيين لثُحدث اقتتالاً بيننا، خاصة بعد موقف الجالية الفلسطينية في الكويت غير المتعاون وغير الملبى لطموحات النظام العراقي المحتل، ولكي تتحول الأنظار عن جوهر المشكلة.

كما أن المخابرات العدو الخارجية والصهيونية يهمنها أن تبدأ الحروب الفلسطينية الكويتية والعربية، والفلسطينية الفلسطينية، وهو أمر متوقع في معظم الساحات التي يتواجد فيها الفلسطينيون!

أهم الأخبار الليلة تركزت حول وصول الزعيمين الأمريكي والسوفييتي، بوش وغورباتشوف، إلى هلسنكي. التصريحات التي صدرت قبل سفرهم عن بلادهم وعند وصولهم تبشر بأن الاتفاق على الأسس الجوهرية قائم بين العملاقين، وأن التصريحات تميل نحو تصعيد الحديث عن الحل العسكري مرة أخرى، إن كان العراق سيظل رافضاً تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي.

الرئيس ميتران أدلى بتصريحات تصب في نفس الاتجاه، وكذلك بلدان أخرى أوروبية وآسيوية. وقال إن البحث في قضايا المنطقة وأزماتها من خلال مؤتمر دولي يمكن أن يتم، ولكن بعد إعادة الأمور إلى ما كانت عليه الأوضاع في منطقة الخليج قبل الاجتياح العراقي في ٢/٨/١٩٩٠.

صدام حسين ألقى، أو وجّه رسالة إلى الزعيمين الأمريكي والسوفييتي عبر الإذاعة والتلفزيون تفيد بأن «العراق لم يحتل أي أجزاء من الولايات المتحدة أو من الاتحاد السوفييتي، بل أعاد جزءًا من أراضيه كان قد سلخه الاستعمار البريطاني قبل عشرات السنين من أرض العراق التاريخية...» فحوى رسالته أن لا مجال للبحث في موضوع الكويت!

أمس شاهدنا دخانًا أسود يتصاعد من وسط المدينة، اليوم علمنا أن مبنى الخطوط الجوية الكويتية هو الذي كان يحترق، أن الطوابق الخمسة العلوية احترقت تمامًا.

في الجابرية سمعنا انفجارًا قريبًا، ثم شاهدنا دخانًا ينبعث من القطعة ١٢، عرفنا بعد ذلك أن إحدى «القبائل» الجميلة في الجابرية، لآل الدشتي، أحرقت تمامًا من قِبَل عناصر المخابرات العراقية بعد أن أعدموا أحد رجال المقاومة أمام ذويه... وأظنني ذكرت أنه قبل حوالي أسبوع اقتحمت القبلا التي خلف بيتنا الذي نسكنه وقد تم اقتحامها وسرقة الثمين منها.

الغاز منذ أيام قليلة غير متوفر في أماكن توزيعه، كما يشاع أن البنزين قد ينقطع، لذلك هناك هجوم على محطات البنزين.

المواد الغذائية لا يزال يتوفر الأساسي منها في بعض الدكاكين أو في بعض البيوت ما جعل الناس تخزن احتياجهما لشهر أو اثنين على الأقل.

(الأحد ٩/٩/١٩٩٠) الكل ينتظر نتائج اجتماع رئيسي الدولتين العملاقتين، وهو لا شك سيكون ذا أثر كبير على تطور الأحداث في المنطقة. وقد أعلن أن الاجتماع سيكون مؤلفًا

من جلستين، واحدة قبل الظهر والأخرى بعده. وأن الزعيمين سيعقدان مؤتمرًا صحفيًا عقب الجلسة الأخيرة مساء اليوم.

التوقعات هي التالية: إصدار بيان باسم الزعيمين يؤكد على ضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولية بدون شروط، وربما إنذار من العملاقين، على غرار إنذار عام ١٩٥٦ الذي وجهته أمريكا والاتحاد السوفييتي إلى المعتدين البريطانيين والفرنسيين والإسرائيليين إبان العدوان الثلاثي ضد مصر، وأدى يومها إلى انسحاب قوات الدول الثلاث.

لكن الظروف في هذه الأيام غير تلك. فالآن يسود العالم حالة جديدة، ويتبنى العملاقان سياسة الوفاق الدولية، وتسوية نزاعات العالم بالطرق السلمية، إضافة إلى أن أحد العملاقين صار أكثر عملاقة من الآخر، وأصبحت أمريكا هي القوة الكبيرة الأولى في العصر الحديث.

أمريكا تريد من هذا اللقاء ونتائجه التأكيد لصدام حسين على أن العالم بقطبيه ودوله يقفون في وجه احتلال الكويت ويطالبون بانسحابه منها. كما تود أمريكا أن تجبر السوفييت على توضيح موقفهم من أزمة الخليج بما لا يدعو إلى الشك أو إتاحة فرصة يستغلها العراق لصالحه بالادعاء بأن السوفييت من خلال موقفهم اللين نسبيًا يعادون وجود القوات الأمريكية في الأراضي العربية.

حياتنا اليومية سارت كما تسير أيامنا في هذه الظروف. تمام ذهبت أولاً مع يزيد إلى البنك لإحضار المبلغ المعلوم صرفه أسبوعياً من حسابي في البنك، ويقول يزيد إن البنك كان مزدحمًا اليوم، بسبب إشاعة أو أخبار تسربت تقول إن السيولة في البنوك تكاد أن تنتهي. فالكل يذهب لسحب مخصصه من حسابه. ثم ذهبت تمام التي كانت على موعد مع صديقتها مي النوري، لشراء بعض المواد الغذائية. وكل شيء في هذه الظروف من المواد الحياتية مرغوب توفيره في المنزل، لأن شعورنا بأن هذه المواد ربما تفقد من الأسواق قريبًا... وكثير منها فقد بالفعل. الاتصال مع الأهل في الكويت مستمر، وجميعهم بخير. أبو

زكي لم يصل بعد، وجميع أبنائه وبناته مشغولو البال عليه، لكنه، وكما فاجأنا أمين بحضوره، سيفاجئنا أبو زكي بوصوله إن شاء الله سالمًا.

مساء أمس ودعنا الصديق عوني السراج وزوجته وابنه نديم وابنته مي وابنتها سارة، الذين سيغادرون فجر غد إلى بغداد ومنها إلى الأردن ثم إلى مصر. وسوف يذهبون مع مجموعة من المعارف والأصدقاء، منهم وائل كنعان والدكتور أنيس القاسم. أما خالد الأغا، زوج مي السراج، فأخر أخباره أنه سيبقى هنا. أبو جميل لا يعرف أنه سيفاجأ بخبر مؤلم جدًّا هو وفاة شقيقته نادرة بورم خبيث في رأسها، بعد إجراء عملية جراحية لها في القاهرة. وكان أبو جميل، الذي كان قد سافر إلى القاهرة بسببها وعاد إلى الكويت قبل يومين من الاجتياح العراقي للكويت، قد ذكر أنها بخير... رحمها الله!

ولقد حملنا أبو جميل رسالة من يزيد إلى زوجته وابنته في ألمانيا، وكذلك أرقام هاتف صهرنا نصر سلمان والشقيقة ميس ليطمئنهما وباقي أفراد العائلة بأن أفراد آل شموط وأقرباءهم في الكويت بخير.

تحدثت مع الدكتور أنيس القاسم الذي أفاد بأنه قرر البقاء في نيقوسيا، وأنه حضر لنقل ما يمكن نقله... لكنه حائر فيما ينقل... بيت عمره سنين طويلة، لكن أهم ما يشغل باله هو الوثائق التي جمعها عن كل ما يتعلق بالقوانين الخاصة بالفلسطينيين منذ أيام العثمانيين وحتى اليوم. وهو يقول إنها مكتبة لا يعتقد أن أحدًا أو جهة تملك مثيلًا لها في العالم.

الصديق صدقي حطاب الذي حضر من الخارج بسيارته التي أحضرها له ولده عدي من الكويت إلى الأردن، عاد بها إلى الكويت مع ابنه الآخر علي. وفي اليوم التالي لوصولهما سرقت دفاتر أربع سيارات كانت تقف أمام المبنى الذي يسكنه وكانت سيارته واحدة منها. هذه مشكلة أولى، أما الثانية فهي عدم توفر وإيجاد سيارة تنقل أهم ما في بيته إلى الأردن بعد أن قرر المغادرة والعيش في بيته في عمان. أما الثالثة فهي مكتبته الكبيرة... التي يعتبرها ثروته في هذه الدنيا، فماذا يمكنه نقله وماذا يترك منها؟ وكل محتويات مكتبته عزيزة عليه وذات قيمة كبيرة عنده!

قصص لا تنتهي من هذا النوع... اللهم لا حول ولا قوة إلا بك، نعم المولى ونعم الوكيل!

انتشرت في الأوساط الفلسطينية أخبار اغتيال عدد من الفلسطينيين على أيدي من يعتقد بأنهم كويتيون، ودب الرعب في نفوس الناس.

إنني أدعو الله أن يهدي من هم وراء مثل هذه الأحداث وأن يتيقنوا من أن هذا الطريق خطر.. خطر.. ليس على الفلسطينيين وحدهم، بل سيكون، إن استمر لا سمح الله، أكثر خطورة على الكويتيين. فالفلسطينيون محشورون في كل مكان لا سبيل أمامهم سوى الموت في سبيل البقاء!

حملت أخبار المساء نتائج اجتماع مؤتمر الزعيمين بوش وگورباتشوف الذي اختتم مساء اليوم، والتي أسفرت عن إصدار بيان صريح يؤكد على ضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي دون شروط. ويندد بشدة بغزو العراق الكويت. وأنهما سينظران في اتخاذ مزيد من الإجراءات الأخرى إذا لم ينسحب العراق من الكويت.

وتقول بعض الأوساط إن الرئيس بوش قد حصل على ما كان يتوقعه، وأن في يده الآن كل ما يمكنه من مواجهة صدام حسين.

وبالرغم من لهجة البيان الشديدة، فإن باب الحوار مع العراق أبقى عليه مفتوحًا أمام السوفييت لإجراء اتصالات تهدف إلى حل المشكلة بالطرق السلمية. غير أن الاعتقاد السائد هو أن صدام حسين لن يتراجع وينسحب من الكويت بدون شروط، كما تريد دول العالم، وهذا يعني أن اللجوء إلى الحل العسكري وارد وفي غضون أسابيع... وربما أشهر!

وقد عقد الرئيسان مؤتمرًا صحفيًا حاشدًا أجابا فيه على أسئلة الصحفيين. أبرز الأسئلة كانت عما إذا كان بوش قد طلب من گورباتشوف سحب خبرائه من العراق، وعن استعداد السوفييت إرسال قوات عسكرية إلى جانب القوات المتعددة الجنسيات في منطقة الخليج. أجاب بوش بأنه لم يطلب ذلك، وأجاب گورباتشوف بأن عدد الخبراء كان حوالي

مئة وثلاثة وتسعين خبيرًا يعملون بموجب عقود، وأن هذه العقود تنتهي مدتها ولا تتجدد، وأن عددًا منهم قد عاد ولم يبقَ منهم سوى حوالي مئة وخمسين. (أمس ذكر على لسان مسؤولين غربيين أن عدد السوقييت الموجودين في العراق يبلغ ثمانية آلاف ما بين خبير وفني وعامل) بوش أجاب على سؤال حول اللجوء إلى الحل العسكري قائلاً: «لن أقول لكم ما أنوي عمله، لكن المطلوب والواضح في بياننا أن انسحاب العراق من الكويت أمر لا تهاون فيه، وبالتالي فإن كافة الخيارات متاحة».

البنزين والغاز أصبحا غير متوفرين، الغاز انقطع منذ أيام، أما البنزين فقد أقفلت عدد من محطات بيع البنزين، والطوابير طويلة أمام باقي المحطات القليلة المفتوحة، والناس خائفة من فقدانه. ويقال إن العراق بدأ يسحب كميات كبيرة من الغاز والبنزين لعدم توفره الآن في العراق! والله أعلم...

جمال شقيقي اشترى أمس سبعة فراريج من إنتاج مزرعة نايف الشهيرة، وأحضرها إلى منزله، وكانت لميس زوجته تتوقع أن يحضرها مذبوحة ومنظفة، لكنها فوجئت بجمال يدخل المنزل بالفراريج وهي حية! المهم أن جمال تولى مسؤولية القيام بالذبح والتنظيف مع بناته... والاستمتاع بذلك. صحتين.

(الاثنين ١٠/٩/١٩٩٠) ردود الفعل على نتائج اجتماع بوش غورباتشوف، على الصعيد الرسمي العربي ظهرت أولاً في دول مجلس التعاون الخليجية، وخاصة في السعودية. والانطباع العام هو أن الاجتماع حقق أمراً في غاية الأهمية ألا وهو وحدة الموقف لدى القوتين العظميين في العالم إزاء أزمة الخليج، والتأكيد على ضرورة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بهذا الشأن.

سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي قال معلقاً على نتائج الاجتماع المذكور: «إنه أسفر عن موقف ثابت من العدوان وطالب بانسحاب القوات العراقية من الكويت وعودة الشرعية». وتقول مصادر دبلوماسية بأنه من المحتمل جداً أن تفتح صفحة جديدة من

العلاقات بين السعودية والاتحاد السوفييتي، وأن يعلن عن إعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين قريبًا، بعد عدة عقود من القطيعة.

الغرب أبدى ارتياحه الشديد بنتائج اجتماع هلنسكي. قالت تاتشر إن نتائج هذا اللقاء «ستزيد من عزلة صدام حسين، وأنه لا بد للعالم أن يعرف أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي متحdan إزاء هذه الأزمة». وأضافت أن مغزى هذا المؤتمر هو وضع حد للاحتلال القسري للكويت والإفراج عن الرهائن.

كما أعلن كل من بوش وگورباتشوف، في وقت سابق، عن ارتياحهما لنجاح المؤتمر.

ومن العناصر المهمة التي ساعدت على نجاح مؤتمر هلنسكي هو التأكيد الأمريكي للسوفييت على أن القوات الأمريكية لن تبقى يومًا واحدًا في منطقة الخليج بعد تسوية أزمته!

الرئيس السوفييتي أعلن أن السوفييت قد حققوا في هذا الاجتماع (مؤتمر هلنسكي) مكاسب كبيرة وصفقة مهمة. فقد وعدت أمريكا بتزويد السوفييت بالمساعدات التكنولوجية والصناعية والإدارية إضافة إلى احتمال تقديم دعم مالي!

الرئيس العراقي صدام حسين وجه الليلة رسالة جديدة إلى شعوب وقادة دول العالم الثالث، إثر انتهاء اجتماع هلنسكي ونتائجه غير المتفقة مع تطلعاته، حاول فيها تحريض هذه الدول ضد الدول الكبرى والمتقدمة، قائلاً ما معناه أن عالما الثالث لا يحظى باهتمام الكبار إلا بقدر ما تفرضه مصالحهم الخاصة، وأن هذا العالم الثالث يترك يتخبط في أزماته دون أي اهتمام من دول العالم الغنية.

أهم ما في الرسالة هو الإعلان عن استعداد العراق لتزويد هذه الدول بما تحتاجه من بترول دون أي مقابل، وأن العراق سوف يقوم بإيصال هذا النفط، من أي نوع يرغبون، على

حسابه. وفي حال تعذر تحقيق ذلك فإن على الدول الراغبة في الحصول عليه أن تتدبر الأمر. كما قال إن هذا الإجراء لا يرتبط بمواقف هذه الدول من أزمة الخليج!

من ناحية أخرى، وبعد الزيارة الرسمية لوزير خارجية العراق طارق عزيز لإيران، أعلن أن البلدين اتفقا على استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما، وذلك بناء على طلب تقدم به طارق عزيز بهذا الخصوص. ومن الجدير بالذكر أن طارق عزيز اصطحب معه في هذه الزيارة وزير النفط العراقي!

في الأردن افتتح مخيم جديد لإيواء النازحين الآسيويين من الكويت في منطقة الأزرق، وهو يتسع لعشرات الآلاف من اللاجئين.

في القاهرة اجتمع مجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية، ولم يعرف من حضر ومن لم يحضر، إلا أن قرارًا صدر لتنفيذ نقل مقر جامعة الدول العربية من تونس إلى القاهرة. وحدد القرار موعدًا أقصاه آخر شهر تشرين أول (أكتوبر) القادم لذلك.

دوگلاس هيرد وزير الخارجية البريطاني اجتمع اليوم مع نظيره الياباني، وصدر بيان باسم الدولتين البريطانية واليابانية تعهدتا فيه بتقديم أقصى ما في وسعهما لدعم المساعي الدولية الرامية إلى إعادة السلام والاستقرار في منطقة الخليج. وتسعى اليابان إلى إجراء تعديل في دستورها بحيث يصبح ممكنًا لليابان أن ترسل بقوات لها إلى منطقة الخليج.

وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر طار أمس من هلسنكي إلى بروكسل لينضم إلى وزراء خارجية دول حلف الأطلسي، وتحدث في اجتماعهم عن نتائج مؤتمر هلسنكي، وطالب الدول الأعضاء بضرورة زيادة المساهمة في القوات المتعددة الجنسيات في منطقة الخليج. ومعلوم أن بريطانيا وفرنسا هما الدولتان الوحيدتان اللتان أسهمتتا بشكل معقول نسبيًا من وجهة نظر أمريكا. أما إسبانيا وإيطاليا واليونان والنرويج فكانت مساهمتهم رمزية. باقي دول الحلف (عدد أعضائه ١٦ دولة) لم تشارك.

على الصعيد الشخصي قمت وتمام في مساء هذا اليوم بزيارة إلى الصديق عامر التميمي، زيارة عائلية، ولحق بنا الشقيق جمال مع زوجته. وبالطبع دار الحديث عن شؤون الساعة. وكان الصديق عامر قد زارنا خلال هذه الأزمة مع زوجته وأبنائه وبناته.

غداً سيحضر أمين وعائلته وجمال وعائلته لنتناول الغداء معاً، وذلك احتفاءً بعيد زواجنا، وعيد زواج جمال، وعيد ميلاد بشار، وسيبقى أمين وعائلته عندنا ليبیتوا في منزلنا... نتونس بهم ويتونسون بنا، أما جمال وعائلته فسابقون معنا حتى المساء.

لم أذكر من قبل أن «تمام»، ومنذ أن بدأت أنا في كتابة هذه اليوميات، قد باشرت هي الأخرى بكتابة ذكرياتها وشجونها التي عادت بها، كما قالت لي، إلى أيام طفولتها في يافا.

كم نشعر بالفراغ بعد سفر لبنى وناديا، وبرحيل لبنى بالذات أصيب البيت بفراغ لا يملؤه أحد... إن وجود الأطفال نعمة كبيرة، كم يملؤون البيوت بالفرح والبهجة...

أه يا لبنى لو تعرفين حجم الحب الذي يعيش فينا لك... تعالي... تعالي أيتها الأيام التي تجمعا مرة أخرى... تعالي!

(الأربعاء ١٢/٩/١٩٩٠) أمس لم أتمكن من الكتابة، فقبل الظهر انشغلت بشيء لا أذكره الآن، وعند الظهر وصل أمين وإنعام وأولادهما، حيث تناولنا الغداء معاً، ثم كانت القيلولة التي لا بد منها، وبعدها انشغلت بالتجمع العائلي، خاصة في المساء بعد وصول جمال وعائلته.

كان جميلاً أن نكون معاً، أمضينا الوقت بالحديث عن الأحوال التي نعيشها، وعن بعض الأقارب البعيدين عنا، أبو زكي وأبو خطاب وحمدي وعثمان، وشاهدنا بعض الأشرطة الفيديوية حيث شريط الذكريات... ثم تابعا الأخبار من محطات التلفزيون والراديو. لم يكن هناك أخبار مهمة لافتة للنظر.

لعبنا الورق «الشدة» وغلبنا وغلبنا... ومضى الوقت ونام من نام وسهر الكثيرون حتى الفجر.

لم أخرج منذ أيام من البيت باستثناء الزيارة التي قمنا بها إلى الصديق عامر، وزيارتي اليوم إلى الصديق صدقي حطاب.

اتصلت بالصديق جميل الحسني، قريبنا في نفس الوقت، ونحن دائماً على اتصال، ورجونا أن يتناول الغداء معنا اليوم الأربعاء فقبل وسعدنا به، وتناقشنا حول الأوضاع وحاولنا استقرار الآتي!

على الصعيد السياسي، أذاع تليفزيون السعودية في صدر نشرته الإخبارية الرئيسية المسائية برقية من «الأخ هاني حسن، المستشار السياسي للأخ ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين» جاء فيها أنه بعد أن «قرأت اليوم البيان الذي نشرته وكالة الأنباء السعودية والذي عبر عن استمرار مساندة السعودية الشعب الفلسطيني ونضاله المشروع لإقامة دولته المستقلة، فإننا نؤكد تضامننا مع ملك وحكومة وشعب السعودية، شاكرين لكم الدعم الدائم للقضية الفلسطينية. وأن أمن المملكة وسيادتها أمر يهم الشعب الفلسطيني وقيادته كما يهمه أمنها والحفاظ على سلامتها، وأن الشعب الفلسطيني لن ينسى مواقف السعودية وما قدمته من دعم... إلخ، وأنه سطر لكم صفحة ناصعة... إنا نقدر جهدكم لتأمين حل سلمي لأزمة الخليج، نحن على استعداد لبذل الغالي والثمين لحفظ أمن وسلامة أراضي المملكة العربية السعودية المقدسة».

أخبار أمس حملت أيضاً تحركات سياسيين من مكان إلى آخر ولأغراض مختلفة. منها سفر بيكر الأمريكي من هلسنكي إلى بروكسل ثم إلى موسكو حيث التقى نظيره السوفييتي شيفرنادزه لمتابعة نتائج مؤتمر هلسنكي، وحضور اجتماع ما سمي بـ ٢+٤ (أي دول الحلفاء الذين انتصروا في الحرب العالمية الثانية وهم الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وممثلي الألمانيتين) من أجل التوقيع على اتفاق إعادة توحيد ألمانيا بشرطها ومنحها سيادتها وسحب القوات الأجنبية المتواجدة في ألمانيا الشرقية والغربية. وقد تم ذلك وحضر حفل المناسبة الرئيس گورباتشوف.

ومن المتوقع أن يصل بيكر غدًا إلى دمشق في محاولة من أمريكا لتوثيق علاقاتها مع سوريا بعد مواقفها الأخيرة من أزمة الخليج.

أبرز أخبار اليوم هو خطاب الرئيس بوش أمام الكونغرس الأمريكي، حيث عرض نتائج اجتماعه مع الرئيس السوفييتي غورباتشوف. أهم ما قاله هو:

«أود التحدث إليكم عما يجب عمله للحفاظ والدفاع عن القيم الحضارية في العالم والحفاظ على قوة اقتصاد بلادنا. إن موقفنا من أزمة الخليج واضح تمامًا وهو الانسحاب الكامل من الكويت وفورًا وبدون شروط، كما أن عودة الشرعية يجب أن تستعاد، وأن أمن واستقرار منطقة الخليج يجب أن تكون مضمونة، وحماية الرعايا الأمريكيين في الخارج يجب أن تؤمّن. إن هذه ليست أهدافنا وحدنا، بل هي مدعومة من قبل مجلس الأمن الدولي خمس مرات خلال فترات الأسابيع الخمسة الماضية، وأن معظم دول العالم تشاركنا هذه المبادئ. إن الأمر ليس كما يصوره صدام حسين على أنه معركة بين الولايات المتحدة ضد العراق، بل هي معركة بين النظام العراقي والعالم.»

«إنها فرصة فريدة للتقدم تجاه مرحلة تاريخية من التعاون وأنه بذلك يمكن إضافة هدف خامس وهو إقامة نظام عالمي جديد يتجلى من خلاله عهد جديد متحرر من تهديد الإرهاب، وأكثر أمنًا في تعلقه بقضية السلام. إنه عصر من التعايش الجديد فيما بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. إن أمريكا والعالم يجب أن تساند القانون وإننا يجب أن نقف في وجه العدوان وأن الولايات المتحدة لن تخضع أبدًا لأي تهديد، وفي النهاية فإن الأمم المتحدة طالبت بإطلاق سراح جميع الرهائن، المحتجزين رغم إرادتهم بما يتناقض مع العرف والقانون الدوليين، وأنهم ليسوا ضيوفًا بل هم رهائن والعالم كله يعرف ذلك.»

«لقد كان رد الحلفاء والأصدقاء جيد حيث تعهدت المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة بتزويد قواتنا بالغذاء والمحروقات اللازمة لمعداتنا. إنني لا أستطيع توقع المدة التي سيستغرقها العراق في سحب قواته من الكويت، والعقوبات

(المقاطعة الاقتصادية) تستغرق وقتًا طويلًا لكي تؤتي ثمارها، وأنا سنستمر بمراجعة جميع الاختيارات... لكننا لن نسمح باستمرار هذا العدوان».

وقد لاقى خطابه هذا تأييدًا كبيرًا في الكونغرس الأمريكي.

ولا تزال التصريحات حول إمكانية الحل العسكري والحل السلمي لأزمة الخليج مستمرة وبشكل متوازن تقريبًا. ففي الوقت الذي نسمع فيه تصريحًا لمسؤول هنا أو هناك حول ضرورة السعي لحل الأزمة سلميًا لتجنب ويلات مثل هذه الحرب المتوقعة وما يمكن أن تحدثه من دمار وتسببه من مآسٍ، نسمع أيضًا تصريحات تقول إن الخطط العسكرية للهجوم وبدائلها (العسكرية) قد اعتمدت من قبل العسكريين وأنهم في انتظار القرار السياسي. كما نسمع ونرى على الشاشة الصغيرة أن الحشود العسكرية ما تزال مستمرة، وأن دول حلف الأطلسي بدؤوا بإرسال مزيد من القوات إلى ميدان المعركة المتوقعة. بريطانيا تدرس إرسال المزيد من قواتها، وأنه من المحتمل أن تطلب من قوات لها في ألمانيا والتي تبلغ ٧٠٠٠ مقاتل مع ١٠٠ دبابة، التحرك إلى منطقة الخليج العربي.

ثم تقول تقارير يعرضها تليفزيون أبو ظبي بأن مقابل القوات العراقية البالغ عددها ٢٦٥٠٠٠ مقاتل، و٥٠٠ طائرة و١٥٠٠ دبابة، تقف قوات قوامها ما مجموعه حتى اليوم ١٨٣٠٠٠ مقاتل و١٥٠ دبابة و٤٣٩ طائرة و٨٤ سفينة حربية من ضمنها حاملات طائرات. وقد عرضها اليوم تليفزيون أبو ظبي على الشكل التالي:

بالطبع ينبغي عدم الأخذ بهذه المعلومات على أنها صحيحة تمامًا، فلا بد وأن تكون كثير من مثل هذه المعلومات العسكرية مبالغًا فيها سلبيًا أو إيجابًا، لأن المعلومات العسكرية لا تعلن عادة بهذه الصراحة وبدون أسرار!

الكويتيون الرسميون يتحركون أيضًا، وخاصة الشيخ سعد ولي العهد، فهو يتجول في دول أوروبا، ويقابل المسؤولين الغربيين، كما يقابل أبناء «الديرة» فيها.

أما عن المقاومة الكويتية ضد الاحتلال العراقي، فإننا نسمع أحياناً بعض إطلاق الرصاص، أو بعض الانفجارات... ولكن بصورة أقل كثيراً عما كانت عليه الأحوال في بداية الأزمة.

الوضع الاقتصادي في العراق أخذ في التدهور. وتقول أخبار الغرب إن المواد الغذائية تشح باستمرار في الأسواق. ومعلوم أن العراق كان يستورد من ٧٥ إلى ٨٠% من مواده الغذائية من الخارج!

ردود الفعل على عرض العراق لتزويد دول العالم الثالث بالنفط بدون مقابل جاءت مخيبة لآمال العراق، فقد صرح أحد زعماء هذا العالم الثالث، رئيس دورة الأمم المتحدة، وهو إفريقي، بأن هذا «العرض مرفوض لأنه يتعارض مع قرار مجلس الأمن بمقاطعة العراق». وقال زعيم إفريقي آخر إن هذا العرض «ليس سوى دعاية مسرحية».

إيران أعلنت على لسان مرشدها الديني علي خامنئي أن «الوجود الأمريكي في المنطقة يهدد مصالح دول المنطقة، وطالب بالجهاد ضد هذا التواجد»، لكن ممثل إيران، ومن قبله وزير الخارجية الإيراني، قال إن اتفاق إيران مع العراق «لا يجب أن يعني أن إيران تقبل بأي تغييرات في خارطة المنطقة وأن إيران ترفض احتلال العراق الكويت وتطالبه بالانسحاب».

العراق، كما نقلت الأخبار، حشد ما قوامه ١٠٠٠٠٠ جندي عراقي على الحدود العراقية التركية، فتحركت تركيا وحشدت هي الأخرى قواتها على تلك الحدود.

منعت السلطات المصرية على مدى يومين وفداً مصرياً معارضاً من السفر إلى الأردن والعراق من أجل «البحث عن حل إسلامي» لأزمة الخليج. وتألف الوفد من ثلاثة أقطاب من جماعة الإخوان المسلمين، مأمون الهضيبي ومحمد حامد أبو النصر ومصطفى مشهور، وزعيم حزب العمل إبراهيم شكري للانضمام إلى وفد إسلامي يمثل ثمانى دول إسلامية. ففي اليوم الأول، كما قالت الأخبار الغربية، أن الأربعة فوجئوا، بعد تقديم جوازات سفرهم، بأن المسؤولين في المطار أعادوا إليهم جوازات سفرهم وقد مزقت الورقات المخصصة

للتأشيرات من كل جواز، وقيل لهم إن جوازاتهم غير صالحة للسفر. عادوا في اليوم الثاني بجوازات سفر جديدة، إلا أنهم منعوا من دخول المطار. ومن المؤكد أن هؤلاء منعوا من السفر بسبب مواقفهم المعارضة لإرسال قوات مصرية لتشارك مع قوات أجنبية في منطقة الأزمة.

الرئيس البنغالي حسين إرشاد، طار إلى تركيا من أجل إغاثة ونقل حوالي عشرين ألف بنغالي محجوزين على الحدود بين العراق وتركيا في سبيل إيجاد حل لإعادتهم إلى بلادهم بنغلادش. ورافق إرشاد نظيره التركي تورغوت أوزال إلى منطقة الحدود للاطلاع على جوانب هذه الأزمة. لقد اجتاز الحدود العراقية التركية عشرات الآلاف من الهاربين الآسيويين، معظمهم من الباكستانيين والبنغاليين. الباكستانيون تمكنوا من العودة براً عبر إيران. لكن الآخرين لا بد من نقلهم جواً لاعتبارات كثيرة. وقد تسلمت تركيا مساعدات مالية لتأمين هذا الأمر.

في الأردن أعلن عن أن عدد الذين يدخلون الأردن قد انخفض اليوم ولأول مرة منذ بدء أزمة الخليج عن عدد الذين يغادرونه.

تونس أعربت عن موقف جديد لها من الأزمة، أزمة الخليج، فقد جاء على لسان رئيس وزرائها أن تونس موافقة على قرارات الأمم المتحدة بشأن مقاطعة العراق اقتصادياً بسبب احتلالها الكويت، وأنها تعمل بذلك، وأن ما كتب ويكتب في الصحف التونسية لا يعبر إلا عن موقف الكتاب فقط (وكانت صحف تونس قد اتخذت موقفاً مسانداً للعراق في هذا الخصوص).

كلوفيس مقصود، ممثل جامعة الدول العربية في الأمم المتحدة، استقال أمس من منصبه. ولا شك أن لاستقالته علاقة مباشرة بأزمة الخليج وما سببته من انقسام في الصف العربي، وبسبب استقالة الأمين العام للجامعة الشاذلي القليبي.

أحوال البلد لا تزال على ما هي عليه حتى الآن. المحلات مقفلة والأسواق مغلقة، وليس سوى الجمعيات التعاونية والدكاكين المتوزعة في الحواري والشوارع الضيقة، والتي تباع المواد الغذائية، هي التي تفتح أبوابها فقط، إضافة إلى المزينين (الحلاقين) وبعض دكاكين تصليح السيارات (كراجات صغيرة لإصلاح البناشر أو كهرباء السيارة أو تغيير الزيت) ومحطات البنزين التي لا غنى للناس ولحياتهم عنها.

الناس بشكل عام، وبخاصة الكويتيون، ضاقوا ذرعاً بهذه الحالة، وبحالة الانتظار التي لا يعرف أحد كم يمكن أن تدوم... ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله.

وتعبيراً عن حالة الاستياء من حظهم ومن حالة الاحتلال هذه وما جرّته من آثار سلبية حياتية صعبة وحرجة راح عدد كبير من الناس، كويتيين وفلسطينيين، بإطلاق لحاهم والامتناع عن حلاقة ذقونهم. لكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ إن السلطة العراقية ومن خلال عيونها... لاحظت هذه الظاهرة، فأعطت تعليماتها بأن يطالب الجنود، الذين يقفون على حواجز التفتيش، من المارة الملتحين ضرورة حلق ذقونهم، وفي اعتقادي أن هذا يعبر عن حالة القلق عند السلطة التي تتمنى لو أن الناس، كويتيين وفلسطينيين، يتخلون عن حالة العصيان المدني غير المعلن رسمياً، وأن يمارسوا حياتهم ويفتحوا محلاتهم... ولكن ذلك أمر مستبعد في الوقت الحاضر كما تقول الشواهد.

(الخميس ١٣/٩/١٩٩٠) اتصلت بالصديق طالب قبل الظهر، وعلمت أنه سيغادر بعد ساعتين، ذهبت إليه محيياً ومودعاً، وعند دخولي شممت رائحة لم أعود شمها في بيته، وإذا به يقول: هل تشم... هل تشم هذه الرائحة؟

قلت: نعم... قال إنها رائحة «الضيوف الهنود»! أقارب وأصدقاء الشغالة «أجنتا» الهندية التي كنا نعتبرها واحدة من أهل البيت، لقد عاثوا في البيت فساداً... ماذا أقول لك... لقد ناموا في سريري... بل وتدل الآثار على أنهم كانوا يمارسون أفعالاً مشينة أخرى كثيرة في البيت... وفي غرفة نومي...

لم يبقوا على كل ما هو ثمين وغالٍ وخفيف في البيت إلا وسرقوه... لقد سرقوا كل شيء..
خاصة تلك التي كنت أوصي هذه الشغالة بأن تهتم بها لأهميتها ونوعيتها الممتازة،
كالسجادات الصغيرة والفريدة من نوعها والغالية الثمن... والأوسمة الذهبية... ماذا أقول...
كل هذا نُهب.

قلت له: احمد ربك أنك بصحة جيدة. قال إنني أحمده دائماً، وحمدته أن اللوحتين (يقصد
لوحتين من أعمالهما يقتنيهما) لا تزالان هنا، فهم لا يعرفون قيمة مثل هذه الأشياء...

ثم قال إنهم أيضاً سرقوا السيارات، ومنها سيارة ابنتي «رازان» الجديدة BMW، وأن هناك
سيارات أمام المنزل... ليست لي... لا تخصنا... متروكة أمام المنزل... ولا أعرف من
أحضرها... وتركها أمام بيتنا!

حوالي خمس حقائب ملابس كانت معدة للسفر، فيها ملابس العائلة، وقال إنه عائد في
الأغلب بعد حوالي أسبوع.

شربت عنده القهوة وودعته... وعدت إلى المنزل.

ذهب يزيد للتفتيش على دولاب لسيارته لشرائه، وهو يذهب كل يوم منذ ثلاثة أيام لهذا
الغرض دون جدوى. إنه يريد شراء الدولار بدلاً من دولاب عطب في سيارته الجديدة
المازدا من جراء أحد الحواجز العسكرية التي يضعها الجنود العراقيون بشكل يضيق كثيراً
على حركة السيارات، فاحتك أحد دواليب سيارته بطرف حاجز حاد من الحديد تسبب في
إعطابه.

لا توجد أخبار مهمة اليوم...

من أبرز ما أوردته الأنباء هو اهتمام السعودية وترحيبها بالمبادرات العربية لحل أزمة
الخليج بالطرق السلمية واتخاذ كل الاحتياطات من أجل تجنب اللجوء إلى الحل العسكري،
وإخراج القضية من الطريق المسدود الذي وصلت إليه. وهي تراقب التحركات العربية بهذا

الخصوص، لكنها تنتظر موقف الجانب الآخر (أي العراق) منها، وما إذا كان العراق مستعدًا لإبداء أية مرونة تجاه هذه المبادرات.

ويأتي هذا الاهتمام في وقت نشطت فيه التحركات الدبلوماسية العربية والتي بدأت من المغرب. فقد أوفد الملك الحسن الثاني مستشاره الخاص أحمد رضا غديرة إلى السعودية، ويبدل الملك الحسن مساعي في هذا الاتجاه وبعيدًا عن الأضواء لبلورة حل مغربي للأزمة. ولوحظ أن إيفاد غديرة جاء في وقت لاحق لزيارة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الملك الحسن الثاني قبل يومين، والذي تباحث مع الملك لمدة ساعتين، وتزامن مع تحرك آخر يقوم به مبعوث ليبي هو العقيد مصطفى الخروبي عضو مجلس قيادة الثورة في ليبيا، الذي زار السعودية ونقل رسالة من العقيد القذافي إلى الملك فهد، ثم قام بجولة في دول الخليج العربي.

وكان قد أعلن من قبل أن السعودية تسلمت مقترحات ليبية لحل أزمة الخليج، لكنها لم تذكر أن المقترحات تضمنت اقتراحًا لانسحاب عراقي من الكويت على أن تحتفظ العراق بجزيرتي وربة وبوبيان ومنطقة حقل الرميلة النفطي، وأن تتم بعد ذلك تسوية المشاكل العالقة فيما بين البلدين.

إن ذلك يدل على أن السعودية لم تقفل الباب في وجه الحلول السلمية.

الرئيس السوري قال في خطاب له اليوم إن سوريا سترسل بالمزيد من قواتها إلى منطقة الخليج، بحجة أن «وجود قوات عربية في المنطقة سوف يساعد على إيجاد تسوية لأزمة الخليج». وقد جاء ذلك عشية الزيارة المقررة لوزير الخارجية الأمريكية جيمس بيكر لسوريا!

وكانت سوريا قد أرسلت من قبل حوالي ثلاثة آلاف جندي سوري إلى السعودية وحوالي ست مئة إلى الإمارات.

في المساء زرت وتمام صديقة لنا في منزلها، وقد حضرت وحدها، ووجدت أن بيتها بخير وأن كل شيء على ما هو عليه، فحفظها بمخدوميتها كبير. قالت إن قلقها علينا كان كثيرًا، وكذلك على باقي الأصدقاء، وأن الأخبار تصل إلى الخارج مضخمة وهو أمر طبيعي في مثل هذه الحالات. سرتني أن تقول إن أحد همومها كان خوفها، ليس على سرقة منزلها في هذه الظروف، بقدر ما كان على لوحاتنا المقتناة من تمام ومنى والموجودة في بيتها. وهي كباقي ما في البيت، موجودة وبأحسن حال.

كان شغفي كبيرًا لكي أعرف كيف وفي ماذا يفكر الإخوة في القيادة الفلسطينية، ما هو موقفهم الحالي، إن تغير، من الاحتلال العراقي للكويت، وما هي تصوراتهم لحل هذه الأزمة...

بدأت الحديث بسرد تاريخ الأزمة وأسباب «اضطرار العراق إلى اللجوء إلى غزو الكويت...» وكم من المحاولات جرت من أجل تفادي وقوعها، وأن أبو عمار بذل جهدًا كبيرًا في هذا المجال، من أجل إقناع المسؤولين الكويتيين، وعلى رأسهم أمير البلاد وولي العهد، وأن أبو عمار نقل إلى المسؤولين الكويتيين رسالة، وليس استنتاجًا، من الرئيس العراقي مفادها «أن العراق سيكون مضطرًا إلى اتخاذ إجراءات عملية مخيفة، لا يعرف أحد إلى أين تؤدي بالمنطقة إن لم يقبل الكويتيون بتلبية مطالب العراق، وهي إلغاء الديون، ومنح حق استعمال جزيرة بوبيان بأي صفة كقاعدة عسكرية وميناء للعراق فيها ودفع بدلات عن كميات النفط التي استخرجها الكويت من بئر الرميثة على الحدود الكويتية العراقية، والتوقف عن التلاعب بأسعار النفط دوليًا».

(ويقال إن الأمير عند استقباله أبو عمار لم يعط أبو عمار الفرصة لتبليغ الرسالة، فقد ظل الأمير يتحدث طوال الوقت المحدد للزيارة ودون انقطاع قاصدًا من وراء ذلك أن لا يتيح لأبو عمار الحديث... والله أعلم).

لكن المسؤولين الكويتيين، كما تروي الصديقة، لم يتقبلوا النصيحة، وأن أمير الكويت لم يكن مستعدًا لسماع الرسالة التي كان يسردها أبو عمار في جلسة منفردة تمت بناء على

طلب عرفات.

ويقال إن الشيخ صباح الأحمد، وزير خارجية الكويت قام بدور مهم في تغليب رأيه بعدم قبول المطالب العراقية، وأنه «بمكالمة هاتفية يستطيع أن يستدعي الحماية الأمريكية إلى البلاد».

«اضطرت القوات العراقية، بعد عدم استجابة الكويت للمطالب العراقية، إلى غزو الكويت، متوقعة أن تكون هناك بعض المقاومة العسكرية لإعاقة التقدم العسكري العراقي، فتقف القوات في مناطق يريدتها العراق، أو ربما أكثر قليلاً، فتتدخل الدول العربية لحل الخلاف ولكن بظروف وشروط عراقية أفضل».

«ولمّا كانت المقاومة الكويتية في مواجهة القوات العراقية شبه منعدمة، وجدت القوات العراقية نفسها تدخل الكويت دون عوائق. فاضطرت إلى أن تتصرف وفق الواقع الجديد، واتصلت القيادة العراقية ببعض الشخصيات الكويتية الوطنية بهدف التعاون مع السلطات العراقية، لكنها فشلت في إيجاد أحد للتعاون معها. فلجأت إلى تشكيل ما سمي بالحكومة المؤقتة، والتي لم تقنع أحدًا، فلم تجد العراق أمامها بعد ذلك سوى اللجوء إلى ضم الكويت».

(تذكرت أثناء سردها هذا المقالة الصغيرة التي نشرتها المجلة الألمانية «دير شبيغل» بتاريخ ٢٣/٧/١٩٩٠، والمنوّه عنها سابقًا، والتي قيل فيها إن العراق حشد قواته على الحدود الكويتية لاحتلال الكويت وضم أراضيها إلى العراق).

ثم جرى عرض لما تم في مؤتمر القمة العربي الذي عقد في القاهرة بدعوة من الرئيس حسني مبارك، وكيف أن الأمور لفلت بطريقة لم تتح لأحد أن يعبر عن رأيه ولم تتح الفرصة أمام أية محاولة أخرى لتفادي تعميق الأزمة، واتخذت القرارات التي فرضت بشكل لم يسبق له مثيل، وبأغلبية الأصوات.

وقد أكدت لي الصديقة بأن «موقف منظمة التحرير الفلسطينية تجاه تلك القرارات لم يكن معارضاً بل متحفظاً، لكن الإعلام العربي والغربي متقصداً شوه موقف المنظمة». وأضافت: «يقولون إن ما حدث يمكن اعتباره فرصة لكي تستعيد القضية الفلسطينية مكاناً لها أو مكانتها على الصعيد العالمي، بعد أن بدأ العالم العربي والأجنبي يتناسى أو يتجاهل انتفاضة شعبنا وثورته ومعاناته الطويلة. إن ربط مسألة انسحاب العراق من الكويت بانسحابات متزامنة من مناطق محتلة في الشرق الأوسط، أصبح من الممكن أن يفرض أزمة الشرق الأوسط برمتها على الطاولة الدولية للمفاوضات».

الصديقة التي نقلت إليّ هذه الصورة، هي واحدة من الكوادر العليا في «الثورة الفلسطينية»!

اضطرت الصديقة إلى أن تغادرنا بعد تسلمها مخابرة من بيتها... وتركتني وتمامت نتمتم قائلين: «إن هذا ما تفكر فيه قيادتنا الفلسطينية، وأظنها تفعل ذلك، بدليل ما نسمعه عن مواقف المنظمة، من خلال وسائل الإعلام العالمية، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وعلى قيادتنا الرحمة...».

لقد منح شعبنا البطل بانتفاضته التي دخلت شهرها الرابع والثلاثين أوراقاً رابحة جداً لقيادتنا الفلسطينية، وأتاحت أمامها فرصة كبيرة، دفع شعبنا ثمنها آلاف الشهداء وعشرات الآلاف من المشوهين والمعتقلين والأيتام والأرامل والمشردين ومئات المبعدين و...

لكن قيادتنا لم تعرف ولم تحسن استخدام هذه الأوراق الرابحة لصالح شعبنا ومستقبله.

أولاً، وقبل كل شيء فإن صدام حسين لم يأت على ذكر فلسطين إلا بعد عشرة أيام من احتلاله الكويت... ويبدو أن أحداً ذكّره بها... فركب موجتها!

ثانياً، لماذا يقبل ياسر عرفات أن يقوم بمهمة شنيعة، وهي تبليغ رسالة تهديد وقحة من رئيس دولة عربية شقيقة إلى رئيس دولة شقيقة أخرى؟

ثالثًا، ليس صحيحًا أنه لم يكن بإمكان ياسر عرفات أن يعلن موقفه صريحًا إزاء مؤتمر القمة العربي الطارئ الذي انعقد في القاهرة... وكان بإمكانه التعبير عن رفضه الأسلوب الذي استخدمه حسني مبارك في تسيير أعمال المؤتمر إن كان عرفات غير راضٍ عنه، والانسحاب من المؤتمر وإعلان أسباب انسحابه، وإيضاح موقفه السياسي من الاحتلال العراقي للكويت، أمام مئات الصحفيين المنتظرين خارج مكان انعقاد المؤتمر.

وبالرغم من أن الحديث لم يَطل، وكانت تقطعه مكالمات هاتفية، فإنني أيقنت أن موقف المنظمة خاطئ من حيث المبدأ، فنحن الفلسطينيون ضحايا مقولة «الحق التاريخي» وضحايا الاحتلال بالقوة... وإن موقف قيادة «فتح» كبرى المنظمات الفلسطينية، هو موقف مائع وغير واضح، أو منقسم ومتناقض تجاه احتلال الكويت... إنه كموقف من يمسك بالعصا من الوسط لا من الأطراف! ولا يراد له أن يكون واضحًا ولا صريحًا، وكأن «فتح» تخشى أن تكون الحسابات والمراهنات غير دقيقة، وبالتالي فهي كما لو أنها لا تريد أن «تضع كل بيضاتها في سلة واحدة...».

مواقف قيادات المنظمات الفلسطينية الأخرى عبّر عنها أمناؤها العامون، أمثال: حبش وحواتمه وغوشه وأبو العباس... وهي مواقف متعاطفة ومساندة للنظام العراقي، في «مواجهة العدوان الإمبريالي المتمثل في تدفق القوات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية وغيرها» ونسوا أو تناسوا دواعي هذا الوجود العسكري الأمريكي الغربي الذي حدث نتيجة لاجتياح قوات النظام العراقي للكويت.

قلة من القادة الفلسطينيين عارض احتلال العراق الكويت علانية... وطالب بزواله...

وتساءلت:

ما هو موقف قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من الاحتلال العراقي للكويت؟

ما هو موقف منظماتنا من قضية الرهائن الأجانب في العراق؟

هل تعتقد قيادة المنظمة بأن استعادة الكويت كدولة أمر مشكوك فيه؟

وهل تتصور قيادة المنظمة أن العالم كله، بدوله الكبيرة والصغيرة، الغنية والفقيرة، على خطأ.. وأن صدام حسين هو وحده على صواب؟

هل تتصور القيادة الفلسطينية أن دول العالم ستسحب تهديداتها ضد العراق... وتراجع عن وعودها ومطالبها بضرورة الانسحاب العراقي الفوري من الكويت بدون شروط عودة الشرعية، والإفراج عن الرهائن الغربيين؟

وهل ستعود كل هذه الحشود العسكرية، التي يزداد حجمها يوميًا، إلى البلاد التي أتت منها دون تحقيق ما جاءت من أجله؟

ما هو مصير مصداقية دول العالم المتمثلة في الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي في حال فشلها في تحقيق الأهداف التي جاء من أجلها؟

ما هو مصير مصداقية الدول الكبرى، وبخاصة مصداقية أمريكا التي تترأس هذه الحملة أمام العالم؟

ما هو مصير مصالحها التي جاءت جيوشها من أجل حمايتها، وأنا لست حريصًا على مصالحها، لكنها هي جد حريصة عليها؟

كيف سيكون الحال إن فشلت هذه الحملة العسكرية الضخمة في مستقبل عالم يقول عنه بوش وگورباتشوف، زعيما العالم، إنه سيشهد عهدًا جديدًا... كيف؟

رُبَّ متسائل يسأل: «وماذا عن مصداقية الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ومصداقية أمريكا وكل دول العالم الكبيرة والغنية بخصوص المسألة الفلسطينية؟».

أقول إن هذا موضوع منفصل تمامًا عن موضوع احتلال العراق دولة شقيقة له، هي الكويت، ومن حق أيِّ منا أن يطرح وبقوة مثل هذا السؤال، وأن يطالب بضرورة تطبيق

قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين بنفس القوة التي تستعمل
حاليًا لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت... ولكن دون أن تخلط بين هذه القضية
وتلك...

إن قلقي ليس على مصداقية أمريكا والاتحاد السوفييتي وباقي دول العالم، وليس خوفي
على معاناة الجيوش الأجنبية المتواجدة الآن بكل أسلحتها الحديثة والمعقدة... المدمرة
والفتاكة على الأراضي العربية... لكن خوفي على ما يمكن أن تحدثه هذه الجيوش الأجنبية
بهذه الأسلحة الرهيبة من تدمير لكل ما في هذه المنطقة من إنجازات وثروات عربية،
بالرغم من معرفتنا أن زبدة هذه الثروات يدخل جيوب قلة من أبناء هذه الأمة، وأنها لا
توزع بشيء من العدالة على مستويات معينة.

لكن هذه الأوضاع كانت، رغم كل ما سبق ذكره، تعم مئات الآلاف، بل يمكن أن أقول ملايين من البشر، فلسطينيين وعربًا بشكل عام، وآسيويين وأجانب. فكل شخص كان يعمل في الكويت كان يطعم ويعيل ليس عائلته في الكويت فحسب، بل عائلة أخرى أو أكثر في الخارج.

ونحن كفلسطينيين، الذين أسهمنا بعرقنا ودمائنا، مع إخوة لنا من العرب وأصدقاء من الأجانب، في بناء الكويت، بل منطقة الخليج بشكل عام ومنذ أكثر من أربعين سنة، نعتبر أن رزقنا ورزق أهلنا في فلسطين المحتلة وفي الأردن ولبنان يأتي من هذه المنطقة رغم الإجحاف الذي كان يصيبنا في كثير من حقوقنا الإنسانية، والتي لا مجال للحديث عنها الآن...

نحن نرى أن من حقنا أن نحافظ على مصدر دخلنا الفلسطيني... العام والخاص، بل وتحسين ظروف تحصيله.

أين يذهب عشرات الآلاف من العائلات الذين يحملون وثائق السفر المصرية ممن يعملون في هذا البلد منذ عشرين أو ثلاثين أو أربعين عامًا؟ والكل يعرف أن حَمَلَة هذه الوثائق لا يستطيعون دخول مصر -المصدرة لهذه الوثائق- وأنه من العسير جدًا عليهم الحصول على تأشيرة لدخول أي بلد عربي أو أجنبي في العالم؟

ماذا يمكن للفلسطيني الأردني الجنسية، ابن الضفة الغربية، والذي تجاوز الخمسين أو الستين من عمره، والذي أمضى زهرة شبابه في هذا البلد أو ذاك من بلدان الخليج العربي، ماذا يمكنه أن يعمل في الأردن... الأردن الذي يعاني أزمة اقتصادية خانقة، وحالة بطالة مستشرية؟

أطرح كل هذه الأسئلة وأنا خائف على دمار هذه المنطقة وإحراقها... بسبب تعنت طاغية متعجرف أحمق... لماذا يعرض هذا الجزء المهم من وطننا العربي لمثل هذا الخطر الفظيع

الداهم؟

وعلى أي أساس تتخذ قيادة منظمة التحرير الفلسطينية موقفها المنحاز إلى جانب النظام العراقي المعزول الأخرق؟

لماذا تضحى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بكل أرصدة شعبنا الفلسطيني لدعم نظام ديكتاتوري فاشي قمعي... أرى هزيمته أمام عيني كقرص الشمس لأسباب موضوعية... لماذا؟

(الجمعة ١٤/٩/١٩٩٠) أيقظتني تمام في حوالي التاسعة والنصف صباحًا بهدوء، وأنا أخاف من مثل هذه الطريقة في إيقاظي، ولكن ليس في يدها حيلة، لأنه كان يجب أن توقظني. أيقظتني لتهمس في أذني وتقول إنها أبلغت من قِبَل الجيران والأصدقاء هاتفياً بأن جنوداً من القوات العراقية بدؤوا عملية مسح وتفتيش لمنطقة الجابرية، حياً حياً. ويعتقد بأن الهدف، وأنا أكتب الآن قبل حضورهم إلى بيتنا، هو البحث عن أجانِب مختبئين، أو ربما عن أشخاص مشتبه بهم أو مطلوبين، وربما عن أسلحة. إنه لأمر طبيعي لأي جيش محتل أن يقوم بمثل هذه الأعمال.

يزيد ذهب إلى منزله خشية أن يداهموه، أو يدخلوه عنوة، عندما يجدون أن البيت خالٍ من سكانه، وذلك من أجل نفس الأهداف المذكورة سابقاً.

اتصلنا ببيت الشقيق جمال، فردت ليمس قائلة إن جمال ذهب إلى منطقة الرميثية صباحاً واشترى من هناك بعض المأكولات، عنب وخيار وباذنجان، نعمة... وأنه الآن فوق السطح يغذي حمامتين عنده... اكتفاء ذاتي! قالت إنه ومنذ الصباح، فوجئت بحاجز عسكري عراقي بالطبع عند مدخل بيتهم، يفتش كل مارٍ من هناك، وأنها علمت بأمر دخول المنازل وتفتيشها.

ونحن اليوم على موعد لتناول الغداء مع الأصدقاء (العزب) مؤقتًا وهم عبد القادر وحاتم والدكتور محمد، ولا أدري في مثل هذه الظروف هل سيتم اللقاء أم لا. إن الطرق في الجابرية شبه مقطوعة، والوصول إلينا يبدو أنه لن يكون ميسرًا اليوم... لا حول ولا قوة إلا بالله...

لقد جرى تفتيش العديد من البيوت في المنطقة، لكن فرّق الجنود الذين يقومون بهذه المهمة لم يتمكنوا من إنهاء هذه المهمة في يوم واحد... فنحن مثلًا وجيراننا لم نتعرض لمثل هذه الإجراءات... والحمد لله.

الصديقة إنعام العلمي الناشف، وهي جارة لنا في الحي لكنها بعيدة نسبيًا، طلب منها الجنود العراقيون دخول البيت وتفتيشه، وهي وحيدة في البيت، فقالت لهم: أنا وحدي في البيت، ولا أسمح لأحد بدخول البيت وأنا بمفردي، وإن كنتم تقبلون أن تتعرض شقيقة لأحدكم لمثل هذه التجربة فلتتفضلوا... وأنا لا أملك شيئًا مما تبحثون عنه في بيتي، فلم يدخلوا منزلها وانصرفوا.

ما توقعناه بسبب الحظر المفروض على منطقة الجابرية حدث، فاعتذر الصديقان عبد القادر وحاتم عن الحضور لعدم تمكنهم من دخول المنطقة، أما الدكتور فقد حضر.

كما تناولنا الأحاديث عن العمل في مستشفى «الهادي»، وكيف استطاع الدكتور محمد تسيير أمور المستشفى على عاتقه ومسؤوليته، وقصص كثيرة عن أجور العلاج وتخفيضها، وأنه يترك أحيانًا الخيار للمريض أن يدفع ما يستطيعه، ليس من أجل زيادة دخل آل الميلم أصحاب المستشفى، بل من أجل التمكن من الاستمرار في تقديم العون الصحي إلى الناس، كل الناس. وعن الأدوية، وما هو مخزن في مخازن وزارة الصحة، وكيفية الحصول على كميات منه لتسيير أمور الناس، لأن الأدوية لم تعد ترد إلى الكويت بسبب المقاطعة الاقتصادية للعراق. وتحدث عن الدفع بالدينار الكويتي أو العراقي، ومحاولة التلاعب بهذا الموضوع من قبل بعض ضعاف النفوس، فقد حدثت بعض المحاولات، لكنها ضبطت بسرعة.

الصديق عبد القادر فاجاني باتصاله الهاتفي مساء يوم أمس، من أين؟ لقد اتصل بي من الأحمدى، أو «النداء» كما سميت من قبل السلطات العراقية بعد الاجتياح... لقد عادت الحياة إلى خطوط الهاتف بين الكويت والأحمدى بعد انقطاعها منذ الاحتلال العراقي للكويت. فقد حاولت الاتصال بعبد القادر بعد اتصاله بي لمعرفة ما إذا كان الاتصال من جهتنا ميسر... فلم يكن كذلك.

أحاطني عبد القادر علمًا بأن هناك أخبارًا تقول إن على كل سيارة كويتية أن تستبدل لوحاتها خلال فترة زمنية معينة - يمكن أسبوع - وإلا تعرضت أية سيارة تخالف هذا الأمر للمصادرة. وأن هناك تهديدًا من قبل رجال المقاومة الكويتية بأن كل سيارة تستبدل بلوحاتها الكويتية عراقية سوف تتعرض لإطلاق الرصاص عليها أو إحراقها... فماذا عسانا أن نفعل؟

كان الصديق وليد الدجاني، وهو أيضا «عزابي» مؤقت، عند عبد فتحدثنا عن بلح نخلتنا الذي أكل منه عن طريق عبد، وهو «مغيوظ» لنجاح مزروعاتنا وشجيرائنا، وكيف أنه يحاول في حديقة بيته، التي تبلغ مساحتها أضعاف مساحة الأحواض التي زرعها وأزرعها في بيتنا، إلا أن مزروعاته لا تلاقي النجاح الذي يحصل عندنا. فقال مازحًا: الآن أنا مسرور جدًا لأن نخلتك اليتيمة والمثمرة «رطبًا جنياً» أصبحت الآن وبعد «عودة الفرع إلى الأصل» واحدة من ثلاثة وثلاثين مليون شجرة نخيل، إن لم يكن أكثر، وليس واحدة من ألفين أو ثلاثة آلاف شجرة نخيل في الكويت.

أما الأخبار السياسية فهناك جملة أخبار لكنها ليست ذات أهمية كبيرة. هناك برقية من أبناء الجالية الفلسطينية في السعودية أرسلت إلى الملك فهد تعبر عن تأييد الجالية للسعودية، وقد رد الملك فهد على البرقية شاكرًا ومؤكداً على أن موقف السعودية من القضية الفلسطينية ومن الشعب الفلسطيني لم ولن يتغير.

اليابان، ونتيجة للهجوم الأمريكي الذي تعرضت له اليابان من قبل أعضاء الكونغرس الأمريكي، قررت اليوم زيادة حجم مساعداتها لكي يصل إلى أربعة مليارات دولار دعمًا

للمجهود العسكري المحتشد في منطقة الخليج. من هذه المليارات جزء سيذهب إلى الدول المتضررة من جراء الأزمة، وأخرى على شكل معدات وطائرات وناقلات وسفن حربية ومعدات طبية...

حاملة الطائرات «جون كنيدي» الأمريكية عبرت اليوم، ترافقها خمس سفن حربية، قناة السويس في طريقها إلى الخليج. وبهذا يصل عدد السفن البحرية الأمريكية إلى ٤٥ سفينة عسكرية...

بريطانيا أعلنت اليوم رسمياً أنها قررت إرسال فرقة مدرعة من قواتها إلى منطقة الخليج، ويبلغ عدد أفراد العاملين فيها أكثر من ستة آلاف جندي.

الرئيس السوري حافظ الأسد استقبل جيمس بيكر اليوم لمدة أربع ساعات، وكانت نتائج الاجتماع، كما قال بيكر صريحة وودية.

الأمم المتحدة وافقت بأغلبية الأصوات (امتنعت اليمن وكوبا عن التصويت) على قرار لإرسال مساعدات إنسانية من الطعام إلى الكويت والعراق، على أن تتولى الهيئات الدولية توزيعها على المحتاجين من الأجانب، وبخاصة الهنود، المحتجزون في هذه المنطقة.

القوات العراقية، التي طوقت اليوم منطقة الجابرية، اقتحمت منزل السفير الفرنسي واعتقلت الملحق العسكري الفرنسي ومعه ثلاثة من الفرنسيين العاملين في الكويت. كما اقتحمت منازل سفراء كندا وهولندا وبلجيكا واعتقلت من فيها. بعد عدة ساعات أفرج عن الدبلوماسيين، لكن غير الدبلوماسيين تم احتجازهم ونقلهم إلى جهات مجهولة.

لقد أثارت عمليات الاقتحام هذه ردود فعل غاضبة في كثير من بلدان العالم، فالرئيس الفرنسي ميتران استنكر هذه الأعمال بشدة وهدد بأن فرنسا لن تسكت على مثل هذه الإجراءات، وسترد عليها!

(السبت ١٥/٩/١٩٩٠) استيقظت في حوالي العاشرة صباحًا، فلقد أويت إلى الفراش في الليلة الفائتة في حوالي الساعة الثالثة فجرًا، وهكذا أفعل في معظم الليالي، إذ أحيانًا أستمع إلى أذان الفجر قبل أن أنام. وجرت العادة في الأسابيع الأخيرة أن آتي إلى هذا «الكومبيوتر» لأكتب عليه بعد أن يكون الجميع قد ذهب للنوم باستثناء ابننا بلال. أي بعد أن نكون قد أنهينا لعب «الورق» لتمضية الوقت وإشغال الشباب معي في مباريات «الطرنيب» وتكون تمام قد أنهت كتاباتها عن ذكرياتها... وفي العادة يكون الوقت بعد الواحدة ليلاً. أجد في مثل هذا الوقت فرصة أفضل للكتابة وتلخيص أحداث اليوم على الصعيد العام.

أما بلال فهو لا ينام قبل الرابعة أو الخامسة صباحًا، فيحدث صديقه وتحدثه عن الحب والحياة والمستقبل، يهمسان إلى أن يرهقهما النعاس... وهو يعوض ذلك بالنوم حتى ظهر اليوم أو بعد ظهر اليوم التالي.

منطقة الجابرية التي كانت أمس محاصرة بسبب «تمشيطها» بحثًا عن الأجانب والمسلحين والأسلحة، وقد توقعنا أن تستمر عملية التمشيط اليوم أيضًا لأن «الممشطين» لم يتمكنوا من إنهاء المهمة... فهناك بيوت كثيرة لم يتم تفتيشها، منها بيتنا وبيت جمال ويزيد وكثيرين آخرين. لكن يبدو أن الهدف كان البحث عن أماكن معينة وأشخاص وعناوين معينة، ويشير الوضع إلى أن المهمة انتهت، وأن الجابرية اليوم لا تخضع للحصار... هذا على الرغم من أنني على ثقة بأن عدم اكتمال عملية التمشيط سببه الأساسي هو التخلف في الإدارة... والذي أصبح مظهرًا لتصرفات المحتلين...

زارتنا الصديقة والزميلة ثريا البقصي حيث بقيت معنا لمدة حوالي الساعتين استعرضنا خلالها الأوضاع، لا حديث للناس سوى الأوضاع الحاضرة... وما آلت إليه الأمور... وإلى متى...؟

حدثني عن «المرسم الحر» وأنه دُوهم وأن «الجنود الأشاوس» حطموا ودمروا الكثير من محتوياته من تماثيل ولوحات فنية وأدوات... وأجهزة كهربائية للأعمال الفنية... وغيرها... لماذا...؟

يقال إن هناك شبه إعلان مكتوب يوزع في الجمعيات ينذر أصحاب المحال بضرورة افتتاح محلاتهم خلال فترة لا تتجاوز يوم ١٦/٩/١٩٩٠ وإلا تعرضت للمصادرة!

يزيد وبشار ذهبا لزيارة صديقين ألمانيين مختبئين في مكان ما من الكويت، وأخذا لهما بعضًا من المواد الغذائية.

لم أستمع حتى الآن إلى أية أخبار، وتبدو الأخبار وكأنها راكدة أو غير مهمة كثيرًا أو متكررة.

أهم هذه الأخبار هي رد فعل فرنسا على اقتحام القوات العراقية منزل السفير الفرنسي في الكويت واعتقال أربعة فرنسيين منهم الملحق العسكري الفرنسي، فقد قررت الحكومة الفرنسية طرد أحد عشر موظفًا من العاملين في السفارة العراقية بباريس وحوالي أربعين عراقيًا ممن تعتبرهم السلطات الفرنسية «عملاء» للسفارة العراقية في فرنسا، أو أنهم من المبعوثين العسكريين العراقيين الذين كانوا يتدربون في فرنسا... هذا إضافة إلى تحديد المجال الجغرافي لتحرك أعضاء السفارة العراقية المتبقين بباريس في دائرة قطرها ثلاثين كيلومترًا.

كما قررت فرنسا إرسال قوة مؤلفة مما يزيد على أربعة آلاف رجل مع كامل معداتها العسكرية الجوية والبرية إلى السعودية (من بينهم ألف رجل هم أعضاء القوات الخارجية، وهي قوات مدربة على القيام بأخطر العمليات الحربية).

كما طلبت فرنسا من مجلس الأمن الدولي الاجتماع للبحث ولإدانة خرق العراق الأعراف والمواثيق الدولية بعملية اقتحام القوات العراقية السفارة الفرنسية في الكويت المذكورة سابقًا.

العراق رد على الإجراءات الفرنسية بقوله إن فرنسا تبحث عن ذريعة لتصعيد الموقف. وقال متحدث باسم العراق إن فرنسا تحاول تبرير سياستها الاستعمارية والمرتبطة

بالسياسة الأمريكية.

التليفزيون العراقي نقل وقائع الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العربي الشعبي الذي عقد في الأردن تحت رعاية الملك حسين تضامناً مع العراق. وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون عن أحزاب ومنظمات وهيئات عربية أتت من حوالي اثنتي عشرة دولة عربية. الملك حسين لم يحضر جلسة الافتتاح كما كان متوقعاً، بل أناب عنه سليمان عرار رئيس مجلس النواب في الأردن.

(الاثنين ١٧/٩/١٩٩٠) أمس الأحد استيقظت مريضاً، ولم أتمكن من القيام بأي عمل، فقد كنت أشعر بالوجع منتشرًا في جميع أنحاء جسمي. أمضيت معظم الوقت نائمًا، وفي المساء حضرت الدكتوراة أروى الشاعر أفيوني -بناء على مكالمة من تمام دون علمي- ووصفت لي بعض الأدوية، خاصة بعد أن اتضح ارتفاع درجة الحرارة إلى ٣٨ درجة.

علمت أن الجنود العراقيين عادوا من جديد لتفتيش المنازل في مختلف أحياء الجابية، فمروا على منزل عدنان أبو خضرا، حيث كانت فيه زوجته، ومنازل أخرى كمنزل عمر البشتلي زوج ابنة عمتي إنعام... قالت ابنة عمتي إن الجنود العراقيين حاولوا بالحاح الاستيلاء على آلة تصوير فيديو، لكنهم لم يفلحوا في ذلك!

يزيد ذهب إلى بيته خشية حضور العراقيين للتفتيش، لكنهم لم يأتوه، ولم يدخلوا بيتنا أيضًا... ولا حتى حيننا من أجل هذا الغرض.

من أهم الأخبار العائلية هو وصول ابن العم أبو زكي وزوجته من مصر فجر يوم أمس الأحد.

يقول أبو زكي إنه لم يستطع البقاء في مصر بعدما قامت حملة إعلامية هوجاء ضد الفلسطينيين رسميًا وشعبيًا. وقال إن الاستثناء الوحيد والذي وقف يدافع عن الفلسطينيين في هذه الحملة المسعورة كانت مواقف المعارضة المصرية.

ويضيف أنه وحوالي ستين فردًا فلسطينيًا من الرجال وعائلاتهم تمكنوا من الحصول على تأشيرة لعبور الأردن ولدخول العراق بعد جهد جهيد، وكانت طريقهم من القاهرة إلى عمّان بالطائرة، ثم بسيارتي نقل للركاب إلى الحدود الأردنية العراقية ومن ثم إلى الكويت. وأن الرحلة لم تكن متعبة نسبيًا، لكن معاناتهم الكبيرة كانت من جراء الحملة المفرضة التي لاقوها في مصر.

أهم أخبار الأحد:

مجلس الأمن الدولي انعقد في الليلة الماضية بناء على طلب فرنسا ووافق بالإجماع على قرار يندد بأعمال العنف التي ارتكبتها الجنود العراقيون داخل بيوت عدد من السفارات الغربية في الكويت.

مصر أعلنت أنها سوف ترسل قوة جديدة من الجيش المصري يبلغ تعدادها خمسة عشر ألف جندي لينضموا إلى القوة المصرية التي كانت قد أرسلت من قبل وتعدادها خمسة آلاف رجل. وأعلن أنها سوف توضع في منطقة «حفر الباطن» في السعودية.

العراق اعترض على اشتراط إرسال مواد غذائية وطبية إلى العراق لتوزع بإشراف الصليب الأحمر الدولي على المحتاجين من الرعايا الأجانب المحتجزين في الكويت والعراق. وقال متحدث باسم العراق إما أن ترسل هذه المواد دون شروط وإما أن لا ترسل بالمرّة.

فتح حرس الحدود العراقيون طريقًا، كان مقفلاً بعيد الاجتياح، مؤديًا إلى السعودية من الكويت عبر منطقة الخفجة، وتدفق عبره آلاف الكويتيين، لكن فتح الطريق لم يعلن رسميًا، إلا أن خبر فتحه انتشر في الأوساط الكويتية بسرعة كبيرة. وتقول الأخبار إن الجنود العراقيين أخذوا من الكويتيين كافة المستندات التي كانوا يحملونها، كجوازات السفر والبطاقة المدنية ورخص القيادة وهوية الجنسية وغيرها من المستندات.

أعلن القائد العام لسلاح الجو الأمريكي الجنرال مايكل ديوغان في تصريح لجريدة الواشنطن بوست الأمريكية بأن السلاح الجوي سيقوم بدور أساسي في المعركة إذا ما نشبت الحرب، وأن الطائرات ستقوم بغارات مكثفة على العراق وستستهدف المراكز الإستراتيجية المهمة في العراق، وعلى الأخص في بغداد.

وقد ردت العراق على ذلك بأنها لن تسمح بذلك، وأن القوات العراقية ستقوم بتدمير القواعد الجوية الأمريكية في السعودية!

وصل أمس وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل إلى موسكو، حيث استقبله وزير الخارجية السوفييتي شيفرنادزه. هدف الزيارة، كما كان متوقعًا وهو بدء صفحة جديدة من العلاقات بين البلدين وإعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة منذ حوالي خمسين عامًا. اتفق الطرفان على ذلك، وأعلن بيان صدر في هذا الشأن بدء هذه العلاقات. ومن الجدير بالذكر أن الرئيس السوفييتي غورباتشوف استقبل اليوم الوزير السعودي وتبادل معه الآراء حول أزمة الخليج.

ألمانيا الغربية، ونتيجة للمساعي والضغط الأمريكية، قررت أن تسهم بأكثر من ألفي مليون دولار للمساعدة في تحمل تكاليف القوات الدولية في الخليج. وستنال كل من مصر والأردن وتركيا جزءًا من هذه المساعدات. بذلك تبلغ قيمة المساعدات التي تعهدت بعض الدول القادرة بدفعها، كإسهام منها في عملية إجبار العراق على الانسحاب من الكويت، إلى نحو عشرين بليون (مليار) دولار (١٢ بليون من السعودية والكويت والإمارات و٤ بليون من اليابان..).

الرئيس الجزائري الأسبق والزعيم أحمد بن بيلاقام بزيارة العراق، واجتمع مع الرئيس صدام حسين، معربًا عن تأييده وتضامنه مع مواقف العراق. وقد قيل إن الزعيم الجزائري المذكور توسط لدى الرئيس صدام للإفراج عن عدد من الرهائن الفرنسيين من كبار السن ومن المرضى، وأن طلبه قد استجيب.

توجه بن بيلا بعد ذلك إلى الأردن حيث استقبله الملك حسين، وأكد بن بيلا على ضرورة إيجاد حل عربي لأزمة الخليج.

أهم أخبار اليوم الاثنين تمحورت حول قضية إبعاد فرنسا للعراقيين الموجودين في فرنسا من الدبلوماسيين والعسكريين الذين يتدربون فيها وغيرهم. فقد أعلن أن ٢٩ من هؤلاء سوف ينقلون اليوم على طائرة فرنسية خاصة إلى عمّان بالأردن.

بث التلفزيون العراقي الليلة رسالة الرئيس الأمريكي المتلفزة والموجهة إلى الشعب العراقي، وقد بثت كاملة دون أية عمليات حذف. لكن تعليقًا عراقيًا شديد اللهجة تبع الرسالة.

ملخص ما قاله بوش هو تحذيره من مخاطر المواجهة العسكرية على العراق إذا ما أصرَّ الرئيس العراقي على عدم الانسحاب من الكويت سلميًا. وقال إن أحدًا لا يريد الحرب، لكن إذا كان لا بد منها في مواجهة العدوان فلا مجال عندئذ للتردد في اتخاذ القرار الصعب، أي الخيار العسكري الذي ينبغي علينا أن نسلكه. وقد استشهد بوش بقول للرئيس العراقي في يوليو ١٩٨٨ الذي جاء فيه ما معناه أنه لا يجوز لدولة عربية أن تغزو دولة عربية أخرى وإلا فإن الله لن يغفر له ذلك، وإن حدث ذلك من قبل العراق، لا سمح الله، فإنه من حق الجيوش العربية أن تحتشد لردعه.

التعليق العراقي اتهم الرئيس الأمريكي بالكذب وبتشويه الحقائق، وأنه لا رجوع عن ضم الكويت إلى العراق. وتبع ذلك قيام مظاهرات حاشدة في شوارع بغداد نقلها التلفزيون العراقي ضد بوش ورسائله، امتد نقل التظاهرة على شاشة التلفزيون العراقي طوال السهرة.

هناك تصريحات بريطانية وأمريكية تتردد في الآونة الأخيرة مفادها أن وجود رهائن غربيين لدى العراق يجب أن لا يكون سببًا لتجنب الخيار العسكري إذا ما دعت الضرورة إليه.

بعد أن فتح العراقيون منفذًا في الحدود الكويتية السعودية، قرر عدد من الأصدقاء الكويتيين، السفر مع عائلاتهم إلى السعودية... ومنها إلى دول أخرى... منهم عامر ومي وأولادهما، ومنية وأولادها، وفؤاد، وغيرهم.

وفي هذا الوقت الذي غادر فيه الكويتيون بلدهم بسبب الاحتلال العراقي، عاد بعض الفلسطينيين إلى بيوتهم في الكويت.

قدرت الأخبار أن عدد الذين خرجوا من الكويتيين عبر هذا المنفذ حتى الآن أكثر من ستة آلاف شخص، أو عائلة (لم تتضح المعلومات عن ذلك) إلا أن أخبار التلفزيون وصوره أوضحت اكتظاظًا غير عادي من السيارات المحشوة بالنساء والأطفال والرجال ومحملة بالحقائب، لا يمكن مشاهدة نهاية طابور السيارات المحتشدة... عند حدود السعودية.

آخر أخبار اليوم الاثنين هو أن مجموعة الدول الأوروبية الاثنتي عشرة اتخذت قرارًا يقضي بأن تحذو هذه الدول حذو فرنسا في إبعاد عدد من الدبلوماسيين العراقيين أو العاملين معهم من الدول الأوروبية، وتحديد مجال تحركات باقي الدبلوماسيين في أماكن عملهم. وكانت بريطانيا ثم إيطاليا قد اتخذتا خطوات منفردة مماثلة لما اتخذته فرنسا من إجراءات في هذا الصدد قبل اجتماع وزراء خارجية الدول الأوروبية.

نقلت الأخبار أنباء مفادها أن الملك حسين التقى اليوم جورج حبش ونايف حواتمة، كلاً على حدة، وهذه هي المرة الأولى التي يزور فيها كل من حبش وحواتمة الأردن بعد خروجهما منه عام ١٩٧٠.

في فلسطين المحتلة، التي أصبحت أخبارها تزداع -إن كان هناك متسع لها- في آخر نشرات الأخبار، أعلن إضراب ليومين إحياءً لذكرى ضحايا مذبحة صبرا وشاتيلا...

بدأت إسرائيل محاولة ابتزاز الأوضاع المستجدة، خاصة بعد أن ذكرت الأنباء أن السعودية طلبت شراء معدات عسكرية بقيمة بليونين دولار... فبدأت إسرائيل تطلب من أمريكا

تزويدها بصواريخ أرض جو مضادة للصواريخ وغيرها من الأسلحة. وقد طار موشي أرينز وزير خارجية إسرائيل إلى أمريكا من أجل هذا الهدف.

من اللافت للنظر أن صوت إسرائيل قد خفت في خضم هذه الأزمة، وكأن تعليمات قد أعطيت لها بعدم زج أنفسها في هذه المسألة الخليجية الحساسة.

يوسف إبراهيم، مراسل النيويورك تايمز في باريس، قال في مقابلة مع إذاعة لندن ما مفاده أن منطقة الشرق الأوسط دخلت مرحلة خطيرة جدًا في تاريخها منذ اجتياح القوات العراقية الكويت ربما تسفر عن تغييرات في خارطتها سياسيًا وجغرافيًا واقتصاديًا.

(الثلاثاء ١٨/٩/١٩٩٠) أعلنت باكستان اليوم عن قرارها سحب دبلوماسييها من الكويت تحت عامل الخوف من أن يؤدي بقاء سفارتها مفتوحة إلى التسبب في مشاكل كثيرة لرعاياها المتبقين في الكويت والذين يبلغ تعدادهم حوالي أربعين ألفًا.

ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن العراق استولى على عشر طائرات تابعة للخطوط الجوية الكويتية... وضمها إلى الخطوط الجوية العراقية، وأضافت تقول إن مدير الشركة العراقية حمادي قال إن هناك عشر طائرات أخرى للكويت كانت خارج الكويت، إبان الاستيلاء على الكويت، وأن العراق ينوي أن يمتلك هذه الطائرات العشر الأخرى ليصبح لدى العراق أكبر أسطول نقل مدني جوي في الشرق الأوسط.

وصل ياسر عرفات إلى الأردن في ثاني زيارة له خلال أقل من أسبوع وذلك لإجراء محادثات مع الملك حسين حول أزمة الخليج، والاستمرار في البحث من أجل إيجاد حل سلمي عربي للأزمة.

وذكرت إذاعة لندن اليوم أن «الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية اتخذتا موقفًا متوازنًا من النزاع في الخليج، بحيث أكدا رفضهما الاحتلال العراقي للكويت مع رفضهما التدخل والحشد العسكري في المنطقة».

هناك حديث حول طلب اتخاذ مزيد من الإجراءات لتشديد الحصار على العراق، وذلك بطلب فرض الحصار الجوي رغم صعوبة تنفيذ مثل هذا الإجراء.

وفي الوقت الذي تنشر فيه السلطات الكويتية في المنفى صورة عن الأوضاع «الصعبة والمتردية واللاإنسانية» في الكويت تذيع بغداد وتعلن أن «الوضع مستقر في الكويت وأن الأمن مستتب». وقال محافظ الكويت الجديد وهو علي حسن المجيد(1): «إن السلطات العراقية تعمل بجهد غير عادي، وأنها نقلت أعدادًا كبيرة من العمال العراقيين إلى الكويت، للقيام بأعمال كثيرة كان يقوم بها من هجر الكويت من العمال العرب والأجانب...».

في هذه الأثناء تتدفق موجات الهجرة اليهودية السوفييتية على فلسطين. فالمعلومات والمصادر تقول إن أكثر من تسعين ألف مهاجر من هؤلاء قد وصلوا إسرائيل منذ مطلع هذا العام، وأنه يتوقع أن يصل العدد إلى مئتي ألف مع نهاية هذه السنة. كما تذكر هذه المصادر أن حوالي ثماني مئة ألف يهودي سيصلون إسرائيل في السنة القادمة! وأن مليونًا آخرين سيصلون في خلال الفترة حتى عام ١٩٩٥! وستتبعهم موجات أخرى من أمريكا اللاتينية وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية!

من أخبار الليلة في تعليق رسمي سعودي على تصريحات بسام أبو شريف المتعلقة بتفاؤل المنظمة بحل الأزمة سلميًا في الإطار العربي نتيجة لمبادرة تشارك فيها المنظمة، إذ قالت السعودية إنها لا علم لها بمثل هذه المبادرات، وأنها - أي السعودية - لن تتعامل إلا مع مبادرات عربية تنطلق من جامعة الدول العربية.

وخبر آخر مصدره تصريح لمسؤول كويتي، لم يرغب في إعلان اسمه، صدر في قطر وبث الخبر تليفزيون السعودية يستهجن فيه تصريحًا لمسؤول فلسطيني عما يعاينه الفلسطينيون على أيدي الكويتيين في الكويت. وقال المسؤول الكويتي إنه لا يوجد أحد من المسؤولين الكويتيين في الكويت لكي تتهم الكويت بمثل هذه التهم، وأن الكويتيين والفلسطينيين يعيشون معًا ويعانون معًا، وأنه لا ريب في أن الذي يقوم بمثل هذه الأعمال لا بد وأن يكون من العراقيين أو من عملائهم.

نقلت شاشات التلفزيون صورًا عن الفارين من الكويتيين إلى السعودية، وقيل إن ما يزيد على ثمانية آلاف كويتي دخلوا المملكة حتى الآن. لكن الأخبار قالت إن الحدود أعيد إغلاقها. وقد ظهرت هند كما ظهر دياب من ضمن هؤلاء.

عقد وزير الخارجية السعودي مؤتمراً صحفياً في موسكو إثر زيارته التاريخية للاتحاد السوفييتي التي أسفرت عن إعادة العلاقات الدبلوماسية فيما بين البلدين، قال فيه إنه يرحب بقدوم قوات سوفييتية إذا ما قرر الاتحاد السوفييتي إرسالها للمشاركة في القوات المشتركة، وكرر أنه والاتحاد السوفييتي يأملان في حل سلمي لأزمة الخليج. وقال: «إن الحرب ليست على وشك الاندلاع، بل هي اندلعت فعلاً...».

ونقلت أخبار آخر الليل أن الاتحاد السوفييتي وافق على تقديم إحدى سفنه الكبيرة إلى أمريكا لاستعمالها في نقل القوات الأمريكية إلى منطقة الصراع. وأنه يبحث في موضوع إغارة عدد من طائراته الضخمة «أنتونوف» إلى أمريكا لنفس الغرض.

هناك تحركٌ تجاه إيران من قبل السوفييت والسوريين وغيرهم بهدف قطع الطرق على محاولات العراق تحسين علاقاته مع إيران وتطبيع العلاقات فيما بينهما، وبالتالي فتح ثغرة في الحصار المفروض على العراق.

من هذه المحاولات زيارة الرئيس السوري إلى إيران يوم السبت القادم، هي الزيارة الأولى التي يقوم بها منذ قيام الجمهورية الإيرانية.

لكن إيران حتى الآن تقول بضرورة انسحاب العراق من الكويت، وتطالب في الوقت نفسه بضرورة انسحاب القوات الأمريكية من المنطقة، وأنه لا يجوز إحداث أي تغييرات في خارطة المنطقة الجغرافية.

الملك الحسن الثاني دعا كلاً من الملك حسين والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد إلى اجتماع في الرباط غداً الأربعاء لبحث نفس الموضوع. ويأتي ذلك بعد اجتماع عرفات مع

صدام حسين في بغداد ومع الملك حسين في عمان، وقبلهما اجتماع لعرفات مع الملك الحسن الثاني قبل حوالي أسبوع.

ويبدو أن هناك توجهاً نحو تشكيل لجنة من بعض الزعماء العرب يتوجهون إلى بغداد للتوصل مع القيادة العراقية إلى حل سلمي عربي للأزمة.

عرفات عقد اجتماعاً مع عدد المسؤولين الفلسطينيين، منهم حبش وحواتمة وآخرين، كانت أزمة الخليج على رأس جدول أعمال هذا الاجتماع. جورج حبش صرح بأن مقر قيادته في دمشق ولن ينقله إلى أي مكان آخر في الوقت الحالي.

أقالت الإدارة الأمريكية الجنرال مايكل دوغان قائد القوات الجوية الأمريكية وذلك بسبب تصريحاته غير المسؤولة التي أدلى بها قبل يومين.

الحكومة الأمريكية عبرت عن استيائها من احتضان الأردن مؤتمراً شعبياً عربياً تضامنياً مع «الإرهاب»، ومن استقبالها كلاً من حبش وحواتمة. وطالب مساعد وزير الخارجية الأمريكية «كيلى» بأن تعلن الأردن صراحة شجبها ومعارضتها احتلال العراق الكويت، قائلاً إن هذا ما ذكره الملك حسين وصرح به للإدارة الأمريكية، لكنه لم يعلنه صراحة حتى اليوم.

اجتمع في فرنسا وزراء دفاع الدول الأوروبية التسع التي أرسلت قوات أو معدات لها إلى منطقة الخليج، وذلك من أجل التنسيق فيما بينهم.

(الأربعاء ١٩/٩/١٩٩٠) ذهبْتُ ويزيد وبشار بسيارة يزيد إلى المدينة، فأنا منذ مدة لم أزر قلب المدينة وأتعرّف وضعها الحالي. آخر مرة كنت زرتها كانت منذ أكثر من أسبوعين. رحنا عن طريق الدائري الخامس، ثم شارع المغرب السريع ثم إلى دوار الشيراتون، حيث شاهدنا إقامة نصب مؤلف من ثلاثة أقواس تشاهد من الجهتين لرسم صورة صدام حسين عليه، كما شاهدنا دخاناً في شارع فهد السالم الذي تغير اسمه، وبدأت أمامنا بناية الخطوط

الجوية الكويتية المؤلفة من حوالي عشرة طوابق، نصفها العلوي محترق تمامًا ولونه أسود قاتم.

السوق ما تزال مغلقة، والمحال خالية من محتوياتها كما شاهدتها في المرة السابقة، ومعظم المتواجدين هناك هم جنود عراقيون (من أفراد الجيش الرسمي والجيش الشعبي) وبعض الهنود أو الآسيويين... صور صدام الكبيرة علقت في الميادين الرئيسية وعلى مباني الدولة، وصور له مطبوعة موزعة وملصقة على كثير من الواجهات والمحال في معظم أنحاء المدينة. وفي طريقنا إلى مبنى الاتصالات مررنا بعمارة سوق «الوطنية» فوجدناه يحترق...

وصلنا إلى مبنى الاتصالات، قرب البرج الضخم الذي لم ينته بناؤه بعد، بقيت في السيارة إلى أن عاد يزيد وبشار سريعًا وقال إنه بالإمكان إرسال البرقيات عن طريق بريد حولي. ذهبنا عبر شارع الرياض ثم الدائري الرابع ثم شارع المغرب فشارع بيروت إلى أن وصلنا مبنى بريد حولي.

دخلنا ثلاثتنا، ووجدنا فيه عددًا كبيرًا من العاملين في البريد، وتأكدنا أن إرسال البرقيات ممكن، وأن قسم صناديق البريد مفتوح، لكن مفتاح صندوقنا لم يكن معنا، فلم نكن نتوقع أن يكون هذا القسم مفتوحًا، وكتب يزيد برقيته بالألمانية وقدمها إلى أحد العاملين، فردها إليه قائلاً: نقلها مكتوبة بالإنجليزية فقط إضافة إلى العربية. أعاد يزيد كتابة البرقية لزوجته، بالإنجليزية، ليهنئها بعيد ميلادها ويطمئنها عنه وعنا. معظم العاملين في البريد هم من غير الكويتيين، باستثناء واحد بلباس كويتي، أظنه كويتيًا من طريقة إتقان لباسه وكان عند المدخل عدد من الجنود العراقيين وآخرون مدنيون (رجال مخابرات) في الداخل يتجولون وعيونهم تتحرك بعصبية تدل على قلقهم من حركة الناس في داخل المبنى بشكل عام. إن جهاز الفحص الإلكتروني الموجود عند المدخل، والذي يفحص ما يحمله المرء من حقائب أو طرود، ما يزال موجودًا ويعمل. طلب الموظف ثمانية دنانير عراقية ونصفًا، أجرة لإرسال البرقية، أعطاه يزيد عشرة عراقية، فقال الموظف إنه لا يملك

الفكة، فقال له يزيد: لا بأس... حاول الموظف أن يسأل زملاءه ولكن دون جدوى، فاحتفظ بال عشرة.

حرب الشعارات المكتوبة على الجدران بدأت منذ مدة، ولكنها اليوم بارزة تمامًا. فالشوارع والجدران ملأى بها. هذا شعار ضد العراق مشطوب وفوقه أو إلى جانبه شعار آخر مناقض له، أو شعار مع الكويت مغطى بكتابة تقول عكس ذلك...

أمضيت بعض الوقت مساء مع يزيد وجيرانه، في باحة المبنى الذي يسكنه يزيد حيث يجتمع الرجال من سكان البناية بحضور صاحبها الذي يسكن جزءًا منها، وآخرين أصدقاء للسكان. وهم يجتمعون كل ليلة ويناقشون الأوضاع ويتناولون المشاكل الحياتية... يشربون الشاي ويأكلون ما يوفره أحد السكان من طعام بسيط.

تسلمنا رسالة من الأخت أم جمال، التي تشغل شقتنا (المستأجرة منذ عام ١٩٦٦) في بيروت. وهي أخت لنا وتبنيينا ولديها قاسم ومحمد اللذين مكناهما لتحصيل العلم. أحدهم أنهى دراسته الجامعية في جامعة بيروت العربية، والثاني يكمل دراسته في بولندا. المهم أن الرسالة حملت لنا أخبارها بأنها وأفراد الأهل في بيروت بخير، وأنهم مشغولو البال علينا. سبحان مغير الأحوال... كنا نحن دائمًا مشغولي البال عليهم فإذا بالأمور تنعكس تمامًا... اللهم لطفك.

أهم أخبار اليوم في اتفاق الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي على مشروع قرار يقضي بفرض الحظر الجوي على العراق إضافة إلى الحظر البري والبحري.

سعر برميل النفط ارتفع اليوم إلى ستة وثلاثين دولارًا للبرميل الواحد، وقد كان انخفض سعره من أربعة وثلاثين بعيد الاجتياح إلى حوالي خمسة وعشرين لكنه بدأ منذ أسبوعين في الارتفاع تدريجيًا. ومن المتوقع أن يستمر ارتفاع سعره مع الأيام القادمة، ولن يستقر إلا عندما تستقر أوضاع منطقة الخليج.

أعضاء من الحزب الديمقراطي في الكونغرس الأمريكي أثاروا اليوم قضية في وجه الرئيس الأمريكي، وهي أن الإدارة الأمريكية كانت قد شجعت العراق على احتلال الكويت بشكل غير مباشر. الخبر نقلته الإذاعة الألمانية دون تفاصيل كثيرة.

وصل الملك حسين والرئيس بن جديد إلى المغرب للاجتماع مع الملك الحسن الثاني للبحث في طريقة لحل الأزمة عربيًا وسلميًا. في الوقت نفسه أعلنت السعودية على لسان وزير خارجيتها أن أية مبادرات عربية لحل الأزمة ولا تمر عبر جامعة الدول العربية هي محاولات غير مقبولة! ولقد تجاهلت وسائل الإعلام الخليجية تحركات الملك حسين ووصوله ووصول بن جديد تلبية لدعوة الملك الحسن الثاني.

أعلنت السعودية قوانين جديدة تتعلق بإقامة وعمل الرعايا الأجانب في المملكة، ألغت بموجبها قوانين سابقة... فأصبح على الرعايا من كافة الجنسيات، بمن فيهم من كان يدخل البلاد بدون تأشيرة مسبقة، أن يحصلوا على تأشيرة دخول مسبقة لدخول السعودية... (كان اليمينيون يدخلونها بدون تأشيرة دخول مسبقة).

كما أصبح العمل في السعودية ولأي من الرعايا يحتاج إلى كفيل سعودي بعدما كان العمل فيها لرعايا بعض الدول العربية، ومنها اليمينيون، لا يحتاج إلى كفيل سعودي، وأخرى ألغت منح إقامة في المملكة لمدة أربع سنوات، وأقرت وجوب دفع رسوم إقامة وما إلى ذلك...

ويعتقد بأن المقصود من هذه الإجراءات هم اليمينيون من الأساس، بعدما ساءت العلاقات أخيرًا فيما بين السعودية واليمن.

(الخميس ٢٠/٩/١٩٩٠) مجلس الألعاب الآسيوية الأولمبية قرر منع العراق من المشاركة في الدورة المقرر افتتاحها في بكين يوم السبت القادم ٢٢/٩/١٩٩٠، بينما يشارك اللاعبون الكويتيون فيها باسم الكويت.

اجتماع القمة الثلاثية، الحسن والحسين وبن جديد، في الرباط لم يسفر عن اتفاق للتقدم بمبادرة عربية لحل الأزمة، لكنه لم يعلن فشله. وتقول الأنباء إنه من المحتمل سفر وزيرى خارجية الجزائر والمغرب مع الملك حسين إلى العراق للتباحث مع القيادة العراقية حول بعض الأفكار المتداولة. لكن وزير الخارجية الكويتى الشيخ صباح، الموجود فى السعودية، رفض قبول أية وساطة عربية ما لم تكن صادرة عن جامعة الدول العربية.

الشيخ جابر أمير دولة الكويت سوف يطير إلى أمريكا، وسوف يستقبله الرئيس الأمريكى بوش فى البيت الأبيض بواشنطن يوم الجمعة ٢٧/٩/١٩٩٠.

جورج بوش سوف يزور السعودية فى موعد لم يعلن عنه، وسيقوم بتفقد القوات الأمريكية الموجودة هناك.

قدمت السعودية مبلغ مئة مليون دولار إلى لبنان مساعدة لها نتيجة تأثر قيمة الليرة اللبنانية، التى انخفض سعرها إلى مستوى خطر، بأزمة الخليج... (هبطت قيمة الليرة بنسبة ٩٥%).

قطع تليفزيون العراق برامجه فجأة فى حوالى العاشرة مساء ليذيع بياناً صادراً عن اجتماع لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية فى العراق ترأسه الرئيس صدام حسين، جاء فيه ما يفيد بأن العراق رغم كل شيء سيبقى صامداً فى وجه التهديدات الأمريكية. وأنه قادر على التصدي للعدوان المرتقب، وأن لا تراجع عن موقفه. وأضاف أن العراق الذى قاتل طوال ثماني سنوات قادر على الحرب لسنوات وسنوات أخرى، وأن العراق لن يكون وحيداً فى هذه الحرب!

فرنسا أعلنت أن قواتها التى وصلت وستصل إلى المنطقة سيبلغ عددها حوال ثلاثة عشر ألف جندي، وستكون أكر قوة بعد القوة الأمريكية المحتشدة فى المنطقة. وسيصاحب القوة الفرنسية ما يلزمها من معدات عسكرية، منها ثلاثون طائرة حربية من نوع ميراج

٢٠٠٠ و جاگوار ١. وأن هذه القوات ستعمل بأوامر فرنسية، منسقة مع القوات السعودية والعربية والأجنبية.

منظمة التحرير الفلسطينية احتجت بشدة على تصريح لوزير خارجية بلجيكا الذي قال فيه إنه تسلم معلومات تفيد بأن الرئيس العراقي أعد مشروعًا لإسكان الفلسطينيين في الكويت. وقالت المنظمة إن هذه التصريحات تظهر جهلاً بالحقائق وتحاول زرع الفرقة بين العرب. وقالت إن الشعب الفلسطيني لا يمكن أن يرضى بوطن بديل من وطنه الغالي فلسطين.

زارنا اليوم عدد من الأصدقاء منهم وليد وليلى، مثقال ومنية، ومن الأهل إنعام وأولادها (أمين يشكو من التهاب في عينيه) وجمال ولميس اللذين يطلان علينا يوميًا تقريبًا.

الحديث يدور بالطبع حول الأزمة الراهنة واجتهادات التحليل وما في سلة الأخبار المشكلة من جديد. هناك مشاعر من الخوف حول الآتي، على الرغم من أن الأغلبية لا يتوقعون وقوع الحرب.

هجرة الكويتيين إلى الخارج توقفت نسبيًا، ولعل أحد أسبابها هو ما قيل عن أن السلطات العراقية تمنع خروج الشباب (من عمر ١٧ إلى ٣٦).

(الجمعة ٢١/٩/١٩٩٠) من أخبار اليوم اجتماع مجلس الأمن الدولي الذي كان من المفترض عقده اليوم، إلا أن الأخبار قالت إن الاجتماع أُجِّل إلى يوم الثلاثاء القادم، وسيعقد على مستوى وزراء خارجية الدول الأعضاء. ويدل هذا على أهمية هذا الاجتماع، وضرورة الاستفادة من تواجد وزراء الخارجية الأعضاء، وخاصة وزراء خارجية الدول الدائمة العضوية في هذا المجلس للتشاور فيما آلت إليه الأمور.

وتتوقع المصادر أن يشمل قرار مجلس الأمن فرض حظر الحصار الجوي، بمعنى عدم السماح للطائرات العراقية بالتحليق في مجالها الجوي أو القيام بأية رحلات للطائرات

العراقية من مطاراتها، وإنزال أية طائرة متوجهة إلى العراق للتأكد مما تحمله، ومنعها من إكمال رحلتها إن كانت تحمل مواد أو معدات محظورة. كذلك يتضمن مشروع القرار حظر السفن العراقية من دخول موانئ العالم، ويطالب باحتجازها إذا دخلت هذه الموانئ، ويطالب الدول بتجميد أموال العراق فيها، واعتبار الكويت أراضي محتلة.

ويتضمن تحذيرات واضحة إلى العراق، يتخذها المجلس لأول مرة في تاريخه، بأن المجلس سيتخذ إجراءات أخرى ضده إذا لم ينفذ قراراته المتعلقة بضرورة انسحابه من الكويت.

الطرد المتبادل للدبلوماسيين العسكريين وغيرهم بين العراق ودول كثيرة في العالم أخذ مدى أوسع. فالعراق قرر طرد الملحقين العسكريين الغربيين لدول أمريكا وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا وألمانيا وإيطاليا، وكذلك مصر، وأن مصر أفلت مكتب الملحق العسكري العراقي وطرده من فيه...

الحدود العراقية التركية أفلت بوجه أكثر من أربعة آلاف سيارة بمن فيها من الهاربين، معظمهم من الباكستانيين والبنغاليين وغيرهم، دون إبداء أسباب، هذا إضافة إلى حوالي خمسين ألف شخص يتجهون إلى هذه الحدود أملاً في عبورها إلى تركيا للسفر منها إلى بلادهم.

أما من تبقى من الهنود، فقد سمحت العراق بنزول طائرات عسكرية هندية في مطاراتها لنقل رعاياها إلى الهند.

أعلنت العراق أن «التشويش الذي ظهر على شاشات طائرات الأوكس ما هو إلا أول مفاجأة من المفاجآت العراقية التي ستفاجئ بها القوات الغازية». لم أستمع إلى خبر عن هذا الأمر من قبل، ولا أعرف إن كان مصدر خبر التشويش هذا قد أعلن وأذيع من العراق أم من قبل خصومه!

فرنسا تلوّح منذ مدة بأن لديها معلومات عسكرية مهمة عن المراكز العسكرية الإستراتيجية في العراق، وغيرها من الأسرار، لكن أخبار اليوم تقول إن الوقت لم يحن بعد لوضعها في أيدي القوات المتحالفة ضد العراق.

كما أن رئيس جهاز المخابرات السوفييتي ذكر في مؤتمر صحفي في موسكو أن الأسرار العسكرية ذات العلاقة بالعراق لم تسلم بعد إلى الجهات المعنية في الإدارة الأمريكية؟

الرئيس بوش حذر العراق من العواقب الوخيمة التي سوف تترتب على تأييد العراق للمنظمات الإرهابية وتعاونها مع عدد منها... والقوات الغربية ومعداتها لا تزال تتدفق على المنطقة.

الرئيس السوري حافظ الأسد سيزور غدًا السبت إيران، وهي أول زيارة له منذ عهد الخميني، ويعتقد بأن هدف الزيارة هو الحد من العلاقات التي تتحسن مع العراق، وطلب العمل بموجب قرارات مجلس الأمن فيما يتعلق بالحصار الاقتصادي.

تم استدعاء سفراء الكويت من قبل حكومتهم لاجتماع مع وزير خارجيتهم الشيخ صباح الأحمد. تحدث إليهم عن الوضع العام.

وكان قد جاء على لسان الشيخ صباح في مقابلة له مع تليفزيون الكويت في المنفى (بثه تليفزيون أبو ظبي) حول المبادرات العربية، إذ قال عندما سئل عن مبادرة ياسر عرفات إنه لم يسمع بها، قالها بتهكم، ثم أردف قائلاً: «لا يحق لعرفات أن يتقدم بأية مبادرة لأن موقفه وموقف القيادة الفلسطينية بشكل عام مخزٍ ومنحاز ولا يمنحه حق التقدم بأية مبادرة».

أعلن العراق أن طائرتين غريبتين حلقتا على الحدود العراقية السعودية وفي الأجواء العراقية، وأن سرعتها كانت كذا وارتفاعها كان كذا... وأنه «يحذر من مغبة مثل هذه العمليات الاستفزازية ضده...».

السعودية أوقفت إرسال النفط إلى الأردن، وتشكل كمية النفط الذي يستورده الأردن من السعودية ٢٠% من حاجته المحلية من النفط.

في فلسطين قتل جندي إسرائيلي حرقاً في مخيم البريج بقطاع غزة، وذلك بعدما اندفع الجندي بسيارته بجنون هرباً من الحجارة التي راحت تنهال عليه، فصدم صبيين مما أثار الناس، فانقضوا عليه ضرباً ثم أحرقوه.

بعد حرب أكتوبر الشهيرة عام ١٩٧٣ والتي حقق فيها الجيش المصري، الذي رسم ملامحه ووضع أساساته الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، وقاده الرئيس أنور السادات، انتصاراً تاريخياً على الجيش الإسرائيلي، إذ تمكن في ذلك اليوم من اختراق وتحطيم أقوى خط دفاع عسكري أقامه الإنسان في تاريخه الطويل، كما يقولون. إنه خط دفاع عسكري عرف بخط «بارليف» والذي أقيم على طول الضفة الشرقية لقناة السويس. بعد تلك الحرب، والتي صاحبها في غمرة الحماس العربي استعمال النفط في المعركة جزئياً، فقطع ضخه أو خفضت كمية إنتاجه وتصديره إلى دول العالم، وخاصة الدول الغربية المساندة لإسرائيل بنسب تتناسب ومواقف هذه الدول من أزمة ما صار يعرف منذئذ بأزمة الشرق الأوسط.

اهتزت أوروبا وأمريكا من الآثار المرعبة التي تترتبت على انقطاع جزئي من النفط العربي عنها، فتوقفت مصانع كثيرة وتعطلت وسائل النقل وتوقف كثير منها، كما قنن توزيع منتجات النفط بسبب عدم توفر الكيماويات اللازمة، وبسبب ارتفاع أسعاره، أحست أوروبا يوماً ببرودة الشتاء وصعوبة الحياة، وبأهمية هذه المادة الحيوية التي يمتلك العرب منها ما نسبته حوالي ٧٠% من مخزون العالم كله.

ارتفع سعر البرميل الواحد من النفط بعد أن توقفت الحرب، وبعد أن اتفق على كيفية معالجة آثارها، من دولارين أو ثلاثة إلى حوالي اثني عشر دولاراً للبرميل الواحد. وظل ارتفاع أسعاره في تصاعد مستمر إلى أن وصل سعر البرميل الواحد في أواخر السبعينيات إلى حوالي أربعين دولاراً.

ارتفع بالتالي دخل الدول المنتجة للنفط في العالم العربي، وخاصة في منطقة الخليج العربي إلى أرقام خيالية. ويكفي القول إن دخل دول ما يسمى بمجلس التعاون الخليجي اليومي في السبعينيات (التي كانت تنتج في اليوم الواحد حوالي عشرة ملايين برميل يوميًا من النفط) وصل إلى حوالي مئتي مليون دولار يوميًا، إذا ما اعتبرنا أن معدل سعر البرميل عشرون دولارًا خلال الست سنوات الأخيرة من السبعينيات.

تضخمت أرصدة هذه الدول في بنوك أوروبا وأمريكا بشكل مذهل. وراح عدد من هذه الدول يعمل في مجال الاستثمار على الصعيد العالمي بشكل أثار الخوف من إمكانية سيطرة رأس المال العربي الخليجي هذا على جزء من الاقتصاد العالمي، وتأثيره على جزء كبير من الاقتصاد الغربي بشكل عام.

ومن أن أجل خلط الأوراق العربية المتعلقة بالمسألة الفلسطينية، وضرب قوى هذه القضية، فلسطينيين وعربًا، بعضهم ببعض، برزت نظرية كيسنجر السياسية أوائل السبعينيات والقائلة بضرورة العمل من أجل أقلمة الحروب، وجعل أهلها يقاتلون بعضهم بعضًا.

انتهج الغرب، وخاصة أمريكا، هذه السياسة ونجحوا فيها إلى حد كبير جدًا، فقامت حروب لبنان، الفلسطينية اللبنانية، ثم جزء كبير من اللبنانيين مع الفلسطينيين مقابل الجزء الآخر من اللبنانيين الذين وقفت معهم سوريا.

ودُفع السادات نحو خطيئته الكبرى بزيارته الشهيرة لإسرائيل، وإبرام اتفاق «كامب ديفيد». وانسلخت مصر عن شقيقاتها العربيات، وانقسم العرب إلى تكتلات إقليمية ضيقة.

استمر هذا الحال الذي «توج» بالضربة الإسرائيلية الموجهة عام ١٩٨٢، ضد الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية. واستفحلت الحرب الأهلية اللبنانية بعد خروج القوات الفلسطينية، والتي ما تزال مستعرة فيما بين اللبنانيين حتى اليوم.

كما استمرت الخلافات العربية العربية في الثمانينيات، بعد أن كان جو من الألفة والتضامن بين الدول العربية يلف العالم العربي أوائل السبعينيات. وكان أبرز هذه الخلافات هو الصدام الفلسطيني السوري وما نشأ عنه من نتائج وخلافات في الرأي وصل إلى درجة الصدام المسلح...

وحدث الانشقاق في الصف الفلسطيني، كواحدة من نتائج الخلاف الفلسطيني السوري، إذ احتضنت سوريا المنشقين عن الأكثرية الفلسطينية!

ومع الأردن أبرمت اتفاقية عمّان ثم اعترض عليها وأوقف العمل بموجبها، ثم أعيدت العلاقات بشكل آخر مع الأردن وأبرمت اتفاقية جديدة، لكن الخلاف عليها وعلى محتوياتها دخل البيت الفلسطيني وتم إلغاؤها. وفي العام ١٩٨٨ أعلن الأردن فك الارتباط الأردني الفلسطيني، الذي تخلت بموجبه الأردن عن التزاماتها تجاه القضية الفلسطينية مادياً ومعنوياً وسياسياً، وأن على الفلسطينيين أن «يقلعوا شوكرهم بأيديهم».

راح الغرب يعمل على أكثر من جبهة، في مواجهة هذه التطورات أو الخلافات العربية، والتي مزقت ذلك الحيز من التضامن العربي، من أجل حماية الغرب مصالحه في المنطقة. فبالإضافة إلى ما أحدثه من تحطيم للقوى العربية في منطقة فلسطين والمناطق المحيطة بها، وخاصة قوة منظمة التحرير الفلسطينية، التي بدأ العمل على تفتيتها وتشتيت أهدافها منذ عام ١٩٧٣ والتي تعرضت للضربة شبه القاضية عام ١٩٨٢، وقع الخلاف الكبير بين المنظمة وسوريا والذي أدى إلى اشتعال الحرب السورية الفلسطينية في منطقة طرابلس بלבnan.

الجبهة الأخرى التي راح الغرب يعمل فيها هي البحث في بدائل عن النفط كمنتج للطاقة التي ليس للغرب غنى عنها، فهي، أي الطاقة، مصدر حياته، لكنه لم يحقق الكثير في هذا المجال، وصار مؤكداً أن لا بديل في الوقت الراهن عن النفط كمولد للطاقة.

الجبهة الثالثة هي محاربة هذا التضخم الهائل في دخول دول النفط وأرصدها المكسدة في بنوك الغرب، وانتشار عمليات استثمار المال العربي في شتى أسواق البورصة، وشراء كميات هائلة من أسهم كبرى الشركات في العالم.

أما الجبهة الرابعة، فقد تمثلت في ضرورة ضرب إيران والقضاء على قدرتها العسكرية والدينية، وهي مسألة نشأت بعد الإطاحة بنظام شاه إيران وتسلم الإمام الخميني زمام السلطة مع مجموعة من آيات الله والأئمة. الذين أصبحوا متحكمين في كمية مخيفة من السلاح الأمريكي المخزّن في إيران منذ أيام الشاه المخلوع، إضافة إلى كونها دولة مهمة من الدول المنتجة للنفط، فهي أيضًا جارة لأهم الدول النفطية العربية.

وكانت العراق تنمو كقوة عسكرية إلى جانب إيران. فقد بذل العراق جهدًا كبيرًا في محاولة بناء بلده، خاصة في مجال التسليح العسكري. وأسس العراق أول مفاعل نووي في البلاد العربية لامتلاك السلاح النووي.. في اعتقاده السلاح القادر على ردع إسرائيل، أو أية قوة أخرى، وللهيمنة على العالم العربي، أو على منطقة الخليج الغنية بالنفط على الأقل.

ولم يكن النظام العراقي على وفاق مع النظام الإيراني الجديد بزعامة الإمام الخميني وجماعته من الآيات والأئمة، والذين بدؤوا يعدون العدة لنشر تعاليمهم وتصدير ثورتهم، كما يقال، إلى بلدان أخرى في المنطقة.

صار همُّ الغرب بعد هذا كله كيفية ضرب هاتين القوتين، إيران والعراق، والقضاء على فعاليتهما العسكرية والسياسية في المنطقة، والحيلولة دون إتاحة الفرصة لهيمنة إحدى هاتين الدولتين على منابع النفط والتحكم في مصادره، أي التحكم في مصدر الحياة المعاصرة للغرب والعالم بشكل عام.

أعطى الضوء الأخضر لإسرائيل لتقوم بتنفيذ هدف مشترك للغرب وإسرائيل، فضربت إسرائيل المفاعل النووي العراقي ودمرته عن بكرة أبيه في غارة جوية جريئة، بمساعدة

الاستخبارات الأمريكية وشبكات التجسس الرادارية، وخاصة أجهزة طائرة الأواكس التي لعبت دورًا خفيًا ومهمًا في هذه العملية، وذلك عام ١٩٨١.

اشتعلت الحرب المدمرة بين الجارين المسلمين العراق وإيران منذ عام ١٩٨٠... والتي استمرت ثماني سنوات واستهلكت ثروات، ليس العراق وإيران فحسب، بل أيضًا ثروات الدول العربية الخليجية الأخرى التي كانت تدفع بلايين الدولارات «من أجل الدفاع عنها وعن وجودها» ومن أجل إيقاف زحف «الثورة» الإيرانية الذي كان يهدد ليس منطقة الخليج وحدها، بل الشرق الأوسط بأسره.

انتهت الحرب عام ١٩٨٨ بانتصار العراق، الذي اكتسب خبرة عظيمة في هذه الحرب الضروس، وامتلك أثناءها وبعد انتهائها أسلحة خطيرة أصبحت مرة أخرى تهدد مركزين إستراتيجيين مهمين للغرب في منطقة الشرق الأوسط، هما منابع النفط في الخليج، و«إسرائيل» القاعدة المهمة الاستنزافية لثروات العرب.

فكيف يمكن أن تدمر هذه القوة العراقية؟

رسمت أمريكا، زعيمة الغرب والعالم في الوقت نفسه، وحليفاتها السيناريو اللازم لتنفيذ عملية تدمير هذه القوة العراقية...

ينبغي أولاً تحميس العراق بشكل غير مباشر للمطالبة بحقوق له في الكويت، ثم يجب إقناع الكويت بعدم الرضوخ لمطالب العراق، بحجة أن أمريكا هي «حامية الحمى» وأنها ستكون على أهبة الاستعداد لنصرة الكويت وحمايته إذا ما طلب منها ذلك.

في اجتماع جدة، بين وفدي العراق والكويت قبيل غزو العراق للكويت بأيام، تقدم العراق بمطالب تعجيزية... فرفضها الكويت...

... ووقعت الواقعة... بين الجارين العراق والكويت... فاجتاحت جيوش العراق الكويت... واحتلتها في ساعات، إذ لم تجد القوات العراقية في الكويت أمامها أية مقاومة عسكرية

تذكر بحكم ضعف قوات الكويت العسكرية بالمقارنة مع القوة العراقية الهائلة...

أمريكا لم تفِ بعهدا ووعدها، الذي يعتقد أن تكون قد قطعتة للكويت. فسقطت الكويت لقمة سائغة في أيدي العراقيين، لكنها لم تصل بعد إلى الفم. صحيح أن العراق قرر ضم الكويت إليه، لكنه لم يتمكن من ابتلاعها بسبب الموقف العالمي المتصلب ضد احتلال العراق الكويت وضمها إلى أراضيها.

نودي على العرب «النشامى» لإنقاذ، ليس فقط الكويت، بل أيضاً الموائيق والأعراف العربية والدولية، أو على الأقل نجدة الكويت قُبلياً، لكن عهد النجدات القبليّة قد ولّى إلى غير رجعة. إن الخيوط لم تعد بأيدي العرب كأمة بل في أيدي أنظمتها المرتبطة بشكل محكم بالدولة العظمى أمريكا.

وراحت الوعود والتعهدات العربية الكلامية تتراعى على السلطة الكويتية المنفية! وجرت محاولات لحل الأزمة عربيّاً... ولا تزال هذه المحاولات مستمرة... ولكن... دون أي نتيجة فعلية أو ملموسة.

وكان المتوقع أن تقوم الدول العربية فعلاً بحل النزاع عربيّاً، لكن الأصابع الغربية لعبت لتكمل اللعبة، ولتزيد من توريط العراق في الأزمة، فبعد إخراج المشكلة من الإطار العربي، أقحمت الأزمة في الإطار الدولي. وقد لعبت مصر من خلال رئيسها حسني مبارك الدور بإتقان، وحققت للغرب، ولأمريكا بالذات، كل ما خططت له.

أمريكا لم تنجد الكويت كما كانت قد وعدت، ووجدت العراق نفسها أمام واقع مفروض بحكم احتلالها، فحاولت ضبط الأمور، لكنها فشلت، ولم تجد أمامها سبيلاً آخر سوى ضم الكويت بحجة الحق التاريخي.

أمريكا والغرب حشدت قواتها، ودقّت «مسمار جحا» في المنطقة، وهي تستعد للقضاء على قوة العراق مهما كان الثمن.

العرب انقسموا إلى فئتين، وجامعة الدول العربية ضربت ولم تعد تمثل إلا جزءًا من هذه الدول.

النفط أصبح تحت حماية الغرب.

القضية الفلسطينية رُكنت على الرف إلى ما بعد إنهاء «المشكلة الملحة». منظمة التحرير الفلسطينية ضربت، وانفصل جسمها عن رأسها، وإذا لم تتأكد هذه الحقيقة الآن فسوف تثبتها الأيام أو الشهور القادمة. والانتفاضة مستمرة بحكم قوة الدفع، لكنها ستتوقف يومًا ما، وسيجد الفلسطينيون في الضفة والقطاع أنفسهم، بعد اليأس والإحباط الذي سيصيبهم لاحقًا وقريبًا من جراء هذه التطورات، ونتيجة لانقطاع الموارد المالية التي كانت تتدفق على الضفة والقطاع من منطقة الخليج العربي، مضطرين إلى قبول ما تعرضه إسرائيل عليهم من حكم ذاتي، أو شيء شبيه بهذا.

إلا... إذا كانت عقليتنا، نحن الذين في الخارج قد أصيبت بالتعفن وأصبحنا محبطين ومستسلمين وانهزاميين.

والأردن ستتغير ملامحه، وربما يكون له تأثير على وضع الفلسطينيين في الضفة والقطاع، أي أن يكون للفلسطينيين كيان مرتبط بالأردن بدلًا من أن يكون مرتبًا بإسرائيل. إن هناك شيئًا جديدًا رُسم أو يرسم لأردن جديد! وربما يكون اسمه جديدًا أيضًا.

الفلسطينيون في خارج الضفة والقطاع سيجري تسوية أمورهم، أو أمور معظمهم وتوطينهم بعد كل هذه المعاناة والعذابات في الدول التي يعملون فيها بشكل أو بآخر.

وعلى أية حال فالفلسطينيون في الأردن هم أردنيون، ومَن في سوريا يعاملون كما يعامل السوريون... يستمرون كذلك أو يجنسون، ومَن في لبنان ينخرطون في لبنان كخدم وعمال، أي كما كانوا قبل قيام الثورة الفلسطينية، أو كمواطنين من الدرجة الثالثة. وهكذا دواليك في الخليج والسعودية وفي باقي دول العالم.

من الممكن أيضًا أن تكون الأردن، بعد تغيير شكلها بما يتناسب والأوضاع الجديدة، هي المكان الذي سيُزجُ فيه الفلسطينيون، إن كان هناك توجه نحو إنهاء وجودهم في بلدان شبه الجزيرة العربية، على أن يتم الاستعانة بهم بأسلوب استعانة الخليجيين بالآسيويين.

ومن لا يرغب في التوطن في المنطقة سوف تفتح له أبواب الهجرة إلى كندا أو أستراليا أو أمريكا بدلاً من اليهود الذين من المخطط لهم أن ينتقلوا إلى إسرائيل خلال العشرة أعوام القادمة من الاتحاد السوفييتي وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية.

ولقد أصبح معروفاً أن حوالي مليوني يهودي سوف يقدون إلى إسرائيل خلال الخمس سنوات القادمة فقد وصل إلى إسرائيل منذ مطلع هذا العام حوالي مئة ألف يهودي سوفييتي، وفي نهاية عام ١٩٩١ سيكتمل وصول نحو مليون يهودي... كما تنقل الأخبار!

هل... يا ترى... يعقل... أن يكون مثل هذا السيناريو قد وضع بالفعل، وأن جزءاً منه قد تم تحقيقه، وأن البقية على نفس المنوال سائرة نحو التنفيذ!

إن عصر المستحيلات قد ولى، وأن فن السياسة - كما يقولون - هو تحويل المستحيل إلى ممكن. نحن على أبواب مرحلة تاريخية مهمة في حياتنا العربية، ويخيل إليّ أن أمريكا هي صاحبة القرار في شؤون العالم كله، بعد أن أصبح الاتحاد السوفييتي ينتظر ويتلقى المساعدات والمعونات الأمريكية والأوروبية...

إنه عصر أمريكا... إنه عصر أمريكا...

ولكل أمة في زمن معين عصرها، لكن التاريخ علمنا أن عصور الأمم لا تدوم، لكنها تستمر لفترة من الزمن... فكم سيطول هذا الزمن... في هذا الزمن؟

(السبت ٢٢/٩/١٩٩٠) وبعد مضي أكثر من ثمانية أسابيع على بدء «أزمة الخليج» صار الملل الممتزج بالخوف يتسلل إلى نفوس الناس. ففي الأسبوع الأول من هذه الأزمة كانت عوامل الدهشة والرعب والترقب هي العوامل المسيطرة على أذهان الناس ومشاعرهم.

لم يكن أحد يعتقد أن ما حصل وبمثل هذه الطريقة وبهذه السرعة يمكن أن يكون حقيقة واقعية. ثم صار هم متابعة الأخبار وتحليلها، وتوقع حدوث ما لم يحدث حتى الآن، هو

شاغلنا، إضافة إلى الانشغال في البحث عن احتياجات الحياة، واتخاذ الاحتياطات المتيسرة للسلامة من شرور الحرب المحتملة والمتوقعة...

تعبنا من المتابعة والانتظار، مللنا سماع الأخبار، سئمنا من تكرار التحليل والتوقع، ومن حرب البيانات والخطابات والكلام... الكلام! أخلجتنا أنظمتنا من أنفسنا، وجعلتنا سخرية أمام البشر... في هذا العالم، فأية أمة واحدة نحن؟ وأي أمة مجيدة نكون؟ وأية رسالة نحمل لهذا العالم الذي ينظر إلينا بالاشمئزاز والسخرية و... يا ويلاه... يا ويلاه... يا ويلاه... كم من الأحلام نامت وأخمدت قبل أن تتفتح في ليالينا، وكم من الأمنيات ماتت على أعتاب خيمتنا، وكم من الطموحات ديست بنعال حكامنا. نستمتع في هذه الأيام إلى الأخبار، مضطربين، فنشعر بالرغبة في التقيؤ... ونتساءل... إلى متى يستمر هذا الحال... الاحال، هذا الوقت الضائع من عمرنا... وعمر أولادنا وأطفالنا...

متى نستيقظ على صوت مذيع يحمل النبأ... ذلك النبأ... أو نتنفذ من أسرتنا من جراء زلازل الصواريخ.. أو نموت بفعلها أو بتأثيرها... متى؟

هل تعود تلك الأيام التي يمكن أن نحلم بها؟

هل تستيقظ فينا أمانينا ثانية؟

هل تأتي الأيام التي يمكن لأطفال أولادنا أن يغنوا بها؟

هل يجتمع بعض الشمل... بعضه... لتغمض أعيننا على ألحان بعض السلم... والعدل... بعضه؟

هل تعودين يا لبنى... يا حبيبتي... وحبيبة تيتا وعمو... وعمتو...

هل تعودين يا حبيبتي لتغني وترقصي... ولأحكي لك حكايات كنت أنسجها لك من خيال نابع من حقائق عشتها صغيراً، عن عائلة الأرنب، والصيصان والغنمة؟ هل يأتي اليوم الذي

أبي لك مطلبك في أن أسرَّ إليك ببعض الحكايا عن أبيك أو عن عمك، وما فعله ليضرب على «طوطوته»؟

لماذا بخلت علينا.. يا زمن؟ لم تكد أعيننا تتفتح على الدنيا إلا وكانت قد سلبت منا أحلى الأيام... لماذا؟

عدد من الأصدقاء كلمنا اليوم هاتفيًا، يسألون بالرموز التي صارت شائعة بين الناس عن الأحوال وعن شيء جديد. وصارت كلمة «الله يجيب الله فيه الخير» هي الكلمة التي تتكرر على ألسنتنا خوفًا... وليس إيمانًا بالخير الآتي... وكانت إشاعة قد انتشرت منذ أمس، وأرض الإشاعات خصبة جدًّا في هذه الأيام، مفادها أن قرارًا بمنع التجول ولمدة ثلاثة أيام قد صدر، وذلك لعمل إحصاء للموجودين في الكويت!

أنا شخصيًّا لم أصدق الإشاعة، فرحتُ أسأل عن مصدر الخبر، فيقولون لك إنها كتبت في جريدة «النداء» (وهي بالمناسبة الجريدة الوحيدة التي تصدر هنا في الكويت هذه الأيام، مزينة بصورة «الرئيس القائد» وبالألوان، وتطبع في مطابع «القبس» رغماً عن القبس) وكانت حجتني في عدم تصديق الخبر أنه لا يمكن إجراء إحصاء لسكان الكويت في ثلاثة أيام... إنها عملية غير معقولة... المهم أن الناس وجدوا في هذا الخبر شيئًا يتسلون به، فالبعض راح يفكر فيما يمكن أن يحتاجه ثلاثة أيام دون خروج من البيت -رغم أن الكل خزَّن عنده ما يكفيه شهرًا على الأقل دون أن يحتاج إلى الخروج من البيت- وبعضهم أخذ في ترتيب وسائل وطرق الاتصال للحفاظ على بيوت الأقارب أو الأصدقاء التي ربما تداهم أثناء هذه العملية.

يزيد، ابني، خاف أن تتم العملية وهو عندنا، فرتب أموره على أن يبيت في منزله، ويبقى فيه مدة أيام منع التجول... لكننا أخيرًا تأكدنا أن خبر «منع التجول» غير صحيح من أساسه.

الخبر المهم الذي شغل إذاعات العالم اليوم هو اتخاذ السعودية قرارًا بإبعاد حوالي ثلاثين من الدبلوماسيين اليمنيين، وحوالي عشرين من الأردنيين وآخرين عراقيين.

وقد أشيع هذا الخبر بعد تأزم العلاقات بين اليمن الموحد والسعودية، التي سنت قوانين جديدة قبل يومين ذات علاقة بتأشيرات الدخول إلى السعودية والإقامة والعمل فيها... اعتبرتها اليمن موقفًا ضد مصالح الرعايا اليمنيين المقيمين في السعودية. صدر بيان عن اليمن يندد بتلك القوانين، تبعها، بالطبع، بيان ورد من السعودية ينفي أن تلك القوانين موجهة ضد اليمنيين. كما أن هذه الإشاعات، المتعلقة بإبعاد الدبلوماسيين، انتشرت اليوم، أي بعد يوم واحد من قرار سعودي آخر قضى بوقف تزويد الأردن بالنفط السعودي.

وزير الخارجية الأردني نفى في بيان رسمي أن تكون أخبار إبعاد الدبلوماسيين الأردنيين صحيحة، وأضاف أن عدد الدبلوماسيين في السعودية على أية حال هو أحد عشر فردًا فقط.

ولم تمض ساعات على هذا التصريح حتى بث التلفزيون السعودي خبرًا يؤكد قرار الإبعاد، بحجة أنه جرى تحذير ثلاث سفارات عربية هي سفارات كل من الأردن والعراق واليمن من «تحركات مريبة» لعدد من الدبلوماسيين العاملين فيها، ولمَّا لم ينتصحو رأَت الحكومة السعودية نفسها مضطرة إلى اتخاذ قرار بإبعادهم.

الملك حسين، الذي نصحته السعودية بضرورة تحديد موقف واضح وصريح تجاه أزمة الخليج، وبعد التهجم والتهديد الذي وجهه الرئيس الأمريكي بوش إلى الأردن لاحتضانه مؤتمر الأحزاب والمنظمات «الإرهابية» (حسب تعبير بوش) بعث الملك حسين برسالة متلفزة موجهة إلى الشعب الأمريكي يوضح فيها موقفه من الأزمة. وقد جاء في رسالته أنه يؤيد عدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة أو ضمها، ويعترف بسيادة دولة الكويت وبحكومتها الشرعية، ويرفض توسع العراق في الأراضي الكويتية، كما اعترف بحق السعودية في طلب مساعدة الولايات المتحدة ودول صديقة لها...

لكنه كان يرى أن وجود القوات الأمريكية والحليفة على أراضي دولة تضم المقدسات الإسلامية يجب أن ينتهي في فترة قصيرة.

وقال إنها المرة الأولى التي تتواجد فيها قوات غير مسلمة على أراضي الحرمين الشريفين في الوقت نفسه الذي تحتل فيه إسرائيل الحليفة للولايات المتحدة ثالث المقدسات الإسلامية في القدس والمقدسات المسيحية في بيت لحم. وأكد التزامه بتنفيذ كافة العقوبات الاقتصادية ضد العراق، وأوضح تفهمه بأن الربط بين المشكلة الفلسطينية وأزمة الخليج قد لا يساعد على حل أيٍّ منهما. وطالب بصدور تأكيدات بضمان حل المشكلة الفلسطينية بعد حل أزمة الخليج بنفس المبادئ وفي إطار مؤتمر دولي.

من المعروف أن الملك حسين من أذكى السياسيين العرب وأكثرهم حنكة، بحكم خبرته الطويلة، ولا يدري المرء كيف حسب الملك هذه المرة حساباته وبأية مقاييس حتى راهن على «حصان» من المؤكد أنه سوف يخسر، إلا إذا كان الملك يملك من الأسرار ما نجعله!

كذلك الأمر بالنسبة إلى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ومعظم رفاقه في القيادة الفلسطينية، نتساءل عن نوعية الآلة الحاسبة التي حسب عليها حساباته. ربما تكون هناك بعض الأسباب، كأن يقال إن اتخاذ هذا الموقف جنَّب الجالية الفلسطينية في الكويت مذابح على أيدي جنود صدام الأشاوس... وعمليات تنكيل لا يعلم إلا الله مدى وحشيتها...

وأنه ربما أخذ في الحساب وجود آلاف الجنود الفلسطينيين والمدنيين، والمقيمين من أهلنا في العراق...

وأنه أبعد بسياسته هذه شبح المذابح والتنكيل بالجالية الفلسطينية المقيمة في الكويت.

لكنها تظل مبررات غير كافية لإقناع أحد على أنها الأسباب التي أجبرت القيادة الفلسطينية لاتخاذ مثل هذا الموقف غير المبدئي!

ألا تبعث مثل هذه الأخبار على التقيؤ؟

إنني مللت من متابعة الأخبار، أو على الأقل هذا ما أعتقد الليلة، وأنوي أن أتوقف عن تلخيصها وتدوينها بدءًا من الغد، مكتفيًا ربما بالكتابة عما يختلج في نفسي من مشاعر وأحاسيس تجاه ما سيصل إلى سمعي وبصري من أخبار مسموعة أو مصورة.

(الاثنين ليلاً، ٢٤/٩/١٩٩٠) هكذا أجدني أعود إلى الكتابة عن الأزمة، أزمة الخليج بالطبع، على الرغم من رغبتني أمس في التوقف عن تناولها.

أمس وجّه العراق تحذيرًا شديد اللهجة ضد «الذين يريدون خنق العراق»... وجاء فيه أن العراق سوف يحرق الأخضر واليابس إن هم دفعوا بالأمر إلى درجة خنق العراق. وأنه سوف يدمر منشآت البترول في المنطقة، وسيضرب إسرائيل... وكالعادة تصاغ بيانات العراق بلغة عربية إنشائية بليغة وطويلة.

ولقد ارتبطت صورة أحد مذيعي الأخبار في التلفزيون العراقي ببيانات القيادة العراقية، فما إن تظهر صورته على شاشة التلفزيون حتى يشعر المرء بالحاجة إلى الذهاب إلى الحمام من أجل التقيؤ...

وأكد العراق، كما يفعل دائمًا، بأن مسألة ضم الكويت قضية أبدية... ولا رجوع فيها...

الخبر المهم جدًّا أمس كان قرار العمل بمساواة الدينار الكويتي بالدينار العراقي، وأنه خلال أسبوعين ينبغي استبدال بما في حوزة الناس من العملة الكويتية عملة عراقية والتعامل من بعد بالدينار العراقي.

معنى هذا القرار أن البنوك لن تصرف للناس من أموالهم الكويتية المجمدة فيها إلا بالدينار العراقي وعلى أساس الدينار... بدينار...

البنوك اليوم أقفلت أبوابها، لأن المسألة تبدو معقدة وليست بهذه السهولة. أما الناس فقد باتوا «على وجوههم غضب» من شدة هول القرار. ونزول الخبر عليهم كنزول الصاعقة... ومن أشد الناس تأثرًا بهذا القرار الموظفون الصغار ومتوسطو الدخل، والذين لهم في

حساباتهم المصرفية مبالغ محدودة بالدينار الكويتي، أو أنهم ينتظرون آخر كل شهر لقبض رواتبهم بالدينار الكويتي - كما حدث في آخر الشهر الماضي لمن ذهب إلى عمله وداوم في وظيفته - والصرف منه على احتياجاتهم الضرورية. فكيف سيتصرف هؤلاء الآن؟

لقد كانوا يصرفون الدينار الكويتي بحوالي خمسة دنانير عراقية على الأقل (المئة دينار عراقي بخمسة عشر أو باثني عشر كويتيًّا). وكانت القيمة الشرائية للدينار العراقي تعادل خمس القيمة الشرائية للدينار الكويتي إن لم يكن أكثر من ذلك.

إن ثمن صندوق بطاذا بين حوالي عشرة كيلوغرامات هو خمسون دينارًا عراقيًّا تقريبًا، وثمان كرتونة البيض -أي ثلاثين بيضة- عشرة دنانير عراقية!

يقال إن الأطباء يفكرون في الامتناع عن قبض رواتبهم آخر الشهر، وأن هناك توجهًا إلى دعوة الموظفين بعدم الذهاب إلى مقار أعمالهم... لكنني أظن أن أولئك الموظفين المساكين لن يقدموا على مثل هذه الخطوة، لسبب بسيط هو أن أغلبيتهم من الفلسطينيين وكثير منهم يحملون وثائق السفر المصرية، وممنوعون من دخول مصر إلا بتأشيرة دخول مسبقة بمدة أشهر في الأحوال العادية... فإلى أين يذهبون... وماذا عساهم أن يفعلوا؟

الصديق خيري وصل قبل الآخرين، وجدته أكثر الناس همًّا، أو على الأقل أكثرنا، فهو يملك الكثير من المال والمعدات وقطع الغيار لآلات ثقيلة والتي تقدر قيمتها بمئات الآلاف من الدنانير، همه كبير... وكل واحد «همه على قده»!

وبما أنه وصل الكويت بعد زلزالها، أي منذ أسبوع، فإنه مفجوع بآثار هذا الزلزال... وكما نتساءل كلنا، يتساءل هو الآخر... لمصلحة من هذا التخريب والنهب والدمار؟

بلغني أن عدد شهداء المقاومة الكويتية ضد القوات العراقية المحتلة قد يفوق الست مئة شهيد حتى اليوم، وأن هناك عددًا كبيرًا من المعتقلين الذين لا يعرف مصير معظمهم. وقيل

إن كثيرًا من الشهداء لا قوا حتفهم بإصدار أحكام إعدام تعسفية ضدهم بسبب عدم قبول هؤلاء التعاون مع السلطات المحتلة.

من هؤلاء رجل يدعى مبارك النوت الذي كانت له مواقف مؤيدة للعراق قبل الغزو، وقد كتب الكثير سابقًا في هذا الصدد. حاول العراقيون استمالاته وطلب تعاونه معهم فرفض بحجة رفضه الطريقة التي تم بها احتلال الكويت. ومبارك النوت هو رئيس مجلس إدارة الجمعية التعاونية في منطقة العارضية. استدعى الرجل من قبل رجال المخابرات العراقية... وبعد أيام قليلة أعيد معصوب العينين أمام الجمعية التي يتراأسها، وتليت أمام الناس حجة تقول بأنه تلاعب بالأسعار لذلك تقرر إعدامه، وأطلق النار عليه أمام جمهرة من الناس هناك ما أثار الرعب في نفوس الناس!

والمقاومة الكويتية للاحتلال العراقي حسبما تنقل إذاعات ونشرات أخبار دول الخليج مستمرة، إلا أننا لم نعد نسمع أصوات المتفجرات ورشقات إطلاق الرصاص كما كنا نسمعها في الأسبوعين أو الثلاثة الأولى من الاجتياح. وهناك من ينقل أخبارًا عن هذه المقاومة، إلا أنها على أية حال تبقى في حدود ضيقة ولا تسبب ذلك الإزعاج للقوات العراقية المحتلة.

ويجب أن لا ننسى أن هروب الكثيرين من الكويتيين إلى الخارج، بمن فيهم الشباب، ووجود نسبة كبيرة من الكويتيين خارج الكويت بسبب الصيف قبل حدوث الغزو يبقي مجالات المقاومة محدودة، لكنها ضرورية رمزيًا على أية حال.

على الصعيد السياسي العام لا توجد أخبار بارزة، هناك أخبار عن استمرار تدفق الجيوش وازدياد أعدادها، وعن نقل معدات وطائرات ووسائل نقل ومعدات حربية أخرى.

القوات الفرنسية تستعد للوصول إلى ميناء ينبع السعودي على البحر الأحمر، منهم ألف جندي من قوات ما يسمى بقوات المهمات الخارجية المشهورة.

القوات البريطانية بدباباتها الشهيرة «تشانجر» الموجودة في ألمانيا تستعد للسفر... والانضمام إلى القوات المتعددة الجنسيات، كقوات أمريكا وفرنسا والأرجنتين وبنغلاديش والباكستان وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ودول أخرى من إفريقيا، وغيرها.

الرئيس التركي وصل اليوم إلى أمريكا، وأظن أن تركيا ستلعب دورًا مهمًا في النزاع، إذ يقول تقرير عن الخطط العسكرية بأن إحدى هذه الخطط يتضمن فتح جبهة شمالية ضد العراق من جهة تركيا، إضافة إلى جبهة السعودية.

أمير دولة الكويت سيتوجه بعد ساعات إلى الأمم المتحدة لإلقاء خطاب في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، التي ستفتتح غدًا دورتها للسنة الحالية.

أمس سمعت بأنه أصبح لدى القوات المشتركة متعددة الجنسيات ما لا يقل عن ثماني مئة طائرة حربية وأربع مئة طائرة هليكوبتر من أحدث الأنواع وأكثرها تعقيدًا وتطورًا...

الرئيس الفرنسي أكد في خطاب له في الأمم المتحدة بنيويورك اليوم أن للقوات الفرنسية مهمة محددة وهي المشاركة في الضغط لتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي، وأن هذه القوات ستغادر فور انتهاء مهمتها. وتساءل عما إذا كان للحل السلمي أية فرص، فأجاب بنعم، شريطة أن لا تكون هناك أية مساومة على عودة الكويت كدولة ذات سيادة. واقترح مبادرة لحل أزمات منطقة الشرق الأوسط يتكون من أربع مراحل:

- المرحلة الأولى، إعلان العراق عن نيته الانسحاب من الكويت.

- المرحلة الثانية، قيام الأسرة الدولية بضمان الانسحاب وإعادة السيادة الكويتية وإعراب الشعب الكويتي ديمقراطيًا عن إرادته.

- المرحلة الثالثة، الاتجاه صوب تسوية النزاعات الأخرى في المنطقة، وخص بالذكر «لبنان والفلسطينيين وإسرائيل».

- المرحلة الرابعة، هي مفاوضات للحد من الأسلحة في الشرق الأوسط.

بالمقابل أكد الرئيس العراقي أن الكويت جزء لا يتجزأ من العراق، وأنه لا تراجع عن ذلك حتى لو أدى ذلك إلى أن يحارب العراق مدة ألف سنة!

هناك أزمة نشأت من جراء عدم السماح للطائرات العراقية بالهبوط في مطارات أمريكا، فأرسل طارق عزيز إلى الأمين العام للأمم المتحدة بأنه لن يستطيع الحضور إلى نيويورك للمشاركة في أعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة بسبب الحظر المفروض على الطيران العراقي... واحتجّ بالطبع على ذلك.

الرئيس السوري مدد زيارته في طهران لمزيد من التشاور والتوفيق بين وجهات النظر حول معظم جوانب أزمة الخليج. لكن الخلاف، كما يعتقد، هو حول موقف الطرفين من وجود القوات الأجنبية في أراضي السعودية.

إذاعة لندن أجرت حديثًا مع وزير خارجية اليمن عبد الكريم الإيرياني نفى فيه التهم الموجهة من قبل السعودية ضد الدبلوماسيين اليمنيين في السعودية. كما جاء في الحديث أن اليمن نددت باحتلال العراق الكويت وترفضه، وأنها طالبت، بعد أربع وعشرين ساعة من احتلال العراق الكويت، بضرورة انسحاب القوات العراقية من الكويت... وأنها (اليمن) ما تزال «تصر على ضرورة إجراء هذا الانسحاب بأية حال من الأحوال...» وأكد الإيرياني التزام اليمن بقرارات مجلس الأمن المتعلقة بالمقاطعة الاقتصادية للعراق «بدليل أن هناك عددًا من ناقلات النفط العراقية راسية في ميناء عدن دون تفريغها، عملاً بقرارات مجلس الأمن المذكورة».

وكالة الأنباء الفلسطينية أعلنت أن ليبيا تعهدت بالمضي في تمويل منظمة التحرير الفلسطينية وفي دعمها للانتفاضة في فلسطين المحتلة. وقد جاء هذا التعهد بعد زيارة قام بها ياسر عرفات إلى ليبيا يوم أمس السبت.

إسرائيل منزعة من الحشد العسكري في منطقة الخليج، وتعتبر ازدياد التوتر في المنطقة عاملاً تخشى أن يسبب لها مشاكل... وأن يزجها في معركة لم تحدد هي شكلها ولا تعرف مدى تفاعلاتها.

سعر برميل البترول ارتفع إلى أكثر من أربعين دولارًا، وهو رقم قياسي خلال العشر سنوات الأخيرة. ويتوقع صعود السعر إلى أن يصل إلى خمسين أو أكثر... فإلى متى يتحمل الغرب والعالم بشكل عام ازدياد سعر البترول بهذا الشكل التصاعدي المخيف؟

كذلك فإن السوق الدولية للأسهم تشهد انهيارات في قيمة أسهم الشركات العالمية، ومؤشرات ما يسمى بـ«الداو جونز» وما يشابهها في العواصم الكبرى شهدت انخفاضًا في «نقاطها» بشكل لم يسبق أن عرفتته هذه الأسواق من قبل.

(الثلاثاء ٢٥/٩/١٩٩٠) يزيد وبشار ذهبا إلى صاحبهما الألماني المختبئ الذي اتصل بهما راجيًا منهما مساعدته في نقل أهم حاجياته إلى جاره الآخر، لأنه قرر أن يكون معه بعد ما حدث له الليلة الماضية. ففي الثانية بعد منتصف الليلة الفائتة استيقظ الرجل على أصوات، تخيلها للوهلة الأولى وكأنها أصوات انفجارات، فقال: لعل الحرب قد اندلعت. حاول أن يعرف ما يحدث عن طريق فتح نافذته المطلة على جهة البحر، فعلم أن الأصوات آتية من داخل المبنى. وهو يسكن وحده في المبنى المؤلف من حوالي ثمانية طوابق، فكل الشقق مهجورة من قبل ساكنيها. فتح باب شقته، وركز سمعه على الأصوات الصادرة فتأكد أنها أصوات كسر واقتحام لأبواب الشقق. عاد ثانية لينظر من نافذة أخرى على ساحة أمام المبنى مخصصة لوقوف السيارات، وهو يعرف أن هناك سيارة واحدة بدون دوايب متوقفة فيه، فإذا به يلمح ثلاث سيارات أخرى تقف بمحاذاة السيارة المذكورة. تأكد عندها أن لصوصًا يقتحمون الشقق ويسرقون ما أمكن منها. خاف الرجل، واتخذ قراره... فحمل حقيبة يد له فيها أهم وثائقه وصعد إلى السطح في حوالي الثانية والنصف ليلاً، واختبأ بين أجهزة وآلات التكييف حتى الصباح، وبعد أن تأكد أن اللصوص، وكانوا يلبسون الدشاديش، قد نهبوا ما طالته أياديهم وذهبوا، نزل إلى شقته مقررًا عدم البقاء فيها!

المهم أن يزيد وبشار ذهابا إليه وساعداه للانتقال إلى صديقه الذي لا يبعد كثيرا عنه.

وفي طريق عودة يزيد وبشار، وقرب الميدان الذي يحاذي مبنى الخليجية، سمعا صوتا بواسطة مكبر للصوت، مع عجة غير طبيعية أربكت حركة السير. وكان مكبر الصوت يصرخ مناديا السيارات المارة بإفساح المجال لموكب مؤلف من حوالي خمس سيارات مرسيدس جديدة وبدون لوحات وأرقام تتقدمها سيارة جيب عسكرية مجهزة بمدفع رشاش، الذي نسميه دوشكا، ومجموعة جنود خلف وحول المدفع بخوذاتهم وملابسهم العسكرية المرقطة وأسلحتهم الرشاشة الأخرى، وسيارة أخرى مثلها خلف السيارات الخمس. وكان في داخل السيارات ضباط عراقيون من رتب بدت لهم عالية... وما أشبه هذا المنظر بمناظر مماثلة كنا نشاهدها في بيروت، لكن عسكريها كانوا هناك سوريين، وهنا عراقيين... فليحيا البعث!

وبمناسبة السيارات، فقد نقلت إحدى نشرات الأخبار التليفزيونية الليلة خبرا عن سيارة الرئيس العراقي صدام الكاديلاك المصفحة، والمرسلة إلى مصنع هذه السيارات في أمريكا لإجراء فحص لها من أجل إصلاحها هناك. وقال الخبر إن ثمنها هو مبلغ ثلاث مئة ألف دولار. وبأمر من الرئيس الأمريكي، تقرر حجز السيارة.

أجرينا أمس جردا لما في حوزتنا من المال، كويتيا وعراقيا، وما لدينا من الأغذية والأدوية، واتخذنا ما يلزم من الاحتياطات، وقررنا عدم شراء إلا ما نحن بحاجة إليه بالفعل.

البنوك لم تفتح أبوابها اليوم انتظارا لإيجاد الحلول المناسبة لمشكلة الدينار الكويتي والعراقي وعلاقتها... ولا ندري إلى متى... وكيف سيكون عليه الحال بعد هذه القرارات!

أبرز أخبار اليوم تمحورت حول ثلاث نقاط، الأولى: ما تضمنه خطاب الرئيس الفرنسي ميتران أمس في الجمعية العمومية بنيويورك حول أزمة الخليج، وردود فعلها عند العراق، وعند أمريكا.

العراق وعلى لسان ناطق رسمي قال إن خطاب الرئيس ميتران لم يتصف بالعداء للعراق، وأن العراق استقبله بروح إيجابية.

أمريكا وجدت فيه خروجًا عن الموقف العالمي الذي أقره مجلس الأمن والقاضي بضرورة الانسحاب من الكويت بدون شروط... وعودة الشرعية إليه. لكن المتحدث الأمريكي أضاف أن هذا لا يمنع أمريكا من الاستمرار في محاولاتها لإيجاد حل سلمي للأزمة.

وجوهر الاختلاف يكمن في أن المشروع الفرنسي لا يقول بضرورة عودة الشرعية، بل بعمل استفتاء في الكويت خلال فترة معينة يختار فيها الشعب الكويتي شكل مستقبله، ويقرر مصيره.

النقطة الثانية: هي الخطاب الذي ألقاه وزير الخارجية السوفييتي شيفرنادزه في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، والذي شن فيه أعنف هجوم ضد العراق، وشجب فيه وندد باستمرار احتلال العراق الكويت وطالبه بالانسحاب للإرادة الدولية وتجنيد المنطقة حربًا لا تبقي ولا تذر... وأن الاتحاد السوفييتي لن يسمح لأي دولة كانت بأن تهدد المنهج الجديد في العيش بسلام على هذا الكوكب. وقال شيفرنادزه: «إن لدى المنظمة الدولية الوسائل العسكرية الكافية لوضع حد للأعمال العدوانية، وسوف تستخدمها ضد العراق إذا استمر الاحتلال غير المشروع للكويت...».

ووصف يوم احتلال الكويت بالخميس الأسود. وأضاف أن عملاً إرهابياً ارتكب ضد النظام الدولي الجديد، وهذا تحدٌ كبير للإنسانية.

وناشد الوزير السوفييتي المسؤولين العراقيين بأن يتحلوا بالحكمة والخضوع للقانون الدولي... وأشار إلى أن الحرب يمكن أن تشتعل في أية لحظة في منطقة الخليج.

كما طالب الدول العربية بأن تتحمل مسؤولياتها وتسهم في إيجاد حل لهذه الأزمة وفي تسوية جميع مشاكل الشرق الأوسط بشكل عام.

النقطة الثالثة: هي قرار مجلس الأمن المنتظر. فقد بدأ مجلس الأمن الدولي اجتماعاته مساء اليوم على مستوى وزراء الخارجية، وبرئاسة وزير الخارجية السوفيتي ليناكش العدوان العراقي على الكويت واستمرار الاحتلال... وليقر مشروع قرار فرض الحظر الجوي ضد العراق.

آخر أخبار الليلة نقلت موافقة مجلس الأمن على مشروع القرار الآنف الذكر. وقد صوتت أربع عشرة دولة إلى جانب القرار وعارضته دولة واحدة هي كوبا. وذكر أن ثلاثة عشر وزير خارجية حضروا هذه الجلسة التي ترأسها شيفرنادزه. اليمن، وهي العضو العربي الوحيد في هذه الدورة، والمفترض أنها تمثل الدول العربية في دورة مجلس الأمن هذه، صوتت لصالح القرار خلافاً لمواقفه السابقة في مجلس الأمن والمتعلقة بأزمة الخليج.

الرئيس السوري عاد اليوم من طهران إلى دمشق، وقد نقلت الأخبار بأن وجهات نظر الطرفين، السوري والإيراني، تجاه أزمة الخليج متطابقة.

وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل قام اليوم بزيارة سريعة إلى دمشق إثر عودة الرئيس السوري من زيارته لإيران.

(الأربعاء ٢٦/٩/١٩٩٠) ما أصعب العيش في ظل غياب الأمن والسلامة، ولا يمكن تصور هذه الصعوبة إلا عندما يعيشها المرء.

إن الأمن والسلامة لا يتوافران إلا بوجود السلطة القادرة على فرض هيبة القانون. والقانون هو الذي يحدد ما لك وما عليك. كما يحدد الشرع ما هو الحلال وما هو الحرام.

والأخلاق قانون يستمد سلطته من الضمير الإنساني ويحدد مع القانون الحكومي ومع شريعة الدين مسار ومسلك الإنسان وتصرفاته.

وفي ظل الحالة التي نعيشها، والتي لا يحكمها قانون حكومي بقدر ما يحكمها الضمير ووازع الإيمان بالله وبشرائعه، فإن الأمور تسيبت إلى درجة مخيفة. فالسرقات، الكبيرة

والصغيرة، «على عينك يا تاجر» ولا تحتاج إلا إلى إنسان فقد ضميره وعديم الإيمان بالله وبالدين وبحقوق الإنسان، وما أكثرهم في يومنا الحاضر...

إن أعمال النهب التي تجري في الكويت اليوم رهيبة، ومن يسرق وطنه لا يتورع أن يسرق كل شيء في هذا الوطن ولهذا الشعب. فالمؤسسات الكبيرة والتي كانت مفخرة لهذا البلد وللعرب بشكل عام، كمعهد الكويت للأبحاث العلمية، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، والجامعة والمعاهد والمدارس ومؤسسات كثيرة تابعة للوزارات المختلفة، وهي مليئة بالمعدات الحديثة والمتطورة جدًا قد نهبت تمامًا، بل إن بعض المعدات الطبية في بعض المستشفيات لم تسلم من عمليات النهب هذه!

الناس في رعب شديد، فهم يشاهدون عملية السرقة بأعينهم، لكنهم لا يملكون الشجاعة لمجابهة هؤلاء السارقين أو المأجورين للقيام بأعمال السرقة لحساب أسياد لهم، أو هم مجبرون لتنفيذ مثل هذه المهمات القذرة لصالح شخصيات لا يركبون إلا سيارات المرسيدس غير المرقمة، ولا يستطيع أحد أن يرفض لهم طلبًا. وهؤلاء المساكين الذين يشاهدون مثل عمليات النهب هذه ليس لهم جهة يشتكون إليها أو يلجؤون إليها لحمايتهم!

لقد حدث أن أحيط علمًا أكثر من مخفر بحدوث عملية سرقة تتم في مكان ما... أو أن عملية قتل جرت ضد شخص ما في منطقة ما، وكان رد المخافر دائمًا: «إننا سنتولى الموضوع»!

لكن أحدًا لم يحضر إلى المكان من المخفر، ولم تتخذ إجراءات إلا بعد مضي وقت كان لانتهاك العملية وزوالها. إن الذين يكونون في المخفر، هم أنفسهم يكونون خائفين ممن يقوم بعملية السرقة أو النهب أو القتل، فلربما يقوم هؤلاء اللصوص بهذه الجريمة أو تلك لحساب شخصيات من مرتبة أعلى ومكانة أرفع... ومن ذوي النفوذ في السلطة... فلم يعرضون أنفسهم للمخاطر؟ «لا عين تشوف.. ولا قلب يرحم...».

كتبت أمس عن صديق يزيد الألماني، وكيف صعد إلى السطوح خائفاً مرعوباً من الذين كانوا يسرقون شقق المبنى الذي يسكن إحدى شققه، عشرات الشقق...

في الليلة الأخيرة، وبعد أن هجر هذا المسكين بيته بما فيه ولجأ إلى جار صديق له يسكن في بناية مقابلة للمبنى الذي يسكنه، سمعا بعد منتصف الليل استمرار عملية النهب، لم يستطيعا عمل شيء، لأسباب لا علاقة لها بالشجاعة، سوى تبليغ أحد أصدقاء سكان إحدى شقق المبنى المنكوب، وهو كويتي... فاستجار هذا الأخير بصديق له، وملكا الشجاعة لمواجهة السارقين وما يمكن أن يترتب على ذلك. دخلا المبنى وبدأ بالصراخ... من هناك... من هناك...؟ ثم ابتعدا عن مدخل المبنى، فإذا بالسارقين (كان عددهم ثلاثة وكانوا يلبسون الدشاديش وبدون الحطة أو العقال) ينزلون مهرولين، وبعد أن أطل أحدهم ولم يجد أحداً، خرجوا هاربين في سيارتين لهم... ومع الذعر الذي أصابهم اندفعت سيارة من السيارتين تجاه عمود كهرباء فاصطدمت به وتعطلت عن السير، تركها سائقها مذعوراً وركض نحو السيارة الأخرى وهو يحمل بعض المسروقات في يديه حيث ركبها، وانطلقوا!...

عندما ذهبنا لوداع الصديقين مئثال ومنية، أنا وتمام، وكنا نركب سيارة يزيد «مازدا» خفنا أن نتركها خارج القيلا التي يسكنانها، وهي في الجابرية فأدخلناها كراج القيلا خوفاً من أن نجد السيارة بدون دواليب.

أما عن أحوالنا النفسية، فإن يزيد، وهو أكثرنا مرحاً وحباً في محاولة للتغلب على السأم الناتج من هذه الأوضاع، بدا عليه اليوم شيء من العصبية في حركاته. وهو يحاول قدر الإمكان أن يتغلب على روتين هذه الحالة عن طريق الخروج في النهار لزيارة صديق له هنا أو هناك، وفي المساء يذهب في معظم الأمسيات لقضاء جزء منها مع جيرانه الذين تعودوا على جلسات المساء، وتناول عشاء تقشفي وشرب الشاي وتدخين النرجيلة و... تحليل الوضع!...

أما بشار، فهو بعد سفر سوزي، حبيبته، يحس بفراغ كبير، يحاول عمل شيء، لكن كان فراغ سوزي كبيراً في نفسه. حاولنا مرة أن نعمل شيء في مجال الموسيقى، لكن الموسيقى،

كغيرها من الفنون لا تتفجر إلا عندما يتوفر شيء من الاستقرار النفسي والحياتي، وهو أمر غير ممكن حاليًا. على أية حال فإن ما حاولناه كان محاولة لتسليية بشار وتسليتي.

اليوم مثلًا شجعتة على أن نجري عملية تنظيف للأورگ «الكاواي» الكبير الذي نملكه، بهدف شغل وقتنا الضائع هذا...

إنه، أي بشار، يقرأ في اليومين الأخيرين مجالات متخصصة في الموسيقى ويحاول العمل على آلاته الموسيقية الإلكترونية الحديثة، وهو أمر جيد.

أما بلال، فقد قررنا بسبب الظروف الحالية أن يظل معنا وعدم السفر إلى أمريكا للالتحاق بدراسته الجامعية هناك لأسباب كثيرة، منها أن سفره سيكون عن طريق الأردن، وأنه يحتاج إلى إجراء اللازم من أجل تأجيل الخدمة العسكرية في الأردن والتي تعذر إجراؤها هنا بسبب أحداث المنطقة، وأنه ربما تصادفه مشاكل لا تمكنه من مغادرة الأردن... ثم إن موضوع الصرف على احتياجاته من المال للدراسة والعيش هناك أمر لا يمكننا تأمينه في ظل الظروف الراهنة.

لكني لاحظت وسمعت أنه يفكر في السفر، ويقول إنه سوف يتدبر أمر مصروفاته هناك إن عجزنا عن تأمين بعضها. على أية حال فإننا نأمل أن تحل الأزمة قريبًا، وأن يتمكن هو من السفر.. ونحن من الصرف على احتياجاته. وهو يأمل أن يكون في شارلوت بأمريكا، حيث جامعته، بدءًا من الدورة الثانية من السنة الدراسية الحالية، أي أوائل العام القادم، إن شاء الله.

ولا يخفى أن بلال قد مرَّ معي ومع تمام في ظروف صعبة أخرى في أزمات لبنان، الأولى كانت عام ١٩٧٦ والثانية عام ١٩٨٢، وقد فقد سنتين من سنين الدراسة بسببها، لكنه استطاع أن يكسب إحداها عن طريق الاكتفاء بتحصيل شهادة ما يسمى بـ O.level.

تمام قدرة دائماً على القفز فوق الأزمات بوسائل مختلفة، المطبخ، السوق، الكتابة، مكالمة الأقراب والأصدقاء، وتلبية احتياجاتهم في نطاق قدراتها، وما إلى ذلك. وبالرغم من ذلك فقد عانت لأيام من تأثير الأحداث على أعصابها، وسبب لها آلام في ما يسمى بالعصب الخامس في الوجه. لكنها في الفترة الأخيرة بخير والحمد لله. هذا إضافة إلى الوقت الكثير الذي تصرفه في كتابة مذكراتها منذ أن وعت على هذه الدنيا.

تركزت أخبار الليلة على ما يلي: رد فعل العراق على خطاب شيفرنادزه في الأمم المتحدة الشديد للهجة، وعلى تصريح له قال فيه إن الخطوة التالية، إن لم يتعظ العراق وينصاع للإرادة الدولية، قد تكون اللجوء إلى خيارات أخرى منها الخيار العسكري... فقد ذكر ناطق عراقي رسمي بلهجة عدائية جديدة ضد السوفييت، أصدقاء الأمس، واتهمهم بأنهم أصبحوا يسبحون في فلك السياسة الأمريكية العدوانية.

السعودية ردت على الملك حسين من خلال السفير السعودي في أمريكا، الأمير بندر بن سلطان، على شكل رسالة متلفزة موجهة إلى الملك حسين بالإنجليزية، وذلك ردًا على رسالة الملك حسين المتلفزة والتي وجهها قبل أيام إلى الشعب الأمريكي يشرح فيها الأحوال التاريخية والمعاصرة لأزمة الخليج، وبحثها وسائل الإعلام الأمريكية. جاء في رسالة الأمير بندر:

«أيها الملك تتحدث عن المقدسات الإسلامية في السعودية، وهي بخير والحمد لله، والقوات الصديقة الأجنبية تبعد عنها مئات الأميال، إنني أريد أن أسألك ماذا فعلت بالمقدسات الإسلامية التي كانت تحت سيطرتك منذ حوالي ربع قرن، أين المسجد الأقصى وأين كنيسة القيامة، أليست هي الآن ترزح تحت نير الاحتلال الصهيوني؟

واليوم تتحدث عن تأييدك لتقرير المصير للفلسطينيين، لماذا لم تمنحهم هذا الحق عندما كان في مقدورك ذلك، أي عندما كنت تسيطر على ما تبقى من فلسطين وقتها...؟».

وأضاف الأمير بندر في نفس الرسالة: «إنك تتحدث عن الحدود العراقية الكويتية، وأنها من صنع الاستعمار، ألا ترى أن حدود مملكتك، بل ومملكتك كلها كانت من صنع الاستعمار...؟».

لقد كان حديث بندر أعنف رسالة يتلقاها الملك حسين في تاريخه، وبالطبع فإن الأمير بندر لا يواجه مثل هذه الرسالة إلا بتعليمات من «خادم الحرمين».

إن هذا يعني أن صفحة سوداء بدأت في سجل الأردن عند السعوديين... فإلى أين يا «جلالة الملك؟». إن الأردن، كما توحى الأخبار، مقبل على مشاكل لا حصر لها، وأنه يجري ترتيب أحداث ستشهدها الأردن، ربما تقلب الأمور رأساً على عقب، ضمن المخطط العام في الخارطة الجديدة للمنطقة.

الحرب الدعائية المعادية جداً بدأت أيضاً بين السعودية واليمن... ولا يدري أحد إن كان لموقف اليمن الإيجابي الأخير في مجلس الأمن، وتصريحات وزير خارجية اليمن «الإيرياني» أثر إيجابي على هذه العلاقات أم لا.

وفي خضم هذه الأحداث، اتخذت إسرائيل إجراءات قمعية شديدة ضد المواطنين الفلسطينيين في مخيم البريج، منها طرد من يُشتبه بأنهم أسهموا في قتل وحرق الجندي الإسرائيلي قبل أيام، ونسف بيوت ذويهم.

الألمانيتان، اتخذتا كل الإجراءات القانونية والدستورية، بعد مشاورات وبحوث مطولة بين الدولتين الألمانيتين، ومع الأطراف ذات العلاقة بهذا الأمر (الدول الأربع الكبرى: الاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا وأمريكا) وموافقة برلماني الدولتين من أجل توحيد ألمانيا، وحددتا يوم ٣/١٠/١٩٩٠ موعداً للاندماج النهائي.

ولم يحدث أن هاجمت ألمانيا الغربية ألمانيا الشرقية بحجة حقها التاريخي وضمها إليها بالقوة، بل بالوسائل السلمية والمعاصرة والقانونية المتحضرة.

أقيم اليوم حفل في برلين الشرقية لوداع الهيئات الدبلوماسية، وحددت مدة ثلاثة أشهر يتمتع خلالها الدبلوماسيون بالحصانة الدبلوماسية، ثم عليهم تحمل مسؤولية تصرفاتهم.

أكبر الخاسرين في هذه العملية هي فلسطين التي كانت تتمتع بسفارة لها في ألمانيا الشرقية، سينحدر مستوى تمثيلها إلى مجرد مكتب معلومات بدون حصانة.

(الخميس ٢٨/٩/١٩٩٠) بعد يومين على صدور قرار إلغاء الدينار الكويتي واستبدال به الدينار العراقي، أي قبل يومين، صدر قراران آخران، واحد يقضي بضرورة استبدال بأوراق ولوحات السيارات ورخص القيادة الكويتية رخصاً عراقية. والثاني يقضي بضرورة استبدال بالبطاقة المدنية الكويتية أخرى عراقية. وأنه يجب إتمام هاتين العمليتين خلال فترة شهر من تاريخه.

من أخبار اليوم أن اليابان تخطط لإرسال وحدات عسكرية غير قتالية للمشاركة في القوات المتعددة الجنسيات في منطقة الخليج. وهي بصدد تعديل دستورها بحيث يسمح لها باتخاذ هذه الخطوة. هناك خلاف بين القوى السياسية التي تحكم اليابان في هذا الخصوص، كما أن هناك انزعاجاً من قبل الصين ودول آسيوية أخرى حول هذا القرار.

السلطات العراقية سلّمت السفارات الغربية في بغداد مذكرات تطلب فيها أن تتقدم هذه السفارات بكشوف تحتوي على أسماء الرعايا اللاجئين في سفاراتها، وقد أرفق مع المذكرة نص القرار الذي كان قد صدر منذ أكثر من شهر والقاضي بإنزال عقوبة الإعدام على من يتستر على أجنبي عنده. أثار هذا الموضوع ردود فعل سلبية جداً عند الدول الغربية، ما دعاها إلى التنديد بهذا القرار.

موضوع إنساني آخر، هو وجود حوالي ستة عشر ألف قيتنامي يعملون في العراق وانقطعت سبل السفر لبلادهم، ومهددون بالجوع إذا لم تجر سريعاً عملية إنقاذ لهم. وقد أعلنت هيئة الإغاثة الدولية هذا النبأ وطالبت بحوالي خمسة عشر مليون دولار للقيام بعملية الإغاثة هذه، وترحيل هذا العدد من القيتناميين إلى بلادهم.

وبرزت هذه المشكلة بعدما أعلن العراق أنه لن يقدم الغذاء أو يصرف المواد الغذائية للأجانب الموجودين في العراق وفي الكويت، بسبب الحظر الاقتصادي المفروض على العراق، وذلك بدءًا من يوم الاثنين القادم ١٠/١٩٩٠.

من هم الأجانب؟ هل هم الغربيون فقط.. أم كل من ليس عربيًا.. أو ليس عراقيًا؟

وبسبب ارتفاع أسعار النفط، ورغبة في طمأنة العالم بأنه لن تكون هناك مشكلة كبيرة في هذا الصدد، ولإيقاف تصاعد سعر النفط، صرحت أمريكا بأنها سوف تضع في السوق خمسة ملايين برميل من احتياطي النفط المخزن لديها (لدى أمريكا ما يزيد على خمس مئة مليون برميل نبط يشكل احتياطي النفط عندها وذلك حسبما نقلت الأخبار).

بدأت بعض المصادر الإعلامية الغربية تشير إلى موضوع الوقت ومروره، وهل هو يصب في صالح العراق أم ضده؟ وتميل معظم هذه المصادر إلى أن القول إن الوقت يعمل لصالح العراق، لذا تدعو هذه المصادر إلى تشجيع الولايات المتحدة وحلفائها للإسراع في اتخاذ الإجراء الحاسم، ألا وهو الحل العسكري.

الجميع قلقون جدًّا من تطور الأحداث... ومن الإجراءات التي تتخذ تبعًا من قبل السلطة العراقية، وكل واحد خائف من القادم، فما هو القادم... أهو استمرار الوضع الحالي، أي بقاء هذا الوضع غير الطبيعي وغير الآمن؟ وإلى متى؟

أهو حل سلمي... أم حل عسكري؟

وكيف ستكون عليه الحال عند اضطرار هذه الحشود العسكرية المتعددة إلى اتخاذ قرار الحرب؟

وإن كان حلًّا سلميًّا.. فكيف سيتم، وماذا سيترتب عليه من آثار على الفلسطينيين «المتهمين بالتعاون مع العراق الغازي والمحتل؟».

هل سيُطرَد الفلسطينيون من الخليج، كما صرح الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربي، عبد الله بشارة، الذي قال قبل أيام إنه «لن يكون في الخليج متسع للفلسطينيين بعد تحرر الكويت».

إن موقف الفلسطينيين من الأوضاع، كما ذكرت سابقًا، ليس كما يصور على أنه موقف خيب أمل الكويتيين... واعتبروه موقفًا متخاذلاً، وأحيانًا ينعتونه بأنه موقف خائن للكويت التي كان خيرها يفغمرهم وعمّ عليهم وعلى الآخرين من أهاليهم.

إن موقف الأغلبية العظمى من الفلسطينيين الذين بقوا في الكويت هو موقف خيب أمل العراقيين، وليس الكويتيين. فالعراقيون تمنوا... ولا يزالون يتمنون أن يساندهم الفلسطينيون عن طريق الانخراط بما يسمى بـ«الجيش الشعبي» والقيام بمظاهرات التأييد في الكويت، وخاصة في أماكن تجمعهم -حولي والنقرة والفروانية والسالمية- والتي لم تخرج في أي منها أية مظاهرة من تلك التي يتمنونها.

هذا إضافة إلى مئات الفلسطينيين ومشاركتهم إخوانهم الكويتيين في التصدي للقوات العراقية المحتلة ومقاومة وجودهم الغازي.

إن الزمن، إن عدل، سوف يظهر الحقائق... والباقي على الله...

أسئلة كثيرة وخوف كبير مسيطر على الكثيرين من الكويتيين والفلسطينيين.

علي صديق يزيد وزميله، وهو من الذين لم يكونوا يفكرون إطلاقًا في السفر، ذكر أمس أنه يفكر جدًّا في السفر... ومن قبله غادر البلاد زميلهم فؤاد... ولعلي أسبابه في ذلك...

أبرز أخبار أمس كانت رسالة الرئيس العراقي صدام والموجهة إلى الأميركيين عبر شاشات التلفزيون، ومدتها تسعون دقيقة...

يا إلهي كم نحن نعشق الكلام... ألسنا أبناء التراث الشعري والثري...

لقد عرض صدام لتاريخ المنطقة، وجرائم الاستعمار فيها وحق العراق في ضم «الفرع إلى الأصل»... وأن المشكلة تكمن في التواجد العسكري الغربي وخاصة الأمريكي الذي «يدنس الأراضي المقدسة» وأن ذلك هو عدوان صارخ على «الأمة العربية ذات الرسالة الخالدة...».

واتحدوا يا عرب ويا أحرار العالم... وليخسأ الخاسئون!

وألقى أمير الكويت الشيخ جابر خطابه في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، الذي استقبل وودع في الجمعية العمومية للأمم المتحدة كما يستقبل فيها كبار زعماء العالم. وقد وقف الجميع تحية له وصفقوا له طويلاً بعد انتهاء خطابه. أهم ما جاء في خطابه شكره لموقف العالم المتحد والمتضامن مع الكويت، واستعداد هذا العالم لنصرة شعب وحكومة الكويت لاستعادة الوطن المغتصب. وعبر عن إيمانه باستعادة وطنه قريباً.

(الجمعة ٢٨/٩/١٩٩٠) تكلمة لقصة صديق يزيد الألماني، الذي لجأ إلى صديقه، فقد تم ليلة أمس سرقة أهم ما في منزله أمام عينيه التي كانت تراقب العملية من نافذة شقة صديقه الذي لجأ عنده، وهي شقة تقع قبالة المبنى الذي كان يسكنه. وقال إن سيارة عسكرية كانت تقف عند مدخل المبنى، وأن أشخاصاً بلباس عسكري - أخضر داكن - هم الذين قاموا بعملية النهب!

أهم أخبار اليوم، تركيا أجبرت ثلاث طائرات كانت متوجهة إلى العراق على الهبوط في مطاراتها لتفتيشها بموجب قرار مجلس الأمن الدولي المتعلق بهذا الأمر، لكنه لم تحدث أية إشكالات... أو مضاعفات حتى الآن.

الأردن أعلن أمس أنه أوقف رحلات طيرانه بينه وبين العراق، التزاماً بمقررات مجلس الأمن الدولي.

الرئيس الأمريكي بوش استقبل اليوم الشيخ جابر في واشنطن، وأجرى معه حديثاً عن الأزمة، وتناولوا معاً طعام الغداء بدعوة من الرئيس بوش. وفي حديث الشيخ جابر جاء

شكر الكويت للولايات المتحدة الأمريكية لموقفها المساند لمطالب وحق الكويت، بينما أعلن بوش أنه يأمل في أن يزور الكويت المحررة قبل نهاية السنة (الميلادية) الحالية.

اليوم فاتحت وتمام أولادنا الثلاثة بموضوع سفر الشباب -أولادنا- إلى الخارج. وهو أمر نابع من شكنا في أن أزمة الخليج ستسوى في القريب العاجل وأن الحل، أيًا كان، ربما يستغرق مدة أطول مما يتوقع المرء بالرغم من متابعة الأخبار وتحليلها واستنتاج ما يشير إلى أن الحل العسكري لحسم وإنهاء هذه الأزمة سيكون الخيار الأخير والوحيد، وأنه ربما يتم العمل به خلال أسابيع قليلة.

اتفقنا على مبدأ سفر بلال، وأن عليه أن يبدأ بإعداد ما يلزم للسفر عن طريق الأردن، وأن ما يشجع على ذلك هو قرار والدي صديقه فريد على سفر ابنهم فريد إلى أمريكا لإكمال دراسته (فريد كان يدرس في جامعة الكويت) وأن فريد سوف يسكن مع بلال في شقته ما سيخفف من المصاريف، وأنهما سوف يحاولان العمل، في أي عمل، يؤمن لهما بعض المال لسد رمقهما، أما بالنسبة إلى يزيد وبشار، فقد اتفقنا على أن تجري دراسة الموضوع مرة ثانية، ولم نقرر بهذا الشأن أي قرار.

لكنهما -يزيد وبشار- ذكرا أنهما قررا عدم تركنا وحدنا في هذه الأزمة، شكرناهما على هذا، وقلنا لهما إننا لم نصل بعد إلى سن الشيخوخة حتى نضطر كما أو أحدكم ليكون معنا. «الله يرضى عليهم».

(السبت ٢٩/٩/١٩٩٠) زارنا قبل ظهر اليوم الصديق والقريب جميل الحسني، وأمضينا أكثر من ساعتين تبادلنا فيها أخبار الساعة، اتفقنا على وجهات نظر كثيرة، من أهمها أنه لا يمكن للعراقيين أن يحققوا انتصارًا عسكريًا في الحرب التي يمكن أن تنشب بين لحظة وأخرى، وقال إن الحل، سلميًا كان أو عسكريًا، يحتاج إلى وقت... وربما يمتد إلى شهور.

الحديث عن الحركة العسكرية في منطقة الخليج متزايد في هذه الأيام، فهذه فرنسا قد أرسلت بجزء من قواتها، التي كانت قد أعلنت قبل أيام أنها سوف ترسلها إلى المنطقة

لتنضم إلى القوات متعددة الجنسيات، والتي عددها حوالي ثلاثة عشر ألف جندي. وأن جزءًا منها قد وصل بالفعل وأن الباقي سيكتمل يوم الاثنين القادم.

بريطانيا بدأت بتحريك قواتها، أو بالأحرى باستكمال قواتها المعلن عنها مسبقًا والتي ستشارك بها في القوات متعددة الجنسيات، وأن قوات ما يسمى بـ«جرذان الصحراء» جزء من هذه القوات مع دبابات «تشالينغر» الشهيرة.

المناورات العسكرية للقوات متعددة الجنسيات والمحتشدة في أراضي السعودية وفي غيرها من بلدان الخليج، والتدرب على أجواء الصحراء والحرب فيها، تجري على قدم وساق... وبشكل مكثف.

طارق عزيز، وزير خارجية العراق، طار فجأة بعد ظهر اليوم إلى الأردن، وحمل رسالة من الرئيس العراقي إلى العاهل الأردني ردًا على رسالة «خطية» بعث بها الملك حسين إلى الرئيس صدام منذ عشرة أيام وحملت نتائج اجتماع القمة العربية الثلاثية التي انعقدت في الرباط، بحضور الملكين الحسن والحسين والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد.

وتقول بعض المصادر العربية إن الرسالة حملت مقترحًا يقضي بالطلب من العراق بأن يتعهد لسحب قواته من الكويت قبل البدء في أي وساطة لتسوية الأزمة، ثم تتلوها تشكيل لجنة «عقلاء» تضم قادة دول عربية من المؤيدة والمعارضة لموقف بغداد، لوضع صيغة تقبل بها كافة الأطراف المعنية.

الأمير حسن، ولي العهد الأردني موجود في أمريكا، والتقى وزير الخارجية أمريكا والاتحاد السوفييتي معًا، وعددًا من المسؤولين الأمريكيين. وعقد مؤتمرًا صحفيًا في واشنطن حيث كرر فيه أن الأردن ملتزم بقرارات الأمم المتحدة!

وتحدث عن خسائر الأردن الناتجة من أزمة الخليج. وقال إن خسارة الأردن تقدر بنحو ٥٠% من الإنتاج الوطني العام، وبثلثي المدخول الوطني، وأن في الأردن ما لا يقل عن ٢٠% من

الأيدي العاملة عاطلة عن العمل. وهو يأمل أن يعوض الأردن عن هذه الخسائر، مع العلم أن التعويضات المقرر تقديمها من الأموال التي تبرعت بها دول العالم الغنية، سوف تقدم إلى الدول التي تلتزم بمقررات الأمم المتحدة بشكل فعلي.

موقف السوقية وموقف الصين أصبح يميل أكثر فأكثر نحو عدم معارضة اللجوء إلى الحل العسكري إن كان لا بد منه. وموقف بريطانيا وفرنسا مندفع إلى حد مثير نحو الخيار العسكري.

في جيبوتي أقيمت قنبلة في مقهى يرتاده الفرنسيون، وقتل صبي في التاسعة من عمره، وهو ابن أحد الضباط الفرنسيين، كما أصيب نحو سبعة عشر آخرين.

الحادث سبب إزعاجًا كبيرًا للفرنسيين، وقالوا إنهم يحققون في الحادث وأن فرنسا سترد بعنف وبنفس المستوى إن ثبت ضلوع العراق في هذه العملية.

هناك إجماع عالمي على ضرورة تراجع العراق وانسحابه غير المشروط من الكويت، لكن العراق لم يبدِ حتى الآن استعدادًا، ولو بشكل غير مباشر، على أن هناك أية فرصة للتفكير في مراجعة موقفه من احتلال الكويت وضمها.

لكن السؤال الذي يتردد على ألسنة الجميع: ما الذي يجعل صدام حسين متمسكًا بموقفه هذا؟

وعلى ماذا يعتمد في هذا التعنت ضد إرادة العالم وقواته الجبارة المحتشدة ضده في المنطقة؟

الاعتقاد السائد هو أن صدام لا يعتقد بأن دول الغرب، وبخاصة أمريكا، سوف يقدمون على الحرب... وإن حدث ونشبت... فلسوف يخوضها مهما تكلف الثمن!

ومن سيدفع الثمن... شعب العراق بالطبع، وشعوب وثورات المنطقة.

بالنسبة إليه... لا إليهم... فهو على استعداد لأن يحرق المنطقة وأن يضحي بمئات الآلاف من جنوده... بل على استعداد لأن يضحي بالعراق في سبيل أوهام خرقاء!

أي هراء هذا... وأي جنون هذا... وأية مصيبة سيزجنا فيها هذا اللإنسان المجنون؟

ألمانيا تسيّر نحو الوحدة، لكن هناك إشكالات برزت اليوم بخصوص الانتخابات القادمة في كل ألمانيا، الغربية والشرقية، وهي خلافات حول قرار اتخذه مجلس النواب الألماني قضى بأن الحزب الذي لا يحقق أكثر من 5% من النواب لا يحق له أن يكون فيه (في مجلس النواب).

اعترفت الأحزاب التي لا تتوقع الحصول على هذه النسبة، واعتبرت القرار قرارًا مجحفًا وغير ديمقراطي، ومنها الحزب الاشتراكي الألماني الموحد (الشيوعي) الذي كان يحكم ألمانيا الشرقية، وغيره من الأحزاب الصغيرة، وعليه فقد رفعوا الأمر إلى محكمة العدل العليا التي رفضت قرار مجلس النواب، وهي من حقها أن ترفضه، وطلبت تعديله بحيث يتيح للأحزاب الصغيرة التي تحرز 3% أو أكثر أن تدخل المجلس...

الديمقراطية الحقيقية جميلة... ما أحلاها... متى يتمتع أبناءنا بها... أبناءنا على الأقل، فجيلنا يعرف أنها بعيدة المنال بالنسبة إليه؟

الاتحاد السوفييتي قرر استئناف رحلات الطيران المدني المباشرة بين موسكو وتل أبيب، وذلك بعد اتصالات جرت بين السوفييت وإسرائيل في هذا الخصوص. وسيتيح هذا القرار أن تتكثف هجرة اليهود السوفييت إلى فلسطين المحتلة.

كما ذكرت بعض الإذاعات أن فلسطين شهدت لأول مرة منذ اندلاع الانتفاضة هدوءًا نسبيًا لم تشهده من قبل! وليخسأ الخاسئون...

(1) أحد الوزراء العراقيين وابن عم الرئيس العراقي، والمشهور بأنه الذي أعطى الأوامر بضرب الأكراد في شمال العراق بالقنابل الكيماوية.

تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٠

(الاثنين ١/١٠/١٩٩٠) قبل يومين ذكرت لي تمام أن «جولي وسالي» الشغالتين عندنا يرغبن في إلقاء نظرة على المدينة، ومشاهدة آثار ما حدث والاطلاع على مدينة الكويت بعد كل ما حصل. اليوم ذهبت وتمام مع الأختين جولي وسالي في رحلة بدأت من بيتنا ثم حولي ثم الدائري الرابع ثم الشويخ ثم شبرة (سوق) الخضار والفواكه ثم شارع الكندا دراى ثم الدائري الثالث ثم شارع الرياض ثم دوار الشيراتون ثم شارع فهد السالم ثم وسط المدينة ثم دوار وزارة التربية ثم دوار بناية الخليجية ثم شارع الاستقلال ثم الجابرية.

الأسواق لا تزال مغلقة، حواجز التفتيش العسكرية كثيرة، واحد على الأقل في كل شارع، ومعظم الجنود الذين يقفون على تلك الحواجز كانوا ممن يلبسون القبعات الحمراء. اثنان فقط من هذه الحواجز سألوا عن الهوية، هويتي أنا فقط، ولم تكن هناك أية مشاكل... والحمد لله.

معظم السيارات التي كانت تشاهد محترقة أو مدمرة على جوانب الشوارع والطرق أزيلت أو نقلت من مواقعها، لكنه لا يزال البعض منها موجودًا في مكانه.

لكن منظر الأوساخ والزباله، خاصة في سوق الخضار، منظر مقزز ومقرف ومؤسف جدًا...

هل أنا بالفعل في الكويت؟

سؤال رددته في ذهني طوال فترة رؤيتي لما آلت إليه الأوضاع في هذا البلد...

في سوق الخضار، وعند بعض الدكاكين الصغيرة، أو على ناصية الشوارع وأرصفة الميادين، يوجد كثير من الجنود العراقيين الذين يسعون لتأمين غذائهم، فهذا يحمل

كرتونة بيض، وآخر يحمل كيسًا من الممكن أن يحتوي على شيء من الغذاء أو الخضراوات...

من أهم ما لفت نظري اليوم هو الأسماء الجديدة التي أطلقت على كثير من الشوارع والأحياء في الكويت بدلًا من أسمائها السابقة. فمنطقة الجابرية أصبحت تحمل اسم «حي الأحرار» والسالمية صار اسمها «النصر» وضاحية عبد الله السالم صارت «حي البصرة» وشارع فهد السالم صار اسمه «شارع الفاو» وصار اسم منطقة سلوى «حي الخنساء» ومنطقة الشويخ صارت «حي الشهداء». كما أن أسماء المدارس تغيرت، خاصة الأسماء المستمدة من اسم آل الصباح.

زارنا أمس الأحد الصديق عبد القادر، ثم حضر حاتم بعد مكالمة هاتفية معه، وحدثنا حاتم عن محاولته أمس وصباح اليوم تغيير أوراق السيارة التي يريد أن يسافر بها إلى الخارج، فقال: لقد وقفت أمس اثنتي عشرة ساعة، بسيارتي، في طابور امتد قرابة ثلاثة كيلومترات من مبنى المرور حيث تجري عملية استبدال الأوراق ولوحة رقم السيارة ورخصة القيادة. وأنه لم يستطع عمل شيء لأنه وصل إلى الموقف المعني (عراقي) في وقت انتهى فيه الدوام والعمل. وفي الصباح الباكر، في الرابعة فجرًا، ذهب لبدأ العملية من جديد، وبعد انتظاره حوالي ساعتين اكتشف أن الطابور أمامه أطول من طابور الأمس، وقدر أنه لن يستطيع الوصول إلى الموظف العراقي المعني قبل نهاية الدوام، وعاد مرة أخرى دون أن يحقق مطلبه. وقد قال إن هناك أناسًا ناموا الليلة في سياراتهم وفي الطابور لكي يحتفظوا لأنفسهم بدور متقدم فيه من أجل إجراء اللازم في اليوم التالي.

أمس مساء قمت وتمام بزيارة الصديقين وليد وليلى، تحدثنا، واتفقنا أننا تعبنا... شربنا الشاي، وأكلنا «عوامة» طيبة...

أطرف ما سمعت من الشائعات أن الناس ينتظرون الرابع من أكتوبر القادم، لأنه -حسبما يقول «العجيري» في رزنامته- سيكون يوم فرح عظيم للكويتيين. ويقولون إنه جاء في أجندة العجيري الحائطية السنوية أن الثاني من أغسطس (آب ١٩٩٠) سيكون يوم حزن

وكرب على الكويتيين... هكذا بلغني... والناس تعتقد بأن الفرج سيكون يوم الرابع من أكتوبر القادم لأن العجيري يقول إنه سيكون يوم فرح عظيم... والله أعلم.

مما لفت النظر أمس أن نشرة أخبار إذاعة لندن التي لم تبدأ بخبر عن أزمة الخليج كما جرت العادة منذ بداية أحداث الكويت، وأن الخبر الأول كان عن مؤتمر قمة من أجل الأطفال في الأمم المتحدة، حضره أكثر من سبعين زعيمًا عالميًا. أقيمت في هذا المؤتمر المهم كلمات كثيرة تهدف إلى اتخاذ ما يلزم لحماية الأطفال من الموت جوعًا أو مرضًا في عالم اليوم.

من الحقائق المذهلة، التي أعلنها صندوق الطفولة الدولي، أن أربعين ألف طفل يموتون يوميًا من الأمراض، التي يمكن الوقاية من معظمها، أو من الجوع! ومن هذه الحقائق الرهيبة أن مبلغ ٣.٣ بليون مارك يمكن ان تنقذ حياة خمسة وعشرين مليون طفل في العالم. وتجدر الإشارة إلى أن مشاركة ألمانيا المادية في أزمة الخليج في الأشهر الأربعة من العام الحالي قد بلغت ٣.٣ بليون مارك... إنها حقيقة مفجعة!

لكن أزمة الخليج لم تغب عن المؤتمر، فقد تناولها معظم من تحدث في هذا المؤتمر بشكل أو بآخر.

نفت الصين نبأ نشرته جريدة الـ«إندبنتندنت» البريطانية بأن الصين زودت العراق بمادة كيميائية، قيل إنه يمكن استخدامها في إنتاج السلاح النووي.

أعرب «أبو نضال» زعيم ما يسمى بـ«حركة فتح المجلس الثوري» عن تأييده ودعمه للعراق في معركته ضد الوجود الأمريكي في المنطقة. وهذه هي المرة الأولى التي تنشر الصحف العراقية خبرًا عن «أبو نضال» منذ أن ساءت علاقته بالعراق منذ أكثر من خمسة أعوام.

تمكنت سوريا في هذه الأزمة من استعادة علاقات قوية مع مصر، وقد حمل عبد الحليم خدام اليوم رسالة من الرئيس حافظ الأسد إلى الرئيس حسني مبارك تناولت الأوضاع

العربية وتطورات أزمة الخليج.

اليمن، والتي كان لها مواقف من أزمة الخليج... أدت إلى توتر علاقاتها مع العديد من الدول العربية وعلى رأسها السعودية، بدأت تخرج من مأزقها، وتغير من موقفها بشكل أكثر وضوحًا، وتحاول تحسين علاقاتها مع بعض هذه الدول. فقد استقبل الرئيس المصري مبعوثًا يمنيًا يحمل رسالة من الرئيس اليمني علي عبد الله صالح إلى مبارك.

هناك أخبار عديدة يشتم منها رائحة الحرب مرة أخرى. فوكالات استخبارات بريطانية وأخرى أمريكية وغيرها من أجهزة الاستخبارات الدولية تتحدث عن استكمال الاستعدادات العسكرية في منطقة الخليج.

وقد أفادت هذه المصادر بأن عدد أفراد القوات الأمريكية في المنطقة قارب الربع مليون مع كل ما يحتاجونه من المعدات الحربية، فهناك مثلًا حوالي ألف طائرة حربية وأكثر من خمس مئة طائرة طوافة (هليكوبتر).

وتضيف هذه المصادر أن عدد أفراد القوات العراقية المحتشدة على الحدود مع السعودية قد وصل إلى أكثر من أربع مئة ألف جندي، بدباباتهم ومدافعهم وصواريخهم، ولديهم ما يزيد على خمس مئة طائرة حربية. كما تحذر هذه المصادر من أن العراق أصبح قادرًا على استخدام قنابل جرثومية في الحرب المتوقعة.

لذلك ترى هذه الوكالات والأجهزة الاستخباراتية أنه من المقلق جدًا التأخر في ضرب العراق بالسرعة الممكنة، ويدور الحديث عن أن شن الحرب ضد العراق سيكون في غضون أسابيع ستة، إذ تكون درجة حرارة الجو قد انخفضت وتحسن الطقس وأصبح مناسبًا. وتضيف هذه المصادر فتقول إن هناك عاملًا آخر وهو عامل مرور الزمن الذي يعتقد أن استمراره بهذا الحال يمكن أن يكون لصالح العراق.

لكن التكهّنات في هذا الخصوص تظل مجرد اجتهادات، مبنية على معلومات ودراسات عسكرية أكاديمية، إلا أن للسياسيين حساباتهم التي يمكن أن تكون مختلفة عن الحسابات العلمية والعسكرية.

أحد كبار الضباط البريطانيين صرح، حسبما جاء في صحيفة «الأوبزرقر» البريطانية، بأن القوات البريطانية إذا ما هوجمت بأسلحة كيميائية عراقية فإنها سترد على ذلك بأسلحة نووية!

مستشار بوش للأمن القومي قال في نفس اليوم إن واشنطن تسعى إلى الحصول على قرار من مجلس الأمن الدولي يساند اللجوء إلى الحل العسكري لأزمة الخليج. لكنه من الواضح أن هناك عملية تضبيب متعمدة في هذا الأمر، ربما تكون بدافع التكتّم والتضليل، وهو إجراء عسكري مشروع.

ليلاً أعلن في نيويورك أن العلاقات القنصلية قد استعيدت بين الاتحاد السوفييتي وإسرائيل بعد انقطاعها منذ عام ١٩٦٧. وقد جاء ذلك على لسان وزير الخارجية السوفييتي والإسرائيلي إثر اجتماعهما اليوم. وأكد أن الرحلات الجوية المدنية بين البلدين سوف تستأنف في أواخر الشهر القادم (أكتوبر).

منظمة التحرير الفلسطينية، ونتيجة لتصاعد انتفاضة الشعب الفلسطيني في اليومين الأخيرين، واستمرار المحاولات الوحشية لقمعها، حيث استشهد ثلاثة أشخاص وجرح العشرات في صدامات عديدة في منظمة نابلس وقطاع غزة، تقدمت بطلب لعقد اجتماع لمجلس الأمن الدولي بهدف بحث هذه الأعمال القمعية التي تقوم بها السلطات العسكرية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني. كما طالبت بالعمل على تنفيذ قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية.

الرئيس العراقي ألقى خطاباً متلفراً بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف، جاء فيه أن حل أزمة الخليج لا يتم إلا عبر مبادرته التي أطلقها في الثاني عشر من الشهر الماضي (آب/

أغسطس)، والتي تقضي بضرورة البحث والعمل على حل كافة مشاكل الشرق الأوسط في آن واحد. أما فيما يتعلق بالكويت فقد جاء في كلامه أن لا رجوع إلى ما قبل الثاني من (آب/ أغسطس) الماضي. كما دعا إلى انسحاب القوات الأجنبية من الأراضي المقدسة، وإلى الجهاد المقدس. وقال عن خطاب الرئيس الفرنسي ميتران، الذي ألقاه في الجمعية العمومية للأمم المتحدة قبل أيام، أنه اتسم بلهجة غير عدائية، وأنه يجري الاتصال مع الفرنسيين من أجل استيضاح بعض جوانب ما ورد في خطابه، لإيجاد الحل المناسب لمشكلة المنطقة.

ناطق رسمي فرنسي رد الليلة، على ما جاء في خطاب صدام، بقوله إنه لا توجد أية اتصالات مع العراق في هذا الشأن.

هذا المساء ألقى الرئيس الأمريكي بوش خطابه أمام الجمعية العمومية في الأمم المتحدة، الذي كان خطاب الدورة، إذ تحدث بمسؤولية الزعيم المسؤول عن أمن وسلامة العالم ورفاهية سكانه. كان خطاباً تاريخياً مهماً جداً، إذ ألقى الأضواء على المشاكل الأساسية التي تقلق العالم مع انتهاء القرن العشرين وإطلالة القرن الحادي والعشرين. وقد حضر هذه الجلسة كثير من زعماء العالم وكبار سياسيه.

ومما جاء في خطابه: «إن العقد الأخير من هذا القرن يجب أن يشهد عهداً جديداً تتحقق فيه الأهداف التي رسمها مؤسسو هذه المنطقة، منظمة الأمم المتحدة، وهي أن يسود العالم السلام والأمن والحرية والرخاء. إنه عالم جديد، ليس بسبب قوة دوله أو أممه، بل عالم تتجلى فيه قوة الفرد... وقوة الاختيار... وقوة المجازفة... وقوة النجاح...».

«إن تحالفنا الدولي يجب أن يعمل من أجل انتهاج وتكريس الديمقراطية... وزيادة الرخاء والازدهار... وزيادة السلام... وتقليل السلاح.».

«إن آية هذه المنظمة لن تكون مجمدة ومقيدة... بعد يومين من اليوم سوف تدفن الحرب الباردة في برلين وإلى الأبد...» (مشيراً بذلك إلى إعادة توحيد ألمانيا).

وعن أزمة الخليج قال: «إن الإجماع الدولي الحازم لإدانة العدوان العراقي ضد الكويت يفتح صفحة جديدة لحل مشكلات العالم ومنع أي معتدٍ من جني أي مكسب من وراء عدوانه (...) منذ الثاني من أغسطس الماضي اتخذ مجلس الأمن الدولي ثمانية قرارات من أجل حل أزمة الخليج، إن على العراق أن يواجه الحقيقة، وإني أكرر أمامكم ان ضم الكويت أمر لن يسمح له بأن يمر. إن هذا ليس موقف الولايات المتحدة فقط، إنه موقف كل كويتي وموقف جامعة الدول العربية وموقف الأمم المتحدة. إن على القيادة العراقية أن تسمع... إن العراق يقف في وجه العالم كله...».

«إننا أرسلنا قواتنا إلى منطقة الخليج بناء على طلب من الحكومة السعودية، وذلك لتطبيق العقوبات ولردع المعتدي ولمنع وقوع أي عدوان جديد. إن أحدًا من الشعب الأمريكي، ولا رئيسه الذي يقف أمامكم، يريد أن يبقى جندي واحد من قواتنا بعيدًا عن وطنه يومًا واحدًا بعد إنهاء قواتنا مهامها هناك».

«إنني متأكد من أن دول وشعوب منطقة الخليج سوف يتمكنون من حل مشاكلهم وخلافاتهم بعد انتهاء الأزمة، وأن الرخاء والازدهار والاستقرار سوف يعم المنطقة من بعد. كما أن دول وشعوب المنطقة سوف تتمكن هي أيضًا من تسوية الخلافات التي تفصل العرب عن إسرائيل».

واتهم النظام العراقي بأنه «نظام استبدادي بربري متخلف عن الزمن الذي نعيش فيه، ليس تخلفًا يقاس بالمسافات الجغرافية، بل بقرون من الزمان».

الرئيس المصري حسني مبارك تحدث عبر صحيفة فرنسية أجرت معه حديثًا قبل يومين تناول فيه أزمة الساعة، فقال: «إن جميع الفلسطينيين لا يؤيدون صدام ولا يقفون معه في غزوه للكويت، إنهم في موقف صعب. إن مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية موجود في بغداد، وليس بوسع عرفات أن يعلن بأن العراق على خطأ، فإذا قال بأن غزو العراق للكويت أمر غير مشروع فسوف يواجه كثيرًا من المشاكل، وأنا أعذره وأشفق عليه...».

«إن النظام العراقي قادر على تصفية عرفات جسدياً أو بأية صورة أخرى. إن عرفات يظل الشخص المفضل كرئيس للمنظمة، فنحن نعرفه جيداً وندرك تماماً متاعبه».

وعن الملك حسين قال مبارك: «إن الملك بحكم جبرته للعراق يجد نفسه في موقف صعب على الرغم من أنه ارتكب أخطاء كثيرة في حساباته، ولكني لا أستطيع أن أقول عنه أنه خائن!».

مؤتمر الطفولة الدولي والذي افتتح أول أمس بحضور سبعين زعيماً دولياً اختتم أعماله وأصدر قراراته التي يمكن تلخيصها في الآتي:

- العمل على خفض معدلات الوفيات عند أطفال العالم.

- توفير مياه الشرب النظيفة لأطفال العالم.

- توفير فرص التعليم الأساسي لأطفال العالم.

(اليوم ٢/١٠/١٩٩٠) الصديق عبد القادر اتصل للمرة الثانية يسأل عن حاتم، ويعلمنا أنه لا يعرف عنه شيئاً منذ أول أمس. ويبدو أن حاتم قرر المبيت في طابور الانتظار لعمل الأوراق اللازمة الجديدة للسيارة التي يود السفر بها.

وليد قرر السفر مع بعض متاع البيت، لكنني لم أعرف إن كان ينوي السفر بسيارته أم بسيارة ركاب أم شحن؟

اتصل بي الصديق جميل البديري هاتفيًا ليطمئن عنا، كان صوته متهدجاً حزيناً وهو يقول إن أم سائد توضع ما أمكن من متاع لشحنه إلى الأردن حيث له بيت فيه. لم نتحدث طويلاً ولا كثيراً على أمل اللقاء... تمنيت لهم التوفيق ورجوته أن نلتقي، فمن يدري إن كنا سنلتقي ثانية!

(فجر يوم الثالث من أكتوبر ١٩٩٠)

إلى الحبيبة لبنى

يأتي عيد ميلادك يا حبيبتنا في هذا العام والحال غير الحال الذي نتمنى، فلا نحن في وطننا، ولا الأوضاع هنا كما كانت عليه، إذ ضرب هذا البلد الذي جمعنا معاً زلزالاً، فَرَّقَ شملنا، ولم يكن يخطر على البال... ومتى تنذر الزلازل بأهوالها... متى؟

وقبل أن أسترسل وأنسى أن أقول لك في عيد ميلادك أيتها الحبيبة، بل وأغني لك كما تعودنا في السنوات الثلاث الماضية، ويعزف لك عمك بشار أغنية عيد الميلاد «هاپي بيرث داي تو يو» ونغني كلنا معه، تيتا، تمام وأنا وبابا وماما وعمك بشار وعمك بلال، ومن يكون عادة من الأهل معنا في مثل هذه المناسبة، دعيني يا حبيبة الكل أقبلك قبلة كبيرة... كبيرة... بقدر كبر السماء، بل بقدر كبر البحار وأعماقها... كبيرة... كبيرة، وأقول لك كل عام وأنت بخير...

ثم ستسألين أين هديتي... فنفاجئك، أو بالأحرى تفاجئك تيتا، التي لا تنسى أبداً تحضير الهدية المناسبة لك في مثل هذه المناسبة... تفرحين بها.. ثم تدور عينك، اللتان تشعان ذكاء غير عادي، وكأنك تسألين عن باقي هدايا البابا والماما وعميك بشار وبلال ثم هدايا عمك جمال و«أنتي» لميس وورنا وداليا وعلاء، ثم هدية عمك إنعام وعمك أمين وهدية إيااد ورائد ورولا وأناس...

هذه السنة تحتفلين بعيد ميلادك رغماً عنا وبسبب الظروف القاهرة وأنت بعيدة عنا آلاف الأميال... ولكن معك ماما وعند «جدو وتيتا الألمانين».

وهذه كل ألمانيا تحتفل بعيد ميلادك، أليست مصادفة جميلة أن يأتي عيد ميلادك في وقت تحتفل كل ألمانيا بالحدث التاريخي الذي وُحِدَ بين شطريها؟ لقد قلت لي قبل سفرك وسفر ماما، الاضطراري، إنه من حق «أوبا وأوما» أن يشاهداك وتشاهديهم، وأنت لا تدريين أيتها الغالية ما الذي جعلك تسافرين أنت وناديا العزيزة والدتك بهذه الصورة... ولا تستطيعين إدراك ذلك إلا بعد بضعة سنوات من الآن...!

آه يا لبنى لو تعرفين ما سببتيه لنا من وجع في الصميم لغيابك عنا ولسفرك وماما بتلك الطريقة التي تمت. كم أحدثت من الفراغ في بيتنا بغيابك... فمتى تعودين يا حبيبة؟ وهل ستعودين؟

مرة أخرى أقول لك، وباسم كافة من أحبك من آل شموط الذين عشقتي الكثيرين منهم، بل عشقتي جو العائلة الذي كنت تعبرين عن سعادتك الكبيرة بها، بطريقتك، خاصة عندما نجتمع معاً في بيت والديك أو في بيتنا أو بيت عمك جمال أو عمك أمين، حيث كنت تكررين دوماً وتقولين... ياه... إنني أحب العائلة شموط.

فباسمهم ونيابة عنهم أقبلك وأقول لك سنة حلو يا لبنى... يا حبيبة.

لقد أرسلنا إليك باسمنا برقية بهذه المناسبة، أرسلها أبوك اليوم من بريد «حولي» الذي بدأ يعمل منذ أكثر من أسبوع، وكان أبوك قد أرسل برقية أخرى إلى والدتك لمثل هذه المناسبة التي مرت منذ حوالي عشرة أيام.

ولعلمك يا حبيبة إنني... وبمناسبة الاحتفال بعيد ميلادك، لم أعرف الاحتفال بمثل هذه المناسبات إلا بعد أن صار عمري أكثر من خمس وعشرين سنة. لم يكن هذا التقليد شائعاً بين الأسر البسيطة التي ننحدر منها أو ننتسب إليها، لا في اللد، مسقط رأسي، في فلسطين، ولا بعيد النكبة التي حلت بنا عام ١٩٤٨.

أظنني لا أخطئ إن قلت إن أول مرة احتفلت بها بعيد ميلادي كانت في إيطاليا عام ١٩٥٥، بعد أن عرفت أنه يحتفل بمثل هذه المناسبة، حيث يجتمع الأصدقاء، يأكلون ويشربون ويسهرون ويرقصون...

راقت لي الفكرة واستحسنتها، ولحسن حظي أنني أعرف تاريخ ميلادي تماماً وهو ٢/٣/١٩٣٠. ومنذ ذلك الوقت وأن أستغل مثل هذه الفرصة لكي نفرح... نعم لكي نفرح... فنحن أحوج ما نكون إلى أن نفرح... لموازنة ذلك الكم الهائل من معاناتنا ومآسينا وآلامنا.

وكنت قد تعلمت الرقص الغربي، وكان أمرًا ممتعًا أن ألتصق بجسم امرأة أراقصها، أو أن يستريح خد فتاة ناعم على كتفي... ممسكًا بيدها الطرية... ما أمتع ذلك!

وصار ذلك تقليد عممته، بعد عودتي إلى البيت... بيتنا، بين الأهل الذين كانوا مثلي يجهلون مثل هذا النوع من فرص الفرح والمتعة، وهكذا احتفلنا بمعظم أعياد ميلاد أبو «زيدو» وعمك «بشباش» وعمك «بلبل»، وبعيد ميلاد «تينا تمام» وعيد ميلادي سنويًا تقريبًا.

وأي بيت رجعت إليه. فقد كان هناك شبه بيت لنا في معسكر أو مخيم للاجئين بخان يونس في قطاع غزة، وبيت لشقيقي جميل، أو شبه بيت، في بيروت حيث كان يعمل في المقر الرئيسي لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأثروا).

أما بيتنا الحقيقي فقد طردنا منه عام ١٩٤٨، وكان في اللد، التي حدثت يا حبيبة عنه كثيرًا... وعن الأرانب التي كنت مولعًا بتربيتها... وعن الغنمة التي كنت قد اشتريتها، ولها «بلحتان» معلقتان في أسفل رقبتها، وعن «الكر» (الحمار الصغير) الذي اشتريته... وربيته عندنا في البيت، وكيف تعلمت وعلمته أن أركب عليه وأذهب مع إخوتي وبعض الأقارب إلى كرم التوت (بستان لنا يكثر فيه شجر التوت) لأحضر منه بعض الفواكه، وتصطبغ أقدامنا وشفاهنا بلون التوت البنفسجي الغامق... وعن «الصيصان» التي اعتنيت بها، وكيف كان «الواوي» يتسلل إلى حديقة ذلك البيت ويلتهم واحدًا من الصيصان الحلوة، أو واحدًا من الأرانب الصغيرة الجميلة... لكنني عرفت كيف أحافظ على أرانبي وصيصاني، ففلت محاولات «الواوي» بعد ذلك لاصطياد أي منها... ذلك كان بيتنا...!

لكنني وبعد أن عدت من روما، حيث عرفت فيها أن للإنسان عيدًا اسمه عيد ميلاد، ويحتفل به، وتكون مناسبة حلوة للقاء الأهل والأحبة والأصدقاء، لم أعد إلى اللد... وإلى بيتنا فيه، لأن اليهود الذين طردونا بالقوة من بلدنا سكنوا بيتنا...!

ولم أعد إلى خان يونس، إلا لزيارة الأهل هناك، بل عدت إلى بيروت حيث كان شقيقي جميل يعمل ويعيش.

بعدها سافر جميل شقيقي إلى لندن لدراسة الفن... واستلمت أنا العمل مؤقتًا في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، وغيرت مكان السكن الذي كان جميل يسكنه، لأنني أردت أن يكون لي بيت.

واستأجرت شقة جديدة، أثنتها بشكل جيد، وخصصت فيها غرفة لتكون المرسم. وصرت مثل الآخرين، أقيم فيها حفلات صغيرة على قدر ما تسمح به الظروف، وأدعو إليها كثيرًا من الأصحاب أو الأقارب الذين يأتون لزيارة بيروت أو لبنان الجميل الذي فقدناه...

كبر البيت، وكثرت فيه أشياء الإنسان، وصار لا بد من أن تشاركني في حياتي حبيبتني، وهي... تمام... تيتا. وقتها كانت فتاة جميلة، وهي لا تزال كذلك (أحسن تزعل تيتا) وتزوجنا عام ١٩٥٩. بعدها بحوالي سنة ولد أبوك، وبعد سنة أخرى ولد عمك بشار. كنا ننادي أبوك بـ«زيدو» وننادي عمك بـ«بشباش» وأحيانًا «باشو» أو «بلاشو». امتلأ البيت بالفرح والحب، وبكرايب العائلة... صرنا، أنا وتيتا وأبوك وعمك، نشكل عائلة، صغيرة ولكن جذورنا ممتدة في عائلة آل شموط وعائلة الأكل، وغنية، ليس بالمال وقد كان كافيًا لحياة مريحة والحمد لله، بل بحبنا وتآلفنا وبعلاقاتنا الاجتماعية ونشاطنا الدؤوب، بإنتاجنا الفني، وبما حققناه من نجاحات في مضماره.

عام ١٩٦٤ انتقل بيتنا من بيروت إلى فلسطين التي نحب، وعشنا في بيت جميل في مدينة البيرة قرب القدس الشهيرة. وأمضينا فيها قرابة ثلاثة أعوام... كانت من أحلى أعوام حياتنا، ويذكر أبوك وعمك بعض ملامحها.

أواخر العام ١٩٦٦ اضطررتنا الظروف إلى أن نرجع ثانية إلى بيروت، لنفتح بيتًا جديدًا فيها، هو الذي ولد فيه عمك بلال عام ١٩٦٩. وكنا ننادي عمك بلال بـ«بلبل». في عام ١٩٨٢ حدثت الأحداث الرهيبة في بيروت وفي لبنان بشكل عام. ولم يكن أمامنا مفر للهروب من أهوالها... فعشناها مجبرين فيها، نهرب من بين القذيفة والقذيفة من أجل كوب ماء، أو في سبيل الحصول على رغيف أو أي شيء نأكله...!

ونحمد الله أننا نجونا من الموت فيها، تيتا وعمو بلال وأنا... وكل أهل تيتا، والديها وأخويها وأخواتها، وأم جمال وولديها قاسم ومحمد شما الذين نعتبرهم جزءًا من عائلتنا، وهم يسكنون في بقايا بيتنا ببيروت حتى الآن، وكانوا يعيشون معنا كجزء من العائلة منذ عام ١٩٧٧ أي بعد نجاتهم من مذبحة تل الزعتر (هم من بقوا على قيد الحياة من عائلة مكوّنة من سبعة أفراد).

عام ١٩٨٣ وجدنا أنفسنا مضطربين إلى أن نجد لنا مكانًا نأوي إليه ونعيش فيه، فاخترنا الكويت. فهي بلد أمن وخير، وفيها من الأهل والأصدقاء ما يخفف عنا معاناة الهجرة الرابعة أو الخامسة...

وعام ١٩٨٣ هو عام ميلادك يا حبيبتنا جميعًا، فيه شاهدتك لأول مرة في حياتي. وحملتك بين أحضاني، وشغلت، منذ ذلك الزمن، حيزًا مهمًا في قلبي، بل في قلوب تيتا وعميك بشار وبلال، والآخرين من آل شموط. ولم تمضِ سنوات ثلاث إلا وكان عمك بشار قد التحق بنا، وعمل في الكويت، ثم جئت يا لبنى مع أبيك، الذي أسس مع أمك وبك عائلة صغيرة أخرى، جئت معهما لنعيش نحن كلنا معًا... أنت وأبوك وأمك وعمك بشار وعمك بلال وتيتا وأنا.

وعشنا والحمد لله هذه السنوات الثلاث الأخيرة، أو الأربعة، معًا... ما أحلى أن نكون معًا...

متى نكون معًا... وهل ستعود تلك الأيام التي ستجمعنا معًا مرة أخرى؟ كيف؟ ومتى؟
وأين؟

وهل علينا أن ننشئ بيتًا سابعًا أو ثامنًا جديدًا... في مكان ما نجد فيه متسعًا لنا، ونجد في عمرنا بعض الوقت لنعيشه معًا؟

كم من البيوت على الإنسان أن ينشئها أو يفتحها لكي يحصل على الأمان والاستقرار والسلام... كم يا لبنى..؟

يا حبيبتنا جميعًا، لك أحلى الأمنيات، أقبلك، أقبلك، أقبلك، وكل عام وأنت بخير... بخير...

ولا تنسي أن تقبلي ماما قبالات كبيرة.. كبيرة.. فنحن بقدر ما اشتقنا إليك اشتقنا إليها، وكذلك قبالتنا إلى (أوبا وأوما) جدك وجدتك الألمانين.

وعندما تصلك رسالتي هذه يكون أبوك قد غاب عنا أيامًا... وسنكون في شوق كبير له.. فقبليه عنا قبالات كبيرة.. كبيرة.

ولا تنسي يا حبيبتنا أن تحاولي أن نلتقي ونعيش بعضنا قرب بعض مرة أخرى فأنا وتيتا وعمّاك سنحاول ذلك دائمًا...

قبالاتنا... قبالاتنا

جدو إسماعيل

(الأربعاء ٤/١٠/١٩٩٠) الليلة ناقشنا للمرة الثانية أو الثالثة موضوع سفر أبنائنا، وذلك بسبب ورود رسالة من السيد غازي النفيسي، رئيس مجلس إدارة الشركة التي يعمل بها يزيد، تطلب من يزيد التوجه والسفر إلى لندن لمتابعة أعمال الشركة وتسييرها، بالنسبة إلى بلال، وبعد نقاشات حادة، ورغم اتفاقنا في ذلك اليوم على سفره، فإن الظروف الموترة للأعصاب تجعلنا لا نملك السيطرة على أعصابنا، نثور، نغضب، نتعصب، يعلو صوت النقاش ويحتد، ثم نهدهه بطريقة أو بأخرى.

أوقفنا النقاش في موضوع سفر بلال، ونحن شبه متفقين على سفره، بل أكاد أجزم أنه تقرر سفره هو، وبلال، متحمس للسفر، وله الحق في ذلك، ومعظمنا مع هذا القرار، الأمر الذي اختلفنا عليه هو رغبة والدته بضرورة الاطمئنان على كيفية تدبير احتياجاته المادية للعيش والدراسة، لكننا ولأكثر من سبب مقتنعون بأن هذه المشكلة يمكن التغلب عليها جزئيًا...

اليوم هو الرابع من أكتوبر ١٩٩٠، أي أنه اليوم الذي قيل إن «العجيري» تنبأ بأن يكون يوم فرح كبير للكويتيين، والساعة الآن هي العاشرة صباحًا وليس هناك ما يشير إلى أي تغيير في روتين الحياة في ظلّ الأوضاع السائدة منذ ما يزيد على شهرين! الناس وفي مثل هذه الظروف يتعلقون، كما يقول المثل، بحبال الهواء!

وقبل تلخيص الأحداث السياسية ليوم أمس، أود استكمال موضوع سفر الشباب، وها نحن، وبعد فرحنا بمقدم بعض أفراد العائلة من هنا وهناك، كأمين وعائلته، وأبو زكي وزوجته، وحمدي ووالدته (وهو ينتظر وصول زوجته وأولاده بين يوم وآخر) نشعر بأننا على أبواب مرحلة جديدة من الهجرة!

فناديا (زوجة ابني يزيد) والحبيبة لبنى غادرتا قبل حوالي شهر ولأسباب معروفة، فهذا الآن بلال ثم يزيد اللذين ذكرت أنه أصبح في حكم المؤكد سفرهما أو أحدهما، وبشار اتخذ قرارًا بالسفر، ولكن بعد أسبوعين أو ثلاثة، كما يقول بشار، متأملًا أن يحدث الحل ويزول الغم، ونحن جميعًا نأمل ذلك، ولكن الأكثرية بدأت تخطط على أن هذا الوضع يمكن أن يستمر طويلًا، وأنه لو حدث غير ذلك فلكل حادث حديث.

من ناحية أخرى فإنه قد بلغني أن مازن، ابن ابن عمي أبو زكي، مسافر غدًا إلى أمريكا، وربما من أجل أن يستقر فيها نهائيًا!

أمس ليلاً، وبعد أن ناقش يزيد معنا طلب رئيسه غازي النفيسي منه بالسفر إلى لندن لاستئناف عمله في الشركة من هناك، مع زملاء له يعملون في الشركة وموافقهم على ضرورة تلبية يزيد لطلب غازي المشروع، ناقشنا نحن بدورنا قضية سفر يزيد، شرح يزيد الوضع المتعلق به، ولخص كلامه بأنه أصبح اليوم أميل إلى السفر، لكنه يود سماع رأينا واستعراض تأثير سفره علينا.

بشار كان مع السفر، كذلك تمام، لكن لكل منهما وجهة نظر مختلفة من هذا الموضوع، فبشار يرى أن يسافر يزيد لأن عمله يتطلب ذلك، أمّا تمام فتري في وجود يزيد بالخارج ضمان

لأخويه بشار وبلال في حال سفرهما واحتياج أحدهما أو كليهما إلى أية مساعدة ضمن حدود معينة. أمّا أنا فإني أنطلق من أن وجودهم هنا غير مفيد إلّا في حدود ما يرضي رغبتنا الأبوية لبقائهم إلى جانبنا، وأن خروجهم، الثلاثة، يجنب ثلاثة منا معاناة الاحتلال... وهم بدون عمل، كما أننا بذلك نجنبهم ويلات الحرب المحتملة.. وإننا، أنا وتمام، لا نزال قادرين على تدبر أمر حياتنا، خاصة وأن سالي وجولي، الشغالتين، معنا، كما أنّ وجود الكثيرين من الأهل والأصدقاء حاليًا في الكويت يجعلنا نشعر ببعض الطمأنينة.

وأمر آخر أوّمن به، وهو أنّ المكتوب سيحدث، ولا مفر من قضاء الله، وأنا عشنا جزءًا كبيرًا من عمرنا الذي احتوى على قسط جيد من السعادة، والحمد لله، رغم عدم تحقق أمنيتنا، بل أمنية أهلنا وشعبنا في العيش على أرض وطننا الغالي فلسطين.

صحيح أنّ غيابهم عنا، ولمدة لا يعلم إلّا الله مدى طولها، سوف يترك في البيت فراغًا هائلًا، عدا انشغال بالنا عليهم وبالهم علينا، ولكن لا توجد حيلة في أيدينا تغيير الحال... إلى الحال الذي نتمنى...

اتفقنا على أن يبدأ يزيد بالاستعداد للسفر خلال أيام قليلة، وأن على بلال أن يكون مستعدًا للسفر أيضًا بالتنسيق مع فريد ويوسف، صديقيه. أمّا بشار فقد يسافر قبل يوم الثالث والعشرين من هذا الشهر (موعد أخير للدخول وربما للخروج من وإلى العراق والكويت أيضًا!) وأنه سيتوجه إلى ألمانيا، يلتقي شقيقه يزيد، وأصدقائه هناك، ويحضر معرض ومؤتمر الأجهزة الإلكترونية التي تخصه، موسيقية وتسجيلية صوتية، لعله يجد عبرهم ما ييسر أمره في عمل هناك إلى أن يفرجها الله...

افتتحت بعض المدارس أبوابها للدراسة... منذ أيام...!

رُبّ سائل عن سبب إقبال الفلسطينيين في هذه الظروف على المدارس، من مدرسين وتلاميذ... والجواب الأوّل هو أن ذلك تصرف خاطئ من أساسه، وغير مبدئي.. وقد عارضته، وأفصحت عن موقفي هذا للعديد من الأصدقاء والأقارب. وكنت قد ناقشت هذا

الأمر مع كثير من الإخوة، وبالذات مع الصديق وليد... وكنا على اتفاق بأن هذا الإقبال على المدارس من قبل المدرّسين والتلاميذ هو فعل غير مبرّر...

إن كان ما يدفع المدرّسين للذهاب هو حرصهم على دخلهم ووظائفهم التي يعتاشون منها، والخوف من اعتبار أي متخلف عن ذلك مفصول من عمله أولاً... ثم مطرود من البلاد ثانية... فما هو مبرر إرسال التلاميذ إلى المدارس؟

يقول البعض إن البيت الفلسطيني الذي تسكنه معظم العائلات غير ميسورة الحال هو بيت ضيق، ويعيش فيه عدد لا يقل عن ثمانية أنفار... والمدرسة خير مكان يمكن إرسال الأبناء الصغار إليه للتخلص من صخبهم وضجتهم في البيت... خاصة وأن معظم الآباء قابعون في البيت دون أي عمل!

من ناحية ثانية فإن كل والد ووالدة مهتم بتأمين إكمال الأبناء لتعليمهم إن أمكن، وهو حق ومشروع لو أن التعليم حقيقة هو الهدف الذي تسعى إليه السلطة العراقية المحتلة. ولأنني مقتنع بأن التعليم ليس هو الهدف الذي تسعى إليه السلطة العراقية المحتلة... بل هو محاولة لفرض تسيير الحياة بالقوة والإرهاب... فإنني ضد إرسال التلاميذ إلى المدارس. فليخسر أبنائنا سنة من سنين دراستهم في سبيل عدم تحقيق الهدف السياسي الذي يسعى إليه المحتل.

إن أبناء أهلنا في الأراضي المحتلة خسروا ثلاث سنوات من سنين الدراسة حتى الآن في سبيل هدف سياسي... لم لا يخسر أبنائنا هنا سنة واحدة، على الأكثر، من سنين دراستهم في سبيل هدف سياسي أيضاً؟

أمّا ما يتعلق بالمدرسين فإنني على ثقة تامة بأن غالبية من يذهبون إلى أعمالهم في المدارس أو حتى في الوزارات المختلفة يذهبون بدافع السعي وراء رزقهم والحفاظ على لقمة عيشهم وعيش عيالهم. ولو أنّ الحكومة الكويتية التي تعمل في المنفى قد أذاعت بياناً يفيد بأن حقوق ورواتب كافة الموظفين العاملين في المؤسسات الحكومية، من غير

الكويتيين محفوظة، وستؤمن لهم كما أمنت للكويتيين، لكان تصرف الموظفين الفلسطينيين بمن فيهم المدرسون غير تصرفهم آنف الذكر.

إن الموظفين المتوسطين والصغار من أبناء شعبنا الفلسطيني العاملين في الكويت يحتاجون إلى المال الذي به يستطيعون أن يؤمنوا لأنفسهم ولعيالهم ما يمكّنهم من العيش، خاصة في هذه الظروف الصعبة.

وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل ألقى خطابه في الأمم المتحدة، وكان الخطاب رزيناً ومهماً من حيث محتواه بشكل عام. وقد تناول أزمة الخليج بشكل أساسي، وأشار بكلمته إلى الفلسطينيين وناشدهم الحرص على قضيتهم وعدم التفريط فيها من خلال مواقف غير محسوبة جيداً.

وعندما تكلم عن الفلسطينيين توجهت الكاميرا إلى الوفد الفلسطيني الذي كان يجلس خلف يافطة تحمل اسم فلسطين في مقر الجمعية العامة للأمم المتحدة، وإذا بالصديق العزيز شفيق الحوت يجلس في مقعد ممثل فلسطين وإلى جانبه (على ما أظن) حنان ميخائيل عشراوي. تمنيت أن أعرف ما يدور في ذهن شفيق في تلك اللحظات، وأن أعرف رأيه فيما يحدث في هذه المنطقة... ولو أنني على ثقة بأنه لا يمكن أن يكون إلا مع الحق... مع الكويت.

وسعود الفيصل من الشخصيات السعودية التي سيكون لها شأن كبير في مستقبل المنطقة، فهو يتحلى بفكر ناضج وبرؤية فيها نفس عربي شمولي نسبي مقبول.

الرئيس السوقييتي غورباتشوف أوفد أحد كبار المسؤولين السوقييت، وهو عضو مجلس السوقييت الأعلى (إيفغيني بريماكوف)، كممثل خاص عنه، إلى عمان وبغداد، وحمل معه رسالة خاصة من الرئيس السوقييتي غورباتشوف، إلى الملك حسين للبحث عن تسوية سياسية لأزمة الخليج وغيرها من أزمات المنطقة.

كما أنه سيبحث في بغداد، التي يتوقع أن يصلها اليوم الخميس، قضية منح الرعايا السوفييت تأشيرات خروج لهم من العراق، ويقدر عدد هؤلاء بحوالي ستة آلاف شخص. وتعد هذه الزيارة هي الأولى التي تتم من قبل مسؤول سوفييتي كبير بعد الثاني من أغسطس الماضي.

كذلك فقد وصل عمّان رئيس الوزراء الياباني الذي سيلتقي الملك حسين، وطه ياسين رمضان، النائب الأوّل للرئيس العراقي، الذي وصل مساء أمس الأربعاء إلى عمان. وكان رئيس الوزراء الياباني قد اجتمع أوّل أمس مع الرئيس المصري حسني مبارك. لقد كانت مقترحات الرئيس الفرنسي مدار بحث بين الجانبين الأردني والياباني، والتي تدعو إلى انسحاب العراق من الكويت ثم منح الكويتيين الحق في اختيار شكل الحكم الذي يناسبهم ثم انسحاب القوات الأجنبية من المنطقة، يعقبه عقد مؤتمر دولي لحل مشاكل منطقة الشرق الأوسط. وبالرغم من رفض حكومات دول الخليج هذا الجزء من مبادرة الرئيس الفرنسي، والقائل بمنح الكويتيين حق تقرير مصيرهم واختيار نوع الحكم الذي يرتؤونه، فإن المبادرة تكسب مع مرور الوقت بعض المؤيدين.

الرئيس الفرنسي ميتران بدأ منذ اليوم زيارة إلى منطقة الخليج للتباحث في قضية الساعة، مع زعماء دول مجلس التعاون الخليجي، وشرح مبادرته التي أعلنها في خطابه بالجمعية العمومية للأمم المتحدة، ولتفقد القوات الفرنسية المرابطة إلى جانب القوات المتعددة الجنسيات المحتشدة في هذه المنطقة الساخنة. كما أنه ينوي زيارة القاهرة للتباحث في هذا الخصوص. إنه أوّل زعيم غربي يزور المنطقة منذ بداية هذه الأزمة.

وكالة الأنباء العراقية نقلت خبرًا مفاده أنّ الرئيس العراقي زار الكويت لأول مرة منذ احتلالها، وأنه اجتمع مع المسؤولين العسكريين والمدنيين العراقيين فيها، كما زار بعض المواقع العسكرية. وقد نقل تليفزيون البحرين ما بثته محطة الـ CNN الأمريكية من لقطات لهذه الزيارة يبدو فيها الرئيس العراقي مع مرافقيه في مكان صحراوي، وقرب

موقع عسكري، وقد جاءه عدد من الجنود، واحدًا واحدًا، أحدهم قبّل يده، وآخر اقترب منه أكثر من اللازم فأبعده أحد المرافقين بيده.

من أخبار العالم المهمة جدًا إعلان توحيد ألمانيا، والاحتفال بهذا الحدث العالمي التاريخي على كافة الأصعدة الرسمية والشعبية الدولية والألمانية. فقد شهدت برلين، التي تقرر من حيث المبدأ أن تكون عاصمة ألمانيا، كباقي مدن وقرى ألمانيا احتفالات رائعة بهذا الحدث... (نياالهم).

هناك أحداث دامية في لبنان، فلا تزال حروب الطوائف، أو بالأحرى حروب الطائفة الواحدة التي مزقتها التشرذمات السياسية مستمرة. أكثر من خمسة عشر قتيلاً ونحو مئة وعشرين جريحاً كانوا أمس ضحايا مجزرة فظيعة، إذ سقطت القذائف على تظاهرة سلمية في المنطقة الشرقية لبيروت. كلّ الفئات اللبنانية المتحاربة استنكرت هذا العمل الإجرامي... فمن هو الفاعل...؟

لفت نظري ما دار في اجتماع حزب العمال البريطاني المعارض، السنوي في بلاكبول، حول أزمة الساعة وتوجهات الحزب إلى ضرورة حل نزاعات الشرق الأوسط برمتها في إطار الأمم المتحدة أو المؤتمر الدولي.

جيرالد كوفمان، الناطق الرسمي باسم الحزب، أكد على ضرورة منح الحظر الاقتصادي ضد العراق، والمفروض بقرار من مجلس الأمن الدولي، الوقت الكافي ليعطي نتائج، وأن الحزب لا يمانع في اللجوء إلى الحل العسكري إن كان لا بدّ منه، ولكن بموجب قرار من الأمم المتحدة. وأنه يجب منح المنظمة الدولية القوة اللازمة، ليس فقط من أجل حل مشكلة الخليج الملّحة، بل وحل كافة قضايا منطقة الشرق الأوسط برمتها. وقد اهتزت قاعة الاجتماع بالتصفيق عندما قال كوفمان: «يجب تأمين العدالة ومنح حق تقرير المصير للفلسطينيين، وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وضمان أمن وسلامة جميع دول المنطقة بما فيها إسرائيل».

قلت في نفسي لعل دافع الحماس هذا من أجل فلسطين يكمن في شعور البريطانيين بالذنب تجاه ما خططوا له ونفذوه ضد فلسطين وشعبها... أتمنى لو أنّ استنتاجي هذا في محله...!

محمد العربي محجوبي، مسؤول كبير سابق في وزارة الداخلية التونسية، وصار وزير دولة لشؤون الأمن في عهد زين العابدين بن علي الحالي، وحسب مصادر صحفية -كما نقلت إذاعة لندن أمس- فإنه متورط في قضية فلسطينية كبيرة، في قضية اغتيال القائد الفلسطيني الشهيد أبو جهاد، يقال إنّ محجوبي متورط في علاقة مع جهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد) عن طريق علاقة ما مع امرأة تملك صالون حلاقة للسيدات في تونس كانت ترتاده بعض من السيدات الفلسطينيات... وتقول هذه المصادر إن محجوبي معتقل أو ربما يكون قد قتل...!

(الجمعة ليلاً 0/10/1990) أمس ليلاً وفي حوالي الساعة العاشرة سمعنا عددًا من الانفجارات ورشقات إطلاق نار، استمر حوالي نصف ساعة، وقد كلمتنا الشقيقة إنعام من منطقة سلوى تسأل عمّا إذا كنا نسمع ذلك. وقيل إنّ اشتباكًا حدث في منطقة سلوى أو بيان أو قريهما.

وتتحدث إشاعة، عن أكثر من مصدر، عن إطلاق نار على طائرة عراقية عند إقلاعها من مطار الكويت، وأنها أصيبت (وكنت قد ذكرت سابقًا أن الطائرة أصيبت في مطار بغداد حسب ما ورد الخبر في حينه) هناك من قال إن الطائرة نزلت وغرقت في البحر، وهناك من يقول إنها عادت ونزلت نزولًا اضطراريًا في مطار الكويت... والله أعلم.

لم تعد أخبار أزمة الخليج تتصدر نشرات الأخبار في الإذاعات العالمية كما كانت في الشهرين الماضيين!

مساءً حضر بعض أفراد العائلة (جمال وأمين وأفراد عائلتيهما) لوداع يزيد، الذي كان في منتهى الانشغال لترتيب أوضاعه قبل السفر، وفي سفرة غير كلّ تلك السفرات، فهو لا يدري، ولا نحن ندري، إن كانت هذه السفرة هي الأخيرة من الكويت أم لا... وكانت انفعالات

يزيد تنم عن امتزاج عدة مشاعر معاً في نفسه... هي بين الشعور بالخوف عمّا يمكن أن تسفر عنه هذه السفارة، وعن فرح بملاقة زوجته وابنته، وحزن لاضطراره للابتعاد عنا... والابتعاد عن ساحة الأحداث، وعمّا يخبئه له القدر من مفاجآت... وكيف ستكون الطريق، والمشاكل المتوقعة في إقامته القصيرة في عمّان التي من المفترض أن يحصل فيها على إذن الخروج من الأردن وإيجاد حجز للسفر جواً إلى ألمانيا!

عرض التليفزيون العراقي أمس استقبال الرئيس العراقي صدام لياسر عرفات، وكعادة أبو عمار فقد غمر مستقبله بالقبلات... وكان يرافق الرئيس الفلسطيني كلٌّ من أبو إياد وعزام الأحمد.

كما استقبل صدام حسين الموفد السوقييتي بريماكوف وتسلم منه رسالة من الزعيم السوقييتي.

وزير الخارجية البريطاني دوغلاس هيرد تحدث أمام الصحفيين البريطانيين عن توجه فيه شيء من التغيير في موقف بريطانيا من أزمة الخليج. إذ قال: «إنه يأمل بعد انسحاب العراق من الكويت أن تعيد جميع الأطراف المعنية بالقضية الفلسطينية التفكير في المسألة، وإن من شأن ذلك أن يؤدي إلى التوصل إلى تسوية سلمية تقبل بها إسرائيل والدول العربية (..) إنّ الاعتدال العربي سيكون قد انتصر، وإن على إسرائيل أن تنتهز الفرصة لأنها ربما تكون آخر فرصة لضمان القبول بدولة إسرائيل خلف حدود آمنة (..) سيكون لمجلس الأمن دور بارز في التحضير لعقد مؤتمر سلام تشترك فيه الدول الخمسة دائمة العضوية في مجلس الأمن وإسرائيل والفلسطينيين ودول عربية أخرى (..) إنه يمكن تبني أفكار محددة من مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي التي يمكن تطبيقها في الشرق الأوسط من قبيل حقوق الإنسان واحترام الحدود وحقوق الأقليات وإيجاد صيغة لتسوية الخلافات بشكل سلمي».

ويأتي حديث هيرد بعد ما صدر عن ميتران وبوش وغيرهما من الذين أبدوا مرونة في مواقفهم من أزمة الساعة، واستعدادهم للحوار مع العراق، لكن أحداً لم ينس أن ينهي

حديثه بالقول: «بعد انسحاب العراق من الكويت».

نايف حواتمة صرّح في حديث له مع إذاعة لندن تعقيبًا على الليونة النسبية التي بدأت تظهر في تصريحات زعماء كبار في العالم، وخاصة بعد ما أعلنه هيرد وزير خارجية بريطانيا من توجهات في هذا الشأن، بأنه «يرى ضرورة استصدار قرار جديد من مجلس الأمن الدولي تتبناه الدول الخمس دائمة العضوية فيه ويدعو إلى عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط، لكي تفتح أبواب الخيارات السياسية لكافة المنطقة».

بوش منشغل في هذه الأيام بمشروع ميزانية الولايات المتحدة الذي تقدم به إلى الكونغرس الأمريكي للموافقة عليه، والذي يقضي بضرورة خفض العجز بمقدار خمس مئة بليون دولار خلال الخمس سنوات الآتية.

العراق أهدى ألمانيا بمناسبة إعادة توحيدها أربعة من «الضيوف» المحتجزين الألمان، فأفرج عنهم، وهم من كبار السن.

كان من المفترض أن تلقى كلمة العراق في الجمعية العمومية قبل يومين، لكنها أُجّلت مرتين، أمس تأجلت للمرة الثالثة بسبب وعكة صحية ألمّت بمندوب العراق في الأمم المتحدة...!

لم تصدر أية تصريحات حول زيارة الرئيس الفرنسي ميتران لمنطقة الخليج. وقد قابل خلالها الملك فهد والشيخ زايد، واكتفت وسائل الإعلام الخليجية بالتعقيب على الزيارة بالعبارات التقليدية... وأن الجانبين بحثا التطورات الأخيرة المتعلقة بأزمة الخليج، وأكدوا على ضرورة انسحاب القوات العراقية من الكويت.

ثلاثة بريطانيين وفرنسيين اثنين هربوا من العراق بمركب آلي صغير من شاطئ البصرة، وبقوا خمسة وعشرين ساعة في البحر، بكمية قليلة من الوقود والغذاء والماء، إلى أن وصلوا شواطئ السعودية فالتقطتهم سفينة كانت تقف قبالة الشاطئ. انتشلتهم وأوصلتهم

إلى السعودية. وبعد التحقيق في كيفية هروبهم سمح لهم بالمغادرة، ووصلوا إلى بلدانهم فرحين بحريتهم.

(السبت ٦/١٠/١٩٩٠) يزيد راح مع شقيقه بشار ووالدته لتوضيب أمتعته التي سيأخذها معه، وإحضار أدواته وأجهزته الكهربائية، كالتليفزيون والفيديو والإستيريو وما شابهها، لحفظها في بيتنا، ثم رتب أموره المتعلقة بالعمل مع صديقه علي، واستعد للمغادرة في الثالثة والنصف بعد الظهر تقريبًا.

بلال كان يتابع مع صديقه فريد الذي سيسافر معه بسيارة الأخير إلى الأردن. وكان فريد قد أمضى ثلاثة أيام وهو يلاحق موضوع تغيير أوراق السيارة. وعلمنا أنّ كلّ شيء أصبح جاهزًا لسفره مع فريد ضمن قافلة من السيارات (حوالي خمس أو ست سيارات) وأن موعد السفر تقرّر مبدئيًا فجر غد الأحد.

كنا جميعًا منفعلين بسبب سفر يزيد وبلال.. منفعلين جدًا.. لكن كلّ واحد منا حاول قدر استطاعته أن يكتم تلك الانفعالات، فنحن قد اتخذنا قرارًا مهمًا لا يدري أحد ماذا سيترتب عليه... وأمرنا إلى الله.

عاد يزيد مع تمام وبشار، تناولنا طعام الغداء، وانشغل يزيد ثانية بأشياءه الصغيرة الأخرى، إلى أن حان موعد الوداع، ودّعناه والدموع تترقرق في أعيننا، ودعونا له بسلامة الوصول وتمنينا له التوفيق، كما حملناه آلاف القبلات للحبيبة لبنى ابنته والعزيزة ناديا زوجته.

وراح يزيد يطمئننا بأن وجوده في الخارج سوف يساعد على حل جزء من المشكلات التي يمكن أن تصادف بلال في أمريكا، أو بشار عند وصوله إلى ألمانيا قريبًا.

في المساء كان بلال مشغولًا هو الآخر في إعداد حاجياته استعدادًا للسفر المقرّر والمتفق عليه في فجر اليوم التالي. وبقينا معًا حتى حوالي الثانية بعد منتصف الليل.. وفي الصباح

وَدَعْتَهُ، ودَعوت له أَيضًا بالوصول سألماً وبتوقيقه في دراسته ومعيشته التي ستكون أصعب بكثير مما كانت عليه سابقًا.

لطيف نصيف جاسم، وزير الإعلام العراقي، صرَّح بأن «الحرب مع الولايات المتحدة يمكن أن تنشب في أية لحظة» و«أنَّ العراق سيطلق سراح جميع الرعايا الغربيين (الضيوف/ الرهائن) إذا ما تعهدت الولايات المتحدة كتابةً بأنها لن تهاجم العراق!

الموفد السوڤييتي بريماكوف صرَّح إثر انتهاء زيارته للعراق بأنه لم يعد متشائمًا بخصوص إيجاد حل سلمي للأزمة.. ولكنه لم يقل لماذا هو متفائل... وقد جرى البحث بينه وبين العراقيين حول السماح للرعايا السوڤييت للسفر إلى بلادهم، واتفق على جدولة سفرهم.

وتقول مصادر دبلوماسية بأن بريماكوف حمل ما يمكن اعتباره إنذارًا أخيرًا للعراق للتجاوب مع الجهود الدبلوماسية الجارية لإيجاد حل للأزمة ولتفادي الانفجار في المنطقة.

وقد أجرى بريماكوف اجتماعًا ثالثًا مع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وتبادل معه الآراء حول الوضع في منطقة الخليج.

جرت اجتماعات مكثفة في الأمم المتحدة بين وزراء خارجية دول كثيرة من العالم، المتواجدين هناك لحضور أعمال الدورة الحالية للجمعية العامة للأمم المتحدة، ودار البحث في معظمها حول أزمة الخليج وقضايا أخرى من أهمها قضية الحد من الأسلحة في العالم.

البرلمان الألماني الموحد اجتمع للمرة الأولى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية في مبنى «الرايخ ستاغ» ببرلين.

السوڤييت يلوحون في هذه الأيام بأن اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت يجب أن يسبقه اتخاذ قرار من مجلس الأمن الدولي بهذا الشأن. كما أنَّ الأخبار تلمَّح إلى أنَّ موقف الصين سيكون مقارِبًا لموقف السوڤييت في هذا الخصوص.

وهناك محاولة حثيثة للتأكيد بأن القوات المتعددة الجنسيات، وخاصة الغربية منها والأمريكية على وجه الخصوص، سوف تنسحب فور انتهاء مهمتها التي جاءت من أجلها في المنطقة.

رئيس الوزراء الياباني كايفو، والذي قام بجولة في منطقة الشرق الأوسط، وقابل فيها عددًا كبيرًا من الزعماء العرب، أكد في كلِّ أحاديثه على ضرورة البحث عن حل سلمي لأزمة الساعة، ورفض اليابان احتلال العراق الكويت. كما رفض ربط انسحاب العراق بانسحابات أخرى في المنطقة (كما ورد في مبادرة الرئيس العراقي يوم ١٢/٨/١٩٩٠).

سفارات بعض الدول الغربية في الكويت والتي لا تزال، من وجهة نظرها، عاملة وقائمة رغم الحصار المفروض عليها بفعل قطع الكهرباء والماء، قررت إقفال سفاراتها بعد نفاذ ما لديها من إمكانية استمرار حياة العاملين فيها.

بورصات العالم وأسعار النفط في السوق العالمية تواجه حالة من الفوضى، فهي تعلق وتنخفض بشكل غير طبيعي. برميل النفط الذي وصل سعره قبل أيام إلى حوالي أربعين دولارًا هبط اليوم إلى سبعة وثلاثين.

دعت حكومة الكويت في المنفى إلى عقد مؤتمر شعبي كويتي، يحضره كلُّ من يستطيع من كافة أعضاء البرلمانات والحكومات الكويتية السابقة. وذلك يوم الثالث عشر من الشهر الجاري في المملكة العربية السعودية.

وقالت أخبار لندن إنَّ أحمد السعدون، رئيس مجلس النواب الكويتي السابق، وأحد السياسيين الديمقراطيين «المعارضين» قبل الاجتياح، صرَّح بـ«أنَّ زمن المعارضة قد ولى وأنَّ الظرف يفرض تراص الصفوف لتحرير الوطن وإعادة الشرعية إليه».

لكن مصادر أخرى ذكرت أن «أحمد الخطيب وأحمد الربيعي وغيرهم من المعارضين الديمقراطيين المعروفين، وأعضاء في مجلس النواب الأخير الذي تشكل عام ١٩٨٥ وحله

أمير الكويت عام ١٩٨٦، اشترطوا أن لا يعقد مثل هذا الاجتماع للدفاع عن عائلة الصباح وتكريس إعادتها إلى السلطة، بل إن الاجتماع يجب أن يكون من أجل استعادة الوطن الكويتي وإعادة الحياة لمجلس النواب الذي انتخب أعضاؤه عام ١٩٨٥ والذي يمثل في رأيهم قطاعات الشعب الكويتي بشكل ديمقراطي صحيح، وإلغاء المجلس الوطني الذي تم تشكيله في منتصف العام الحالي، ووضع أسس جديدة لتسيير الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها وفق هذه الأسس في دولة الكويت المحررة».

(الاثنين ١٩٩٠/١٠/٨) مساءً كلمني الصديق م.... وأعلمني أن زوجته مع أولادها صاروا في قبرص، وأن الله سهّل أمرهم، فقد تمكنت من مغادرة العراق... من غير وثيقة سفر.... ودخلت الأردن بجواز سفرها... وقد سافر معها إلى الأردن ثم عاد إلى الكويت بعد أن اطمأن على سفر زوجته.

عند الحدود العراقية «الطرايبيل» وبعد أن أتم هو معاملة جوازه وجوازات سفر أولاده، ركب سيارته... وسأله العسكري المسؤول: «الأخ وعائلته أردنيون؟» أجاب صديقنا بنعم، فقال العسكري: «تفضلوا...» ومروا!..

أمّا عند الحدود الأردنية «رويشد» فقد وصلها الصديق بعد أن قطع مسافة السبعين كيلومتراً بين نقطتي الحدود العراقية والأردنية، فوجد نفسه أمام أحد العاملين في تلك النقطة... ألقى عليه السلام وسأله: «بالله يا أخ... هل يمكنك أن تدلني على فلان». أجابه الأردني: «هل تعرفه..؟» قال: «نعم»، فقال المسؤول الأردني: «إلى أين أنت ذاهب..؟» قال صديقنا: «إلى عمّان»، فقال الأردني: «هل يمكن أن تنقلوني معكم إلى عمان...؟» فأجابه: «بالطبع»، أخذ منه جوازات السفر بما في ذلك جواز سفر زوجته غير المدموغ بخاتم الخروج من العراق، وأتم الرجل المعاملة بسرعة فائقة، وعاد بسرعة قائلاً: «هيا بنا!».

بشار يقترح اليوم بيع سيارته «الجيب» التي كان فرحاً بها جداً، خاصة بعد أن اشتراها منذ حوالي سنة وأضاف عليها لمساته وحسنها إلى درجة لافتة للنظر.

ها هو اليوم، كخطوة أولى في مشوار الهجرة، يفكر في بيع شيءٍ غالٍ على نفسه لكي يتخلص أولاً من مشاكل تغيير الأوراق اللازمة حسبما تقضي القرارات العراقية بهذا الخصوص، ولكي يحصل على ثمنها نقدًا ليتدبر أمور سفره وسداد مصاريف السفر والإقامة.

لم يرد أمس أي خبر عن أزمة الخليج في نشرة أخبار لندن، نشرة الساعة الرابعة بعد الظهر بتوقيت الكويت، باستثناء خبر واحد لأحد الوزراء الكويتيين الذي صرّح قائلاً إن المقاومة الكويتية الفعالة قد «سحقت» ولم يعد لها تأثير!

لكن الخبر المهم أمس كان عن المذبحة التي ارتكبتها السلطات المحتلة الإسرائيلية في فلسطين والتي راح ضحيتها أكثر من عشرين شهيداً وعدة مئات من الجرحى واعتقال العشرات من المواطنين الفلسطينيين في مدينة القدس.

بدأت المواجهة إثر تحرك مجموعة من اليهود المتطرفين اليمينيين تجاه الحرم الشريف بقصد وضع حجر الأساس للمعبد اليهودي (الهيكل) في وسط الحرم الشريف -أرض المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة- من أجل إعادة بناء المعبد اليهودي في أرض الحرم الشريف لاحقاً، فتصدى لهم الفلسطينيون بالحجارة، ثم هجمت قوات الشرطة الإسرائيلية وعناصر مسلحة من اليهود المتدينين الملتحين... ولاحقت الفلسطينيين بين الأزقة والحواري في القدس القديمة وأوقعوا فيهم العدد المذكور من الشهداء والإصابات.

منظمة التحرير الفلسطينية طالبت فوراً بعقد جلسة لمجلس الأمن الدولي للبحث في جريمة القدس وكيفية حماية الشعب الفلسطيني من البطش الإسرائيلي، ولوضع حد لمآسي الفلسطينيين وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بهذه القضية.

أوفد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات حكام بلعاوي إلى باريس حاملاً معه رسالة إلى الرئيس الفرنسي ميتران تتعلق بالمجزرة الإسرائيلية الأخيرة ضد الفلسطينيين، وطالب بضرورة التحرك العالمي لمنع مثل هذه الأعمال الإجرامية ضد الشعب الفلسطيني وتمكينه

من استعادة حقوقه وإقامة دولته... في باريس وفي مؤتمر صحفي عقده الرئيس الفرنسي ميتران أمس، بعد حدوث المجزرة المذكورة، أجاب ميتران على سؤال بهذا الشأن قائلاً: «لا يمكن الدفاع عن حق هنا وتجاهل مثله هناك.. فالحق هو الحق...».

ومما لا شك فيه أنّ هذه الحادثة الرهيبة، والتي وقعت في هذا الظرف العصيب سوف يكون لها ردود فعل شديدة جدًّا ومؤثرة في مسار أزمة الخليج.

في المساء اقتحمت قوة من الشرطة الإسرائيلية ساحة الحرم الشريف، واستولت على مفاتيح بوابات الحرم في سابقة أولى منذ عام ١٩٦٧.

رئيس الوزراء الإيراني رفسنجاني قال في حديث له نشر في اللوموند الباريسية: «إنّ إيران لا توافق على أن يستولي العراق على جزيرة بوبيان، ولا يقبل بأية تعديلات في حدود دول المنطقة». وأكد على «ضرورة رحيل القوات الأجنبية فور إجلاء القوات العراقية عن الكويت».

أعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة عن وفاة شيخ إمارة دبي راشد بن سعيد آل مكتوم، وأعلن الحداد في البلاد.

مجلس النواب الأمريكي وافق على ميزانية معدلة، هي بحاجة إلى موافقة الكونغرس الأمريكي والرئيس بوش.

بريطانيا وافقت على إدخال الجنيه الإسترليني في نظام ضبط العملات الأوروبية بعد مرور وقت طويل من المماطلة البريطانية.

نشرت مجلة «الإيكونوميست» البريطانية تقريرًا حول أزمة الخليج، ومسألة الحصار الاقتصادي ضد العراق وجدواه المحتملة، يفيد بأن العراق قادر على الصمود مدة ستة أشهر أو ربما أكثر من ذلك. وإن أحد عوامل هذه الإمكانية هي ما يخططه العراق فيما يتعلق بالزراعة، وإن موسم هذه السنة سيكون خيرًا.

وأضاف التقرير «إنَّ السؤال هو ليس كم يستطيع العراق أن يتحمل نتائج هذه المقاطعة، بل كم يستطيع خصوم العراق في هذه المعركة أن يستمروا في مواقفهم..؟» (...) «إنَّ احتمال توجيه ضربة عسكرية ضد العراق بات أمرًا ملحًا، عاجلاً وليس آجلاً، وإذا ما نشبت الحرب فسيكون العراق هو الخاسر.. إنَّ الحرب وحدها هي التي ستؤمن انسحاب العراق من الكويت» كما يقول التقرير المذكور.

العالم منزعج جدًّا مما حدث في القدس، ونددت معظم دول العالم بهذا العمل الذي وصف بالهمجية والوحشية ونعوت أخرى مشابهة.

(الأربعاء ١٠/١٠/١٩٩٠) ذكرت الأنباء أن يوم أمس كان يومًا داميًا آخر في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد اشتعلت الأراضي المحتلة، في الضفة والقطاع وفي الجليل، وقامت المظاهرات المنددة بجريمة القدس، وحدثت اشتباكات ضد العدو الإسرائيلي واستمرت هذه الأعمال حتى وقت متأخر من الليل، كان حصيلتها استشهاد ثلاثة فلسطينيين وجرح عشرات آخرين، واعتقال أعداد كبيرة منهم. من ضمن المعتقلين شخصيات فلسطينية بينهم فيصل الحسيني رئيس جمعية الدراسات الفلسطينية، والشيخ محمد الجمل نائب مفتي القدس والصحفي حاتم عبد القادر، وسري نسبية.

كما نقل الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس إلى المستشفى إثر إصابته أثناء محاولة القوات الإسرائيلية اقتحام الحرم الشريف.

طلبت القيادة الموحدة للانتفاضة في بيان لها الليلة إعلان الحداد سبعة أيام، وإبداء مظاهر الحزن والاستنكار والقيام بالتظاهرات الجماهيرية. وفرضت سلطات العدو الإسرائيلي نظام منع التجول في كلِّ قطاع غزة وفي كافة المخيمات والمدن الرئيسية في الضفة الفلسطينية، وعزلت مدينة القدس عن باقي الأراضي المحتلة.

وقد امتدت الصدمات الفلسطينية الإسرائيلية إلى مناطق فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، ففي الناصرة اندفع عدد كبير من الملتزمين ورشقوا سيارات الشرطة وبعض المباني

الحكومية الإسرائيلية بالحجارة. أمّا في قرية طمرة الواقعة شمال مدينة عكا فقد شيع أكثر من عشرة آلاف شخص أحد شهداء مجزرة القدس من أبناء القرية، كما جرى إلقاء قنبلة حارقة على سيارة للشرطة في مدينة الطيبة، حيث أصيب اثنان من أفراد الشرطة، والتي سدت منافذها بالحواجز والمتاريس، وانتشر فيها عشرات الملتصمين. كما جرت أحداث مماثلة في بلدة أم الفحم وفي قرية ميسلون.

في الأردن عمّت التظاهرات مختلف مناطق الأردن، وقد أغلقت معظم الجامعات والمعاهد والمدارس نتيجة لهذه المسيرات الاحتجاجية على مجزرة القدس.

جماعة الإخوان المسلمين دعت إلى إعلان الجهاد المقدس لتحرير فلسطين، كما دعت «حكام الجزيرة العربية إلى سحب القوات الغازية وتطهير بلاد المسلمين منهم، معتبرة أنّ هذه القوات تشارك القتلة على أرض فلسطين جرمهم...».

رسائل وبيانات التنديد والشجب والاستنكار صدرت ضد العملية الإسرائيلية في معظم أنحاء العالم. مصر والسعودية وسوريا والأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وغيرها من دول العالم شاركوا في التنديد بجريمة إسرائيل... بمستويات مختلفة وحسب العلاقة التي تربط كل دولة بدول المنطقة وبإسرائيل.

كان أبرز ردود الفعل هذه هي التي جاءت من العراق.. وفرنسا.. وأمريكا مباشرة إلى إسرائيل، وكان موقف فرنسا موقفاً مبدئياً يصر على التعامل مع القضية الفلسطينية وإيجاد حل للنزاع في الشرق الأوسط بنفس المعيار الذي يعالج به مجلس الأمن أزمة الخليج...

أمّا موقف أمريكا فقد جاء ضعيفاً تجاه التنديد بهذه العملية. لقد أسف الرئيس بوش لاستخدام الشرطة الإسرائيلية العنف والسلاح والقمع ضد الفلسطينيين.. وندد بها، وحزن للضحايا، وطالب بضرورة ضبط النفس... واستبعد بوش أي اقتراح بإمكانية الربط بين

أحداث القدس وبين المواجهة الراهنة في منطقة الخليج. وحذر بوش الرئيس العراقي من محاولة استغلال عمليات القتل في القدس لربط غزو الكويت بالقضية الفلسطينية. وقال بوش في معرض حديث بخصوص أزمة الخليج إنَّ «صبره قد شارف على النفاد بسبب عدم انسحاب العراق من الكويت!».

هناك خشية كبيرة من أن تؤدي هذه العملية الهمجية الإسرائيلية الهوجاء (عملية القدس) إلى تفسخ الوحدة التي استطاعت الإدارة الأمريكية أن تحققها دوليًا في مواجهة العراق، والتسبب في إخراجات كثيرة لأمريكا وحلفائها من الدول الغربية.

وقد أعلن اليوم بأن عدد ضحايا مجزرة القدس قد ارتفع إلى أربع وثلاثين شهيدًا، وأنه لا يزال هناك من هم في حالة صحية خطيرة من الجرحى.

صدام حسين أذّر، في رسالته بخصوص مجزرة القدس، باستخدام الصواريخ العراقية ضد إسرائيل، ودعا الإسرائيليين إلى مغادرة الأراضي المقدسة.

وقال إنه «يملك صواريخ جديدة يمكنها أن تصل إلى مئات الأميال، وأن الإسرائيليين على شفا هاوية سوف تبتلعهم (..) وأن دماء الفلسطينيين الذين يقتلونهم سوف تغرقهم يومًا ما...».

مجلس الأمن الدولي اجتمع مساء أمس لمدة تسع ساعات للبحث في مشروع قرار يندد بإسرائيل لارتكابها مجزرة القدس، وإرسال بعثة من الأمم المتحدة إلى إسرائيل والأراضي المحتلة للتحقيق في الوضع هناك والتقدم من بعد بتقرير عن الأوضاع في الأرض المحتلة إلى مجلس الأمن الدولي لاتخاذ ما يراه من أجل تطبيق القوانين الدولية الخاصة بحماية المدنيين في زمن الحرب.

المشروع المذكور قدم باسم دول عدم الانحياز، وهو يمثل وجهة النظر الفلسطينية في هذا الشأن.

رولان دوما وزير الخارجية الفرنسي صرح بأن «مثل هذه الأحداث تزود بالماء طاحونة الرئيس العراقي صدام حسين الذي جعل من نفسه بطل الصراع العربي ضد إسرائيل». وأعلن موافقة بلاده على مشروع قرار يصدر عن مجلس الأمن يدين العنف ويدعو إلى حماية المدنيين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وذكر أنّ الولايات المتحدة الأمريكية متحفظة على مثل هذا القرار لكنها أكثر انفتاحًا على فكرة المؤتمر الدولي.

كما أعلن رولان دوما عن موقف جديد نسبيًا تجاه أزمة الخليج إذ قال إن «القوات الفرنسية المتواجدة في منطقة الخليج لا يمكن أن تشارك في أي عمل عسكري ضد العراق ما لم يكن هذا الإجراء مقبولًا من مجلس الأمن الدولي، وعلى أن تخضع المشاركة الفرنسية المحتملة لتقديرات رئيس الجمهورية الفرنسي».

مفاتيح الحرم الشريف السبعة أعيدت وسلمت إلى لجنة القدس الإسلامية العليا التي كانت قد صادرتها القوات الإسرائيلية مساء أمس.

في موسكو أعلن الناطق الرئاسي أنّ الرئيس السوفييتي غورباتشوف سوف يُطلع نظيره الأمريكي بوش على النتائج المهمة التي أسفرت عنها زيارة المبعوث السوفييتي بريماكوف لبغداد.

أعلن الدكتور أسامة الباز، مستشار الرئيس المصري، بأن القوات المصرية في السعودية لن تشترك في أي هجوم على العراق، وقال: «إنّ مهمة القوات المصرية هي الدفاع عن أراضي المملكة العربية السعودية... وأنه ليس من مصلحة مصر إضعاف العراق، أو قيام طرف أجنبي بتسوية خلاف عربي...».

في آخر الليل ذكرت الأنباء أن اجتماعات متواصلة منذ أمس جارية بين الأعضاء الخمسة دائمي العضوية في مجلس الأمن من أجل الوصول إلى حل وسط بين مشروع قرار يتعلقان بجريمة القدس. فقد اقترحت أمريكا مشروع قرار لا ينص، كالمشروع الأوّل لدول عدم الانحياز، على إرسال بعثة لتقصّي الحقائق.

قال المندوب الأمريكي «إنّ بلاده لا تستطيع الموافقة على قرار يمكن أن ترفضه إسرائيل، وأن إسرائيل لن تستجيب لقرار مجلس الأمن وتستقبل البعثة المرسلّة من قبله، لذا فسيظلّ القرار بدون تنفيذ»... يا سلام!

وتسود الأوساط الأمريكية مخاوف من حدوث انقسام في الوحدة القائمة بين الدول الخمس دائمة العضوية بسبب احتمال طرح مشروع دول عدم الانحياز على التصويت.

الجدل محتدم في إسرائيل حول ملابس مجزرة القدس، وتوجه أصابع الاتهام إلى المسؤولين في جهاز الشرطة الإسرائيلية.

المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية يعقد اليوم اجتماعاً له في تونس. وهو الاجتماع الأوّل منذ نوفمبر الماضي. وسيبحث في الوضع داخل الأرض المحتلة وسبل تصعيد الانتفاضة، والمجزرة الإسرائيلية وتأثيراتها، وأزمة الخليج ومشروع ياسر عرفات المتعلق بها.

دعت منظمة التحرير الفلسطينية إلى عقد اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب في تونس للبحث في أحداث القدس.

التظاهرات الهادئة استمرت في عمّان، والصاخبة في بغداد، تأييداً لفلسطين وتنديداً بالجريمة الإسرائيلية.

كما استمر التوتر والصدامات بين أبناء الشعب الفلسطيني من جهة وبين القوات العسكرية الإسرائيلية من جهة أخرى. وقد انتشرت هذه الأعمال في مدن الناصرة وعكا والطيبة وكثير من قرى فلسطين ١٩٤٨، كما جرى كتابة عبارات تأييد لمنظمة التحرير الفلسطينية على جدران البنايات الكبرى في بعض أحياء مدينة حيفا.

سقطت طائرة أمريكية قاذفة من طراز إف ١١٥ في جنوب السعودية أثناء طلعة تدريبية. وقد لقي قائدا الطائرة مصرعهما. وهذه هي الطائرة الخامسة التي تحطمت في منطقة

الخليج منذ وصول القوات الأمريكية إليها.

بلغنا اليوم من عمّان أنّ يزيد سافر يوم أمس الثلاثاء إلى ألمانيا، وأنه اتصل بنا ديا زوجته واطمئن عليها وأعلمها بأنه قادم إلى ألمانيا.

كما أنّ بلال وصل... ولكن بعد عناء شديد بسبب الانتظار مدة سبعة ساعات على الحدود العراقية الأردنية...!

حمدنا الله على وصولهم سالمين، ودعونا لهم مرة أخرى بالتوفيق.

بشار اقترب من تحديد موعد سفره، وقد أفادني الليلة بأنه ينوي السفر بصحبة صديقه محمد خلال فترة عشرة أيام تقريبًا.

(الخميس ١١/١٠/١٩٩٠) حتّى ما بعد منتصف الليل لم يتوصل مجلس الأمن إلى صيغة مقبولة فيما يتعلق بقرار يندد بإسرائيل لارتكابها جريمتها في القدس. الصراع دائر على مشروعين، الأول هو مشروع دول عدم الانحياز، والثاني الذي قدمته أمريكا. بريطانيا التي تتأسس مجلس الأمن لهذا الشهر، وهي على اتصال مع منظمة التحرير الفلسطينية، ويجري سفيرها في تونس اتصالات متواصلة مع قيادة المنظمة، لينقل إليها وجهة النظر البريطانية وإقناعها بقبول حل وسط متعلق بهذا الموضوع.

لكن الواضح أنّ المنظمة عرفت كيف تمسك أمريكا «من يدها التي توجعها» في هذا الظرف بالذات، إنّ أمريكا ستحاول إلى أقصى الحدود أن تتحاشى استخدامها حق القيتو، ولن تستخدمه، ومنظمة التحرير ستعمل ما في وسعها لانتزاع أكبر كسب ممكن في هذه الجولة.

زارنا في المساء متأخرًا الصديق م... وقال إنّ سبب تأخره هو وفاة أحد أقاربه. وعن المتوفّى قال إن الرجل كان في حوالي الخمسين من عمره... وأنه أصيب بأزمة قلبية وهو في الأردن عندما علم بأحداث الكويت، وله فيها جهد وعرق أكثر من ثلاثين سنة من العمل.

طلب منه الأطباء أن لا يعرض نفسه لأية انفجالات، وعدم التنقل والسفر... لكنه لم يعمل
بنصيحة الأطباء. حضر إلى الكويت لتلمس بعض آثار عرقه... لم يستطع قلبه تحمل ما
رأى... فمات قهراً... رحمه الله...!

وعن رحلته مع زوجته قال إنه فشل في محاولات عدة في الكويت وفي بغداد للحصول
على مراده لتيسير سفر زوجته... وقد حمل معه الكثير من «الهدايا» التي تلقفها «حاملو
المفاتيح» على الحدود، وفتحت الأبواب وتيسرت أمورهم. وذكر أن تسلم «الهدايا» حصل
على مرأى الكثير من الناس والرسميين لأن هذه الأمور أصبحت شيئاً عادياً لا يسبب أي
حرج للمهدي والمهدى إليه...

وعن الوضع في الأردن.. قال إنَّ الأردن على أبواب انفجار ما أو أحداث رهيبة ما. إنَّ قراءة
سير الأحداث في المنطقة، والمؤشرات الإعلامية تدل على أنَّ تغييرات لا يتوقعها أحد
حاصلة لا ريب فيها... استغرب هذا التدفق المجنون على الأردن من كلِّ حدبٍ وصوب...!

(الجمعة ١٢/١٠/١٩٩٠) في الصباح وجدت جمال وأمين يجلسون في مدخل البيت، أي خارج
مجال التكييف، فالطقس صار معتدلاً ويسمح للمرء بأن يجلس في الصباح أو المساء أو
الليل في الهواء الطلق. شربنا القهوة معاً، وتناولنا بعض الأحاديث العادية، إلى أن استيقظ
باقي أفراد العائلة، ثم ذهب كلُّ إلى منزله.

وأحاطتنا الشقيقة إنعام بأن نقاط التفتيش كثيرة ومنتشرة بشكل غير طبيعي وأن الجنود
الواقفين على الحواجز (ويسمونها نقاط سيطرة) يسألون عما يحمله المرء من نقود، فإن
كان مع أحد نقود كويتية، فإنهم يأخذونها منهم ويمزقونها أمامهم ويلقونها أرضاً... أو
يحتفظون بها «للذكري».

كما أنه أصبح من المتعذر نقل أنابيب الغاز الفارغة لاستبدالها بأنابيب معبئة، ويؤخذ
الأنبوب الفارغ من حامله، ويلقى إلى جانب الطريق. والسبب في هذا الإجراء الجديد هو
ازدياد السيارات المفخخة والتي تفجرت في أنحاء مختلفة من أماكن التجمع الفلسطيني

في مدينة الكويت، كالنقرة وحولي والسالمية والفروانية، وأصابت العديد من الناس بإصابات مختلفة (ويقال إنَّ هناك وفيات من جراء هذه الأحداث). ويظن أنَّ مثل هذه الأنايب تستعمل لإحداث هذه التفجيرات!

ولا نعرف كيف سنستبدل بالأنبوب الفارغ آخر، هل محملة على أكتافنا؟ غريبة...!

من القصص التي سمعتها أخيرًا، وهي قصة حقيقية كما قيل لي، أنَّ طائرة من طائرات الخطوط الجوية الأردنية «عالية» كانت متوجهة منذ حوالي شهر إلى القاهرة ومعظم ركابها من المصريين ممن هربوا من الكويت. وعند إقلاع الطائرة أخذ المصريون يهتفون بحياة الملك حسين والأردن الذي «لم يبخل عليهم بالغالي والرخيص...» وهاتك يا مديح في الأردن... إلى أن أعلن قائد الطائرة عن أنَّ الطائرة بدأت هبوطها في أجواء القاهرة.... فإذا بالمصريين يصيحون بعبارات وهتافات ضد الأردن ومليكه، وبحياة مصر «أم الدنيا» وحيات زعيمها حسني مبارك... ولم يكتفِ الركاب المصريين بذلك، بل راحوا يعبرون عن سخطهم على الأردن بتمزيق كلِّ ما أمكن تمزيقه في الطائرة... وبشكل خاص مقاعد الطائرة.

ومعروف أنَّ الخطوط الجوية الأردنية «عالية» كغيرها من شركات الطيران، تحمل في كلِّ رحلة لها بعض رجال الأمن معها. أحاط بعض رجال الأمن قائد الطائرة بما يجري، فاتخذ القائد قرارًا بالعودة إلى عمّان دون إعلام الركاب... ونزلت الطائرة في مطار عمان، فأسقط بيد المصريين، وحجز المسافرون الذين كانوا على تلك الطائرة من المصريين ثم جرى التحقيق معهم، وأجبروهم على دفع التعويض عن الخسائر التي تسببوا فيها، ومنعوا من السفر جواً! قصة لا شك في أنها طريفة.. لكنها موجهة، وشر البلية ما يضحك... والله أعلم.

لم يبقَ في الكويت إلا من لا يستطيع السفر لأسباب مختلفة. من هؤلاء الفلسطينيين حملة وثائق السفر المصرية، والذين لا يسمح بدخولهم أي بلد عربي إلا بشق الأنفس، وإن سُمح فبشروط تعجيزية. ومنهم من لا يملك من المال ما يمكنهم من تحمل مصارف السفر والإقامة في الخارج... إلى أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل، أو أن مالهم مجمد في البنوك

الكويتية، ومنهم من ليس له بيت يلجأ إليه في هذا العالم الفسيح... الضيق! ومنهم من لا قدرة لديه لتحمل مشاق النقل والسفر، ومؤمن بأن قضاء الله فوق كل شيء ولا مرد لقضائه... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبالمناسبة فإن أجرة سيارة الشحن من الكويت إلى عمّان تتراوح بين ألف ومئتين وألف وست مئة دينار أردني، أما أجرة الراكب بالأتوبيس المكيف فهي مئتان وخمسون دينارًا عراقيًا... للراكب الواحد..! يا بلاش!

أخبار اليوم مثيرة، ففي القاهرة اغتيل رئيس مجلس الشعب المصري رفعت المحجوب وهو في طريقه لملاقة نظيره السوري قبل ظهر اليوم. الجناة، وكانوا، حسب مصادر الأخبار المختلفة، يركبون الدراجات النارية، وتمكنوا من الهرب بعد أن قتل في العملية المحجوب وثلاثة من حراسه العسكريين وأصيب سائقه بإصابة بليغة، كما أصيب اثنان من المارة بسبب محاولتهم توقيف الجناة والإمساك بهم بإصابات خطيرة، وكذلك حدث مع اثنين من ضباط الشرطة، توفي أحدهم لاحقًا. إن العملية تدل على أن مرتكبيها هم من المحترفين جدًا في مثل هذه العمليات.

ويأتي اغتيال المحجوب بعد يوم واحد على إجراء استفتاء لطلب رئيس الجمهورية حل مجلس الشعب بسبب ملابسات دستورية تتعلق بشرعية مجلس الشعب الذي وافق الأكثرية من المصريين على حله بنسبة ٥٨%.

لم تتمكن قوات الأمن من العثور على أية دلائل تشير إلى هوية الفاعلين، لكن أصابع الاتهام تتجه نحو عناصر من الأصوليين المسلمين المصريين لأسباب مصرية داخلية، وهو احتمال أكثر قربًا من الحقيقة، أو من عناصر مجموعة «أبو نضال»... والله أعلم.

في لبنان، تحركت قوات كبيرة سورية، بطلب من الشرعية اللبنانية برئاسة الرئيس إلياس الهراوي، مع قوات الشرعية اللبنانية وحاصرت المنطقة التي يتواجد فيها العماد ميشيل

عون وقواته في منطقة اليرزة والقصر الجمهوري، في محاولة لإنهاء تمرد، وفرض الشرعية، وإنهاء أزمة لبنان...

الخبر المهم في هذا الشأن أنّ العماد عون دعا مؤيديه للحضور إلى المناطق التي يسيطر عليها لتشكيل درع من البشر حوله في محاولة يائسة لعدم ضربه ضربة عسكرية قاضية. وتجمع في المكان المحدد عدد أقل مما كان يتوقع، فظهر العماد عون أما الحشد وبدأ يخطب فيهم، فإذا بمسلح مدني من الناس المجتمعين تضامناً معه يصوب مسدسه نحوه ويطلق عليه النار، فلم يصبه، ونجا عون من محاولة الاغتيال، وبعد دقائق تابع خطابه...!

هذا ما بدأ يحدث في لبنان... فماذا سيحدث في الأردن؟ وماذا سيحدث في فلسطين ٤٨ و٦٧...؟ وماذا سيحدث في سوريا أو مصر أو السعودية؟ المنطقة على فوهة بركان...!

مجلس الأمن لم يصل إلى حل في مسألة اتخاذ قرار يندد بإسرائيل ويطالب بحماية الفلسطينيين عن طريق إرسال قوات أمم متحدة، وإرسال بعثة لتقصي الحقائق. أمريكا تسعى جاهدة للوصول إلى حل دون أن يضطرها إلى استخدام حق القيتو كما ذكرنا سابقاً. إن اتصالات حثيثة وواسعة تجريها أمريكا، تارة عن طريق الرئيس بوش، وتارة عن طريق وزير خارجية أمريكا جيمس بيكر. ومنظمة التحرير مصرّة على موقفها...!

أبو إياد صرح في حديث مع إذاعة لندن الليلة بأن المجلس المركزي وافق على موقف منظمة التحرير الداعي إلى ربط قضايا المنطقة بعضها ببعض، لكن ليس بالضرورة أن يكون الربط ميكانيكياً بل ربطاً سياسياً...!

وأكد على أنّ الحرب إن نشبت فستكون وبالاً على الجميع دون استثناء، وأشار إلى أن المشكلة الراهنة المتعلقة بموقف مجلس الأمن من أحداث القدس وما يتوقع عنها وضعت أمريكا أمام امتحان عليها أن تثبت أمام العالم أنها تعمل، كما تقول، وفق المبادئ الدولية المتفق عليها. لكنه شكك في اعتماد الولايات المتحدة على مبادئ الأمم المتحدة، وقال إنها

تتحرك وفق ما تمليه عليها مصالحها وليس ما تفرضه المواثيق، إنها تعتمد على مبادئ الولايات المتحدة وليس على مبادئ الأمم المتحدة.

وقال إنَّ موقف منظمة التحرير الفلسطينية واحد منذ بداية أزمة الخليج، وهو أن المنظمة لم تنحز إلى طرف دون الآخر، وأنه أريد تشويه موقف المنظمة من الأزمة لأسباب كثيرة.

وأكد على أنَّ الحل يجب أن يكون عربيًّا، بإطار دولي إذا لزم الأمر، وأن على القوات الأجنبية أن تغادر المنطقة، وهذا موقف مبدئي للمنظمة منذ بداية الأزمة، والذي يلاقي في هذه الأيام تجاوبًا عند الدول الكبرى والمؤثرة في العالم.

(السبت ١٣/١٠/١٩٩٠) مجلس الأمن وافق بالإجماع على قرار يتعلق بالمذبحة الإسرائيلية في القدس وما تفرع عنها، دون استخدام أمريكا حق النقض (الفيتو) كما توقع.

والقرار حسبما سمعته للمرة الأولى لم يرض المنظمة (منظمة التحرير الفلسطينية) كما كانت تأمل، وحسبما أعلن على لسان مسؤولين فلسطينيين، وأنه خيب الآمال على الرغم من أنَّ القرار يندد بشدة بأعمال القمع الإسرائيلي ويطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة إيفاد بعثة تقصي حقائق وتقديم تقريرها قبل نهاية الشهر الحالي إلى مجلس الأمن لمناقشة واتخاذ ما يلزم من إجراءات في هذا الخصوص.

وهذه هي المرة الأولى التي تضطر فيها أمريكا إلى عدم استخدام الفيتو في مثل هذه الحالات.

(الأحد فجرًا ١٤/١٠/١٩٩٠) ثلاثة أخبار مهمة شغلت الجميع أمس السبت، الأول قرار مجلس الأمن الدولي بخصوص جريمة القدس ومتفرعاتها، والثاني القضاء على العماد ميشيل عون واستسلامه مع قواته، والثالث انعقاد المؤتمر الشعبي الكويتي في جدة.

ففيما يتعلق بقرار مجلس الأمن رقم ٦٧٢، والذي لم ترص عنه المنظمة لأنها كانت تتمنى أن يتضمن القرار تنديدًا أشد ضد إسرائيل، واتخاذ إجراءات عملية لحماية الشعب الفلسطيني

من القمع والبطش الإسرائيلي واتخاذ ما يلزم لوضع الأراضي المحتلة تحت الوصاية الدولية، إلى أن يتمكن الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية من استكمال مؤسساته لإقامة دولته المستقلة عملياً على الأرض الفلسطينية. واتهمت المنظمة الولايات المتحدة الأمريكية بلعب دور مهم للحيلولة دون التمكن من استصدار قرار المجلس كما كانت تريده المنظمة.

لكن معظم الدول العربية التي أصدرت بياناتها في هذا الخصوص، أعربت عن رضاها، بل وترحيبها، بهذا القرار، باستثناء العراق الذي كان رد فعله شبيهاً بموقف المنظمة من هذا الموضوع.

إسرائيل غضبت من اتخاذ هذا القرار ضدها، ولسمح أمريكا بصدور مثل هذا القرار «الجائر دونما سبب أو مبرر» في مجلس الأمن الدولي.

الخبر الثاني المهم هو إقدام قوات الجيش اللبناني المرتبط بالشرعية، تسانده القوات السورية التي طلبها الرئيس اللبناني إلياس الهراوي للقضاء على تمرد العماد ميشيل عون، على طريقة تسوية مشاكل لبنان!

وكانت القوات المسلحة اللبنانية، والسورية التي لعبت الدور الأساسي، قد حشدت قواتها في اليومين الأخيرين حول المناطق التي كان يسيطر عليها عون. في صباح يوم أمس بدأت المعركة الفاصلة، واشترك الطيران السوري في الإغارة على مواقع قوات عون وعلى مقر قيادته في القصر الجمهوري، إضافة إلى قصف مناطقه بالمدفعية والصواريخ... ما دعاه إلى التراجع، واستسلام قواته، ثم لجوئه إلى السفارة الفرنسية في بيروت الشرقية، حيث أعلن من هناك بيان استسلامه بصوته. وطلب عون اللجوء إلى فرنسا، ويُجرى الآن اتخاذ ما يلزم لتأمين خروجه من لبنان إلى فرنسا بحماية الفرنسيين بعدما كبد اللبنانيين آلاف الضحايا وكثيراً من الدمار والخراب.

والسؤال التالي هو متى يتم تسوية مسألة الشريط الحدودي الذي تسيطر عليه إسرائيل،
وتنسحب إسرائيل عملياً منه؟

ثم متى يغادر السوريون الأراضي اللبنانية.. وماذا عن المليشيات الدرزية، والشيوعية، حركة
أمل وحزب الله، وماذا وكيف ستعالج مسألة التواجد الفلسطيني المسلح؟

وهل سيتفق اللبنانيون، بعد كل هذه المذابح الأهلية، والتي وصلت إلى درجة اقتتال
الطائفة الواحدة فيما بينها؟

هل يمكن أن يعود لبنان واحة في صحراء العرب كما كان سابقاً..

هل يعود بلد يستريح فيه العربي ويُمضي فيه أحلى الإجازات، وتصب فيه كثير من أموال
العرب المخزنة والمجمدة في أوروبا وأمريكا لإنعاشه وإعادة البسمة إليه؟

هل تعود أيام وليالي زحلة على جوانب البردوني، وعلى سفوح بحدون وعاليه وصوفر..
وشتورة؟

آه يا لبنان، كم من الذكريات الحلوة منحتنا في أيامك الخيرة وعلى روابي جبالك السماء
وشواطئك الجميلة! لماذا فعلوا بك كل هذا.. ولماذا استجبت لتلك المؤامرة... فدمروك
بمؤامراتهم وبأياديك!

الخبر الثالث هو المؤتمر الشعبي الكويتي، والذي حضره قرابة ألف ومئتي شخصية كويتية
تحت شعار «التحرير شعارنا، هدفنا، سبيلنا».

وقد حضر أمير البلاد وولي عهده، والوزراء وأعضاء المجالس النيابية، ورجالات البلد
وشخصياتها المهمة. ونقلت وقائع الاجتماع تليفزيونات دول مجلس التعاون (السعودية
نقلته مباشرة). ويبدو أن بعض أعضاء المجلس الوطني الكويتي الأخير كانوا حاضرين،
فكثير من وجوه الحاضرين ليست مألوفة لنا. كما أننا لم نلاحظ وجود الشخصيات

الديموقراطية، من أمثال الدكتور أحمد الخطيب وأحمد الربيعي وغانم النجار وعبد الله النيباري وأمثالهم... والله أعلم.

كان الأمير حزينًا جدًا، مطأطئًا رأسه طوال الجلسة. وقد أشيع أمس أنه كان ينوي التنحي، لولا أنّ الكويتيين رجوه عدم الإقدام على ذلك في مثل هذه الظروف.

ألقى خطابه، وبكى أثناء قراءته بعض الفقرات... وعرض في خطابه لتطور الأحداث التي أدت إلى الوضع الحالي، كما أكد فيه على المبادئ الأساسية المعروفة، ودعا إلى تراص الصفوف والتعاون اللامحدود إلى أن تستعاد الكويت، وشكر الأثقاء والأصدقاء على وقوفهم في محنتهم، وأن العودة إلى الوطن قريبة... إن شاء الله.

الشيخ سعد كان أكثر صلابةً في مظهره من الأمير، فألقى خطابه، وقال: «إنّ القيادة الكويتية تركت البلاد لإفشال المخطط العراقي للقضاء على القيادة السياسية لخلق فراغ دستوري». ومن أهم ما قاله أن كويت المستقبل ستستند إلى دستور الكويت المقرر عام ١٩٦٢، وهي إشارة إلى العودة إلى الديمقراطية والحرية. وقد صقّ الحاضرون لهذا كثيرًا.

بعد ذلك ألقى الأستاذ عبد العزيز الصقر، وهو رجل الفعاليات الاقتصادية، ورئيس الغرفة التجارية والصناعية، وأحد كبار رجالات البلد، كلمة باسم المؤتمرين ركز فيها على المبادئ والثوابت التي يرى ضرورة الالتزام بها لإعادة بناء البيت الكويتي وهي ثلاثة:

- أولاً، المشاركة الشعبية القائمة على حرية الحوار وأغلبية القرار.

- ثانياً، إسلامية العقيدة.

- ثالثاً، أنّ العروبة هي القدر الذي لا نريد ولا نستطيع الفكّ منه، وضرورة مقاومة محاولات زج الشعوب في أتون نار الحقد بسبب ما اتخذته أنظمة بعض هذه الشعوب من مواقف من احتلال الكويت.

بشار الحبيب بادر منذ الصباح الاهتمام ببيع سيارته لشخص لبناني كان قد صادف أن رآها أمس. المهم أنّه لم يتفق على الثمن، فقد دفع اللبناني مبلغ تسع مئة دولار فقط ثمناً لها. قلت لبشار دع السيارة عندنا، وتوكل على الله وسافر، وسنوفر لك احتياك من المال الذي يمكّنك من شراء تذكرة السفر إلى ألمانيا، وسداد مصاريف إقامتك في الأردن لأيام. وإن لنا في الأردن الكثير من الأصدقاء والأقارب ممن يستطيعون تأمين اللازم.

ثم علمنا منه أن السفر سيكون بعد ظهر الغد، قلنا: على بركة الله، لكن الموعد تأجل إلى ما بعد غد الثلاثاء ١٦/١٠/١٩٩٠.

وقد بدأ بشار بترتيب أجهزته الفنية، وتوضيها لحفظها، وسيحمل منها معه جهازين صغيرين، لكنهما مهمين. إنه يكاد يقول إنه راجع لا ريب...

أما أخبار اليوم والمساء فكانت شبه عادية، أي لا جديد فيها بعد أن بردت سخونة أحداث القدس المحزنة، وبعد القضاء على العماد ميشيل عون.

إسرائيل رفضت استقبال بعثة تقصي الحقائق التي سيوفدها السكرتير العام للأمم المتحدة إلى فلسطين، لكنه لم يتضح إن كانت ستمنع دخولها، أو أنها ستسمح بدخولها لكن دون التعامل معها.

العماد عون اللاجئ في السفارة الفرنسية محاصر من قوات الشرعية، وتراجعت الحكومة اللبنانية عن وعدها بالسماح له بمغادرة لبنان كلاجئ في فرنسا. وكانت فرنسا قد أرسلت طائرتين صغيرتين إلى مطار لارنكا لتقله وعائلته ومساعديه إلى فرنسا. فقد اجتمعت الحكومة اللبنانية وبحث الأمر، فوجدت أنّ عون الذي ارتكب العديد من الجرائم لا بد من محاكمته. وكلفت وزير العدل إدمون رزق لاتخاذ اللازم.

أمّا عن المؤتمر الشعبي الكويتي المنعقد في جدة، فقد استأنف أعماله، والاعتقاد السائد هو أن نتائجه ستركز على وحدة الصف إلى حين استعادة الوطن، ثم لكل حادث حديث. وقد ظهر أحمد الخطيب الليلة على شاشة الـ CNN التي تبث من محطة البحرين ليلاً في الحادية عشرة أهم الأخبار. وصرّح الخطيب بأن «لا عودة للأسلوب الذي كان سائداً في حكم الكويت، بل لا بد من العودة إلى مشاركة الشعب في الحكم، والاستناد إلى الديمقراطية وحرية الرأي...».

من الأخبار المهمة خبر أذاعته محطة «مونت كارلو» مساء اليوم، وكررت مع ما استجد حوله في «بانوراما» الحادية عشرة ليلاً مفاده أنّ مصادر عربية في عمّان ذكرت أن الرئيس العراقي قام بزيارة سرية إلى الأردن يوم التاسع من الشهر الحالي، واجتمع مع الملك حسين مدة ثلاث ساعات، وأنه أبلغه بأن العراق على استعداد للانسحاب من أجزاء كويتية مع الاحتفاظ بحدود تبدأ من «صدامية المطلاع» وبجزيرتي وربة وبوبيان وحقل نفط الرميلة.

كما أنّ موسكو أعلنت عن طريق وكالة الأنباء السوفييتية نوفوستي اليوم أيضاً أن الرئيس صدام صرّح للمبعوث السوفييتي بريماكوف، الذي زار العراق منذ حوالي عشرة أيام، بأنه على استعداد للانسحاب من معظم الأراضي الكويتية والاحتفاظ بالجزيرتين المذكورتين وحقل الرميلة.

في «بانوراما مونت كارلو» هذا المساء أعلن العراق على لسان وزير إعلامه لطيف نصيف جاسم بـ«أنّ لا صحة لنباً استعداد العراق للانسحاب كما ذكرت بعض المصادر...».

هناك تحركات دبلوماسية، عربية ودولية، نشطت مرة أخرى، وعلى الصعيدين السلمي والعسكري...

وزير الخارجية البريطاني زار أمس مصر ويتوجه غدًا إلى إسرائيل، ووزير الدفاع الأمريكي تشيني وصل اليوم إلى لندن، وسيتوجه بعد ذلك إلى موسكو وباريس في إطار التنسيق العسكري والسياسي.

كما وصل وزير خارجية فرنسا ألان دوما إلى تونس حيث اجتمع مع الرئيس التونسي، ثم مع الرئيس الفلسطيني الذي كان قد عاد فورًا من العراق ويحمل معه آخر المعلومات عن استعداد العراق للوصول إلى حل سلمي.

وصرّح عرفات إثر اجتماعه المطول مع دوما أنّه متفائل بإيجاد حل سلمي لأزمة الخليج، وسيقوم «دوما» غدًا بجولة في دول الخليج يلتقي فيها زعماءها.

الرئيس التركي تورغوت أوزال بدأ زيارة مماثلة إلى دول الخليج للالتقاء بملوك وأمراء المنطقة.

طه ياسين رمضان اتجه إلى ليبيا حيث سيلتقي العقيد معمر القذافي للتباحث معه، ثمّ يتجه إلى باقي دول المغرب العربي لنفس الغرض، وطارق عزيز وصل اليوم إلى المغرب للمشاركة في أعمال اجتماع لجنة القدس!

نشوى، التي أقامت الدنيا للهروب من الكويت بُعيد اجتياح القوات العراقية لها، عادت أمس قائلة بأن لا مكان يغني عن البيت، الوطن الصغير، وأن كلّ القنابل والمتفجرات التي يمكن أن تتساقط على رؤوسنا لا تسمح الله ستكون أهون عليّ من المذلة والمعيشة الصعبة في عمّان... فلا ماء يكفي، والغلاء متصاعد، والبطالة متفشية... وحاله...!

(الاثنين ١٥/١٠/١٩٩٠) المؤتمر الشعبي الكويتي أنهى واختتم مؤتمره الليلية، وأصدر بياناً تضمّن عشرين بنداً، تنص على الثوابت الكويتية كوحدة الصف، والجهاد والنضال في سبيل

تحرير كامل الكويت، والطلب من العالم اتخاذ ما يكفل لاستعادة الكويت ودحر المحتلين، وطالب أولئك الذين لم يقفوا مع الكويت في التنديد بغزو الكويت بأن يعيدوا النظر (وقصد بذلك الأردن والمنظمة بالدرجة الأساسية) وقال إن مواقف بعض القيادات الفلسطينية لا تعكس مواقف الفلسطينيين، وأن الكويت سيظل وفيًا للشعب الفلسطيني في نضاله العادل.

وأكد على إسلامية العقيدة والانتماء العربي وعلى مشاركة الشعب في الحكم والاعتماد على الديمقراطية وحرية الرأي وفق ما نصّ عليه دستور الكويت المقرر عام ١٩٦٢.

(الثلاثاء ١٦/١٠/١٩٩٠) أصبحت الحياة تسير ببطء مقيت وممل، وليس هناك ما يبعث على التفاؤل أو عكسه... وهنا تكمن المصيبة... فلا نحن متفائلين... ولا نحن متشائمين فيما يتعلق بالوضع العام في هذه المنطقة، وكل الاحتمالات واردة، سواء على الصعيد المحلي في هذه المنطقة أو في المنطقة العربية كلها، وبالذات في منطقة ما يسمى بـ«الشرق الأوسط».

لا شيء يغري للخروج من البيت، ولا أجد حاجة إلى ذلك، ولا يجني المرء من الخروج من البيت إلا الأسى والتألم على هذا البلد الذي كان شيئًا... صرحًا.. فهوى..

إنني أبقى في البيت أيامًا دون الخروج منه... لكن وعلى الرغم من وجود الكثير مما أشغل نفسي به داخل البيت، فإنّ الإحساس بالضيق يتزايد يوميًا بعد يوم، ومعه تزداد الحياة تعاسة.

ويبدو أنّ الإنسان في زمن الانتظار يفقد القدرة على الابتكار والإبداع... وتضيع لذة البحث عن جديد في روتينية الحياة في مثل هذه الظروف.

إنّ متابعة الأخبار، وانتظار الحل... الحل... لهذا الوضع اللاوضع... عملية مرهقة ذهنيًا ونفسيًا إلى درجة محطمة. ويبدو أنّ السياسيين يعرفون هذه الحقيقة، وهي أنّ ترك الأمور

بين الحل والحل كفيلة بإرهاق الناس، وبالتالي جعلهم يتوقون إلى حلٍّ ما، حتّى ولو كان أقل مما يتوقعه الناس ويتمنونه.

صحيح أننا ما زلنا في أوّل الطريق إذا ما قارنًا مشكلة من هذا النوع بمشاكل أخرى، كالمشكلة الفلسطينية أو اللبنانية. لم تمضِ بعد سوى قرابة شهرين ونصف على بدء هذه الأزمة، أزمة احتلال الكويت التي صارت تُعرف بأزمة الخليج، بينما مضت أكثر من اثنين وأربعين عامًا... نعم... عامًا... على المشكلة الفلسطينية (إن لم نود الرجوع إلى أصل المشكلة الذي يعود إلى أوائل هذا القرن) وحوالي خمس عشرة سنة على المشكلة اللبنانية...

ولكن الصحيح أيضًا أن هذه منطقة منابع النفط، أي منابع شريان الحياة في هذا العالم الحديث، والذي أصبحت دول العالم الكبرى والصغرى تعتمد عليه في كلّ شؤون الحياة في بلادها، ولا يجوز، أو على الأصح لا يسمح لأحد أيًا كان، اللعب بهذا الأمر، إطلاقًا... نعم إطلاقًا!..

إنّ المسألة هي إذن مسألة وقت فقط، ولا بد من حل، وحل سريع لتأمين استمرار تدفق «الدم الأسود» لاستمرار الحياة على وجه هذا الكوكب... عن طريق هذا أو ذاك... لا هم... المهم هو ضمان تدفقه والحفاظ على سلامة هذا التدفق على مدى العقود القادمة في هذا الزمن مهما كلف الأمر.

والوقت المنتظر للوصول إلى حل لن يكون طويلًا، بل أستطيع الجزم بأنه لن يتعدى الأسابيع، أو الأشهر على أبعد حد منذ اليوم.

وفي مقدار أقل قليلًا من مقدار الاهتمام بالنفط، هناك اهتمام بتنفيذ ما عبّر عنه غورباتشوف بجملة واحدة قائلًا: «إنه يجب أن يفهم جليًا بأنه لن يسمح للمعتدي بجني ثمار عدوانه في هذه المرحلة الجديدة من التفاهم الدولي». وهو هدف لا يختلف عليه أحد من الدول الكبيرة المتحالفة، ومعظم دول العالم التي تقف معهم ضد النظام العراقي.

سرت أمس إشاعات كثيرة، فكما أشرنا من قبل أن الأرض عطشى للإشاعات، من أبرزها هو أن تليفزيون بغداد قطع إرساله أمس ليلاً ليعلن أن «الرئيس العراقي قد حلم بالرسول (ﷺ) الذي جاءه في منامه وأوصاه بأن يوجه كل سيوفه (أسلحته) إلى فلسطين بدلاً من وجودها في الكويت».

الثانية هي أن العراق بدأ بسحب قواته من الكويت، وأن قوافل السيارات التي تنقل العساكر أعادت العراقيين من الكويت تجاه البصرة من كل حدبٍ وصوب مستمرة.

وكما يرى المرء فالإشاعتان مرتبطتان معاً، غير أن أحداً ممن نقلوا إليّ خبر الإشاعتين لم يجب عليّ بـ«نعم» على سؤالي «هل شاهدت هذا بنفسك؟» فكل منهم يقول لك بأن شخصاً آخر أخبره بذلك وشاهده...!

على أية حال، فما الإشاعة سوى أحلام يقظة في كثير من الأحيان، التي لا تنطلق في معظمها من فراغ، ما جعلها تنتشر بين الناس العطشى أيضاً... فقد ذكرنا قبل أيام خبر مفاده أن العراق أبدى استعداداً للانسحاب من معظم أراضي الكويت، والذي نفى صحته متحدّث رسمي عراقي فوراً.

لكن وبالرغم من النفي العراقي لهذا النبأ قبل يومين أو ثلاثة، فقد حملت الأخبار اليوم نبا يفيد بأن الرئيس السوفييتي أوفد مبعوثه الخاص، وعضو مجلس السوفييت الأعلى يفغيني بريماكوف في جولة مهمة إلى كل من إيطاليا وفرنسا وأمريكا حاملاً معه أفكاراً جديدة، لحل الأزمة بالطرق السلمية، تنطلق مما أسفرت عنه زيارة بريماكوف إلى العراق قبل حوالي أسبوعين، والتي قيل إن العراق أبدى استعداده للانسحاب من الكويت بشكل أو بآخر.

أجد من المهم التذكير بأن خطأ من الأسلاك الشائكة، ومنهم من قال إنه أشبه بجدار، قد أقامته القوات العراقية منذ أكثر من شهر عند منطقة المطلاع، خطأ ممتداً، كما ذكر، من البحر وحتى حدود السعودية!

وفي حديث مع صديقة كويتية، حيث جرى استعراض الوضع، أن الناس تتناقل أنباء مفادها أن العراق مستعد للانسحاب، كما سرت الإشاعة أمس، مقابل اقتطاع جزيرتي وربة وبوبيان وحقل الرميلة، واشترط عدم عودة آل الصباح إلى الحكم... قالت إنه لا يمكن للكويتيين القبول بهذا على الإطلاق. وهي تعتقد بأن عودة آل الصباح حتمية ولكنها ستكون في الحكم صورية وعلى طريقة نظام بريطانيا في الحكم. وأن أحدًا لن يقبل باقتطاع أي شبر من أرض الكويت.

تذكرت حالنا عندما رفضنا إقامة دولة فلسطين على الجزء الذي خصصته الأمم المتحدة من فلسطين، لأننا قلنا إننا لن نفرط في أي جزء من تراب وطننا الغالي فلسطين، إمّا كلها وإما القتال في سبيلها... وها نحن نناضل منذ أكثر من أربعين عامًا... وتقلصت مطالبنا إلى المطالبة بالصفة والقطاع لنقيم عليها دولتنا الفلسطينية المستقلة... والعدو يرفض، والعالم غير مكترث بالأمر... وعلى مهل... لكن تلك هي فلسطين والعدو فيها هو الصهيونية... وهذه هي الكويت والعدو فيها هو العراق... وشتان بين هذه وتلك!

الكويتيون متحمسون جدًا للجوء إلى الحل العسكري، ويطالبون به بصوت عالٍ، لكن الكبار لهم حساباتهم الخاصة...

عسكريًا، ذكر وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني، أن القوات الأمريكية التي احتشدت في منطقة الخليج قد بلغ عدد أفرادها مئتي ألف جندي، مع السفن وحاملات الطائرات والدبابات والناقلات وما إلى ذلك... يضاف إليهم حوالي عشرين ألفًا من الجنود الغربيين، بريطانيين وفرنسيين وغيرهم. وأن عدد القوات العربية المرابطة في شبه الجزيرة العربية يقارب عدد الجنود الغربيين، أي ما يفوق المئتي ألف جندي عربي مع معداتهم.

وأن عدد أفراد القوات العراقية الذين حشدوا في المنطقة قد بلغ أكثر من أربع مئة ألف جندي مع كامل معداتهم الحربية.

اليابان أقدمت على اتخاذ قرار تاريخي، فأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية، يوافق مجلس النواب الياباني على تعديل الدستور بحيث يسمح بإرسال قوات عسكرية يابانية إلى الخارج، للمشاركة مع القوات المتحالفة ضد العراق... ولو بشكل رمزي وغير مسلح.

بوش شدّد من لهجته ضد الرئيس العراقي لعدم تنفيذه قرار مجلس الأمن القاضي بالانسحاب من الكويت. وأمريكا تستعد لاستصدار قرار جديد من مجلس الأمن لإيقاع حكم «مجرم حرب» على الرئيس العراقي، وعلى معاونيه. وذكر في هذا الصدد بمحاكمات نورنبيرغ للمرة الثانية منذ اندلاع أزمة الخليج. لكن بوش لم ينس أن يتمنى أن تستجيب إسرائيل لقرار مجلس الأمن واستقبال بعثة تقصي الحقائق التي كلف السكرتير العام بإرسالها إلى إسرائيل إثر أحداث القدس الدامية... تمنى! (وما نيل المطالب بالتمني...) ومما قاله كمبرر لضرورة استجابة إسرائيل لتحقيق تمنياته بأن العراق يمكن أن يستفيد من فرصة إعادة إثارة موضوع مذبحه القدس ثانية من خلال عدم استجابة إسرائيل... يا سلام... يا سلام... يا سلام!

الحبيب بشار لا يزال ينتظر قرار تحديد موعد السفر، وهو أمر في يد صديقيه اللذين سيسافر معهما. آخر الأخبار في هذا الصدد أنّ السفر ممكن أن يتم غدًا بعد الظهر.. والله أعلم.

ونحن بين نار حب الوالدين بأن يكون أبناؤهما معهما وبين نار الرغبة في إبعادهم عن أخطار ومفاجآت يمكن أن تحدث في أي وقت... منها مثلاً أن يقرر الأردن تجنيد كافة الذين هم في سنّ الجندية من الأردنيين الموجودين في الكويت للانخراط في جيش صدام «لنصرة معركة المصير العربي»...

فالأردن أعلن الليلة عن فتح باب التطوع في الجيش الشعبي الأردني «للذود عن الوطن وخوض معركة المصير العربي»...

لذلك نحن شجعنا يزيد وبلال، ونشجع اليوم، رغم آلام الفراق، بشار على السفر.

ليبيا قالت -حسب إذاعة مونت كارلو- «إنَّ أزمة الخليج يمكن أن تدعو ليبيا إلى استنفار مليون رجل»... ولكن دون أن تحدد أين سيقف هؤلاء، إلى جانب هذا الفريق أم ذاك! ألسناء ظرفاء..؟

في المساء زارنا الصديق وائل، وفي نفس الوقت، حضرت لزيارتنا العزيزة الدكتورة أروى ومعها خالتها وهي حماتها في الوقت ذاته، وعبير ابنة خالتها.

وهل هناك من موضوع يجري الحديث فيه غير استعراض الوضع ونتائجه وتوقعات مستقبله في هذه الأيام؟

رأي الصديق أبو بسام أنَّ الحل سيحتاج إلى وقت أطول بكثير مما يتوقع المرء، سواء كان هذا الحل حرباً أو سلماً. وإن الجميع يحاول تجنب الحرب، وهو يستبعد اللجوء إليها، لأنها تحمل في طياتها مفاجآت لا أحد يدري إلى أين يمكن أن تؤدي، وما هو شكل المصير الذي ستؤول إليه الأوضاع في المنطقة من بعد... وأنه إن نشبت، لا سمح الله، فسوف تستمر لسنوات، وسيعم الخراب والدمار، اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً، على المنطقة العربية من الخليج إلى المحيط...! والحل السلمي في رأيه، إن اتفق عليه في هذه الأيام، يحتاج إلى شهور أو سنوات من أجل تطبيقه لاستعادة الوضع السابق، أي عودة دولة الكويت.

في آخر الليل جلسنا مع العزيز بشار، تحدثنا في شؤون سفره، وزودناه بما يلزم من العناوين والرسائل لتيسير أموره...

لقد كانت جلسة وداع... فهو ربما يسافر في الغد... تمام أتبعنا الثلاثية بجلسة خاصة مع بشار... وتصبحون على خير.

(الأربعاء ١٧/١٠/١٩٩٠) ألقى وفد يمثل الفلسطينيين في الأرض المحتلة اجتماعاً كان من المقرر عقده مع وزير الخارجية البريطاني دوغلاس هيرد ظهر اليوم في القدس، وذلك

بسبب تصريحات نسبت إلى الوزير البريطاني ونشرتها بعض الصحف الإسرائيلية تقول على لسانه إن بريطانيا لا تؤيد قيام دولة فلسطينية، وأن منظمة التحرير الفلسطينية ليست شريكًا في عملية السلام المتوقعة.

نفى متحدث باسم الخارجية البريطانية، وفور ورود خبر مقاطعة الفلسطينيين للاجتماع مع هيرد، أن يكون هيرد قد صرّح بمثل هذه التصريحات، وأضاف المتحدث أن هيرد أكد دومًا على حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، وأن الفلسطينيين قد بلغوا معلومات غير صحيحة. وقد جرت محاولات سريعة لإقناع الفلسطينيين للاجتماع به لكن المحاولات لم تنجح.

في المغرب عقدت لجنة القدس برئاسة ملك المغرب اجتماعًا لها في الرباط، وحضره كل من الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، ووزيري خارجية العراق والسعودية، وغيرهم. وهذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها الوزيران السعودي والعراقي في مكان واحد منذ مؤتمر القمة العربي الأخير في القاهرة. وعلى جانب هذا الاجتماع، التقى ياسر عرفات سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي في جلسة خاصة، تحدث للمرة الأولى منذ تباين آراء المنظمة والسعودية حول أزمة الخليج.

التحركات الدبلوماسية ما تزال مستمرة للبحث عن حل سلمي لأزمة الخليج، فبالإضافة إلى جولة بريماكوف، الذي سيلتقي الليلة الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، هناك لقاء بين دوما، وزير الخارجية الفرنسي، وبين نظيره السويدي في ثيننا. والرئيس التركي زار مصر والتقى الرئيس المصري بعد جولته في دول مجلس التعاون الخليجي، واليوم وصل دمشق والتقى الرئيس السوري. كلود شيسون، الشخصية الفرنسية الشهيرة، ووزير خارجية فرنسا السابق، التقى أمس الأول الرئيس الفلسطيني في تونس، وصرح شيسون أنّ عرفات أبلغه بأن «الرئيس العراقي حتى وإن قرر الانسحاب من الكويت فلن يعلن مسبقًا عن ذلك كي لا يحط من معنويات جنوده ولكي لا يعرقل مفاوضات محتملة مع دول عربية أخرى».

طه ياسين رمضان وبعد أن زار دول المغرب العربي عاد إلى تونس ليلتقي الرئيس التونسي للمرة الثانية.

ثلاثة بريطانيين تمكنوا من الهرب عبر طرق صحراوية من الكويت إلى السعودية. وتقول الأنباء إنهم وصلوا وهم في حالة يرثى لها... لكنهم سعداء بتحررهم.

الرئيس الأمريكي بوش هدد بلهجة شديدة، مرة أخرى... أو مرات أخرى.. هدد بأنه «لن تسمح الولايات المتحدة الأمريكية لصدام حسين بتحقيق أية مكاسب من جراء عدوانه واحتلاله الكويت، أو أن يتصرف، كائن من كان، بزوال دولة عضو في الجامعة العربية والأمم المتحدة».

موسكو تبدو متحمسة وجدية في ضرورة السعي والبحث عن حل سياسي لأزمة الخليج، وقد عبّرت روما عن طريق وزير خارجيتها جاني ديميكيليس عن توافق آرائها مع السوفييت في مسعاهم السلمي.

أمّا الوزير الأمريكي جيمس بيكر فقد رفض أية حلول جزئية يمكن أن تسمح للعراق بالاحتفاظ بالجزر أو بحقل بترول الرميّة، ورفض، في حديثه أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي، أن تعمل القوات الأمريكية تحت علم وقيادة الأمم المتحدة.

في لبنان بدأت الجرافات بإزالة الحواجز والفواصل بين بيروت الغربية والشرقية، وفتح كافة المعابر بين الشطرين، وكذلك كافة طرق لبنان التي ظلت مقفلة طوال خمس عشرة سنة، أو أقل أو أكثر... وقد أعجبني قول أحد اللبنانيين، إذ قال إنه قد «بدأ تحطيم جدار بيروت على غرار انهيار جدار برلين وإعادة توحيد العاصمة الألمانية، فهذا هو بوادر توحيد العاصمة اللبنانية بيروت».

وتساءلت... متى يأتي اليوم الذي تتوحد فيه القدس، مدينة السلام...؟ متى تقوم دولتنا
فلسطين...؟

ألسنا في زمن تحويل المستحيل إلى ممكن؟ أليس هذا هو التفسير لاصطلاح العمل
السياسي؟

(الخميس ١٨/١٠/١٩٩٠) «حي الأحرار» أي منطقة الجابرية محاطة اليوم في كل منافذها،
ولأول مرة، بنقاط «السيطرة» أي حواجز التفتيش. إنَّ كافة المعابر للمنطقة تقع اليوم تحت
سيطرة هذه الحواجز. لماذا هذا الإجراء؟ لا أحد يعرف سبباً لذلك! إنها حالة الحرب...

تتزايد حالة اليأس والضيق والخوف والتوتر والتردد في اتخاذ القرارات المناسبة عند
الجميع! فالناس بين المطرقة والسندان، خبر ساخن، وآخر بارد... اليوم احتمالات الحل
العسكري متفوقة، وغداً توقعات التسوية السلمية أكثر احتمالاً... وهكذا دواليك...

الصديق علي زارنا اليوم مع زوجته، وتوَّسنا بحضورهما، وهو كغيره يعيش حالة الضياع
التي نعيشها كلنا، وهل سيكون الحل عسكرياً أم حلاً سلمياً؟ وكما نحن، وكثير غيرنا، نحدد،
على ضوء ما نسمعه من أخبار، موعداً نهائياً للحل... وعلى أمل أن يستقر الوضع على الحل
الذي يعيد الحق إلى نصابه.. لكننا لا نلبث أن نمدد المهلة لوقت ولموعد آخر...

يا إلهي... من كان منا يتوقع أن يمتد هذا الوضع طوال هذه المدة؟ من كان يتوقع كلَّ هذا
الدمار والخراب والنهب والقتل والحرق... وغيرها من الجرائم التي ارتكبت وترتكب في
حق هذا البلد. كنا نعتقد أنَّ الحل آتٍ خلال أيام أو أسابيع قليلة على أبعد تقدير!

(الجمعة ١٩/١٠/١٩٩٠) ذهبت وتمام وسالي إلى بيت يزيد لتفقدته، ومكثنا هناك قرابة الساعة،
قضت سالي بعض الواجبات... مثل سقاية النباتات بالماء، وتنظيف بعض الغبار هنا وهناك.

تجولت في البيت، غرفة.. غرفة... لم أستطع الجلوس، دخلت كلَّ مكان في البيت، وقفت
في بلقونة البيت أكثر من مرة، أتأمل البيت... وأقول: هنا كان يزيد وزوجته وابنته قد

بدؤوا مشوار حياتهم، بعد تخرج يزيد وحصوله على درجة الدكتوراه في الاقتصاد العالمي، وبعد أن أمنا له ولزوجته عملاً يعيشان منه.

هنا حلم يزيد وزوجته بيت جميل... وها هم قد أعدوه على مزاجهما ووفق ذوقهما... هنا حلما أحلامًا جميلة... وخطًا لتنفيذ البعض منها... وها هو اليوم... البيت خالٍ من كل تلك الأحلام المشروعة لإنسان تعب من أجل أن يحقق ذاته.. لماذا يقتلون أحلام الشباب؟

لفتت نظري صورة جميلة للحبيبة لبنى، ابنة الحبيب يزيد، كان يزيد قد علقها فوق مكتبه بعد سفر زوجته ناديا وابنته لبنى، إنها صورة جميلة وتعبر عن لبنى بضحكتها الجميلة و«خفة دمها». أحضرت الصورة معي إلى منزلنا لكي أشاهد لبنى من خلال صورتها كل يوم، بل كلما استطعت... لكن الصورة لا يمكن أن تغني عن حضور الأحياء أنفسهم...

تمام انشغلت ببعض الأشياء الصغيرة في بيت يزيد، وتحديث مع سلفتها تليفونيًا، إلى أن صار موعد عودتنا. أقمنا الباب ونزلنا لنقابل سالي عند الباب الخارجي، فقد ذهبت بناءً على طلبنا لتتحدث مع فتاتين فليبينيتين واحدة منهما تعمل في بيت الدكتور صلاح والأخرى تعمل عند صاحب المبنى «أبو هاني».

العائلتان غادرتا إلى الخارج منذ حوالي ثلاثة أسابيع، وبقيت الفتاتان وحدهما ليحرسا ما في البيتين! تشعر من نظراتهما أنهما خائفتان مرعوبتان.. فمن يدافع عنهما إن اقتحم المكان أحد الجياع... من...؟

وصلنا البيت، وعلمنا أن بشار أحيط علمًا بأن السفر قائم اليوم بعد الظهر إلى بغداد بسيارة صديق له.. وشنطة بشار جاهزة منذ أيام. وكان القلق والخوف يلف بشار من كل جانب... قلقه على مستقبله... على مشواره الجديد في هذه الحياة وفي هذه الظروف.. كيف ستسير الأمور إلى أن يصل ألمانيا؟ وماذا عن «بابا وماما»...؟ المهم أننا حاولنا أن نبدو طبيعيين أمامه، داعين له بالتوفيق، وقد كانت الأيام الماضية فرصة لكي نطمئنه علينا، وعلى مستقبله، وأنه لا بد وأن يوفق بما يتطلع إليه.

وهو رغم مشاعر القلق والخوف، يشعر بسعادة كلما تصور نفسه خارج هذا المأزق... قرب الحبيبة سوزي، وقرب شقيقه يزيد وخاله أكرم، وقد وفقه الله بعمله يتمناه.

بعد تناول طعام الغداء، جرت الاتصالات... وجاءت ساعة الوداع... حضر رفيقه في السيارة التي ستقلهم إلى عمّان، قبّلناه... ودّعناه... تمنينا له كلّ التوفيق بدءًا من الوصول سالمًا إلى الأردن، وحتى وضع أولى خطواته على درب مستقبله الجديد. قال وهو يقبلنا: أرجو أن لا يطول غيابي عنكما، وأظن أنه خلال شهرين أو ثلاثة سأكون معكما إن شاء الله... دمعت عينا الحبيب بشار، ركب وراء مقود السيارة وإلى جانبه موسى... مشيت السيارة، وظلت يد بشار مرفوعة تلوح بالوداع. غرقت عينا تمام الحبيبة بالدموع، كتمت عواطفني قدر المستطاع، لكنني لم أستطع كبت دموعتي نزلت من عيني.. قائلًا في نفسي: «الله يرضى عليك ويسهل طريقك يا بشار»، كما كنت قد فعلت لأخويه من قبله.

العراق أعلن اليوم أنه سيعمل بنظام التقنين في بيع البنزين للمستهلكين من سكان العراق، أي أن يصبح لكل مالك سيارة كمية معينة من البنزين يمكنه شراؤها في الأسبوع أو في الشهر. السبب في ذلك هو أنّ المواد الكيماوية التي تستخدم في تكرير مادة النفط الخام أصبحت محدودة بحكم الحظر الاقتصادي المفروض ضد العراق.

كما نبّه العراق أنّ على جميع الأجانب من المقيمين في الكويت أن يسجلوا أنفسهم في الدوائر المعنية في موعد أقصاه الخامس من نوفمبر القادم وإلا تعرضوا لإلغاء إقامتهم ولعقوبة الغرامة أو السجن.

أخبار العالم حول الأزمة أنّه «لا يمكن أن يسمح للعراق بتحقيق أي مكسب من جراء غزوه للكويت». أمريكا لا تزال متشددة في مواقفها، أوروبا متحمسة للجوء إلى الحل العسكري، وقد جاء ذلك في استطلاع للرأي جرى في خمس دول أوروبية أظهرت أنّ ما معدله حوالي خمسة وسبعين في المئة من الأوروبيين مع استخدام الحل العسكري. وأن ذلك يعادل تقريبًا نفس النسبة في أمريكا.

(الأحد ٢١/١٠/١٩٩٠) زرنا أمس الصديق العائد عصام وزوجته نوال في منزلهما قرب المبنى الذي يسكن إحدى شققه ابنا يزيد. وقد كان عصام وزوجته وابنتهما ندى في الكويت عند حدوث الاجتياح العراقي للكويت، وبقوا في الكويت مدة شهر تقريباً، ثم قرروا مغادرتها لتجنب احتمال نشوب الحرب الذي كان متوقعاً في تلك الفترة أكثر مما هو متوقع هذه الأيام. بعد حوالي شهر وعدة أيام وعلى الرغم من وجود بيت لهم في عمان، وآخر في دمشق، والبيتان مفروشان ولا أحد يسكنهما، فإنهم يفضلون العودة والعيش في الكويت. الدموع تغمر وجهيهما وهما يتحدثان عن المرارة التي يعيشها النازحون من الكويت إلى الأردن وسوريا. هم، مثل الكثيرين، لا يعرفون ماذا يفعلون... هل يظلون أم يغادرون مع حاجياتهم...؟

وبيتهم الذي يسكنوه في الكويت كانوا قد استأجروه وأثثوه قبل شهر قليلة، وهو بيت جميل وفسيح. لم يستمتعوا به بعد... كلما تدور نوال في البيت تنهار دموعها، وتتمنى لو أن الله يلهمهم اتخاذ قرار البقاء.

وجدت نوال مجموعة أوراق منتشرة في البيت كانت ابنتهما ندى كتبتها ووزعتها قبل مغادرتهم السابقة قبل نحو شهر ونصف في أنحاء البيت، حملت جمل مثل: «إن اللعنة ستلاحق كل من تمتد يده إلى أي شيء من هذا البيت إلى يوم القيامة، وأن مصيره الجحيم» و«لن يرحم الله أي سارق لأي من محتويات منزلنا لأنها عرق وتعب سنين من جهدنا في هذا البلد». ما لا يقل عن حوالي عشرين من هذه الورقات يمثل هذه الجمل وزعتها ندى، كمحاولة للحفاظ على حقهم الذي جمعه عبر سنين طويلة مليئة بالجهد والعطاء.

عصام أردني من أصل سوري، ونوال سورية، وابنتهما ندى جاءت الكويت وهي في الثانية من عمرها، ولها شقيق (نديم) أنهى دراسته في الخارج، وكان يستعد للحضور، أو العمل في الخارج. ندى لم تكمل بعد دراستها الجامعية، وبقي أن تمتحن في مادتين اثنتين لتحصل على الشهادة الجامعية.

علي، حاول مع يزيد منذ بداية الاجتياح الحفاظ على مبنى «الخليجية» من النهب عن طريق تعطيل مصاعده تارّة، وتارّة أخرى بواسطة سد مداخله ومنافذه بألواح من الخشب وما إلى ذلك، وكان بشار ابني وإياد ابن أختي يساعدهما في المهمة أحياناً، اضطر أخيراً إلى أن يعمل على سد مداخل المبنى بـ«الطابوق أي الطوب» والأسمنت. وقد ساعد في توفير مواد البناء رجال فلسطينيون من المعارف، وقاموا بوجود علي وإشرافه بسد هذه المداخل أمس. وعند آخر منفذ كانوا يسدونه سمعوا وكأن أحداً في الداخل... فصرخ أحد العمال منادياً ليعرف إن كان هناك أحد في الداخل... وإذا بسبعة شباب يهرولون نزولاً من المبنى الضخم... ويخرجون كالمسعورين... هارين... استوقفهم علي ليتعرف على هويتهم، فتبين أنهم عراقيون، لا يتجاوز عمر معظمهم العشرين عاماً، بملابس مدنية بسيطة. قال أحدهم إنه موجود في الداخل لأنه لا مكان له لينام فيه...! وآخرون قالوا إنهم جاءوا ليستفسروا عن آبائهم! لكنهم من المؤكد، أن وجودهم في الداخل لم يكن إلاً للسرقة...

زرنا صباح هذا اليوم الصديق صلاح وزوجته عواطف في منطقة الشويخ السكنية. معهما طفلتهما الصغيرة التي تبلغ من العمر عاماً واحداً واسمها طيبة، على اسم جدتها أم الوليد، وهم وحدهم في بيت.. قصر من ثلاثة طوابق، قبيلاً جميلة جداً، مكسوة بالرخام البني الغريب اللون والفريد من نوعه، ومفروشة بطريقة أنيقة وذات ذوق رفيع. معظم محتويات المنزل مغطاة بالشراشف لحمايتها من الغبار ومن أي ضرر محتمل...

وكنا، تمام وأنا، قد اتفقنا معهما لزيارتهم، ونحن نزورهم للمرة الأولى منذ تعرفنا على أم الوليد، ومعها ابنها صلاح، في «إيغالو» بيوغوسلافيا. وكان صلاح قد زارنا قبل الاجتياح مع زوجته عواطف، وسعدنا بهما، ووعدناهما برّد الزيارة، لكن الظروف شاءت أن تكون في هذا الوقت الصعب... من زمن الاحتلال البشع للكويت...

بعد الاجتياح تعرفنا إلى نجيب، وهو الأخ الأكبر لصلاح، والذي يسكن الجابرية، وقد قام نجيب بجهد مشكور في تيسير شؤون الناس من سكان الجابرية، فكان له الفضل، بمشاركة بعض الشباب، في تنظيم أعمال الجمعية التعاونية لمنطقة الجابرية وجدولة توزيع

محتوياتها، وما في مخازنها، على الناس وفق ما اقتضته الظروف الراهنة. ونجيب ذو شخصية تفرض نفسها، ونفاذة، وذو مزاج حاد نسبيًا.

والدتهم «أم الوليد» شخصية محببة ولا تنسى، بسيطة دون تسطيح، وذكية دونما استعلاء.

كان بيتهم يعج بالخدم والشغالين، طبّاحين وسائقين ومنظفين وغيرهم.. اليوم لا أحد من هؤلاء يعمل فيه. لذلك وجد صلاح وزوجته، وكذلك نجيب وزوجته، نفسيهما مجبرين على القيام بكثير من أعباء المنزل الكبير الذي يشغلونه في بيتهم بالشويخ.... فصالح يقوم يوميًا برعاية حديقة البيت الكبيرة والممتلئة بشتى أنواع النباتات التي ينذر رؤيتها في الكويت. كذلك يفعل نجيب، الذي حدثته قبل أيام، فقال لي: «لقد أعادتنا هذه الظروف إلى حقيقتنا، وإلى أن نقوم بأعمال لم يكن يخطر على بال أحد منا أن نقوم بها، أو أن نتصور أننا قادرون على القيام بها».

خبران مهمّان اليوم، لكنهما بعيدان عن أزمة الساعة. الأوّل هو إقدام عناصر مسلحة فجر اليوم في بيروت على اغتيال داني شمعون وزوجته وولديه، ونجت ابنته البالغة عشرة أشهر من المذبحة...!

الثاني قيام فلسطيني بقتل ثلاثة إسرائيليين بسكين في القدس. فقد انقضّ هذا الفلسطيني بسكين على شرطية إسرائيلية في العشرينيات من عمرها، قتلها، ثمّ طعن إسرائيليًا آخر حاول الإمساك به، وأصاب صبيًا إسرائيليًا بجراح قرب مكان الحادث. في هذه الأثناء وعند محاولته الهرب لحقه شرطي وأطلق بضع رصاصات من مسدسه على الفلسطيني فأصابه في قدمه، لكن الفلسطيني تمكن رغم جرحه من اللحاق بالشرطي وطعنه بالسكين حتى الموت.

اعتقل الفلسطيني الجريح...

من يدري من هو هذا الفلسطيني؟ ومن يدري ما وراء إقدامه على مثل هذا الفعل... لعل أخًا له... أو أختًا أو أبًا أو صديقًا... كان من ضمن ضحايا مجزرة القدس التي حدثت قبل أسبوعين تقريبًا... والتي راح ضحيتها أكثر من عشرين فلسطينيًا (ذكرت بعض الأنباء أن عددهم بلغ أربعة وثلاثين) برصاص الشرطة الإسرائيلية!

على إثر ذلك توتر الوضع في القدس، وانتشر حوالي ألفي شرطي إسرائيلي في أنحاء المناطق المعروفة لتلقي ردود الفعل، كما راح المتدينون اليهود يهوجون ويموجون طلبًا للثأر. في المساء طعن مستوطنون إسرائيليون فلسطينيًا بقرية بين حنين، وأغلقت بلدة العبيدية - قضاء بيت لحم - التي ينتمي إليها الفلسطيني الذي قام بالعملية.

في أخبار إذاعة «مونت كارلو» خبر في غاية الأهمية، غير أنه وقبل سرد ما جاء في الخبر ينبغي التذكير بما يلي:

ما ورد في خطاب الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران في الجمعية العمومية للأمم المتحدة قبل حوالي شهر، كمشروع حل لأزمة الخليج ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام، والذي تضمن حلًا من أربعة مراحل: أولًا، إعلان العراق عن نيته الانسحاب من الكويت، وثانيًا، تعهد عربي ودولي بضمان الانسحاب، وثالثًا، إجراء استفتاء يقرر فيه الكويتيون نوع الحكم الذي يرتؤونه، ورابعًا، الاتفاق على مبدأ عقد مؤتمر دولي لحل مشاكل منطقة الشرق الأوسط، ووضع برنامج للحد من تصاعد التسليح في المنطقة.

كذلك لا بد من التذكير بأن إشاعات كثيرة راجت منذ أيام تقول إن انسحابًا عراقيًا قد بدأ من أراضي الكويت... وأن العراق قد أقام حاجزًا في منطقة المطلاع الكويتية...

كما أن أخبارًا تسربت من عمان وموسكو حول استعداد العراق للانسحاب على أن يحتفظ بجزيرتي «وربة» و«بوبيان» و«حقل الرميلة»...

كذلك حملت الأخبار ما مفاده أنّ العراق على استعداد لتقبل وساطة شخصيات عالمية كالرئيس الفرنسي ميتران أو وزير الخارجية الألماني غينشر أو المستشار الألماني الأسبق فيلي برانت...

وينبغي تذكر عرض العراق لتوزيع النفط بدون مقابل للدول الفقيرة من العالم الثالث... ثمّ عرض بيعه بسعر ٢١ دولارًا للبرميل الواحد لأيّ مَنْ كان، حتى ولو لشركات أمريكية مع تسهيلات في الدفع...

ثم الإعلان عن أنّه سيجري بدءًا من بعد غد الثلاثاء توزيع البنزين بكميات محددة للمستهلكين في العراق...

وهي كلها مؤشرات إلى تأثير الحظر الاقتصادي المفروض على العراق وبالتالي فهي دلائل ومؤشرات عن استعداد العراق قبول الوساطة لحل الأزمة سلميًا ولفك الحصار الذي، كما يبدو أصبح مؤثرًا.

هذا إضافة إلى ما تردد من أنّ العراق قد ينسحب من جزء من الكويت إذا ما وعدت الولايات المتحدة والدول الأخرى المشاركة في القوة المتعددة الجنسيات في الخليج بأن لا تهاجم العراق.

الخبر المهم هو حديث صحفي للأمير سلطان بن عبد العزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران السعودي، قال فيه: «إنّ مظلة السلام بدأت حين تواجدت القوات العربية والإسلامية والصديقة في منطقة الخليج بعد أن كانت شرارة الحرب قد انطلقت عند بدء الاجتياح العراقي للكويت، مشيرًا إلى أنه لا يجوز أن يكون السلام حاميًا لشيعة الغاب». أگد الأمير سلطان «إنّ مبادرة الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، الذي نحترمه كرجل كفؤ، لم تخرج عن قرارات مجلس الأمن الدولي وقمة القاهرة العربية».

أضاف الرجل الثالث في السعودية والذي كان يتحدث لعدد محدود من الصحفيين في لقاء صحفي بمكتبه في الرياض قائلاً: «إنَّه إذا كانت للعراق مطالب أو حقوق في الكويت فيمكن حل ذلك، ولكن ليس عن طريق استخدام القوة. ليست هنا إساءة إلى أي دولة عربية حين تعطي شقيقتها العربية أرضاً أو مالاً أو مدخلاً على بحر، ولكن بالطرق الحسنى وبالتفاهم والحوار الأخوي».

الأمير سلطان أشار إلى أنَّ بلاده تعاملت بهذا المنطق مع جيرانها أثناء ترسيم الحدود وتنازلاتها عن بعض أراضيها ومياهاها الإقليمية. وعبر وزير الدفاع السعودي عن شديد ألمه لتعرض العراق، أو غيره من الشعوب، للحصار الاقتصادي، إلا أنه رأى في ذلك خطوة لتلافي إراقة الدماء العراقية التي وصفها بأنها دماء كريمة. وقال إنَّ منطلق الحصار هو منطلق سلام وليس منطلق حرب.

الوزير السعودي جدد مطالبة بلاده بعودة الشرعية الكويتية، والانسحاب العراقي الكامل غير المشروط من الكويت، تماماً كما فعل العراق مع إيران بعد حرب دامية امتدت ثماني سنوات، سلم بعدها العراق بكل المطالب الإيرانية. وقال الأمير سلطان أيضاً إنَّ العراق يملك قوة ضاربة، ولكن ليس لديه ما يضاها القوة الموجودة والمحتشدة اليوم في الأراضي السعودية. ونفى أن تكون النية متجهة إلى إقامة تحالف عربي أجنبي في المنطقة، وقال ذلك أمر غير وارد على الإطلاق ولم يبحث معنا لا من قريب ولا من بعيد، مؤكداً أنَّ كلَّ القوى الدولية والعربية سوف تنسحب من المنطقة فور انسحاب العراق من الكويت.

إنه موقف جديد للسعودية... فما هي دواعيه يا ترى؟

(الثلاثاء ٢٣/١٠/١٩٩٠) ذكر أحدهم بأن عدد الشاحنات الضخمة التي دخلت الأردن في الأسابيع القليلة الماضية، والمحمّلة بالعفش قد بلغ أكثر من ستين ألف شاحنة. وهذا يعني أنَّ أكثر من ستين ألف عائلة (هناك شاحنات كثيرة حملت عفشاً أو أثاث بيتين) هاجرت من

الكويت، معظمها من الفلسطينيين الأردنيين، ونسبة لا تتعدى الخمسة عشر ألفاً من مجموع المهاجرين هم من السوريين واللبنانيين.

ينبغي أن لا يغيب عن البال أنَّ أحد أسباب الهجرة هو عدد السيارات التي جرى تفجيرها في مناطق الأسواق الشعبية الفلسطينية في حي النقرة وحولي والفروانية والسالمية، وهي مناطق يغلب فيها السكان الفلسطينيون... هذا إضافة إلى عوامل أخرى أكثر أهمية، والتي تتعلق بوقف دخل الفرد، والخوف من الحرب أو الجوع أو العطش أو البرد...

إنَّ معظم العاملين في القطاع الخاص، إنْ لم نقل كلهم، فقدوا وظائفهم لعدم توفر إمكانية العمل، وفقدوا أيضاً مدخراتهم أو تعويضاتهم، ولو مؤقتاً. أمَّا الذين يعملون في دوائر الحكومة، فإنَّ منهم نسبة كبيرة تم إنهاء خدماتهم، والآخريين قبضوا راتب شهر واحد هو عن شهر آب (أغسطس) أمَّا راتب شهر أيلول (سبتمبر) فلم يسمَّ أو يحول إلى حسابات هؤلاء الموظفين حتى الآن، ونحن في أواخر شهر تشرين أوَّل (أكتوبر).

بلغني بعد أن كتبت هذا أنَّ بعض الموظفين قبضوا اليوم رواتبهم كاملة بالدينار العراقي.

الخبز لم يعد متوفراً في المخابز... وطوابير المنتظرين تمتد إلى مئات الأمتار... ومحظوظ من يتمكن من الحصول على ربة خبز أسمر من عشرة أرغفة صغيرة.

زارنا الصديق مراد الذي حدثنا عن رحلته من الكويت إلى الأردن عبر العراق، ثمَّ إلى لبنان وكندا ثم أمريكا، التي استأجر فيها بيتاً بولاية كاليفورنيا. عن مآسي الطريق... وعمَّا يسمعه المرء في الأردن وسوريا... فحدِّث ولا حرج.

عن بيروت قال إن «العيشة فيها مقرفة...».

وعن كندا قال إنه وزوجته وأولاده لم يستطيعوا التعايش مع ما يسمعه المرء من سخرية ضد كلِّ عربي، خاصة في الوسط المدرسي الذي كان يدرس فيه ابنه أحمد.

وكان في زيارتنا أيضًا الصديقان وليد وليلى، وابنتاهما سارة وسرار. ليلي ووليد، مثلنا، لديهم كثير من الأسباب والقناعة التي تجعلهم لا يفكرون في الرحيل، بل بالصمود.

وكالعادة تحدثنا عن آخر الأخبار... واتفقنا بأن شبح الحرب آخذ بالتباعد رغم كلّ الحشودات والتهديدات. ودعونا أن لا يتأخر الوصول إلى الحل لهذه الأزمة الخانقة والمتعبة والمزعجة...

عرض تليفزيون العراق، مساء أمس، رسالة جديدة من الرئيس العراقي إلى رئيس وأعضاء المجلس الوطني (البرلمان) تضمنت تمنيات السيد الرئيس على المجلس أن يناقش ويوافق على السماح «للضيوف» الفرنسيين بالسفر أو البقاء في العراق إن أرادوا، وذلك تقديرًا لمواقف الشعب الفرنسي وحكومته والرئيس الفرنسي من قضايا المنطقة.

لم يتأخر رد فرنسا، فجاء الرد سريعًا ومتحفظًا، وقال ناطق رسمي إن هذا الأمر سيفرح أهالي وأصدقاء «الرهائن»، لكنه لن يغير من موقف فرنسا تجاه أزمة الخليج والمنسجم تمامًا مع قرارات مجلس الأمن الدولي في هذا الخصوص، وتمنى الناطق لو أن قرار العراق شمل كافة المحتجزين في العراق من المدنيين.

الرئيس الفرنسي ميتران استقبل أمس الشيخ جابر، باعتباره أميرًا لدولة الكويت، وبحث معه القضايا المتعلقة بالأزمة.

شهدت سوق النفط الدولية انخفاضًا رهيبًا في سعر برميل النفط يحدث للمرة الأولى منذ سنين بهذه النسبة. فمنذ حوالي أسبوعين بيع البرميل بواحد وأربعين دولارًا، أمس نزل السعر إلى ثمانية وعشرين دولارًا ونصف تقريبًا.

أمين وشقيقتي إنعام وولداهما إياد ورائد أمضيا عدة ساعات اليوم في البحث عن الخبز ولكن دون نتيجة. بقي من مخابز الكويت العملاقة، والتي كانت تنتج أفخر أنواع الخبز

العربي، وكانت منتشرة في معظم أنحاء الكويت، مخبزان اثنان، واحد في «الشعب» والآخر في «اليرموك»... والله يستر.

الأوضاع في الأرض المحتلة تزداد تدهورًا... فلسطيني آخر طعن بسكين مجندتين إسرائيليتين قرب حيفا، وأصابهما بجراح، جراح واحدة منهما خطيرة، وهرب... وآخر من قطاع غزة قام بضرب اثنين من الإسرائيليين بمطرقة وأصابهما بجراح قرب مدينة عسقلان، انتقامًا لمقتل صديق له على أيدي السلطات الإسرائيلية...

وعلى إثر ذلك اشتبه بفلسطيني في الضفة الغربية على أنه يمكن أن يكون هو الذي طعن المجندتين الإسرائيليتين قرب حيفا، فاعتقلوه، وانهار عليه الإسرائيليون ضربًا إلى أن فقد وعيه... ثم فارق الحياة...

أعلنت السلطات المحتلة الإسرائيلية الضفة والقطاع، نتيجة لتوتر الأوضاع هناك، مناطق مغلقة وحتى إشعار آخر.

حزب العمل الإسرائيلي دعا إلى طرح الثقة بالحكومة الليكودية أمام أعضاء الكنيست الإسرائيلي، والتي اتهمها شمعون بيريز بأنها فشلت في إيجاد الحلول المناسبة لإخماد الانتفاضة...!

الرئيس الأمريكي بوش شدد مرة جديدة من لهجته ضد الرئيس العراقي، واتهمه بارتكاب جرائم حرب، وهو اتهام يترتب عليه إجراءات أخرى.

تشيني، وزير الدفاع الأمريكي أعلن أنّ القوات العراقية استولت في الكويت على مئة وخمسين صاروخًا من التي كانت الكويت قد ابتاعته من الولايات المتحدة الأمريكية. وهذه الصواريخ هي من نوع «أرض جو» وشديدة الفعالية ضد الطائرات.

المجلس الوطني العراقي وافق الليلة على طلب الرئيس العراقي بالإفراج.. قصدي بالسماح... للرهائن... أقصد «الضيوف رغم أنوفهم» الفرنسيين بالسفر إلى خارج العراق، أو

البقاء في العراق إن أرادوا...

وقد بث التليفزيون العراقي الجلسة التي استمرت حوالي الساعة والنصف، فقرأت رسالة الرئيس، ثمّ تقدم عدد من الأعضاء بالاستفسارات عن سبب ومبرر هذا الطلب، طالما أنّ موقف فرنسا لم يتغير بدليل استقبال ميتران للشيخ جابر.

رد نائب رئيس الوزراء، ووزير الخارجية، فأقنعهم بأن فرنسا تتميز عن غيرها من الدول الاستعمارية الإمبريالية... واقتنعوا بسرعة... يا سبحان الله... ووافقوا على طلب الرئيس. قال أحد الأعضاء: «قال صدام أيقال العراق...!».

ودقي يا ديمقراطية... قصدي يا مزيكا...

عدد الفرنسيين الذين سيتمتعون بهذا القرار يبلغ نحو ٣٣٠ شخصًا.

إدوارد هيث، رئيس الوزراء البريطاني المحافظ سابقًا، قام بزيارة للعراق من أجل التوسط للإفراج عن المرضى والمسنين من رعايا بريطانيين محتجزين في العراق. وقد نجح، بعد يومين من المباحثات مع المسؤولين العراقيين، وعلى رأسهم الرئيس العراقي صدام حسين الذي اجتمع معه لمدة ثلاث ساعات، ووصلت بعد ذلك طائرة بريطانية إلى مطار بغداد وأقلت ٣٧ بريطانيًا.

وفد أمريكي برئاسة سليم منصور -عربي أمريكي- تمكن هو الآخر من إعادة عدد سبعة من الرعايا الأمريكيين إلى بلادهم.

الشيخ جابر وصل اليوم لندن واجتمع مع رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر.

الرئيس المصري حسني مبارك بدأ منذ أوّل أمس زيارة للسعودية والإمارات وقطر، وأجرى مع العاهل السعودي محادثات تناولت تطورات أزمة الساعة، وكذلك فعل في الإمارات وفي

قطر. وقد التقى مبارك عددًا كبيرًا من قوائه المصرية المتواجدة في السعودية وفي الإمارات إلى جانب القوات متعددة الجنسيات.

لبنان، وبعد عملية اغتيال داني شمعون وعائلته، التي وصفها رولان دوما بأنها «عمل إجرامي بشع»، يتجه إلى إقرار الأمن والسلام فيه رغم الكثير من الألغام التي تعترض سبيل هذا المسلك.

ويتركز الجهد في الآونة الأخيرة على بيروت الكبرى، والتي من المطلوب أن تضم منطقة قطرها لا يقل عن خمسة عشر كيلومترًا، أي من نهر الكلب شمالًا وخلدة جنوبًا وعاليه شرقًا.

وتجري الاستعدادات لتأليف حكومة لبنانية جديدة ستضم قادة المليشيات اللبنانية. وكان قد عقد لهذا الغرض اجتماع قمة للرئيسين الأسد والهاوي تبعها اجتماع في بيروت بين الرئيس اللبناني ونائب رئيس الجمهورية السوري عبد الحليم خدام، من أجل ترتيب البيت اللبناني...

(الأربعاء ٢٤/١٠/١٩٩٠) على الصعيد الشخصي فإنَّ أهم ما يشغل بالنا ومنتظره بفارغ الصبر هو الاطمئنان على بشار الحبيب، وكيف سارت أموره، وهل سافر أمس كما كان قد خطط لذلك؟

ندعو الله أن لا يطيل انتظارنا.

لقد كانت رسالة بلال التي وصلتنا أوَّل أمس بواسطة صديق له كان في عمان مطمئنة، وأكدت رسالته على نقطتين، الأولى هي أنه لاقى من الأقارب ومن الأصدقاء ما لم يكن يتوقعه من ودِّ وترحيب، الثانية أن كل أموره تيسرت والحمد لله، وأنه سيسافر يوم الأربعاء (اليوم) إلى أمريكا.

لقد جعلتنا أخبار بلال نطمئن على أنَّ بشار سيلقى نفس الرعاية والاهتمام من الأُحبة والأقارب وعلى رأسهم ابن الخالة أبو محمد (أديب حجير) والصديقة العزيزة سلوى.

توزيع البنزين يتم فقط في محطات معينة وببطاقات توزيع، قيل لي (وهو غير مؤكد) إنَّ المحطات موجودة فقط في مدينة الجهراء أو بلدة الدوحة أو صفوان أو البصرة... ثم إنَّ السيارة التي لا تحمل أرقامًا عراقية لا تستطيع تسلم بطاقات توزيع البنزين لتسلم البنزين... يا كريم.

زارنا اليوم «أيمن»، وهو زارنا مرات عديدة من قبل، منها للاطمئنان عنا، ومنها ما تعلق ببعض مواد التغذية التي راح هو وأخواه يبيعانها للمعارف والأصدقاء. وقد زدنا بما فيه الكفاية عن طريقه، وكذلك عن طريق عدد من الأهل والأصدقاء. وأيمن طالب جامعة، في السنة الثالثة، لكن الأحداث أبعدت عنه شئنين عزيزين عليه، الجامعة والحببية. غير أنَّ الذي حدث جعله يتعمَّق أسرار الحياة، بل ويعايش آلامها.

اليوم جاءنا وهو يلف رأسه بمنديل ملون، كما يفعل الخبازون الإيرانيون، استغربنا لمنظره، وبادرناه بالسؤال، فأجاب بأنه يعمل في فرن إيراني... يعجن ويخبز ويوزع ويبيع الخبز... قال لقد «احترق كلُّ شعر يديّ وذراعيّ، بل إنه احترق جزء من شعر رأسي أمس... لكنها بسيطة».. أضاف: «إنني أشغل نفسي متبرعًا، أنفع غيري وأقوم بواجبي...».

قال لقد بقي معنا اثنان من الإيرانيين الخبازين لمدة يومين اللذين علمانا كيفية العمل ومراحله، وأسراره، وذلك منذ حوالي أسبوع، ونعتقد أننا (مجموعة من الشباب) تمكنا من إنتاج خبز إيراني مقبول نسبيًا، وذكر أنَّ كثيرًا من النساء يأتين، متبرعات بالطبع، للمساعدة.

عندما أخبر أمه أنَّ شعر ذراعه ويده قد احترق، وأن بعض شعر رأسه قد احترق جزئيًا، وأنه لم يتقن بعد عمل الرغيف الدائري (المدور) قالت له: «يا ولدي إنَّ الشعر ينبت مرة أخرى، فلا تخف»، وأضافت: «أنا مستعدة لمساعدتكم وأتقن عمل الرغيف المدور...».

تمام سألته إن كان من الممكن أن يحضر لنا كمية من هذا الخبز، قال لها: «يا خالة، ولكن ليس قبل أن يأتي دوركم... فأمامكم عدد من الجيران والأصدقاء والأقارب الذين طلبوا

مني مثل هذا الطلب قبلكم.. أرجو أن يكون خلال أيام قليلة».

بيني وبين نفسي قلت هذا هو ميلاد جديد للإنسان الكويتي الجديد... وأيمن مثال للعديد من الشباب الذين يقومون بمثل هذه الأعمال المهمة أو ما يشابهها في مجال الخدمات الإنسانية العامة، ولكن بدون ضجة.

السعودية، وعلى أثر ردود الفعل التي أحدثتها تصريحات الأمير سلطان قبل أيام قليلة على الأصدقاء الخليجية والعربية والعالمية، صرحت رسمياً أنّ موقفها لم يتغير، وهو متوافق تماماً مع قرارات القمة العربية ومجلس الأمن الدولي، والقاضية بضرورة الانسحاب العراقي غير المشروط وعودة الشرعية والإفراج عن الرهائن.

سيارتي تعطلت، ولا أعرف كيف سأصرف، وهذه بداية المشاكل المتوقعة بعد فترة من الزمن إن استمر الوضع على هذا المنوال، تتعطل سيارتك فلا تجد من يصلحها لك، أو لعدم توفر قطع الغيار، أو أنك ستكون مضطراً لكي تدفع مبالغ باهظة أجرة للتصليح. ماذا يمكن أن يحدث إن بدأت الآلات الكهربائية بالتعطل، ولا يوجد فنيون للقيام بعمليات الإصلاح، أو الصيانة، يعني الأمور بدأت تتعقد، ولكننا لن نغادر، ومستعدون أن نطبخ ونعجن ونخبز على الحطب و«الموقدة».

الخبر المهم الذي تلقيناه من ريم أبو لغد هو عن وصول بشار بالسلامة، وأنه قابل أخاه بلال واطمن عليه، واتصل بشقيقه يزيد الذي أبلغه بأنه سيظل في ألمانيا حتى نهاية العام، فإذا لم يحدث تحرير الكويت المتوقع قريباً، فسوف يكون عمله متنقلاً بين ألمانيا ومنطقة الخليج (الإمارات أو البحرين) وربما يسكن في الإمارات.

وتقول ريم بأن بشار تدبر كلّ أموره، وسوف يسافر إلى ألمانيا يوم الجمعة القادم... برعاية الله... والحمد لله ربّ العالمين.

عدد من الرهائن/ الضيوف من الألمان والبريطانيين والأمريكان، الذين قرر العراق الإفراج عنهم كهدية لبعض الشخصيات التي زارت العراق، وصلوا إلى بلدانهم، أو في طريقهم إليها. ٣٧ بريطانيًا، وأربعة أو سبعة ألمان، وعدد مماثل من الأمريكان.

العراق طالب بحضور وفد فرنسي برئاسة شخصية سياسية رفيعة المستوى للاتفاق معها على تفاصيل تسلم الضيوف الرهائن الفرنسيين الذين تقرر السماح لهم بالمغادرة... لكن فرنسا لم توافق على ذلك حتى الآن لإرسال مبعوث بالمستوى المطلوب...!

(السبت ٢٧/١٠/١٩٩٠) منذ يوم الخميس لم أتمكن من الكتابة لأسباب متنوعة، زيارات الأقارب والأصدقاء، ومبيت الشقيق جمال وعائلته والشقيقة إنعام مع زوجها وأولادها عندنا، وجمال بات عندنا ليلتين (من الخميس إلى السبت صباحًا). ومن الطبيعي أن يخصص معظم الوقت، في مثل هذه الحالة، لتمضيته مع الأهل والأصدقاء.

هناك قصص كثيرة يسمعه المرء في هذه اللقاءات، منها المحزن، ومنها المخزي، ومنها المضحك المبكي. من هذه القصص، وهي واقعية، أنّ موظفًا فلسطينيًا ذهب إلى العراقي المسؤول عن إدارة ضخمة من دوائر وزارة التربية، في إدارة المناهج والمكتبات والبحوث والمركز الآلي.. غيرها من الأقسام تشغل مبنى كبيرًا بنته وزارة التربية الكويتية خصيصًا، ويحتوي على أعداد كبيرة من المعدات والأجهزة والأثاث المكتبي، ليرجوه أن يأمر بإصلاح الشبابيك التي تهشم زجاجها من جهات كثيرة لكي يحافظ على ما في داخل هذا المبنى من المعدات والأجهزة والأثاث، خوفًا عليها من التلف بسبب عوامل الطبيعة.

ردّ عليه ذلك المسؤول، وهو بالطبع عسكري عراقي، أنت إذن خائف على ما في داخل هذا المكان من التلف، أجب الموظف بفرح وببراءة، نعم... نعم.. قال العسكري: «زين عيني، إذن بالغد سوف نفرغ المبنى من محتوياته ونشحنها إلى العاصمة خوفًا على هذه الأشياء المهمة...».

في منطقة تقع بعد منطقة «جليب الشيوخ» وتدعى منطقة «الحساوي» أقيمت سوق كبيرة لبيع غنائم وبضائع الحرب، ومعظم المتعاملين فيه من باعة ومشتريين هم من العراقيين (كما روي لي) لقد أصبح هناك فئة متخصصة في المتاجرة بالمسروقات، أو بلقمة الناس، كعائلة لم يتبقَّ عندها من النقود ما يمكنها من سد رمق الأطفال بلقمة الخبز، ولا دخل لهم... فباعت جهاز تليفزيون قديم، أو فيديو «تعبان»، أو غسالة.. وغيرها من مثل هذه الكهربائيات.

بالطبع هناك أيضًا من باع بسبب الرغبة في التخلص من الأشياء للسفر نهائيًا إلى الخارج... هذا عدا كثير من المسروقات التي نهبت من بيوت الناس الغائبين... وما أكثرهم.. وكم تحتوي معظم هذه البيوت من الأجهزة التي يسيل لها لعاب المحرومين في العراق «الشقيق».

انفجرت عبوة في منطقة الحساوي، مما أثار الرعب والهلع بين الناس، أصيب عدد من المتواجدين هناك في ذلك الوقت، وذلك بعيد صلاة المغرب مساء يوم الثلاثاء الماضي. من قام بالعمل؟ الله أعلم!..

في منطقة الشويخ الصناعية، وعند مخبز هذه المنطقة، وقرب طابور خاص للعسكريين العراقيين انفجرت عبوة أخرى يوم الأربعاء، ما أصاب عددًا من العسكريين العراقيين الذين كانوا يقفون لشراء الخبز. وهناك عند شباك هذا المخبز حيث يتم بيع الخبز، بأسعار زهيدة، طابوران، واحد للمدنيين والآخر للعسكريين العراقيين... وهل هناك غيرهم.. حتى الآن؟

الغريب أننا نجد كثيرًا من العسكريين يقفون في طوابير لشراء الغذاء، خبز وخضار ومعلبات وغيرها من المواد الغذائية البسيطة والرخيصة... أحيانًا أشاهد سيارة عسكرية، تذكرني بسيارات الحرب العالمية الثانية، تدور بين الحواجز (نقاط السيطرة) وتوزع على الجنود شيئًا.. يضعه العسكري في ورقة من صحيفة قديمة على فخذه، أو قربه على حجر، ويأكل.. ماذا يأكل.. الله أعلم!

في المساء حضر أمين وعائلته، لكن جمال تأخر، وعند السؤال، علمت أنّ جمال بحالة نفسية متردية.. كلمناه، وطلبت إليه الحضور مع أفراد عائلته، وفعل، لكن داليا ابنته الثانية لم تحضر معهم لأنها مستضافة عند عائلة صديقة. وكنت قد بدأت ألعب «دق طاولة» مع أمين، غلبته ثلاثة إلى اثنين. عند حضور جمال كان بادياً على محياه الحيرة والخوف والقلق والغضب... بس. ذهبت تمام مع إنعام ولميس وبمساعدة البنات لتجهيز العشاء، الذي تناولناه خارج البيت في باحة الدار.

بُعيد العشاء وبعد أن عمّ السكون وانتشر في هذا الليل، ونحن ما نزال نجلس في الهواء الطلق تحت شجرة «المطاط»، وكانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة ليلاً... راح جمال وأحضر «عود» بشار، وأخذ يحرك أوتاره بأنامله... لتغني لنا بعض أشجانه، تقسيمات على مقام البيات الحزين... ذلك الحزن المترسب فينا، صمتنا.. ودار شريط الذكريات مع صوت غرغرة النرجيلة التي كان البعض منا ينفث من خلالها آهاته...

البعض الآخر راح يمضي الوقت بلعب الورق، تمام علمت رنا كيفية الاستفادة من قطع مربعة من القماش (هي نماذج لأنواع وألوان قماش كنبات وستائر وجدت في سرداب البيت الذي يسكنه ابن العم أمين، كانت في شكل ألبومات تحتوي على قطع مقاساتها حوالي ٣٠×٤٠ سم، ويوجد منها مئات الألبومات.

الشخص الذي كان يملك هذه النماذج، وهو يسكن في نفس المبنى الذي يسكنه أمين، كان يملك كميات هائلة من القماش المتنوع الألوان والأشكال! وقد أنقذ معظمه من مستودعات في أماكن بعيدة... وكانت معرّضة للسرقة، فأحضرها إلى مستودع المبنى الذي يسكنه.. خاف أكثر.. وفكر في نقله إلى البصرة أو إلى بغداد لبيعه هناك بأي ثمن.. فقام بمحاولة أولى، ونقل كمية من هذه الأقمشة، لكنه أوقف في الطريق، واتّهم بأنه سارقها... إلى أن اقتنع بعض المسؤولين العسكريين بأنه ليس سارقها وذلك عندما علموا بأن كميات أخرى لا تزال في مخزنه تحت بيته... طلبوا منه العنوان، أفرجوا عنه، وصادروا كمية الأقمشة التي كان ينقلها، وفي اليوم التالي حضرت شاحنات إلى المبنى، ولم يكن الوصول إلى العنوان

صعبًا، وتم تحميل الكمية كلها... الرجل صاحب القماش أصيب بمرض «الصفنة»... ثم سافر.. إلى أين؟ لا ندري...

رنا تعلمت من تمام كيفية توصيل هذه القطع وتوليّفها وفقًا لألوانها، كذلك تعلمت كلُّ من جولي وسالي هذه العملية الفنية، وأخذتا تستخدمانه في أوقات فراغهما.

الصديقة ليلي العثمان مرت مع ابنتيها، وأعجبتها فكرة تضييع الوقت في مثل هذا العمل، فطلبت من تمام إن أمكن تزويدها بكمية من هذه الألبومات... وحققت تمام لها ما أرادت. وكانت ليلي قد تعلمت من تمام كيفية عمل نوع من الحلوى الجافة (كعك بسمسم وينسون وسكر وزبدة) وقد أتقنت ليلي عمل ذلك... الكل يبحث عن مجالات لتمضية الوقت بشكل مفيد... الكل يحاول... كما أفعل أنا الآن.

كان الهم الأكبر الذي عاشه اليوم ويعيشه الناس الباقون في الكويت، ممن كانوا يظنون أنّ الحياة بدون سيارة لا يمكن أن تستمر في مثل هذا البلد... يتساءلون اليوم عما إذا كان بالإمكان فعلاً أن تسير الحياة بدون سيارة!! فالسيارات، بعد قرار تقنين البنزين، ستكون آلات لا فائدة منها إلا في حدود ما يتمكن المرء من توفيره من البنزين؟ لقد أعلن رسمياً بأن البنزين سيوزع بدءاً من يوم السبت بالبطاقات وأن لكل سيارة خاصة غيرت أوراقها ٣٠ لتر بنزين في الأسبوع، أمّا السيارات التي لا تزال تحمل الرقم الكويتي فتحصل على ١٥ لترًا أسبوعيًا فقط.

جمال شقيقي شاطر في كلِّ ما يتعلق بعمل القطايف والكنافة والزلابية والعوامة... وشتى أنواع المأكولات، حلوى أو حتى الطبخ، ومن ينسى فول جمال عندما يقوم بدعوتنا وأصدقاء آخرين إلى عشاء من الفول! لكنه في أمور أخرى تجده مهملاً.. لا أعرف لماذا ينسى مثلاً أن «يفلل» أي يعبئ خزانات سيارته وسيارة زوجته بالبنزين بشكل مستمر كما يفعل الكثيرون في مثل هكذا أوضاع؟

في الصباح الباكر ذهب جمال بسيارته، وكذلك فعل إياد ورائد معه بسيارة والده لتعبئتها بالبنزين. جمال انتظر ثلاث ساعات، ولم يستطع الصمود في طابور الانتظار، خاصة وأنا جميعًا نمنا في الرابعة من فجر الجمعة، فعاد إلى منزله لينام. إياد ورائد بقوا حتى الخامسة بعد الظهر، وحصلوا على ثلاثين لترًا من البنزين.

في هذا الخصوص، أنا قررت أن لا أتحرك بالسيارة إلا في حالة الضرورة القصوى، وأنا من النوع الذي يمكنه البقاء في البيت لأيام.. بل لأسابيع دون ملل لأنه يوجد لدي دائمًا ما أشغل نفسي به... والحمد لله.

على صعيد أخبار اليومين الأخيرين فيما يتعلق بأزمة الساعة، فهناك تحركات دبلوماسية نشطة، كما أنّ هناك تصريحات أكثر تشددًا فيما يتعلق بالتهديد بالحرب.

العراق، على لسان وزير خارجيته طارق عزيز، تائر للضغط الذي مورس على السعودية لسحب ما ورد على لسان الأمير سلطان، الذي قال إنه من الممكن تسوية الخلافات بين الأشقاء، حتى لو كان ثمن ذلك «مألاً أو أرضاً أو مدخلاً على بحر».

فسارعت السعودية للعودة إلى الموقف المتشدد والقائل بضرورة الانسحاب العراقي دون شرط أو قيد من الكويت. وهذا الموقف هو السائد اليوم في الأوساط الغربية التي تتزعمها أمريكا.

الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بعث برسالة إلى الملك فهد، وآخر إلى الرئيس مبارك، ومثلها إلى الرئيس الأسد، وقد حمل هذه الرسائل وزير الخارجية الجزائري. كذلك فعل الملك الحسن الثاني، ملك المغرب.

بريماكوف، الذي يشبهه البعض بـ«كيسنجر» السوفييت، بدأ زيارة مكوكية إلى كل من مصر وسوريا، ثم مصر ثانية، ثم السعودية، ثم العراق، ثم... الله أعلم...

قيل إن أمريكا أمهلت السوفييت شهرًا من الزمان للتحرك تجاه التوصل مع العراق إلى حلٍّ سلمي للأزمة... وبلغني من مصادر شبه موثوقة، بأن الأمور ستحسم خلال شهر تقريبًا إما حربًا وإما سلمًا... وأن هناك اتفاقًا على انسحاب عراقي من معظم أراضي الكويت، ربما باستثناء جزيرتي وربة وبوبيان، ودخول قوات سلام عربية أو مختلطة دولية عربية، وإجراء استفتاء كويتي شعبي يقرر من خلاله الكويتيون الحكم الذي يريدونه... وإنه من المحتمل أن يتم اتفاق على تأجير جزيرتي وربة وبوبيان إلى مدة طويلة من الزمن، تكون إحداها (إرضاءً لإيران) مؤجرة لإيران. أمّا حقل الرميعة فسوف يتم تشكيل لجنة إشراف على إنتاجه وتقاسم عائداته. إنه مشروع يقال إن الأمير جابر سافر إلى فرنسا وبريطانيا ووقع موافقًا على مسوِّدة هذا المشروع.. والله أعلم!

ديك تشيني، وزير الحرب الأمريكية، صرَّح بأن بلاده سترسل بمزيد من القوات إلى منطقة الخليج، إضافة إلى العدد الذي تقول الأخبار إنه وصل إلى ما يزيد على المئتي ألف جندي أمريكي. يقول تشيني إن حوالي مئة ألف آخرين سينقلون إلى المنطقة...

وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر سيقوم بجولة في بعض دول الشرق الأوسط والخليج، وسيجري الترتيبات اللازمة لزيارة الرئيس الأمريكي جورج بوش للمنطقة في منتصف الشهر المقبل تشرين ثاني (نوفمبر).

قوات أخرى لا تزال تتدفق، أو تستكمل تواجدها الذي وعدت به... قوات بريطانية وفرنسية.. وربما غيرها.

أحد وزراء بريطانيا صرَّح بأن المستشفيات قد أعدت لحالات الطوارئ المحتملة نتيجة لتوقع نشوب الحرب في منطقة الصراع الخليجية...

الرئيس العراقي أفضى بحديث إلى التليفزيون الياباني، استمر حوالي ساعة ونصف، أكد فيه على الأسس التي تقوم عليها سياسته، وأنه وشعب العراق، أصحاب التراث الحضاري

الذي يعود إلى آلاف السنين، يسعون إلى السلام، وإلى الحوار من أجل السلام. وإن الكويت هي إحدى المحافظات العراقية...

يعني... عدنا إلى حيث بدأنا، فهذا الفريق متشدد بمطالبه، وذلك لا يبدي أية مرونة تجاه حل سلمي للأزمة.. والله يستر.

أذاعت السعودية نبأ قالت فيه إنَّ الرجل الثاني في السفارة العراقية بموسكو وهو بدرجة وزير مفوض واسمه نوري بدران، طلب اللجوء السياسي عن طريق السفارة البريطانية في موسكو، وأضاف النبأ أنَّ الرجل نقل وعائلته إلى إنجلترا.

ماذا يعني قرار تقنين توزيع البنزين في بلاد النفط؟

الجواب السريع أنَّ الحظر الاقتصادي بدأ فعلاً تأثيره على الحياة في العراق والكويت. وهو يعني أيضًا بالنسبة إلى المقيمين في الكويت أنَّ الموظفين الذين كانوا يذهبون إلى دواهم في المؤسسات الحكومية.. لن يتمكنوا من الذهاب إلى مقار أعمالهم. كذلك تلاميذ المدارس، فلن يتجرأ أحد والدي التلميذ أنه صرف كمية البنزين الشحيحة المتوفرة لديه من أجل أن يوصل ابنه أو ابنته إلى المدرسة كلَّ يوم زهابًا وإيابًا، خاصة وأن المدرسة شبه عاطلة عن العمل... فالأولاد والبنات يذهبون إلى المدارس، لكن عملية التعليم متعثرة... المدرسون غائبون في معظم الأحيان، لا كتب... ولا مكتبات مفتوحة لشراء الدفاتر والأقلام وما إلى ذلك، ولا معدات التعليم موجودة... وحاله...

هذا الموضوع، موضوع البنزين، لن يمر بسهولة... وسوف يثير مشاكل خطيرة في العراق، وفي بغداد ذاتها. الآتون من بغداد يقولون إنَّ المواطن هناك ارتفع صوته محتجًا على هذه الأوضاع، ويقولون إن الاحتجاج متصاعد...

في الكويت، أعصاب الناس أصبحت مشدودة إلى حدِّ كبير، وتريد الخلاص من هذا المأزق، و.. حل يا رب.. حل يعيد الحقوق إلى أصحابها، وييسر للناس أن يمسكوا بنتاج عرقهم

وجهدهم وتعبهم...

ذلك الذي شارف على التقاعد، وله في الخدمة أكثر من ثلاثين سنة، ولم يقبض تعويضه...
وذلك الذي أودع البنك كل ما جمعه في سنين حياته بالجد والتعب والدموع والعرق، ولا
يملك الآن منها شيئاً...

أولئك الذين يقولون في عمان عن إخوتهم الذين جاءوا الكويت منذ ما يزيد على أربعين أو
ثلاثين أو عشرين عاماً، عملوا خلالها بكل إخلاص في ظروف صعبة جداً.. عندما لم تكن
وسائل الحياة المعاصرة قد انتشرت في الكويت بعد، فكان الواحد منهم يتحمل قسوة
الحياة الصعبة ورداءة المناخ في تلك الأيام من أجل أن يعيش ويعيل ذويه البعيدين عنه...
لأولئك في عمان والذين يحسدون إخوتهم من الفلسطينيين والأردنيين الذين، كما يقولون
عنهم حسبما بلغني «راحوا لا من ورا ولا من قدام... فعادوا وهم يحملون عشرات العشرات
من أوراق النقد الكويتية الخضراء، أو عادوا وأزرعة نسائهم وبناتهم مغطاة بأساور
الذهب»، أقول لهم لماذا لم تكونوا شجعاناً مثل إخوتكم الذين ركبوا الصعاب في سبيل
حياة كريمة وأكثر خيراً لهم ولذويهم في الأردن وفي فلسطين... هل خانتكم الشجاعة، أم
أنكم فاقدوها؟

أكثر الناس حيرة وحنناً وقلقاً هم الذين ترددوا ثم اتخذوا قرار السفر والهجرة أخيراً،
ووضبوا أمتعة بيوتهم للشحن، فماذا عساهم أن يفعلوا اليوم في مشكلة البنزين؟

لم يخطر على بال الكثيرين أن البنزين في بلاد النفط يمكن أن يتوقف ضحّه من محطات
البنزين! وكل أولئك الذين قرروا السفر أخيراً كانوا مخططين لشحن أغراضهم بسيارات
الشحن، واللحاق بسياراتهم الخاصة. الآن أصبح من المتعذر ركوب السيارات الخاصة
والسفر بها من الكويت إلى بغداد إلى عمان، أي مسيرة ألف وخمس مئة كيلومتر تقريباً،
بسبب البنزين.

(الاثنين ٢٩/١٠/١٩٩٠) دعا الرئيس العراقي مساء أمس إلى اجتماع عاجل لخبراء عراقيين في مسائل النفط والاقتصاد، وحضره عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة، وذلك للبحث في الأزمة الشديدة التي نشأت في العراق والكويت بسبب قرار تقنين توزيع البنزين على المستهلكين في العراق والكويت، والتي (كما قالت أخبار العراق) وصلت أصدائها إلى مسامع الرئيس العراقي، الذي استغرب من اتخاذ وزير النفط عصام الشلبي لمثل هذا القرار بسبب تلك الأسباب التي اعتمد عليها الوزير الشلبي...

اتفق المجتمعون على أنّ «قرار وزير النفط عصام شلبي (أو جلبي) لم يكن صائبًا وأنه ليس صحيحًا أنّ الكميات الكيماوية اللازمة لتكرير النفط الخام لاستخراج البنزين، ومنتجاته الأخرى، غير متوفرة في العراق، بل على العكس من ذلك فإنّ مثل هذه المواد الكيماوية اللازمة يمكن تصنيعها في العراق!».«

النتيجة كانت إعفاء وزير النفط من منصبه، وتكليف وزير الصناعة بالقيام وكالةً بأعباء وزارة النفط، وإلغاء قرار التقنين.

لقد جاء إلغاء هذا القرار بردًا وسلامًا على الناس الذين أحسوا إثر قرار التقنين بأن الأمور باتت خطيرة، فارتاحت أعصابهم من جزائه.. وصار بإمكان المغادرين من الكويت أن يغادروا بسياراتهم بدل أن يشحنوها محمولة بالشاحنات.

وكان ابن شقيقتي إياد قد ألح عليّ مساء أمس لإعطائه دفترتي سيارتي يزيد وبشار من أجل الحصول على «كوبونات» البنزين، لكنني رفضت قائلاً إنني لن أخرج من البيت، إلا للضرورة القصوى، وفي سيارتنا ما يكفي لذلك، ولا أريد أكثر من ذلك، وإن نفذ البنزين فسندمشي على أقدامنا.

التحركات الدبلوماسية، وكما أشرنا من قبل نشطة، وكان هناك تركيز على المبعوث السوقييوني بريماكوف الذي بدأ جولته من موسكو إلى القاهرة ثمّ دمشق فإلحاحاً، ثم بغداد فالرياض.

نتائج تحركاته، كما نقلت الأنباء أوّل الأمر، لم تكن مشجعة وإن محادثاته لم تُسفر عن جديد، وكان الاتحاد السوفييتي قد طلب يوم مساء الجمعة إرجاء اتخاذ قرار جديد في مجلس الأمن الدولي ضد العراق حتى لا يعرقل ذلك مساعي بريماكوف في بغداد.

انتهت زيارة بريماكوف أمس، بعد أن اجتمع إلى الرئيس العراقي، ومع وزير الخارجية طارق عزيز. صدام حسين وصف المباحثات بأنها كانت «معمقة ومفيدة جدًا». وأشار إلى أنه عرض على بريماكوف كيفية التوصل إلى حل للعديد من مشاكل المنطقة.

الرئيس بوش قال عن تصريحات للرئيس العراقي، التي وردت عبر برامج تليفزيون CNN، أنه لم يرَ فيها عناصر جديدة وإيجابية، إلا أنه قال إن السبل لم تنقطع، وأنه لا تزال هناك فرص للتوصل إلى تسوية لأزمة الخليج دون اللجوء إلى السلاح..

وقد وصل المبعوث السوفييتي بريماكوف اليوم إلى السعودية، والتقى الملك فهد وعرض معه نتائج محادثاته في بغداد والجهود التي تبذلها موسكو لحل الأزمة سلميًا.

الرئيس السوفييتي غورباتشوف، الذي أنهى زيارة لإسبانيا وحصل منها على قرض بحوالي مليار ونصف من الدولارات، ثم انتقل إلى فرنسا في زيارة مماثلة، التقى خلالها الرئيس الفرنسي ميتران، وتكلم اللقاء بالنجاح على صعيد العلاقات الثنائية، وحصل من فرنسا على حوالي عشرة مليارات من الفرنكات الفرنسية كقرض لتسوية أوضاعه الاقتصادية المتردية في الاتحاد السوفييتي، وعقد بالاشتراك مع الرئيس الفرنسي مؤتمرًا صحفيًا مهمًا في باريس أكد فيه على ما يلي:

- أن أي خيار عسكري لحل أزمة الخليج غير مقبول طالما أن هناك فرصًا لحل سلمي.

- أن سياسة صدام حسين هي سياسة مغامرة، لذلك جرى تحذير صدام من المراهنة على انقسام وحدة الأسرة الدولية المناهضة لاحتلال الكويت.

- التزام الاتحاد السوفييتي وفرنسا بمقررات مجلس الأمن الدولي، وإدانة العراق لعدم التقيد وتنفيذ مقررات المجلس المذكور الداعية إلى الانسحاب الكامل وغير المشروط.

- أنَّ هناك إمكانيات لتحقيق تقدم في هذا الخصوص، وأن بإمكان بعض الدول العربية أن تلعب دورًا مهمًا في هذه العملية. ولفت النظر إلى أن السعودية يمكنها أن تتقدم بمبادرة في هذا المجال.

- اقترح عقد مؤتمر عربي للمساهمة في حل أزمة الخليج، وقيل إنَّ الوقت قد حان جديدًا لإدخال العنصر العربي في تسوية الأزمة.

- أنَّ القيادة العراقية هي اليوم أكثر استعدادًا لمثل هذا الأمر. وأن زيارة الموفد السوفييتي بريماكوف إلى بغداد أظهرت أنَّ موقف الرئيس العراقي لم يعد كما كان عليه، وأن هناك تفكيرًا جديدًا عند القيادة العراقية.

مجلس الأمن الدولي اجتمع ليلة أمس واتخذ القرار الذي أرجى اتخاذه قبل يومين، وهو العاشر المتعلق بأزمة الخليج منذ بداية الأزمة.

القرار يحمّل العراق مسؤولية الأضرار التي لحقت بالمؤسسات والأفراد بسبب احتلال العراق للكويت، وطالب الدول المتضررة بتقديم المعلومات عن خسائرها الناجمة عن هذا الأمر. كما طالب القرار بوقف احتجاز رعايا الدول وإساءة معاملتهم، وضرورة التقيد بالاتفاقيات الدولية المتعلقة بمعاملة الدبلوماسيين. كما يحذر القرار بأن المجلس سوف يتخذ إجراءات أخرى إذا لم يلتزم العراق بتنفيذ قرارات المجلس.

الجديد في قرار مجلس الأمن هذا هو أنه استجاب للاتجاه الدولي الذي يدعو إلى فتح الباب أمام الحلول السلمية، والطلب من السكرتير العام للتحرك بالطريقة التي يراها مناسبة للتوصل إلى حل سلمي للأزمة. (لكن أمريكا لا تريد أن يكون لغيرها دور كبير في هذه الأزمة).

في روما أنهى زعماء الدول الأوروبية الاثنتي عشرة أمس اجتماعاتهم، واتفقوا على أن لا تجري أي دولة من الدول الأعضاء أية اتصالات بهدف الإفراج عن رعاياها المحتجزين في العراق والكويت.

اليوم غادرت طائرة عراقية عملاقة وهي تحمل على متنها الرهائن الفرنسيين الذين قرر الرئيس العراقي الإفراج عنهم، مستهدفاً من وراء ذلك، كما يعتقد، زعزعة التضامن العالمي المتحد في وجه احتلال العراق للكويت، لكن هذا الأمر تم تداركه، حتى الآن، في اجتماع روما السابق ذكره.

وكان العراق قد أفرج في الأيام الأخيرة عن عدد من الرهائن، كالبرتغاليين الذين يبلغ تعدادهم حوالي عشرين، والبلغاريين وعددهم حوالي خمسة عشر، وأيرلنديين... وغيرهم، وطلب من كندا أن توفد شخصية رفيعة المستوى للتباحث معها حول الإفراج عن رعاياها المحتجزين، لكن كندا رفضت الطلب.

سوريا فتحت نيران إعلامها ضد الولايات المتحدة منذ ستة أيام. وهي تتهم أمريكا بأنها تسعى مع إسرائيل لتعزيز قواها العسكرية في ظل الانشغال بأزمة الخليج. وقد أعلن أنّ الجبهة الوطنية التقدمية سوف تجتمع قريباً برئاسة الرئيس السوري حافظ الأسد، وأنه من المحتمل أن يسفر هذا الاجتماع عن قرارات مهمة وحاسمة...

أفرج عن فيصل الحسيني، وفرض عليه حظر السفر إلى الخارج لمدة ثلاثة أشهر. كان له حديث جيد في إذاعة لندن حول الأوضاع في الأرض المحتلة.

(الثلاثاء ٣٠/١٠/١٩٩٠) منذ أربعة أيام وأنا مشغول في تنظيف حديقة الدار (هي عبارة عن عدة أحواض مستطيلة ومربعة، عند المدخل وعلى الجانب الأيسر للدار وخلفها، إضافة إلى الحوضين الكبيرين نسبياً خارج سور البيت) وقد قمت بتقليم الأشجار من الشوائب التي سدت في معظم أماكن الزرع منافذ الشمس إلى الأرض مما حال في الفترة الأخيرة من نمو ما نزرع بشكل طبيعي وجيد.

الذين سموها شجرة «المجنونة» بهذا الاسم كانوا على صواب، فهي شجرة مجنونة فعلاً. وهي شجرة تصلح زراعتها في أماكن الأسوار لتحول دون تمكين أحد من دخول البيت إلا من أبوابها. وقد زرعت منذ نحو أربعة أعوام «فسخات» صغيرة من هذه «المجنونة» في حوضين صغيرين فتحتهما على الجانب الأيسر من الدار، حيث يوجد شبه مدخل آخر للبيت يفضي إلى قاعة الجلوس، يذكرنا بأبواب بيوت القدس أو رام الله، عرضه حوالي خمسة أمتار وطوله حوالي ثمانية. وهناك سلمتان (درجتان) ثمَّ شبه بلكونة ثم المدخل الآخر المذكور. أردت أن أقيم هذين الحوضين وأجعل ما بينهما شبه خيمة من الأشجار والنبات (خميلة) لنجلس تحتها في الأمسيات أو الأيام التي يسمح لنا بها الطقس.

وبالمناسبة فقد تسلمت البيت ولم يكن به سوى حوضين صغيرين عند مدخله الرئيسي، فيهما نخلة، وهي جيدة ونأكل من ثمارها، وشجرتا رمان، تورق في أواخر فصل الربيع، وتزهو أزهارها الحمراء الجميلة، تثمر... لكن شدة حرارة الصيف لا تساعد الثمار على اكتمال نموها... فتجف قبل نضوجها.. وتتفلع. جعلت هذين الحوضين أكبر، واستصلحت المساحة خارج البيت، وفتحت الحوضين عند المدخل الداخلي، كما فتحنا خمسة أحواض مربعة خلف البيت. وقد سكنا البيت لأول مرة عام ١٩٨٦.

وكنت قد أوصيت على هيكل من الأنابيب (مواسير) لكي تتسلق عليها شجيرات المجنونة والعنب (الدوالي) والياسمين التي زرعتها على الجانب الداخلي للحوضين المتوازيين في المدخل الداخلي للبيت، لكنني لم أتصور «جنون» هذه الشجيرات، وبالذات «المجنونة» فقد كبرت وتسقلت أعمدة الهيكل وأذرعه الجانبية والفوقية بشكل سريع جداً بحيث حجب عن الحوضين في السنة التالية الشمس عن شجرتي «فل» زرعتنا هناك، فلم تعد رائحة الفل تعبق داخل البيت من أزهاره التي كنا نقطفها كل يوم في موسم الفل. ولم تنجح في السنة الثانية زراعة الملوخية كما نجحت في العام الأول.. لنفس الأسباب. في الأحواض الخلفية، والتي فتحناها منذ عام فقط (البيت محاط بمساحات كانت كلها مبلطة) زرعتنا في كل حوض شجرة (زيتونة وليمونة وبرتقالة وجوافة وتينة) وحول جذوعها زرعتنا النعناع والبقدونس والفجل والجرجير (روكة). أمَّا في الحوضين الرئيسيين عند المدخل الرئيسي

فقد زرعناها بالأزهار المتنوعة. في الخارج زرنا نباتات مدادة ذات أوراق عريضة، ولهذه النبتة ميزة غريبة، فهي تزدهر وتترعرع في الصيف، وتنام في الشتاء... لكن الماء يجب أن يظل متدفقًا عليها صيفًا وشتاءً. كما زرعت في الخارج شجرتي كينا (كاليبتوس) وشجيرات أخرى لا أعرف اسمها.

العملية التي بدأتها منذ أيام في تنظيف ما يمكن أن نسميه حديقة الدار من شوائبها، وتقليم أشجارها، كانت ضرورية لسببين، الأول هو إعداد هذه الأرض للاستفادة منها في زرعها بما يحتاجه البيت من الخضراوات الخفيفة، كالبقدونس والنعناع والفجل والملوخية والخيار وما إلى ذلك، والتي أصبحت غير متوفرة بسبب هجرة الزراع من الكويت (منطقة الوفرة ومناطق أخرى في الكويت كانت توفر لسكان الكويت كل ما يحتاجونه من الخضراوات المذكورة، بل كانت الكويت تصدر بعضًا منها إلى بلدان الخليج المجاورة) والثاني هو تمضية الوقت الطويل الذي نعيشه في هذه الأيام بسبب الظروف القاهرة في شيء مفيد غذائيًا وصحيًا... فهي أيضًا فرصة لكي نحرك أجسامنا بدلًا من الرياضة البدنية والسباحة... وهذا هو وقت السباحة...

لم تكن العملية سهلة، ولم أقم فيها وحدي، بل ساعدتني بذلك سالي وأختها جولي. فشجيرات «المجنونة» التي تمدت على الهيكل المعدني بشكل جنوني، وأغصانها امتدت إلى أعلى بحيث لم يعد ممكناً الوصول إليها بسهولة وهي أغصان مسلحة بالشوك... ولم يسلم ساعداي من أذاها... لكننا تمكنا من تقليمها وتهذيبها بالقدر الممكن.

اليوم أنهينا عملية التنظيف، غداً نمهد الأرض ونرويها، وربما نزرعها غداً أو بعد غد، إن شاء الله، بما هو متوفر من البذور.

(الأربعاء ٣١/١٠/١٩٩٠) وأخيراً وصلتنا رسالة بشار الحبيب مع الصديق مصطفى الذي حضر من عمّان، وهاتفنا قائلاً إنه كان مع بشار قبل ظهر الاثنين الماضي، حيث أوصله هو والصديق محمود وغيرهما إلى مطار عمّان (عالية) وطار منه إلى ألمانيا. حددنا موعداً لتسلم رسالة بشار، وحصل ذلك في المساء.

ورسائل بشار غير رسائل أخويه يزيد وبلال، فهو يضمن رسالته تفاصيل مهمة لنا، بينما أخواه يكتفيان بالإيحاءات والاختصار الشديد. المهم أن رسالته حملت ما مفاده أن رحلته من الكويت إلى بغداد ثم إلى عمّان كانت ميسرة ومريحة دون أية مشاكل تُذكر. وأن أمره قد تيسرت بشكل لم يكن يتوقعه. وأنه اتصل بشقيقه يزيد في لندن، أنا وتمام، حمدنا الله على توفقه، وندعو له بمزيد من التوفيق.

زارنا اليوم قبل الظهر الأصدقاء وليد أبو بكر ومازن وإحسان حماد، وكان أول الحديث عن مشاكل مازن وسفره الذي لم يتيسر حتى الآن. هناك شاحنة ضخمة مكشوفة تجر «تريلا» وراءها تنتظر منذ أيام دون أن تحمل بعفش بيت مازن. السبب أن مازن سلم أوراق سيارته وسيارة زوجته لأحد الأشخاص... ليقوم بعمل اللازم.. لكن هذا الواحد لم يظهر حتى الآن.. وأظنه سائق أو صاحب سيارة الشحن... المهم أمره ليست على ما يرام. وتمام تدعو له بأن تحل المسألة عندما يصل الحدود ليعود ثانية من الحدود إلى الكويت... على سبيل المزاح بالطبع.

اتفقنا، بعد استعراض الوضع وما حملته الأخبار على أن احتمالات اللجوء إلى الحل العسكري صارت أقل من احتمالات الحل السلمي، وذلك بعد التحركات الدبلوماسية العربية والدولية النشطة في الأسبوعين الأخيرين... لكننا لسنا متأكدين من ذلك كثيرًا!

تناولنا المشاكل اليومية، وكيف أن مشكلة البنزين أحدثت الكثير من الفزع والرعب.. وتحدثنا عن المقاومة الكويتية والتي أضرت وتضر القوات العراقية بشكل موجه وتزعج المسؤولين العراقيين، لكن دون أن تسبب عاملاً حاسماً في الصراع، لكنها ضرورية...

يذكر العائدون من العراق بطريق البر، أو الذين زاروا بغداد، أن كثيرًا من المواد والأجهزة التي كانت تملأ أسواق ومحال الكويت، باتت معروضة في كثير من المحال في بغداد، أو على طريق بغداد. فزيت السيارات الكويتي، وعلب الـ«تاتك» (بودرة عصير برتقال وليمونادة) وغيرها من المعلبات مرتبة بشكل هندسي أمام المحلات، ومنها ما هو معروض للبيع أمام دكاكين الحلاقين مثلًا... ودواليب السيارات من كل الأنواع مكدسة على الطرق،

ولكن الدولار يباع، كما ذكر لي، مع الإطار المعدني «الجنط»... فهي هكذا أحضرت من الكويت، لأن معظمها نزع من سيارات جديدة، أو متروكة على أطراف الشوارع وزواياها، وعند البيوت التي كان أصحابها خارج الكويت يقضون إجازتهم الصيفية! الأجهزة الإلكترونية والكهربائية معروضة للبيع... لكن ناقل الصورة يقول إنَّ الإقبال على شراء هذه الأشياء شبه منعدم، رغم توفر المال عند الناس، لأن تحذيرًا صدر عن آية الله أبو القاسم الخوئي، أكبر رجال الدين الشيعة في العالم، والمقيم في كربلاء، قال: «إنَّ أيًّا من هذه الأشياء المسروقة من الكويت والمعروضة للبيع هي حرام على شاربيها». ويقال إنَّ هذا الإمام مصاب بشلل نصفي بسبب قتل ولديه أو حفيديه أمام عيني هذا الإمام لرفض الإمام تلبية طلب صدام فتوى منه أثناء حربه مع إيران لم يكن هذا الإمام مقتنعًا بها، فرفض هذا الأخير إعطاء الفتوى... وأصيب منذ ذلك بالشلل النصفي... والله أعلم.

الأخبار السياسية ركزت على التصعيد في اللهجة المتشددة تجاه اللجوء إلى الخيار العسكري من غير استبعاد للحل السلمي. وقد جاء ذلك في تصريحات أمريكية وعراقية.

بوش قال إن «صبره بدأ ينفد.. وأن العقوبات الاقتصادية لم تؤثر كثيرًا على العراق.. ما قد يدعو إلى اللجوء إلى الحل العسكري.. لكنه «يدعم الجهود الدبلوماسية»، وقال إنَّه «ضاق ذرعًا بمعاملة العراق للرهائن الأمريكيين» ويبدو أنَّ موضوع معاملة الرهائن ستكون مطروحة للبحث، إن كان الحل العسكري سيتغلب على الحل السلمي، المبرر لشقَّ الحرب...!

وكان الرئيس العراقي قد اجتمع مع كبار الضباط العراقيين أوَّل أمس، وبحث معهم احتمالات العدوان والإنزال الأمريكي في الكويت، ودعا إلى الاستعداد لحرب الشوارع...!

في العراق، أعلن تليفزيون بغداد في نشرته بعد منتصف الليل، أنَّ العراق يطالب بعقد مؤتمر دولي لحل نزاعات المنطقة أو عقد مؤتمر عربي لتسوية الخلافات العربية. وهو موقف جديد للعراق، يستشف منه تنازل عن المؤتمر الدولي لحل مشاكل المنطقة واستبدال به مؤتمرًا عربيًا لتسوية الخلافات العربية.

قائد القوات البريطانية المرابطة في منطقة الخليج صرّح قائلاً إن التسوية السلمية أصبحت بعيدة المنال... وقال إنَّ قواته ستصبح جاهزة للقتال خلال أسبوعين.

اجتماع مفاجئ جرى اليوم في السعودية بين وزراء خارجية السعودية ومصر وسوريا لبحث التطورات الأخيرة المتعلقة بأزمة الخليج.

الملك حسين بدأ جولة في إطار المساعي للبحث عن حل سلمي، فقد وصل اليوم إلى سلطنة عُمان وقابل فيها السلطان قابوس. وهذه هي المرة الأولى التي يزور فيها الملك حسين دولة خليجية منذ الاجتياح العراقي للكويت. بعد ذلك سيتوجه الملك حسين إلى باريس للاجتماع مع الرئيس الفرنسي ميتران يوم الأحد المقبل.

بريماكوف وفي طريق عودته أمس الأوّل توقف في قبرص، حيث قابل الرئيس القبرصي جورج فاسيليو الذي أبدى استعدادًا لاستضافته المفاوضات المتوقعة بين «السعودية والعراق» كما ذكرت معظم الأنباء.

بعد كلّ هذا يصل المرء إلى أننا أقرب إلى حل سلمي، بدليل هذا التحرك المكثف، عربيًا ودوليًا، خاصة وأن العالم يحيل في الأيام الأخيرة، بعد قمة ميتران غورباتشوف، المسألة إلى العرب لحل قضاياهم، تجنبًا لوقوع الحرب.. الكارثة... التي كما وصفها غورباتشوف بأنها إن نشبت فستؤدي إلى قلب موازين القوى في المنطقة، وستجلب الكوارث على المنطقة، وستجمد حل القضية الفلسطينية سنوات...

لبنان يسير بخطى سريعة نحو استتباب الأمن في بيروت الكبرى التي ستضم المنطقة الواقعة ما بين الدامور ونهر الكلب وعاليه والمتن. فقد اتفقت كافة الميليشيات على إقفال مكاتبها وتسليم أسلحتها والانسحاب من هذه المنطقة وتمكين الشرعية لفرض هيمنتها على لبنان، أو على الأقل على جزء مهم من لبنان كخطوة أولى نحو السيطرة التامة على كلّ لبنان.

الليرة اللبنانية تحسّن وضعها بشكل ملحوظ، فقد انخفض سعر صرف الدولار إلى خمس
مئة ليرة تقريبًا بعد أن كان قد وصل إلى نحو ألف وخمس مئة ليرة منذ أسابيع.

تشرين ثاني / نوفمبر ١٩٩٠

(الجمعة ٢/١١/١٩٩٠) اليوم هو ذكرى مرور ثلاثة أشهر على احتلال الكويت... يا ويلاه... والله إن أحدًا منا ما كان يتوقع أن يطول هذا الاحتلال كل هذه المدة... فهل هناك احتمال أن يطول أكثر مما نتوقع اليوم...؟

ما زلت منشغلًا بأحواض الزراعة في البيت، فبعد التنظيف والتقليم، قلبت أرض الأحواض، وقسمتها، وزرعت معظمها. لكنه لا تزال هناك بعض الأقسام التي سأزرعها خلال الأيام القادمة إن شاء الله.

سياسيًا، لا تزال الأخبار تراوح مكانها بين الحلّين، هناك تصعيد كلامي في المجال العسكري، غير أنّ الحديث عن الحلول السلمية يكتسب أوراقًا جديدة في كل يوم.

اهتمام الرئيس الأمريكي بوش الزائد بقضية الرهائن لافت للنظر. إنّ بوش يتنقل من ولاية إلى أخرى في حملة انتخابية (لانتخاب أعضاء مجلس النواب، وثلاث أعضاء مجلس الشيوخ، وانتخاب حكام الولايات) وهو يردد في كل خطبة أنّه من غير الممكن الانتظار طويلاً على هذه القضية، قضية «الاحتماء وراء درع بشري من الرهائن» ومعاملتهم بشكل غير إنساني. وهو يشير أيضًا إلى مسألة قطع الماء والغذاء عن بعض العاملين في السفارة الأمريكية والسفارة البريطانية المحاصرتين في الكويت... ويقول بوش أيضًا: «إنّ رصاصة واحدة يمكن أن تشعل الحرب في المنطقة»، لكنه بعد هذا كله يعرب عن أمله في أن لا تنشب الحرب!

كما أنّ الإشارة إلى موضوع الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين المحاصرين في سفارات بلادهم بالكويت، ونضوب الماء والغذاء عندهم، حسبما يقول الرئيس بوش، تضمنت إحياءات بالتفكير في عملية إنزال واقتحام لحصار هذه السفارات بحجة تزويدهم بالماء والغذاء، ما سيعتبر سببًا في إشعال فتيل الحرب!

العراق من ناحيته أيضًا يتحدث عن الحرب وكأنها واقعة حتمًا وخلال أيام، لكن التصريحات العراقية تركز على أنّ العراق يتمنى الحل السلمي ويسعى إليه. وهو يفرج في كل أسبوع عن بعض الرهائن، وكلما زاره أحد ويطلب منه الإفراج عن بعض الرهائن، يستجيب ولكن بحدود...

الرئيس العراقي عقد أكثر من اجتماع خلال الأسبوع الأخير مع أعضاء مجلس قيادة الثورة وبعض السياسيين القيايين أمثال: عزت إبراهيم ولطيف نصيف جاسم، كما اجتمع مع قيايين عسكريين من قادة القوات المتواجدة على أرض الكويت. وأصبحت القوات العراقية نتيجة لذلك موضوعة في أعلى درجات الاستنفار.

رئيس الوزراء الياباني السابق ناكاسوني، والمستشار الألماني السابق فيلي برانت في طريقهم إلى العراق، كلاهما سيتناول في مباحثاته مع العراقيين مسألة الرهائن بشكل عام، ولكني متأكد من أنّ العراق سوف يلبي لكل منهما بعض مطالبهما في هذا الشأن.

كذلك فإنّ الاثنين سوف يبحثان، كل على حدة، في الوسائل الكفيلة لحل الأزمة سلميًا. برانت سيكون أكثر تأثيرًا، فهو سيكون مبعوثًا من قبل الأمين العام للأمم المتحدة وعلى رأس وفد دبلوماسي كبير للبحث في حل هذه الأزمة. وكان برانت قد سافر إلى الأمم المتحدة وقابل السكرتير العام ديكيولار وتباحث معه حول مهمته.

لقد ذكر الرئيس العراقي في حديث له قبل مدة أنه مستعد للتفاوض، شريطة أن يكون الوسطاء هم الرئيس الفرنسي ميتران أو المستشار الألماني السابق فيلي برانت أو وزير الخارجية الألماني جينشر، أو كلهم معًا، وذلك لثقة القيادة العراقية بهؤلاء، لأنهم، حسبما يقول العراق، رجال مبادئ.

ويبدو أنّ برانت تحمس أو حُمس للقيام بعملية جس نبض للوضع، واعتبر برانت حديث الرئيس العراقي بمثابة دعوة إليه، فقرر تلبية هذه الدعوة. المستشار الألماني الحالي هلموت كول اعترض على قرار برانت، لكن ضغوطًا مورست لتجعل كول يبارك هذه الزيارة.

كذلك أعلن أنّ وزير خارجية الصين سيقوم بجولة في المنطقة، يبدوها في السعودية وينتهيها في العراق.

وزير الخارجية الأمريكي بيكر سيبدأ زيارة للمنطقة بعد غد الأحد، يجتمع خلالها مع زعماء دول الخليج بمن فيهم أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح. ثمّ سيلتقي بعد ذلك وزير خارجية الاتحاد السوفييتي شيفرنادزه في جنيف، ومن ثم يعود إلى واشنطن لإطلاع الرئيس الأمريكي على نتائج زيارته قبل سفر الرئيس الأمريكي إلى المنطقة.

الجنرال نورمان شوارتسكوف قائد القوات الأمريكية في منطقة الخليج صرّح في حديث له نشرته صحيفة الـ«نيويورك تايمز» أنّ القوات المتحالفة قادرة على تدمير العراق، إلا أنّ هذا الاحتمال، حسب قوله، قد لا يكون في صالح توازن القوى في المنطقة، وأن كثيراً من المدنيين الأبرياء سيكونون ضحية لهذه الحرب. لكنه أعرب عن أمله في أن لا يضطر إلى تنفيذ مثل هذا الإجراء.

العراق أعلن أنّه سيسمح لأهالي الضيوف/الرهائن بزيارة العراق للقاء أقاربهم المحتجزين فيه بمناسبة عيد الميلاد ورأس السنة.

الشيخ سعد العبد الله ولي العهد الكويتي أكد معارضته لعقد قمة عربية جديدة لاعتقاده بأن لا فائدة ترحى من ذلك طالما أنّ العراق غير مستعد للانسحاب من الكويت، وطالب، بعد أن ذكر أن الحظر الاقتصادي ضد العراق لم يؤت نتائج، بوضع خيارات أخرى موضع التنفيذ لتحرير الكويت.

القاهرة أعلنت أنّها تمكنت من القبض على عشرات الأشخاص ممن لهم علاقة بتنظيم «الأصوليين» أو «الجهاد الإسلامي» الذين أثبتت التحقيقات أنّهم التنظيم المسؤول عن اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المصري.

الولايات المتحدة سلمت إسرائيليين رسميين في أمريكا الفلسطيني الأصل والأمريكي الجنسية المدعو محمود عطا، بناء على طلب إسرائيل، لأنه متهم بالمشاركة في عملية إطلاق نار على أوتوبيس إسرائيلي عام ١٩٨٦، وكان عطا معتقلاً في أمريكا منذ ثلاث سنوات. «أبو نضال» هدد بضرب المصالح الأمريكية في حال تسليم أمريكا المذكور إلى إسرائيل.

الجزائر أعلنت أنها طلبت من الأمم المتحدة أن تسمح لها بشحن كميات من الغذاء إلى العراق، وأن هذه المواد ليست محظورة بموجب قرار الحظر الذي اتخذه مجلس الأمم المتحدة ضد العراق.

نائب رئيسة الوزراء البريطانية تاتشر (جفري هاو) استقال محتجاً على تصرف تاتشر في اجتماعات المجموعة الأوروبية فيما يتعلق بتوحيد أوروبا... أنه مع عدم انفراد بريطانيا بموقف مغاير لموقف الدول الأوروبية الإحدى عشرة الأخرى!

(السبت ٣/١١/١٩٩٠) أمس ليلاً أعلن البيت الأبيض رسمياً أنّ الرئيس الأمريكي بوش سيقوم بجولة في بعض دول الشرق الأوسط وأوروبا، يبدؤها في تشيكوسلوفاكيا ثم ألمانيا وبعدها إلى باريس لحضور مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، ثمّ يذهب إلى مصر فالسعودية التي يلتقي فيها إضافة إلى الملك فهد، الشيخ جابر أمير الكويت، وسيمضي احتفالات «عيد الشكر» مع القوات الأمريكية في السعودية.

العراق هدد أمس بأنه في حال شنّ الحرب ضده فإنه سوف يفتح جبهات حرب في كلّ مكان، و«أن المنطقة ستشتعل وسيحترق الأخضر واليابس... وأن آبار النفط وإسرائيل ودول خليجية ستكون أهدافاً للعراق»...!

زيارات الأصدقاء لنا مستمرة، والكل يعاني من استمرار هذا الوضع الصعب... وما أصعب الانتظار... انتظار انفراج وضع كالذي نحن فيه.

لقد مضت أكثر من ثلاثة أشهر ونحن ننتظر الحل... لأن هذا الوضع غير الطبيعي لا يمكن أن يستمر هكذا، إذ الحياة معطلة بالفعل، والواحد منا شبه محبوس في البيت... صحيح أن أحدًا لا يمنع خروج المرء من البيت، لكن إلى أين تذهب... ففي هذه الظروف لا يذهب الإنسان إلا لقضاء حاجة ضرورية، مثل تأمين الغذاء أو الدواء... ولا شيء غير هذا.

(الأحد ٤/١١/١٩٩٠) اليوم خرجت وتمام بسيارة يزيد بهدف الوصول إلى منطقة المشاتل لإحضار بعض البذور والشتلات لزراعتها في باقي الأجزاء غير المزروعة في أحواض البيت الزراعية، وأمس، كما ذكرت، خرجت لهدف معين.. ولا شيء غير ذلك.

زارني أمس الصديق وليد أبو بكر الذي قال لي: «منذ كنت عندك آخر مرة (أي منذ أربعة أيام) لم أخرج من البيت»، وهذا ما يعاني منه الكثيرون من أمثالنا.

محظوظ كل من لديه هواية يستطيع من خلالها ممارسة شيء ما لكي يستهلك هذا الوقت الضائع في شيء مفيد...

إنّ انتظار شيء لا يمكنك بصدده عمل شيء غير انتظاره لأمر مرهق فعلاً... فماذا عسانا أن نفعل أو قادرين على أن نفعله في الإسراع لإيجاد حل لأزمة الساعة؟ الشيء الوحيد هو أن نحاول قدر الإمكان أن نحافظ على أنفسنا أصحاب بالقدر الممكن، وأن نتابع الأخبار، التي أضحت متابعتها أمراً مرهقاً للأعصاب، وأن نلتقي بعض الأحبة والأصدقاء لنؤنس بعضنا بعضاً، ولنتبادل الآراء، ونحلل ما أمكن من أخبار هذه الأزمة في ذلك اليوم.

هناك بعض الأصدقاء المرهقين... وكلنا بالمناسبة مرهقون... من الذين يزوروننا، يهدفون من وراء زياراتهم معرفة رأينا في ما يجري، ومعرفة ما لدينا من معلومات جديدة حول هذا الوضع، وعن الآتي...

الكل تعب من هذا الوضع، والكل أصيب ومصاب بفعل هذا الوضع، والكل يتطلع إلى حل يعيد الحقوق إلى أصحابها... فإن كانت الحرب هي الحل فلتحدث هذه الحرب.. وإن كان

الحل سلميًّا ووفائيًّا.. فليأتِ هذا الحل سريعًا... في سبيل إنقاذ هذا البلد قبل أن يضيع...
ومن أجلنا نحن... نحن الذين بقينا فيه... ومن أجل أولئك الذين ينتظرون العودة إلى
الوطن...

وعندما أقول إنقاذ هذا البلد، فإني أعني ما أقول... فلعل الإسراع في إيجاد الحل يبقى
على بعض ما تبقى في هذا البلد. إنّ مئات الشاحنات يوميًّا لا تزال تنقل ما تبقى في
الكويت... فلم يعد هناك خشب ولا حديد ولا أنابيب ولا غيرها مما يخطر على البال من كلِّ
أصناف احتياجات الإنسان واستمرار الحياة، المخازن نُهبت... والجامعة أفرغت من
أجهزتها... والوزارات والمؤسسات لم تعد سوى أبنية شبه خالية من أجهزتها ومعداتها
وأثاثها، أمس قال لي صديق إن شاحنات نقلت كلِّ محتويات كلية الطب والمعاهد
التطبيقية، ومعظم المدارس أضحت فارغة من محتوياتها!

من المؤسسات التي تم تفرغها تمامًا من أجهزتها ومعداتها المعقدة والمتطورة
والإلكترونية، وذلك وفق ما نقله لي أحد الأصدقاء، كلُّ من:

- معهد الكويت للأبحاث الكويتية.
- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- النادي العلمي.
- هيئة المعلومات المدنية.
- سوق الأوراق المالية (البورصة).
- معهد التكنولوجيا.
- المعاهد التطبيقية.
- مؤسسة النقل العام (الباصات وغيرها).
- مستشفى حسين مكي جمعة لأمراض السرطان.
- مستشفى حامد العيسى للكلية.
- مركز الطب الإسلامي.

- مستشفى ثنيان الغانم.
- جامعة الكويت... كافة كلياتها.
- مجمع الوزارات.
- الخطوط الجوية الكويتية، مكاتبها وعدد كبير من طائراتها، وقطع غياراتها.
- مطابع كافة الصحف والمجلات.
- المطابع التجارية.
- وغيرها.....

ما أصعب العيش في ظلّ انعدام الأمن...

سرقة البيوت والممتلكات الشخصية ازدادت في هذه الأيام، ويقول كثير من المعارف إنهم لا يستطيعون مغادرة بيوتهم حتى ولو ساعة أو اثنتين... لأنهم بذلك يعرضون بيوتهم (أو بيوت جيرانهم) للسرقة والنهب. هناك سيارات، معظمها من نوع الـ«جيب» أو ما يسمونه هنا بالـ«جيمس» وشبابيكها من الزجاج المغشى حتى يصعب معرفة من بالداخل، تدور هذه السيارات بين المناطق لرصد حركة البيت، وعمّا إذا كان أصحابه موجودين فيه أم لا، ومن يتردد عليه وفي أية أوقات من اليوم، فتوضع خطة السطو وتتم العملية بمهارة فائقة، وكان هناك متخصصين في القيام بهذه الأعمال.

لقد شاهدت مثل هذه السيارات، وكانت واحدة متوقفة في منطقة من مناطق الجابرية، وبابها مفتوح وبدخلها اثنان تنم نظراتهما عن أنهما يقومان بعمل من هذا النوع، وماذا عسى واحد مثلي أن يفعل...

من قصص السرقات، أنّ بيتًا يملكه لبناني متجنس بالجنسية الكندية في منطقة سلوى قرب البيت الذي يسكنه ابن العم أمين. كان هذا الرجل خارج البلاد إبان الاجتياح العراقي، وظل في الخارج ينتظر، فهو كندي، إن دخل البلاد فسيعتبر «ضيّفًا» من «الضيوف» المستضافين رغم إرادتهم في العراق. فقد هذا الرجل الأمل في العودة القريبة، لذلك كلّف صديقًا له لكي يطمئنه على بيته. وكان هذا الصديق يمر من أمام البيت مرة كلّ يوم أو

اثنين فيرى أنّ بابه مقفل، واعتبر ذلك مؤشراً على أنّ البيت بخير. صاحب البيت، وبعد أن طال فترة الانتظار، أرسل إلى صديقه بمفاتيح البيت يرجوه إنقاذ بعض الأغراض، وخاصة بعض الأوراق الرسمية التي تخصه، وإرسالها إليه بأية طريقة. ذهب هذا الصديق ليفتح البيت.. ومن أجل أن يتجنب شك البعض فيه اصطحب معه اثنين من الجيران الذين يعرفون صاحب البيت، واستجار بهم ورجاهم مرافقته لدخول البيت من أجل تحقيق ما طلبه صاحب البيت...

فتحوا باب البيت... وفجعوا عندما شاهدوا أنّ البيت قد نُهب من باب خلفي، وأن محتويات البيت قُلبت رأساً على عقب... وأن ما خُفّ وزنه وغلا ثمنه لم يعد شيء منه موجوداً في البيت!

سياسياً فإنّ تحركات الدبلوماسيين ما تزال نشطة، طارق عزيز وصل فجأة أمس إلى الأردن، حيث استقبله الملك حسين، الذي سيسافر في جولة دبلوماسية تتعلق بالطبع بأزمة الساعة، سيلتقي خلالها ميتران في باريس وتأتشر في لندن وديكويلار في جنيف.

العراق أعلن أنّه على استعداد للإفراج عن «الأجانب - الضيوف» إذا ما تعهدت دولتان من خمس دول هي الاتحاد السوفييتي وفرنسا وألمانيا والصين واليابان بأنها تقف ضد الحرب وتعلن أنها تعارض استخدام الحل العسكري أو التهديد العسكري في منطقة الخليج، وأنها مع حل سلمي للأزمة.

وقد أفرج العراق عن ٧٠٠ من الرعايا البلغاريين المحتجزين في العراق والكويت. ووعده في مؤتمر لاتحاد العمال العرب عقد في بغداد بالإفراج عن كافة العمال الأجانب المحتجزين عنده.

ثلاثة فرنسيين، ضابط واثنان برتبة ضابط صف من القوة الفرنسية الموجودة ضمن القوات متعددة الجنسيات في السعودية، كانوا في مهمة استطلاعية على الحدود بين السعودية

والعراق... ضلوا طريقهم، فوقعوا أسرى في أيدي القوات العراقية. نقلوا إلى بغداد مع سيارتهم «الجيب»... ثم تم الإفراج عنهم وترحيلهم مع سيارتهم إلى الأردن...!

مستشفى المواساة، وهو من أكبر المستشفيات الخاصة في الكويت، أقفل... والسبب أن أغلبية العاملين مصريون أطباء وممرضون وفنيون... فسافروا، وأقفل المستشفى. كما أن عددًا آخر من المستشفيات أو أقسام منها قد أقفل بسبب نهب معداتها وأجهزتها الطبية...

موضوع آخر يتعلق بالإفراج عن عدد من المعتقلين الكويتيين الذين اعتقلتهم القوات العراقية منذ بداية الاجتياح، فقد قيل لي إن بضعة مئات من هؤلاء قد أفرج عنهم في الأيام الأخيرة، وعلى دفعات، أفرج في كل واحدة منها عن حوالي مئة من الشباب والرجال. ويقولون إنه جرت وتجرى عمليات تعذيب رهيبه ضد بعض المعتقلين أثناء فترة اعتقالهم... عمليات تعذيب لا يمكن تصور فظاعتها...!

لكن وفي الوقت نفسه ما تزال عملية اعتقال الشباب والرجال الكويتيين من بيوتهم، ومن غير سبب مستمرة.

وفي هذا الصدد ينبغي التذكير بأن هناك مئات من الفلسطينيين المعتقلين بتهمة التعاون مع حركة المقاومة الكويتية ضد الاحتلال العراقي، وأن عددًا منهم محكوم عليهم بالإعدام. هذا إضافة إلى عدد من الشباب الذين استشهدوا في عمليات مشتركة مع أفراد المقاومة الكويتية ضد العراقيين المحتلين.

(الاثنين ٥/١١/١٩٩٠) أكملت اليوم زراعة الأحواض الزراعية في بيتنا، وزرعت الفجل والجرجير والبقدونس والزعتر الأخضر والبندورة (الطماطم) والباذنجان والفلفل والخيار والكوسة والجزر والبصل، شتلنا بذور البندورة والملفوف... كما أننا سيّجنا الأحواض بالشبك المعدني السلكي الذي كان موجودًا عندي، ولكنني قمت بمساعدة جولي بتغطية أسطح الأحواض بالحبال الرفيعة، شكلت شبكة تحول دون غزو العصافير وغيرها من الإغارة على المزروعات وأكل البعض منها. بالطبع نتوقع أن لا ينجح كل ما زرعنا، إلا أنني

آمل أن نأكل منها كلها... لكن أملنا الأكبر أن تزول هذه الغمامة السوداء، وأن نأكل منها ومن الخيرات التي كانت تتدفق على الكويت من كلِّ حدبٍ وصوب بعد أن يكون الكويت قد استعاد وجوده... يا رب.

وزير الإعلام العراقي لطيف نصيف جاسم صرَّح قائلاً إن: «على العالم أن ينسى وجود دولة كان اسمها الكويت، فهو أمر أصبح في خبر كان...».

وزير الخارجية الأمريكية بيكر وصل أمس إلى البحرين والظهران، ثمَّ قام بزيارة بعض القوات الأمريكية، وخطب فيهم مردداً ما أصبح معروفاً: «لا بد من انسحاب القوات العراقية من الكويت... وأن كافة الخيارات متاحة لتحقيق ذلك، لكنه يفضل الحل السلمي للأزمة... وإن الأزمة دخلت مرحلة جديدة...».

السوفييت أعلنوا اليوم موقفاً واضحاً من الأزمة إذ قال متحدث رسمي: «إنَّ الاتحاد السوفييتي مع استخدام أية وسيلة لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت، حتَّى ولو كان الحل الوحيد هو اللجوء إلى الخيار العسكري».

استقبل الملك فهد اليوم الوزير بيكر، ثم قام بيكر بعد ذلك بزيارة أمير الكويت الشيخ جابر في مقره بالطائف، حيث دار البحث حول موضوع وأزمة الساعة... وأبرز ما صدر عن هذا اللقاء هو تصريح لسمو الأمير جابر بأنه: «يتمنى تحرير الكويت اليوم وليس غداً...».

الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة تزداد توتراً، خاصة في قطاع غزة الذي شهد في الأيام الأخيرة صدامات عنيفة مع قوات العدو الإسرائيلي إثر الإعلان عن استشهاد أحد المعروفين من شباب الانتفاضة في السجن نتيجة للتعذيب (إسرائيل قالت إنه شنق نفسه)... هناك منع تجول... وإضرابات، واعتقالات وشهداء، ومئات الجرحى...

بلغني اليوم أنّ أحد كبار مسؤولي جهاز المخابرات الكويتي (وهو عميد ركن) استمر في عمله في ظل الاحتلال العراقي، وأنه نتيجة لذلك هاجمه مسلحون في منزله بالرماية يوم

السبت الماضي، وأطلقوا عليه النار، تمكن من الفرار بسيارته بعد أن أصيب بإصابات خطيرة، ووصل إلى مخفر... ثم إلى المستشفى، حيث لم يتوفر الدم اللازم بدلاً مما نزفه إلا متأخرًا، ففارق الحياة. وكان قد أفاد بهوية الفاعلين وهو على قيد الحياة، فتمكنت السلطة العراقية من إلقاء القبض على الجناة وهم ثلاثة، وتمّ تصفيتهم أمام منازلهم... والله أعلم.

(الأربعاء ٧/١١/١٩٩٠) ياساهيرو ناكاسوني، رئيس وزراء اليابان السابق، والذي وصل بغداد أول أمس، واجتمع مع بعض المسؤولين العراقيين، وعلى رأسهم الرئيس العراقي صدام حسين ولمدة ثلاث ساعات تقريبًا، تمكن من خلال زيارته وحديثه أن يحقق الإفراج عن مئة وستة من المحتجزين، ٧٧ يابانيًا و٢٩ من جنسيات غربية متنوعة.

أما على الصعيد السياسي فلم تُسفر زيارة ناكاسوني عن شيء ذي أهمية!

من ناحية أخرى تخلّى اليابان عن فكرة إرسال قوة رمزية للانضمام إلى القوات المحتشدة في منطقة الخليج. وصرح مسؤولون يابانيون أن لا علاقة لهذا الأمر بموضوع الإفراج عن جزء من الرهائن اليابانيين.

المستشار الألماني السابق أو الأسبق قبلي برانت وصل بغداد، واجتمع مع الرئيس العراقي لمدة طويلة، أسفرت عن صدور قرار عن الرئيس صدام بالإفراج عن مئة وعشرين رهينة، مئة ألماني وعشرين من جنسيات مختلفة، منهم بعض الأمريكيين والبريطانيين والإيطاليين. وقد صرّح برانت إثر محادثاته في العراق بأنه يأمل في حل سلمي للأزمة.

وفي مجال الإفراج عن بعض الرهائن المحتجزين في العراق، قرر العراق السماح لألفٍ من الرعايا السوفييت بالسفر إلى بلادهم، بدءًا من يوم الأحد القادم، علمًا بأن للسوفييت آلاف العمال الفنيين الذين ما يزالون في العراق.

جيمس بيكر، وبعد زيارته البحرين والسعودية وصل إلى القاهرة أمس واجتمع مع الرئيس المصري حسني مبارك، وكان مقرّرًا عقد مؤتمر صحفي بعد المحادثات، لكن المؤتمر ألغي

دون إبداء الأسباب. يعتقد البعض أنّ ارتباط الوزير بيكر بموعد مع وزير خارجية الصين للقاءه في القاهرة هو أحد أسباب إلغاء المؤتمر.

أهم نتائج جولة بيكر هي الاتفاق مع السعودية على أنّ قيادة القوات المشتركة الأمريكية والسعودية سوف تتولاها قيادة أمريكية سعودية مشتركة في حال تعرض السعودية للعدوان. أمّا في حال اضطرار القوات الأمريكية إلى القيام بعمليات عسكرية خارج السعودية فإنّ قيادة العمليات العسكرية ستكون في أيدي القادة العسكريين الأمريكيين.

لقاء بيكر مع الوزير الصيني كيان كي شيان أسفر عن تأكيد موقف الصين بأن على العراق الانسحاب من الكويت، وأن الصين لن تقف في وجه الخيار العسكري إن كان هو السبيل الوحيد الذي سيجبر العراق على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بأزمة الخليج، لكنه يأمل في حل سلمي للأزمة.

وسيتوجه الوزير الصيني بعد القاهرة إلى عدد من دول المنطقة، يختتمها بزيارة بغداد للتباحث مع الرئيس العراقي.

طار بيكر إلى تركيا لمقابلة رئيسها تورغوت أوزال، وكانت محادثاتها جيدة وآراؤهما متفقة. توجه بيكر بعد ظهر اليوم إلى موسكو وسيقبله غدا الرئيس جورباتشوف بالإضافة إلى وزير الخارجية السوفييتي شيفرنادزه.

جون كيللي، مساعد جيمس بيكر في الخارجية الأمريكية، وصل اليوم إلى دمشق حاملاً معه تقريراً عن محادثات بيكر في المنطقة.

الملك حسين وبعد زيارته باريس ومقابلته الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران طار أمس إلى جنيف، حيث ينعقد فيها مؤتمر دولي يبحث في الحفاظ على البيئة، والتقى فيها رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر، كما ألقى في المؤتمر المذكور خطاباً ركز فيه على الآثار

التي ستنتج من جراء حرب شرسة محتمل حدوثها في منطقة الخليج العربي وما يمكن أن ينتج منها من مزار كبيرة جدًا وتلوث هائل في بيئة المنطقة.

الرئيس الفلسطيني وصل بغداد اليوم في إطار المساعي التي يبذلها في سبيل الوصول إلى حل سياسي للأزمة، وكان يرافقه عبد الله حوراني، رئيس دائرة الثقافة، والسفير الفلسطيني في العراق عزام الأحمد. كما التقى عرفات المستشار الألماني السابق ثيلي برانت في بغداد، وتباحث معه في أوضاع المنطقة بشكل عام، وأزمة الخليج بشكل خاص.

رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر شنت اليوم في البرلمان البريطاني هجومًا عنيفًا جدًا ضد الرئيس العراقي صدام حسين، وهددته قائلة: «إن القوة العسكرية سوف تصبح أمرًا ضروريًا في القريب العاجل إذا ما أصر الرئيس العراقي على موقفه المتصلب وعدم انسحابه من الكويت سريعًا...!».

كذلك فعل جيمس بيكر، إذ هدد باستخدام القوة العسكرية لإجبار صدام حسين على تحرير الكويت من القوات العراقية. وسوف يسعى بيكر في موسكو للحصول على تأكيدات بأن السوقية سوف يؤيدون اتخاذ قرار جديد في مجلس الأمن يجيز استخدام القوة لإنهاء أزمة الخليج.

وكان دوغلاس هيرد وزير الخارجية البريطانية قد صرح قبل ثلاثة أسابيع قائلاً: «لا يوجد أمام صدام حسين سوى طريق واحد أوحد هو الخروج من الكويت طائعًا أو كارهاً».

تم أمس مساءً اغتيال مائير كاهانا، رئيس تجمع «كاخ» الإسرائيلي اليميني المتطرف، وذلك بعد الانتهاء من إلقائه خطابه في جمع من اليهود بفندق بنيويورك. أطلق النار فورًا على القاتل، فأصيب بجراح خطيرة، وهو تحت العلاج، وقيل إنه من أصل عربي ويدعى سيد أو سعيد نصري...! لكن هناك عملية للفية ومراوغة حول الحادث مما يثير الشك والريبة حول ملابساته!

إثر ذلك بدأت عمليات الانتقام من قبل المتطرفين من أعضاء حزب «كاخ» في فلسطين المحتلة فاستشهد فلسطينيان اثنان مسنان قرب نابلس... و ينتظر المزيد من عمليات الانتقام.. وقد حذرت السلطات الإسرائيلية الشخصيات الفلسطينية المعروفة بضرورة اتخاذ الاحتياطات اللازمة لسلامتهم.

من الأخبار الطريفة أنّ مظاهرات نسائية، كما روت إذاعة «صوت أميركا» ركبوا سياراتهم وساروا في شوارع الرياض، ومعظمهن من النساء السعوديات وزوجات لدبلوماسيين، في محاولة للضغط على السلطات السعودية للسماح للنساء اللواتي يقمن في السعودية بقيادة سياراتهن.. خاصة في مثل هذه الظروف الحرجة التي من الممكن أن تحتاج المرأة وتضطر إلى قيادة سيارتها في حال الحاجة لنقل مصاب إلى المستشفى... أو ما شابه ذلك... هل سينجحون؟

زارنا صباح اليوم الصديقان وليد وليلى مع ابنتيهما، واتصلنا بالجار العزيز مازن، فحضر مع ابنته سهى، ودار الحديث كالعادة حول الأوضاع المستجدة، وكانت آراؤنا أميل إلى أنّ خيار الحرب صار أكثر احتمالاً من الخيارات السلمية نتيجة لتعنت العراق وعدم إعطائه أية مؤشرات تدل على أنّه مستعد للانسحاب من الكويت... ولإصرار الدول المتحالفة على ضرورة تنفيذ الانسحاب وخلال مدة محددة قيل إنها حددت من خلال إحدى الإذاعات بأنها (لا تزيد على أسبوعين).

في أخبار آخر الليل، أحسست بأن نفّس الحرب مسيطر وأن اللهجات التي تحدث بها المسؤولون في العالم بشكل عام توحى وكأن مدة معينة حددت لكي يسحب العراق قواته من الكويت، وأن يفرج عن الرهائن، وأن يعود الكويت إلى أصحابه الكويتيين... وإلا فالحرب هي الحل...

إنّ ما يُذاع وما يُبث من خلال الإعلام العراقي يوحى بالإفلاس، فالتعابير التي تستعمل، والتهجم البذيء على شخصيات سياسية.. لها أهميتها مهما اختلفنا معها في الرأي.. دليل فقدان أعصاب القيادة العراقية.. فقد ورد على لسان وزير الثقافة والإعلام العراقي لطيف

نصيف جاسم في رده على رئيسة الوزراء البريطانية تاتشر قوله: «إنها عجوز شمطاء تمتلئ تصريحاتها بالضغينة والحقد تجاه الشعب العراقي (...) إنَّ هذه المرأة قد فقدت توازنها العقلي والنفسي والبدني، وأنها لم تعد قادرة على انتهاج خط سياسي مسؤول (...) إنَّ الشيطان قد وجد موطنًا مريحًا داخل عقلها وضميرها...!»

(الخميس ٨/١١/١٩٩٠) أود قبل أن أبدأ بالإشارة إلى أننا، وبسبب الظروف غير الطبيعية التي نعيشها، نجد صعوبة في تذكر اليوم وتاريخه، لذلك أعود في كثير من الأحيان إلى مفكرتي أو أسأل تمام لمعرفة اليوم والتاريخ.

على الصعيد الشخصي هناك جديد طرأ، أو يمكن أن يطرأ، وهو قرار مفاجئ لجولي وسالي، الشقيقتين الفلبينيتين اللتين تعملان عندنا (واحدة لمنزل يزيد والثانية لمنزلنا) يتعلق بالسفر إلى بلدهما.

لقد ذهبت تمام معهن إلى مقر السفارة الفلبينية القريبة منا في منطقة الجابرية، واستفسروا عن سفر الفلبينيات، فوجدوا أنَّ هناك فرصة لهن للسفر مع آخرين بواسطة السفارة. من الكويت إلى بغداد بالأتوبيس، يمكنون بضعة أيام في بغداد ثمَّ يتوجهون بناقلة ركاب من بغداد إلى عمَّان. يبقون في عمان إلى حين موعد نقلهم -حسب الدور- بالطائرة إلى دبي، ينتظرون هناك أيضًا إلى أن يحين دورهم للسفر على الطيران الفلبيني إلى مانيللا.

وجهة نظرهم تقول إن هذا الوضع يمكن أن يطول، ويمكن أن يترتب عليه مخاطر نحن في غنى عنها، ولنا أهل (زوج وأبناء ووالدان) في انتظارنا، ولا بد أنهم مشغولو البال علينا.

أما نحن فقد تركنا لهم حرية القرار، وشرحت لهم بأنهم على حق، فهذا الوضع يمكن أن يستمر طويلاً، ويمكن أن تأتي أيام صعبة، هم ليسوا مجبورين على تحملها.

لكن مشكلتهن تكمن في أنّ أحد المسؤولين في السفارة الفلبينية قال لهن: نحن في انتظار تعليمات من سفارتنا في بغداد، فإن أرسلوا ووافقوا على نقل مجموعة أخرى أو أخيرة من الفلبينيين من الكويت فسوف تسافران مع زميلاتكن، وإلا فلا مجال عندئذ للسفر بسبب تأخركم...!

وكانتا خائفتين في حال إذا تركتا البيت وذهبتا إلى السفارة لانتظار السفر، ثم لم يتيسر السفر، فماذا عساهن أن تفعل... وكان سؤالهن: هل من الممكن أن نعود إليكم لنقيم معكم بأكلنا وشرابنا...؟

أجبتهن بأن هذا البيت الذي خدمتموه سنوات سيبقى مفتوحاً لكما أنّي شئتكم، فأنتم بالنسبة إلينا جزء منا. وإن حقكم في دخلكم سوف يستمر، لكننا لا نستطيع دفعه إليكم اليوم إلا بالدينار العراقي، أو أن يدفع إليكم لاحقاً حسبما تقتضي الظروف... وأنه لن يضيع لكم حق عندنا أبداً.

الاثنان بكتا... وشكرتا لنا هذا الوفاء.

ونحن ننتظر الآن يوم السبت أو الأسبوع المقبل لمعرفة إن كانت هناك فرصة لهما للسفر أم لا... وفي حال سفرهما سوف نتدبر أمر حياتنا بدونهن، واعتقادي بأن ذلك لن يكون مشكلة كبيرة... ولا بد من التغلب عليها... ربنا يجيب إلهي فيه الخير.

سياسياً تشير الأخبار إلى أن بيكر قد حقق خطوة على طريق اتخاذ القرار الذي تسعى أمريكا إلى انتزاعه من مجلس الأمن الدولي، والذي يجيز للولايات المتحدة، أو للقوات المتعددة الجنسيات، استخدام القوة إن كان هو الحل الوحيد المتبقي لإجبار العراق على تنفيذ مقررات المجلس السابقة. فقد أعلن الليلة أنّ السوقية قد يؤيدون استصدار قرار من مجلس الأمن الدولي لاستخدام القوة العسكرية ضد العراق من أجل إجباره على الانسحاب من الكويت دون شروط.

وكان بيكر قد تلقى وعدًا من قبل وزير خارجية الصين بأن الصين لن تعارض مثل هذا القرار، ولن تستعمل ضده «القيتو» في مجلس الأمن الدولي.

في الوقت نفسه أعلن أن أمريكا بصدد إرسال حوالي ستين ألف جندي أمريكي آخر لينضموا إلى القوات الأمريكية المتواجدة في منطقة الخليج، ونقل سبع مئة دبابة من أوروبا إلى المنطقة... وأن عدد القوات الأمريكية في هذه المنطقة سيصل قبل آخر السنة الحالية إلى حوالي ثلاث مئة ألف جندي أمريكي... أو ربما أكثر من ذلك.

من الأخبار المهمة اليوم هو خبر استبدال قائد القوات العراقية ورئيس الأركان الفريق نزار الخزرجي، والذي تسلم قيادة الجيش العراقي منذ عام ١٩٨٥، وكان قائدًا مقرَّبًا من الرئيس العراقي، استبدل به في الأيام الأخيرة الفريق حسين رشيد، وهو ضابط متمرس، وكان قائدًا لفرقة الدبابات ورئيسًا للحرس الجمهوري.

لكن اللافت للنظر أنَّ عملية إعفاء الخزرجي تمت «على السكيت». فقد ورد الخبر ضمن سياق خبر آخر يتعلق بتخريج دفعة من الضباط والجنود، نشرته جريدة القادسية التي تصدرها القوات العراقية المسلحة، جاء فيه أنَّ الحفل رعاه رئيس الأركان الجديد الفريق حسين رشيد، دون أن تشير إلى مصير رئيس الأركان السابق...!

في الأرض المحتلة طعن فلسطيني حارس سجن جنين الإسرائيلي (وهو درزي)، وخمسة شباب قاموا بعملية تسلل من الأردن، فاصطدموا مع القوات الإسرائيلية وقتلوا ضابطًا إسرائيليًا، بينما قتل أحدهم وأسر الباقون.

الإفراج عن الرهائن/الضيوف في العراق مستمر.. وحسب المزاج، اليوم أفرج عن خمسين رهينة (عشرين ألمانيًا وخمسة عشر إيطاليًا وعشرة هولنديين وخمسة بريطانيين) كما أفرج عن ٢٤١ بولنديًا.

وهناك عشرة نساء بريطانيات في طريقهم الليلة إلى بغداد من بريطانيا لطلب الإفراج عن ذويهم المحتجزين في العراق.

منذ أيام بلغني أن مدنيين عراقيين يدعون أنهم من قبل السلطات الحاكمة، وهم بالملابس المدنية، ويوزعون على بعض البيوت -قلت: بعض البيوت- أوراقًا تتضمن أسئلة عن عدد أفراد الأسرة التي تعيش في كل بيت أو شقة، وأسمائهم وأعمارهم... يعني استمارة بيانات، ورق مطبوع بطريقة الاستنساخ على آلات استنساخ. ويقول الموزعون لهذه الأوراق، ويكونون عادة اثنين اثنين، بأن على كل بيت أن يملأ هذه الاستمارات ويسلمها للمخفر... وإن الغرض هو إجراء عملية إحصاء للسكان!...

لكن هناك شكًا في صحة هذه العملية... لأن مثل هذه العملية يجب أن تتم بطريقة المسح الجغرافي، بمعنى أن تجري عملية تمشيطة لكل منطقة لهذا الموضوع لكي تتم عملية الإحصاء بشكل دقيق... فالإحصاء مرتبط بدقة تنفيذ العملية كلها، وإلا فهذا ليس عملية إحصاء حقيقية لأن العملية تتم بشكل عشوائي متخلف بعيدة كل البعد عما يمكن أن يسمى إحصاء... فنحن في البيت لم نتسلم مثل هذه الأوراق، بينما تسلمها جارنا مازن حماد، كذلك حصل لأقارب وأصدقاء لنا، فقد تسلموا مثل هذه الأوراق، غير أن جيرانًا لهم لم يعلموا بها..

وأطرف ما سمعته في هذا الخصوص، من الصديق علي الذي جاؤوا إليه ثلاث مرات وسلموه في كل مرة أوراقًا من نفس النوع (يا أخي الجماعة خيرين وكرماء وزيادة الخير... خير) فقال علي إن رجلاً كويتيًّا تسلم مثل هذه الأوراق مرتين (جاؤوا بيته مرتين وأعطوه من هذه الأوراق مرتين) زوجته خافت أن تكون العملية جديدة، فطلبت منه أن يسلم هذه الأوراق بعد أن يملأها بالمعلومات اللازمة إلى المخفر كما طلب موزعوها. ذهب الرجل إلى المخفر، قابل الضابط المناوب «ملازم أول» الموجود في تلك الأثناء بالمخفر وسلمه الاستمارات... استمارات الإحصاء... فسأله الضابط الملازم أول عن هذه الأوراق وعما يريده أن يفعل بها، فأجاب صاحبنا بأن موزعيها من رجالكم طلبوا منا أن نسلمها إليكم، استغرب الضابط... وسأل مساعدًا له يجلس على طاولة خلفه: «هل لك علم بهذا الأمر؟» وبعد أن

تفحصها المساعد، أجاب بأنه لا يدري عنها شيئاً. طلب الضابط من الرجل أن ينتظر قدوم الأمر (يعني الضابط الأعلى مرتبة والمسؤول عن الموقع) فجلس الرجل منتظراً، بعد حوالي ساعة ونصف... لم يأت الأمر، سأل الرجل ماذا عساي أن أفعل.. أجابه الضابط انتظر قليلاً.. انتظر ساعة أخرى... ولم يشرف جناب الأمر... عندها طلب الرجل أن يسمحوا له بالعودة إلى منزله، وأعطاهم رقم هاتف منزله لإعلامه حول هذا الموضوع، فقال له الضابط: «لا بأس.. سوف نتصل بك».

عاد الرجل إلى منزله ولم يتصل به أحد بعد (الحادثة حصلت منذ خمسة أيام) الذي نخشاه هو أن يكون هؤلاء ممن يبحثون عن البيوت الخالية من أصحابها بسبب وجودهم في الخارج، أو بسبب مغادرتهم للبلاد، خوفاً أو هجرة، لكي يتم السطو عليها. يقال إن الأسواق نهبت، ولم يعد هناك ما يسرق. الآن بدأ دور نهب البيوت، وقد بدأ ذلك بالفعل... فمعلوماتنا تقول إن بيوتاً كثيرة قد نهبت من مناطق مختلفة في الكويت.

للعلم فإنَّ التقديرات.. وهي ليست دقيقة.. أن عدد الكويتيين الموجودين في الكويت قد يبلغ حوالي مئتي ألف نسمة، وأن الفلسطينيين يزيد عددهم عن المئة والسبعين ألفاً، وهناك ما يقل عن المئة ألف من جنسيات عربية وآسيوية، أي أنَّ مجموع من هم في الكويت من المواطنين والمقيمين لا يزيد على نصف مليون تقريباً في الظروف الراهنة.

ومعلوم أنَّ الكويتيين قد بلغوا في آخر إحصاء تم منذ أقل من سنتين حوالي ست مئة وخمسين ألف كويتي، يضاف إليهم حوالي ربع مليون ممن يسمون الـ«بدون»، أي الذين لا يحملون أية جنسية، أو لا يعلنون عن جنسيتهم التي يحملونها. وأن عدد العرب والأجانب الذين كانوا يقيمون ويعملون في الكويت قد بلغ أكثر من ثلاثة أرباع المليون نسمة...

(السبت ١٠/١١/١٩٩٠) قررت بدءاً من اليوم أن أعود إلى الكتابة في هذا الموضوع عندما تكون هناك أخبار مهمة فقط، أو أن أكتب المهم منها بشكل أسبوعي، فالموضوع ذو أهمية كبرى، لكن أخبار الأيام الأخيرة، بل يمكن القول إن أخبار الأسابيع الأخيرة أصبحت إلى حد كبير متكررة.

التصعيد الكلامي من قبل طرفي النزاع مستمر بشكل أو بآخر، سواء التصعيد في اللهجة العسكرية أو في الحديث عن الحلول السلمية التي نسمع أنّ الكل متهافت عليها، إلا أنّ أحدًا لا يعطي أي مؤشر إلى استعداده التنازل عن بعض مطالبه في سبيل الجلوس إلى طاولة المفاوضات.

أمّا عن سير الحياة في الكويت في ظل الأوضاع والظروف غير العادية، أي في ظل الاحتلال العراقي لهذا البلد، فإنها تسير بشكل أو بآخر... لا شك أنّ هناك ندرة في المواد الغذائية، ولا تتوفر الفواكه... لا الموسمية ولا غيرها إلا ما ندر. الجمعيات التعاونية أصبحت شبه خالية من المواد الغذائية والمنزلية، ولم يعد يوجد فيها إلا بعض المواد الشحيحة التي ليست للأكل أو الشرب.

وعلى جوانب عدد من الطرقات، وفي مناطق معينة، فتحت أسواق... لا يمكن وصفها بالأسواق الشعبية التي ارتبط اسمها في هذا البلد بشكل معين من الأسواق.. لكن هذه عبارة عن سيارات، معظمها سيارات خصوصية، يحمل صاحبها فيها بعض المواد، التي يمكن أن تكون مخزنة في بيته لاستعماله الشخصي له ولعائلته، لكن الزمن جار... واضطر إلى بيع ما احتفظ به من قوت عياله من أجل الحصول على بعض النقود لشراء شيء آخر يحتاجه!

ومن المؤكد أنّ هناك كثيرين ممن يتاجرون في هذه المواد، يشترونها من مخازن لم تمتد إليها يد النهب، فيبيعها صاحبها بأسعار متدنية بقصد إنقاذ ما يمكن إنقاذه إلى أناس قادرين على بيعها في مثل هذه الأسواق. وهناك البعض ممن استطاعوا إنقاذ بعض بضائعهم من مخازنها، وخاصة المواد الغذائية، ونقلوها إلى سرايب بيوتهم، وصاروا يبيعونها إلى البائعين بالمفرق المتجولين، أو إلى الأقارب والمعارف.

أهم أخبار الأسبوع الأخير في جولة وزير الخارجية الأمريكية بيكر، والتي شملت البحرين والسعودية ومصر وموسكو وباريس ولندن، وكان قد قابل في مصر وزير خارجية الصين، والتي لم تسفر عن نتائج واضحة... ففي الوقت الذي أعلن أنّ هدف الجولة هو التأكد من أنّ الدول المعنية العربية، والدول الكبرى الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي، لا

يمانعون استصدار قرار جديد من مجلس الأمن يتيح المجال لاستخدام القوة العسكرية لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت... فإنّ مواقف الصين والسوفييت وفرنسا لم تكن كما تتمنى أمريكا، فالثلاثة، هم أعضاء دائمون في مجلس الأمن، كانوا متحفظين بخصوص استخدام القوة العسكرية.. وأنهم يفضلون أن يكون اللجوء إلى الحل العسكري بعد استنفاد كافة سبل الحل السلمي...

إعلان الرئيس الأمريكي بوش عن قرار بإرسال قوات إضافية إلى منطقة النزاع في الخليج كان من الأخبار المهمة. وفي نية أمريكا إرسال حوالي مئتي ألف جندي أمريكي لينضموا إلى القوات الأمريكية والمتعددة الجنسيات في منطقة الخليج، ليصبح عدد القوات الأمريكية وحدها أكثر من أربع مئة ألف جندي أمريكي متمركزة في الأراضي السعودية وفي دولة الإمارات والبحرين.

(الأحد ١١/١١/١٩٩٠) كتبت أمس أربعة رسائل لأرسلها إلى أبنائنا الثلاثة، وإلى ناديا ولبنى، وها نحن ننتظر من يحملها لكي ترسل إليهم من عمّان. ومن المحتمل أن نسلّمها إلى العزيزة ريم أبو لغد، المسافرة إلى الأردن مع والدها يوم الخميس القادم، لتقوم بإرسالها من هناك إلى عنوان والدي ناديا في ألمانيا.

وقبل إرسال الرسائل، تلقينا مكالمة هاتفية من مركز برق وبريد حوّلي ليلبغنا بأن برقية وصلت باسمي، وينبغي أن أذهب إلى هذا المركز لتسلمها. وتسلمنا البرقية، وكانت من يزيد الذي أفادنا بأنهم جميعًا بخير وقلقون علينا، وأن شقيقه بشار معه في «دوسلدورف» بألمانيا، وأن بلال أيضًا بخير وعلى اتصال معه.. وسلامات.

وفي المساء خابرننا الصديق مثقال، الذي سافر إلى بغداد ليومين، وكنا رجونا أن يتصل ببيت والدي نادي في ألمانيا للسؤال عن أخبار الشباب وأخبار ناديا ولبنى، فقال إنه تكلم أولاً مع والدة ناديا، وبصعوبة بالغة أفهمها أنه سيتصل مرة أخرى بعد ساعتين، وهكذا فعل، فإذا بيزيد على الخط، حيث كان عند زوجته ومع ابنته يمضي عطلة نهاية الأسبوع عند هالة، وأن أخباره جيدة والحمد لله. وذكر أنه من المحتمل أن يجد بشار عملاً في ألمانيا،

وأن يزيد سيبقى في ألمانيا حتى أوائل العام القادم، يعود بعدها إلى منطقة الخليج بهدف افتتاح مكتب للشركة في دولة البحرين أو دولة الإمارات العربية المتحدة... إذا لم تنفرج الأحوال هنا في الكويت ليعود إليها!

الجار مازن حماد حمل أمتعة بيته، وسيسافر مع الشاحنة غدًا صباحًا إلى الأردن، ودّعناه وتمنينا له التوفيق... وبأمان الله..

في حوالي الثانية والنصف كلمني الأخ صخر أبو نزار، ثمّ ياسر عبد ربه، وهما وصلا إلى الكويت منذ أمس للتعرف على مشاكل الجالية في ظلّ الأوضاع الراهنة والبحث عن حلول لها إن أمكن. وعلى الرغم من أنّ سفرهم أو عودتهم إلى بغداد كانت مقررة بعد حوالي ساعتين أو ثلاث من لحظة مكالمته لي، فإنّ أبو نزار أصر على زيارتنا قبل سفره، وفعل. حضر مع أبو محمد عوني بطاش، ومكثنا حوالي ثلاثة أرباع الساعة. وطرح موضوع البحث...

أبو نزار عضو لجنة مركزية لحركة فتح، ومقرّب جدًّا من الأخ أبو عمار.

مما قاله أننا وجدنا أنفسنا أمام حالة لم يكن ممكناً أن نوقفها، وكان يجب أن نتعامل معها، ولم يكن ممكناً أن يكون موقفنا إلى الجانب الذي يهيمن عليه ويسير به العدو الأمريكي، لأسباب تاريخية وسياسية بديهية. ونحن لسنا مع احتلال الكويت... لكننا أيضاً لسنا مع التواجد الأمريكي في المنطقة. وأن ما حصل، بغض النظر عن ظروف تطور الأحداث، وضع قضيتنا على طاولة البحث أمام مسؤولي العالم ومؤسساته الدولية.

ثم إنّ الموقف الذي اتخذته المنظمة، وهو موقف إلى جانب العراق في تصديه للعدو الأمريكي وتواجهه على الأراضي العربية، لم يكن إلاّ موقفاً معبراً عن التأييد الذي أبداه شعبنا في فلسطين المحتلة وفي الأردن للعراق ولرئيسه صدام حسين، الذين وجدوا فيه، بغض النظر عن صواب الموقف أو خطئه، فرصة لإنقاذهم من العذاب الذي يعيشونه يوميًا، وأملًا لتحطيم جدار الانتظار الطويل... وحبل المماطلة الممتد عبر هذا القرن.

وقال، نحن نعلم معاناتكم، ونعلم ما ترتب على هذا الوضع الجديد في هذه المنطقة، وتأثيره علينا كشعب وكثورة، خاصة انقطاع الدعم المالي الكبير الذي كان يتدفق من الكويت على أهلنا في فلسطين المحتلة، وعلى الثورة الفلسطينية... لكننا وجدنا أنفسنا مضطرين إلى الوقوف ضد الأمريكيين... فالقضية في النهاية قضية وطنية وقومية... بغض النظر عن أسباب حدوث الأزمة...

أضفت قائلاً: وبغض النظر، من وجهة نظركم، عن أسباب ومبررات هذا التواجد الأمريكي في المنطقة...!

لكني سألته عن هذا الأسلوب المتبع في تسيير الأمور في الكويت، هل هو موقف عدائي يراد منه إذلال الناس، أم أنه نتيجة لحالة التخلف التي يسير العراق بها أموره؟
أجاب: إنه التخلف.

قلت وكيف لدولة متخلفة، ولا تستطيع تسيير أمور بسيطة للناس، أن يكون في مقدورها الانتصار على هذه الحشود الرهيبة والمسلحة بأحدث الأسلحة، والتي تنتمي إلى أكبر وأكثر بلدان العالم تقدماً وحضارة؟

قال: هذا شيء والحرب ونتائجها، التي لا أحد يستطيع التكهن بها، شيء آخر.

قلت: إنني كنت أتمنى أن يحافظ على قوة العراق العسكرية، لأنها على أية حال هي قوة عربية، يهمني أنا العربي الفلسطيني، أن تبقى موجودة درعاً يحمي حقوقنا الفلسطينية والعربية، لكني أرى أنّ قيادة العراق تعرّض هذه القوة للدمار والفناء بغباء، لأنني على ثقة بأن العراق لن ينتصر في هذه المعركة. إنّ العزيز أبو نزار يعتقد بأن المؤامرة أكبر بكثير من تصوراتنا وتوقعاتنا وأنها من المحتمل أن تسفر عن تغييرات جغرافية لا يعلم إلا القليل شكلها ومداها في منطقة الشرق الأوسط كله. وأن هدف أمريكا هو احتكار السيطرة على نفط المنطقة والتحكم في أسعاره وتوزيعه... وهذا ما يزعج معظم دول أوروبا واليابان

الذين لا يريدون هيمنة أمريكا على هذا الأمر، لأنهم يفضلون التعامل مع العرب على أن يتعاملوا في هذا الشأن مع أمريكا.

كما أنه يعتقد أن أمريكا لم تكن تتوقع من العراق أن يقوم باجتياح الكويت كلها، وكان الاعتقاد السائد هو أن العراق سوف يحتل أجزاء شمالية من الكويت، يجري التفاوض عليها... ثم يتم ترتيب الأوضاع وتسوية الخلاف... لكن احتلال كل الكويت غير المتوقع أربك الإدارة الأمريكية...

قلت له أخيراً، وقد كان الوقت قصيراً للغاية، يا أبا نزار، إنَّ التاريخ علّمنا أن الدكتاتورية لم تخلف لشعوبها أو لغيرها من الشعوب سوى المآسي والمصائب والدمار وخراب الأوطان الكبيرة والصغيرة، أي البيوت...!

على أية حال فقد سعدت بلقاء الصديق صخر... وذكرني باللوحات التي تم إنقاذ معظمها في بيروت من الدمار الذي نزل بمعظم مؤسساتنا الفلسطينية، وكان من أهمها اللوحة الجدارية الكبيرة «المسيرة» (لوحة تحكي قصة فلسطين بطريقتي وأسلوبتي، وقد رُسمت عام ١٩٨٠ على قماش، مقاسها ستة أمتار عرض بارتفاع متر واحد).

وكان الأخ أبو نزار آنئذ أمين سر المجلس الثوري لحركة فتح، وكان للمجلس مقر في حي «الثورة الفلسطينية» ببيروت، تولى تنظيمه وترتيبه أبو نزار. وهو بالمناسبة مهندس جيولوجي، مولع بالفن ومحِب للفنانين، وكنت وقتئذٍ، ولا زلت أمين عام اتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين، ومسؤولاً عن «دار الكرامة» التي ساعدني أبو نزار، وزملاء لي، في تأسيسها كقاعة عرض ومنتدى ثقافي في ذلك الحي. واتفقت مع أبو نزار وقتئذٍ على أن يقوم المجلس الثوري لـ«فتح» باقتناء عمل أو أكثر من كلٍّ معرض يقام في «دار الكرامة» فتجمّع لدى مقر المجلس عدد من اللوحات، منها لوحتان لي من مجموعة «تل الزعتر» بالإضافة إلى اللوحة الجدارية «المسيرة» التي كانت معلقة في قاعة الاجتماعات برسم الإعارة.

عندما بدأ الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وبدأت آثار الغزو والدمار تحطم مبانينا ومكاتبنا ومقرّاتنا... فانهار المبنى الذي كان يتألف من ثمانية طوابق، والذي كانت «دار الكرامة» تشغل فيه الطابق الأرضي... اتصل بي أبو نزار وقد أصر على ضرورة إنقاذ اللوحات من مكان وجودها... وخاصة اللوحة الجدارية. قمت مع زملاء لي، وفي عملية خطيرة جدًّا، بإنقاذ أكثر من ثلاث مئة لوحة كانت مخزنة في «دار الكرامة»، وأنقذ أبو نزار الجدارية ولوحات أخرى...

في زيارته لي أمس قال: «من سينقذ اللوحات هذه المرة...؟» قلت في نفسي «أولئك الذين يتشددون بأنهم أبناء حضارة عمرها ستة آلاف سنة...!».

الخبر الثاني والمهم أيضًا هو خطاب مهم وجهه الملك الحسن الثاني، ملك المغرب إلى القادة العرب، وعبرهم إلى جماهير الشعوب العربية، بأنه خطبة الوداع والإنذار الأخير لإنقاذ الموقف، ودعوة لإيقاف قرع طبول الحرب وانتزاع فتيل إشعالها.

قال ما مفاده إنَّ الحرب إن نشبت فستحصد الأخضر واليابس. وإن الحرب لا تفرق بين الظالم والمظلوم. ودعا إلى اجتماع قمة عربية عاجلة على أساس قرارات المجتمع الدولي. وأنه «من غير الممكن أن يشطب بالقلم بلد مثل الكويت، وتنتزع هوية أهلها ويتغيرون من كويتيين إلى عراقيين» (...). وقال: «لعلنا نتمكن من إيجاد فسحة نستطيع منها الولوج إلى حلم مشكلة الخليج، ثم نبادر بعدها إلى قضايانا العربية الأخرى، وعلى رأسها قضية تحرير الأراضي العربية المحتلة والقدس».

وقال: «إن فشلنا في التوصل إلى حل، فسنكون قد أرحنا ضمائرنا بأننا قد حاولنا كلَّ ما نستطيعه».

ورحَّب بانعقاد المؤتمر في بلاده خلال أسبوع، أو في أي بلد يرتئيه زملاؤه القادة العرب وأنه سيحضره أينما يعقد المؤتمر.

في نفس اليوم أعلن العراق عن عدم موافقته على حضور هكذا مؤتمر.. إلا إذا أعد له بشكل يضمن نجاحه.

(الجمعة ١٦/١١/١٩٩٠) مضت الأيام القليلة السابقة منذ آخر ما كتبت والأخبار تدور حول ردود الفعل التي أحدثها خطاب الملك الحسن... وجرت تحركات كثيرة بهذا الخصوص. الرئيس المصري حسني مبارك طار إلى ليبيا في زيارة لم يعلن عنها من قبل، ثم طار إلى دمشق وأمضى فيها يومين في مباحثات مع الرئيس السوري حافظ الأسد...

هناك خمس دول عربية رحبت بمؤتمر القمة وكان أولها فلسطين، التي تمنى أن تتخذ الإجراءات اللازمة لضمان نجاحها، ثم وافقت السودان وموريتانيا واليمن والأردن...

العراق بعث باثنين من كبار مسؤوليه، سعدون حمادي وطه ياسين رمضان، في جولة بالدول العربية، الأول زار الأردن ثم ليبيا والثاني طار إلى المغرب ثم الجزائر وتونس. خلاصة الموقف العراقي هو أنه يشترط لعقد هذا المؤتمر إدراج كافة قضايا المنطقة في جدول الأعمال، ثم أضيف بعد يوم شرط آخر جديد وهو طلب إلغاء كافة قرارات مؤتمر القمة العربي السابق الذي عُقد في القاهرة إثر احتلال العراق للكويت..

المملكة العربية السعودية من جهتها، وفور إعلان الموقف العراقي المطالب بإلغاء قرارات مؤتمر القمة العربي السابق، قالت على لسان وزير خارجية السعودية سعود الفيصل في أبو ظبي، الذي كان يحمل رسالة من الملك فهد إلى الشيخ زايد، إن عقد مؤتمر قمة في مثل هذه الاجواء التي لا توحى باستعداد العراق للانسحاب من الكويت سيكون مضيعة للوقت. واعتبر موقف السعودية رافضاً لعقد المؤتمر إلا إذا أعلن العراق صراحةً أنه على استعداد للانسحاب من الكويت.

مصر وسوريا والكويت أعلنت رفضها لعقد هذا المؤتمر إلا إذا استعد العراق لتنفيذ قرارات مجلس الأمن والقمة العربية الأخيرة...

الاتحاد السوقييتي وجد في مبادرة الملك الحسن فرصة يجب تشجيعها، فبعث الرئيس السوقييتي باثنين من كبار المسؤولين في وزارة الخارجية السوقييتية إلى الدول العربية، الأول وهو فلاديمير بتروفسكي بدأ جولته في المغرب وقابل الملك الحسن... وصرح فيها بأن على العراق أن ينسحب من الكويت، وهو سيتوجه بعدئذ إلى كل من الجزائر وتونس وليبيا، أما زميله ألكسندر بيلينيكوف فقد بدأ من اليمن، ثم مصر وبعدها سيتوجه إلى السعودية وإلى سوريا.

بدأت مساء أمس أكبر مناورات عسكرية أمريكية سعودية مشتركة في الأراضي السعودية، وقرب الشواطئ السعودية الكويتية، اشتملت على عملية إنزال بحري... واشتركت في العملية أكثر من ألف طائرة حربية من مختلف الأنواع، ونحو عشرين سفينة حربية. العراق اعتبر هذه المناورات بمثابة عمل استفزازي عسكري ضد العراق.

مزيد من القوات الأمريكية التي أعلن عن ضرورة إرسالها إلى المنطقة بدأت تصل بالفعل، ومن المتوقع أن يصل عدد القوات الأمريكية وحدها خلال أسابيع قليلة إلى أكثر من أربع مئة ألف جندي.

في فلسطين أحيا الشعب الفلسطيني أمس الذكرى الثانية لإعلان الدولة الفلسطينية رغم كل المعوقات التي وضعتها السلطات الإسرائيلية والاحتياطات الاحترازية في وجه هذه الاحتفالات، وما يمكن أن تسفر عنه من هياج. فقد رفعت أعلام فلسطين في كثير من المدن والقرى والمخيمات... ودارت حلقات الرقص الشعبي على أنغام الأغاني الوطنية، ونثرت الفتيات في بعض المدن الزهور احتفاءً بهذه المناسبة... وتقول معظم الإذاعات أنه جرى الاحتفال بهذه المناسبة بشكل لم يسبق له مثيل.

مسألة تلبية طلب المرأة من السعودية لقيادة السيارة في الأراضي السعودية لا تزال تُحدث ردود فعل داخلية وخارجية، ولم تستجب وزارة الداخلية السعودية لهذا الطلب بعد أن قال الدين كلمته في هذا الخصوص على لسان عدد من الشيوخ والفقهاء في السعودية.

في هذه الأثناء العمل مستمر لتنفيذ مشروع بيروت الكبرى، والذي سيضم منطقة تمتد من نهر الكلب شمالاً إلى نهر الدامور جنوباً، وتحدها من الشرق بلدة عاليه. انسحابات المليشيات اللبنانية من هذه المنطقة مستمر، على أن يكتمل قبل التاسع عشر من الشهر الجاري، فهو اليوم المحدد لبسط الشرعية نفوذها على هذه المنطقة. وستبلغ مساحة بيروت الكبرى حوالي ٦٥٠ كيلومتراً مربعاً، بينما كان في السابق حوالي أربعين فقط.

الفلسطينيون في منطقة صيدا أعلنوا أنهم على استعداد لتسليم مواقعهم في إقليم التفاح الذي يسيطرون عليه إلى الجيش اللبناني.

ذكرت الأخبار أنّ مرض الكوليرا منتشر في شمال لبنان، وفي منطقة طرابلس بالذات، مما يستدعي العمل سريعاً على تجنب الناس المرهقين، بعد ستة عشر عاماً من الحروب الأهلية وغيرها، ويلاط مثل هذا الوباء...! ناقصهم!

قبل ثلاثة أيام اتصلت صديقة تمام أم محمد (زوجة عوني بطاش) اتصلت مساءً مودعة، وتطلب منا إن كنا نريد أي شيء من عمان، لأنها متوجهة هي وزوجها ومن تبقى من أولادها في الكويت إلى عمان «في إجازة لمدة أسبوع»، كما قالت. شكرتها تمام وتمنت لهم رحلة موفقة.

في اليوم التالي علمت بأن أمراً قد صدر عن «حاكم المحافظة» علي المجيد يطلب من أبو الأديب (سليم الزعنون) وأبو محمد (عوني بطاش) وأبو زياد (رفيق قبلاوي) مغادرة العراق... أي مغادرة الكويت...! في نفس اليوم سمعت خبراً، تؤكد فيما بعد، أن السلطات العراقية أعفت علي حسن المجيد، وهو كما ذكرت سابقاً وزير في الحكومة العراقية وابن عم الرئيس صدام، أعفته من مهامه كمحافظ للكويت واستبدلت به عزيز صالح نعمان، محافظاً جديداً للكويت.

أبو الأديب وأبو زياد لم يسافرا، ووصلت برقية على الجهاز لأبو الأديب تطلب منه فيها البقاء في الكويت، وأن كافة «الإخوة والسيد الرئيس» يبلغونكم التحية والتقدير. لم يعلم

إن كانت التحية هي تحية الرئيس أبو عمار أم تحية الرئيس صدام.

أول أمس مساءً ظهر أبو عمار على شاشة تليفزيون العراق في مقابلة معه، تحدث فيها عن الأزمة الراهنة قائلاً إنه يرى القدس أقرب إليه مما كان يراها سابقاً، وطالب بضرورة الربط بين قضايا المنطقة...!

تساءلت: لماذا إذن رحبنا بمبادرة الملك الحسن ووافقنا على عقد مؤتمر القمة المقترح، والذي سينعقد كما قال الحسن على أساس مقررات المجتمع الدولي...؟

وكيف يطالب رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين... ويقف إلى جانب النظام العراقي الذي يرفض تنفيذ قرارات المجلس المذكور المتعلقة بالكويت...؟

(السبت ١٧/١١/١٩٩٠)... وهكذا تمر الأيام بطيئة، ثقيلة، دونما طعم للحياة... نأكل ونشرب ليس لكي نبقى أحياء وحسب... بل لكي نظل أوصحاء. نغلي الماء الذي نشربه ونغسل جيداً الخضراوات... إن وجدت.. قبل أكلها... ونقشر حبات البرتقال الأخضر الصغير الحجم التي صارت تهرب إلينا من لبنان والأردن، ويقال إنها من العراق، كذلك صار يوجد في محال بيع الخضراوات والفواكه أحياناً نوع من التفاح (ووجد الموز منذ يومين ولكن كلّ دزينة (١٢ حبة) بثلاثين ديناراً... ولم نشتر منه بالطبع)، والتفاح صغير الحجم أيضاً، نقشره من أجل تجنب الإصابة بالمرض لا سمح الله... فلا المستشفيات هي تلك المستشفيات التي كانت... ولا هي تحتوي على ما كان فيها من قبل من المعدات والأجهزة والأدوية، وكثير من الأطباء الأكفاء غادروا ويغادرون الكويت... ويا رب الستر...

ويتساءل الجميع إلى متى سيستمر هذا الحال؟ هذا على الرغم من أنّ معظم الناس الباقين في الكويت، كويتيين وفلسطينيين، قد ملوا هذا الوضع... وملوا سماع ومتابعة الأخبار...

وصار كل واحد منا يبحث عن عمل ما... ليشغل فيه نفسه، لكي نمرر هذا الوقت الضائع الطويل من حياتنا، ولكي لا نتفوق داخل هذا القهر الذي نعيشه... ونموت.

هذا يقرأ.. إن استطاع التركيز والاستيعاب... وذاك يعمل في حديقة داره ليحافظ على ما تبقى بها من نباتات وشجيرات وأشجار خضراء... وآخر يعد جزءًا من الأرض مهما كان صغيرًا، إن كان متيسرًا، قرب بيته ويزرعه بالخضراوات البسيطة التي يحتاجها كل بيت... كالبقدونس والفجل والبصل والجرجير والخيار.

وهذا ما فعله شقيقي جمال الذي استصلح مساحة تقدر بحوالي 1.5×12 مترًا، وقد قام رائد ابن الشقيقة إنعام وابن العم أمين بعمل شيء مماثل ولكن في مساحة أصغر في ساحة الدار التي يسكنون فيها...!

آخرون راحوا يعملون في المتاجرة.. فمن ناحية هم يشغلون أنفسهم، ومن ناحية أخرى يكسبون رزقهم.. وبالطبع تحدث كثير من عمليات الاستغلال في ظل انعدام السلطة المراقبة... والشاطر بشطارته، أو بالأحرى بشراسته! وهناك، دون شك، من هم يعملون لحاجتهم، ليس للعمل فحسب، بل لتأمين لقمة الخبز... بعدما انقطع مورد رزقهم بسبب الأحداث... وهم ليسوا فلسطينيين فقط بل منهم كويتيون وقليل غيرهم!

تسأل.. فيجيب الجميع بقولهم: «لم نعد نسمع الأخبار»... لقد أنشأت هذه الأزمة «اللغز» (كما سماها أمس لطفي الخولي) عداوة بيننا وبين المذيع والتلفاز ليس من اليسير زوالها...

ويقولون: «كانت الصداقة قد نشأت بيننا وبين المذيع والتلفاز عندما كنا نؤمل أن يحملنا لنا خبرًا مهمًا.. كنا موعودين به.. أو كنا وعدنا أنفسنا به، لكن الخبر لم يصلنا بعد.. انتظرنا إلى أن ملَّ الانتظار من طول انتظارنا..»، وهم، على ثقة بأنَّ الخبر سيبيث وسيذاع يومًا ما.. لكن المشكلة التي أحدثت الخصام فيما بينهم وبين المذيع والتلفاز تكمن في تأخر حدوث الخبر.. هو ذلك الخبر الذي ينتظرون..

هل كانت الحسابات خاطئة...؟ إنَّ الأغلبية توقعَت الخبر أن يبيث ويذاع خلال أيام أو أسابيع...!

اليوم يقولون وهم يجيبون بأن الحسابات كانت خاطئة، لأن الحسابات تمت على أساس الإلمام ببعض البديهيات البسيطة والتي مفادها أنه في مثل هذه الظروف، ظروف النهج الجديد للتعايش فيما بين الدول الكبرى، أو الدول الصناعية المهيمنة على العالم الاستهلاكي، لا يمكن أن يسمح لدولة من دول العالم مهما كانت قوتها أن تبتلع دولة أخرى وتزيلها من الوجود. مبدأ بديهي بسيط.. وتاريخنا المعاصر يؤكد ذلك. لم يحدث منذ الحرب العالمية الثانية أن أبيدت دولة ما أو أزيلت من الوجود!

لقد حدث اندماج أو ذوبان دولة في أخرى، ولكن عن طريق التفاهم والاتفاق... أي توجد دولتان في واحدة بموجب اتفاق البلدين... الشعبين والحكومتين.

هذا ما حصل في التاريخ الحديث بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وبين الألمانيتين وبين اليمّنين حديثاً... ويحصل الآن فيما بين الكوريتين. وإلى جانب ذلك حدث أيضاً تفسخ دول... فالباكستان صارت دولتين، ودول إفريقية أخرى تفسخت إلى عدة دول مثل الكونغو... وهذه يوغوسلافيا تتجه إلى هذا... ولكن باتفاق الأطراف المعنية.

إسرائيل التي قامت على غير الحق وبالقوة والقهر الاستعماري البريطاني للشعب الفلسطيني، وبتأمر التحالف الإسرائيلي مع أكبر قوة في العالم، بريطانيا أولاً ثم أمريكا اليوم، لم تستطع إلغاء وجود شيء اسمه فلسطين، ولا إبادة شعب اسمه الشعب الفلسطيني.

فلسطين وفق القرارات الدولية موجودة رسمياً، وكرس هذا الوجود نضال الشعب الفلسطيني من خلال منظمة التحرير الفلسطينية... وتحدث كل دول العالم عن الشعب الفلسطيني وحقه في العيش وإقامة دولته المستقلة، حتى إن أمريكا باتت تتحدث عن ذلك، ولا تنكر إسرائيل أنّ هناك فلسطينيين وأن من حقهم أن يتمتعوا بشيء من الحقوق...

إنَّ أمريكا التي وقفت في وجه كثير من قرارات الأمم المتحدة ضد إحقاق حقوق الشعب الفلسطيني تعترف بالشعب الفلسطيني وبأنَّ له حقوقًا سياسية ينبغي حصوله عليها...

إسرائيل... التي كانت تدَّعي في يوم ما قبل أكثر من عشرين عامًا بأنه «يوجد شيء اسمه شعب فلسطين» كما جاء على لسان رئيسة الوزراء الإسرائيلية في ذلك الحين «غولدا مائير»... تعترف اليوم أن للشعب الفلسطيني حقوقًا..

الحسابات قامت على هذا الأساس وعلى هذا المبدأ البسيط... وقيل وقتها إن اجتياح العراق لدولة الكويت أمر ممكن، وأن احتلالها ثم ضمها، أي إلغاء وجودها، أمر لا يمكن قبوله وسيترتب عليه نتائج خطيرة... لذلك توقعنا انسحاب القوات العراقية خلال أيام أو أسابيع على الأكثر...

لماذا إذن تأخر الانسحاب؟

أمس كانت هناك مقابلة بثتها إذاعة لندن مع الكاتب والسياسي لطفي الخولي، الذي قال عند تناوله أزمة الخليج: «هذه الأزمة للغز». وعندما يصف كاتب معروف مثل الخولي أزمة الخليج على أنها «لغز» فهو إذن مثلنا، اكتشف أخيرًا أن هناك لغزًا حال ويحول حتى الآن دون عودة الكويت الدولة المستقلة بعد انسحاب القوات العراقية المحتلة.

أول الأسباب التي أدت إلى تأخر انسحاب القوات العراقية من الكويت هو اقتناع النظام العراقي بأن القوات الأمريكية، ومن معها من القوات المشتركة، والتي أحضرت للمنطقة لن تحارب...

هل كان من الممكن تلافي هذه الأزمة، أو على الأقل هذا التصعيد، سريع الإيقاع جدًّا، الذي حدث على المستويين السياسي والعسكري، لو أنَّ حكماء العرب... إن وُجدوا في هذا الزمن العربي الرديء... وإن وجد من يستمع إليهم... لو أنهم حاولوا فهم طبيعة البشر، وتحديدًا، فهم طبيعة رجل ذي صفات غير عادية كصدام حسين والتعامل معه بما يضمن عدم

الوقوع في هذا «المقلب الأمريكي» وحل مشكلاتنا العربية في بيتنا العربي... المهترئ الأركان...؟

من الممكن القول إن رئيس النظام العراقي هو الآن في وضع لا يُحسد عليه، فهو من ناحية لا يستطيع التراجع أمام تعهداته التي قطعها عن احتلال الكويت تحت تهديد العالم كله، وحصاره له... دون حفظ ماء وجهه... وهو لا شك يخشى الحرب مهما بالغ إعلامه بأنه لها... لها كيف؟

هو إذن في مأزق... فكيف يتسنى له الخروج منه؟ وهل يمكن له الخروج منه سالمًا على الصعيد الشخصي والوطني والقومي؟
والأنظمة العربية بشكل عام في مأزق...

وشعوب العرب... هذه الأمة المجيدة... ذات الرسالة الخالدة... مساكين.. المتحمسون منهم لمقاتلة أمريكا لا يملكون لمقاتلتهم سوى الدعاء... والله سبحانه وتعالى... والنعم بالله...! وأمرًا هيئًا... خاصة عندما يتردد رئيس... كرئيس الدولة الكبرى أمريكا في إصدار أمر الحرب.. وتردده ليس عبثًا، فله مبرراته.

إنّ الخروج من المأزق يمكن أن يتم عن طريق واحد من حلول ثلاثة.. حل عراقي، أو حل عربي - دولي، أو حل عسكري تقوده أمريكا.

الحل العراقي يمكن أن يتم عن طريق افتعال أسباب وإيجاد مبررات تجعل الرئيس العراقي يتخذ قرارًا بالانسحاب... لأسباب معقولة... أو غير معقولة!

الحل العربي - الدولي، وهو حل سياسي أو دبلوماسي أو سلمي (وأنا لا أعرف الفرق ما بين هذا وذاك). عقد مؤتمر قمة عربي كالذي اقترحه الملك الحسن، أو صدور تعهد عن مجلس

الأمن الدولي، كما اقترح أمس مستشار الرئيس السوقييتي يفغيني بريماكوف، يتعهد بأن يبدأ مجلس الأمن الدولي ببحث كافة قضايا المنطقة، وعلى رأسها قضية فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، وذلك فور انسحاب القوات العراقية من الكويت، ثم يقوم العرب بإكمال الباقي.

الحل العسكري، وهو حل لا يتمناه أحد باستثناء ثلاثة متحمسين له: الشيخ جابر، والرئيس الأمريكي، وإسرائيل.

ويمكن للمرء أن يتفهم دوافع الشيخ جابر...

وللرئيس الأمريكي مبرراته التي لا تخفى على عاقل... إنَّ أمريكا تريد تدمير قوة العراق العسكرية التي صارت قادرة على أن تزعج طرفين مقدسين بالنسبة إلى الغرب هما النفط وإسرائيل.

إسرائيل تتمنى الحرب، فهي تنتعش في قيام حروب خارج حدودها، وفي البلدان العربية تحديداً، ففي ظروف قيام حروب عربية بعضها ضد بعض، أو في حالات تهديد قائد ما بتدمير إسرائيل أو قصفها بالقنابل الكيماوية والبيولوجية وغيرها، تتمكن إسرائيل من زيادة وتطوير ترسانتها الحربية خشية دمارها... ويستجيب الغرب... وربما تجد الفرصة سانحة لقمص وابتلاع قطعة جديدة من أرض الوطن العربي... «المفدى»...

وهي وفي خضم قرقعة طبول الحرب أو أثناء قيام الحرب تتمكن من تحقيق حلمها في تدفق المزيد من المهاجرين اليهود السوقييت على إسرائيل... «أرض الميعاد».

الحل العسكري، إن وقع لا قدّر الله، سيكون ساحقاً ماحقاً ضد العراق بالدرجة الأولى، ولا بد من تأثيره على دول منطقة الخليج بشكل ما... ومن المحتمل جداً دخول إسرائيل المعمرة، فتقوم باحتلال الأردن، أو جزء منه، وستقلب الأوضاع في المنطقة رأساً على عقب، وستصبح المنطقة في حالة لا يعلم إلاّ الله كيف يصير شكلها.

ومن الممكن بعد أن تنتصر «القوات المتعددة الجنسيات» أن لا يعود العراق عراقًا واحدًا...

وينبغي في هذه الحالة توقع تغييرات جغرافية وسياسية واجتماعية في المنطقة كلها... وسيتم كل ذلك بالطرق الشرعية الدولية... ولن يكون لأحد صوت قادر على الوصول إلى مسامع أحد إلا من خلال قنوات اتصال محددة مراقبة... ودقي دقي يا ربابة... دقي عا فراق الحبابة!

(الأربعاء ٢١/١١/١٩٩٠) كان الصديق الشهيد والشاعر المعروف كمال ناصر قد نظم قصيدة عام ١٩٧٠ إثر أحداث عمّان يقول مطلعها:

ترلم ترلم ترلم

ترلم ترلم ترلم

جاء الباهي الأدغم

ذهب الباهي الأدغم

لا أذكر باقي القصيدة!

أتذكر هذه القصيدة في هذه الأيام، لأنها أيام تتشابه في بعض ملامحها، تلك الأيام التي كان الباهي الأدغم (وهو رئيس وزراء أو وزير خارجية تونس في ذلك الوقت) يقوم بجولات مكوكية في المنطقة لحل خلافات بين الفلسطينيين والأردنيين الرسميين.

في هذه الأيام كثر البواهي أو الأداهم (جمع الباهي وجمع الأدهم)، فلا يمضي يوم إلا وتسمع أن أحدهم غادر هذا البلد إلى ذاك حاملاً رسالة ذلك الزعيم أو هذا الملك... إلى مثيله هنا أو هناك في سبيل العالم العربي والعالم كله... وذلك من أجل المساهمة في إيجاد حل أو المشاركة في اجتماع أو مؤتمر بهدف الخلافات... والبحث عن وسيلة للخروج منها. لكن أولئك البواهي والأداهم ليسوا عربًا فقط، بل منهم أيضًا «الأصدقاء» والأصدقاء.

وكما لاحظنا في الأسابيع الأخيرة، تحرك عشرات المسؤولين العالميين الكبار من بلدانهم إلى بلدان أخرى، ومنها بالطبع بلدان منطقة الصراع والأزمة، في سبيل التعرف على جوهر القضية وتقصي الحقائق...

مضى أكثر من أربعين عامًا ومسألة التعرف على جوهر الصراع العربي الإسرائيلي وتقصي حقيقة الوجود الفلسطيني لا تزال مستمرة... هم يعرفون الحقيقة... ولكنهم يا أخي يريدون فقط أن يكونوا أكثر دقة في تلمسها والتأكد من صحتها وحقيقتها!

يا عمي جماعة تقصي الحقائق جماعة يؤمنون بأن السنين في حياة البشر لا تعني شيئًا.. المهم مسار الحياة البشرية على مدى القرون!

المهم أن نعود إلى موضوع أزمة الساعة، فالبواهي والأداهم «كترانين» (كثيرون)، فهذا بيكر، وزير خارجية أمريكا يتنقل من عاصمة إلى أخرى منذ بداية الأزمة، لكنه مثابر ولا يزال مستمرًا في مشواره... الله يعطيه العافية... حتى بوش الرئيس الأمريكي طار إلى أوروبا، وزار تشيكوسلوفاكيا، ثم ذهب إلى باريس للمشاركة في أعمال المؤتمر العالمي التاريخي «مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي»، حيث سيلتقي هناك عشرات الزعماء. وبعد ذلك سيقوم بزيارة بعض بلدان منطقة الشرق الأوسط، وسيمضي يوم عيد الشكر مع قواته في السعودية... الشكر لله... لعل الله يهديه وهو على الأرض المقدسة فيعتنق الإسلام ونهديه مصحفًا مذهبًا... مترجمًا...!

وزراء خارجية اليابان والصين والسوفييت وإنجلترا وفرنسا، وغيرهم كثيرون من الأجانب، ومن العرب يتحركون جيئة وذهابًا من أجل الأزمة... وكثيرون يزورون بغداد ممن لم ينقطع حبل الوصال بينهم، بين العراق وبين بعض الشخصيات الدولية والبلدان... والشاطر... وشطارته... منهم من راح إلى بغداد، وبحث في حل الأزمة...

آه يا عمي بحث... ثم عاد إلى وطنه ومعه بعض من أبناء وطنه «المستضافين في العراق رغم إرادتهم»... فهذا يعود ومعه عشرة... وآخر يعود ومعه عشرون أو أكثر قليلًا... والثالث

يعود، لأنه عدم المؤاخذه «شخصية ذات وزن»، مثل قبلي برانت المستشار الألماني
الأسبق، ومعه سبعون أو مئة وعشرون... حب «التقل» السياسي الذي يمثله هذا أو ذاك.

والحقيقة أنّ صدام ما صدم ولا فشل حدا... رجل كريم...!

أول أمس طيّر العراق خبرًا مهمًا مفاده أنّ العراق سوف يفرج عن كافة «الضيوف»
المحتجزين عنده على «وجبات» (كما ورد في التصريح الرسمي) بدءًا من الخامس
والعشرين من كانون أول (ديسمبر) بمناسبة عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة، وحتى
الخامس والعشرين من آذار (الهدار أبو الزلازل والأمطار) أي مارس... إلّا... إلّا إذا عكر جو
السلام في المنطقة ما يجعل العراق يوقف عملية الإفراج عن «الضيوف».

أمس طار خبر جديد من العراق يقول إن العراق قرر الإفراج عن كافة «الضيوف» الألمان
المحتجزين عنده فورًا... لأن علاقات العرب مع ألمانيا لم تكن في يوم من أيام التاريخ
المعاصر إلاّ علاقات حسنة -حسب قول البيان العراقي- فلماذا احتجاز الرهائن... أقصد
«الضيوف»... يا فرحة الألمان...

كانت علاقات مفتي فلسطين وزعيمها الشهير المرحوم الحاج أمين الحسيني جيدة مع
الألمان إبان حكم هتلر، عملاً بالقول المأثور «عدو عدوي صديقي» كذلك كانت لبعض
الوطنيين العراقيين علاقات ما مع الألمان في فترة ما يسمى بثورة رشيد عالي الكيلاني
المشهورة.

الرئيس العراقي، بإعلانه أنّه سيُفرج عن الرهائن الألمان، ثم عن كافة الرهائن... ظن أنه بهذا
الفعل إنما يضرب إسفينًا بين «الحلفاء في هذه الأزمة» وأنه سيتمكن من تفرقة هذا
التضامن العالمي الذي يقف في وجهه بسبب احتلاله وضمه الكويت... رجل ضريب أسافين
شاطر...!

وهو أعلن عن ذلك في وقت حساس جدًّا، وهو موعد انعقاد مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي في باريس، الذي يشارك فيه أربعة وثلاثون زعيمًا أوروبيًا إضافة إلى الرئيس الأمريكي والكندي.

من أهم وأبرز الحاضرين كلُّ من الرئيس الأمريكي جورج بوش والسوفييتي ميخائيل غورباتشوف والفرنسي فرانسوا ميتران والمستشار الألماني هلموت كول ورئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر وآخرين. ويحضر المؤتمر معظم وزراء الخارجية لهذه الدول المشاركة.

لكنني أشك في إمكانية تحقيق الرئيس العراقي هدفه، فالعالم، أو بالأحرى دول العالم وعلى رأسها الدول الكبرى، لم تقف في يوم من الأيام، ومنذ ما يقرب من خمسين عامًا أو ربما أكثر، متضامنة ومتفقة على أمر واحد مثلما هي عليه اليوم، فهي على اتفاق تام بأنه لا بد من انسحاب العراق من الكويت وعودة الشرعية والإفراج عن الرهائن.

إنهم يختلفون في تفاصيل تحقيق الهدف... لكنهم متفقون تمامًا على الهدف العام. منهم من يرى أن يعطى للحظر الاقتصادي، المفروض على العراق بقرار من مجلس الأمن الدولي، مهلة أطول لكي يؤتي أكله... ومنهم من يرى أن يحدد للعراق مدة زمنية محددة لكي يتم انسحابه من الكويت بدون أية شروط.

وفي حال استمرار العراق في إصراره على موقفه، الذي لم يتزحزح عنه منذ اجتياحه الكويت، بادعائه أنَّ الكويت هي جزء من العراق، وأنها أصبحت المحافظة التاسعة عشرة فيه، كما يقول، فإنه لا بد عندئذٍ من استخدام القوة العسكرية لتحرير الكويت.

وكان هذا المؤتمر بالنسبة إلى أمريكا فرصة عظيمة لكي تجري الاتصالات على مستوى الرؤساء ووزراء الخارجية، للحصول على ما دأبت أمريكا على الإشارة إليه عبر وسائلها الإعلامية في الفترة الأخيرة، وهو الحصول على الموافقة المبدئية للدول المتحالفة، وخاصة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، لاستصدار قرار جديد من مجلس

الأمن الدولي يتيح استخدام القوة العسكرية من أجل إجبار العراق على الانسحاب من الكويت، في حال عدم انصياعه لقرارات مجلس الأمن الدولي في هذا الخصوص.

النتائج المعلنة للمباحثات مع فرنسا ومع السوفييت والألمان لم تسفر عن إعطاء هذه الدول الضوء الأخضر للولايات المتحدة الأمريكية، الذي كان متوقعًا لاستصدار ذلك القرار في مجلس الأمن! لكنها في الوقت ذاته لم تقل أنها ترفض مثل هذه الأفكار أو المشاريع.

ماذا يجري إذن؟ هل العراق هو... الذي بإهدائه مسألة الإفراج عن الرهائن... كل الرهائن المذكورين سابقًا، وإطلاق سراح الرهائن الألمان.. مارس الضغط، غير المباشر، لإفشال المشروع الأمريكي المتعلق باستصدار قرار من مجلس الأمن يتيح استخدام القوة العسكرية؟

أم أن السوفييت والفرنسيين والألمان هم الذين طلبوا هذه الهدية ليتسلحوا بالحجج لإرجاء قضية استصدار القرار المشار إليه؟

أم أنّ معظم دول العالم، دول عربية وأوروبية وآسيوية، والتي تتمنى فعلاً عدم اللجوء إلى الحرب، أوحى بطرق مباشرة أو غير مباشرة بهذه الأفكار لإبعاد فرص اللجوء إلى مجلس الأمن لاستصدار ذلك القرار؟

العراق قرر زيادة عدد قواته إلى أكثر من أربع مئة ألف جندي من كافة أسلحة الجيش المختلفة... سلاح الدبابات والمدفعية والمشاة والجو... ويقولون إنّ العراق أعدّ لمفاجآت رهيبة... كاستعمال النفط المحمل في ناقلات ضخمة تقف في البحر بمحاذاة الشواطئ السعودية الكويتية، وأنه في حالة هجوم القوات متعددة الجنسيات المحتشدة في السعودية عبر البحر، فإنه سيجري تفجير هذه الناقلات لكي يتدفق النفط منها على الشواطئ التي يتوقع أن يتم الإنزال البحري للقوات الأمريكية والسعودية من خلالها، وإشعاله... هذا إضافة إلى أنّ الشواطئ الكويتية ملغمة ومهيئة للاشتعال بمواد كيماوية

-كما يقولون- والله أعلم! الرجل مجنون... ويعملها... لكن وقعته مع دول كبرى أذكى من أن يتمكن واحد مثل صدام أن يوقعها في أعمال جنونية...

إن الحرب، كما يقول العراق، ستكون كمنار جهنم في وجه قوات المدرعات والمشاة الأمريكية ومن معهم من القوات المشاركة والمتوقع اقتحامها خطوط الدفاع البحرية الكويتية... هكذا يقولون!

ولكن مصادر القوات المشتركة تقول أيضاً إنَّ الحرب ستكون وبالأعلى العراق، وستعرض مدنه الرئيسية لدمار رهيب... وإن الحرب لن تقف إلا بتدمير العراق وتمزيقه وضرب قدرته العسكرية وتحطيمها.

ويقولون... إنَّ مدناً عربية أخرى مجاورة سيصيها دمار كبير... وستتمزق المنطقة... وستتغير حدود كثيرة!

ماذا عن الناس... عن الشعب... عن الشعوب العربية... عن الأطفال والشيوخ والنساء... عن الشباب والصبايا... وعن الحب والحياة... وعن المستقبل... حدث عن ذلك ولا حرج...

صدام حسين يجتمع بشكل يومي مع كبار أعوانه وقادة جيشه... ويقال إنَّ القوات العراقية في أقصى درجات الاستنفار. وقد أجرى الرئيس العراقي أكثر من حديث تليفزيوني، وظهر اليوم وهو يتحدث لبعض معاونيه في إحدى محافظات الجنوب.

ولا يزال العراق مُصرّاً على موقفه «الكويت محافظة عراقية»... وأن حل أزمات المنطقة كلها، وعلى رأسها مسألة فلسطين يجب أن يتم على طاولة مفاوضات واحدة، وأنه لن يقبل بالوعود التي سقط فيها معظم الزعماء العرب من قبل... وصدقوها... وهي لم تكن سوى وعود ذهب أدراج الرياح!

الرئيس الأمريكي بوش من ناحيته يسعى، كما ذكرنا، إلى استصدار قرار مجلس الأمن الذي يتيح له المجال لاستخدام القوة، وهو يرسل بقوات إضافية، كما أنه أطلق خلال

الأسبوعين الماضيين ثلاثة أقمار صناعية تجسسية مخصصة لمنطقة الخليج ورصد تحركات القوات العراقية فيها... وقال أحد الخبراء الغربيين إنَّ أحد هذه الأقمار قادر على قراءة رقم سيارة من بعد أكثر من مئات وآلاف الأميال...

هناك تحرك سعودي مصري سوري... هناك تحرك مغربي وجزائري... هناك تحرك عراقي تجاه اليمن التي وصلها ظهر اليوم وزير الخارجية العراقية طارق عزيز، والتي اتجه منها إلى سلطنة عمان واستقبله السلطان قابوس، وهو اتصال يتم لأول مرة بين العراق وبين واحدة من دول مجلس التعاون الخليجي منذ بداية الأزمة...

أكثر من مصدر إخباري قال إنَّ شعبية الرئيس العراقي في الأردن تتدهور، وتقول هذه المصادر إنَّ السبب هو ما ينقله الفلسطينيون الأردنيون الهاربون من الكويت بعد احتلالها عن حقيقة ما حدث ويحدث في الكويت على أيدي «أشواوس صدام حسين» العراقيين من أعمال مشينة وفظيعة!

المجلس الوطني العراقي أعلن أنَّ القمح والذرة والأرز والحبوب هي سلع أصبحت في تصرف الدولة، ولا يجوز الاتجار بها، ومن تثبت عليه تهمة الاتجار بها مصيره الإعدام. السبب في ذلك بالطبع هو انخفاض كميات هذه المواد في العراق، وسيتم توزيعها وفق نظام معين...

الحصول على الخبز هنا في الكويت أصبح مشكلة حقيقية... فالطوابير صارت أطول... ويتوقع المرء في كلِّ مرة وهو واقف ينتظر دوره للحصول على الخبز بأن يفاجأ بنفاد الخبز بسبب استيلاء الجيش العراقي عليه... وهذا حدث فعلاً وأكثر من مرة..

يتساءل المرء بعد كل هذا عن المستقبل... أي مستقبل؟

بدأ الشك ينخر صبرنا وقوانا على احتمال وانتظار إيجاد الحل للأزمة... وبدأنا نفكر بصوت منخفض عن مخرج لهذا المأزق... ولكن إلى أين؟ وكيف؟ ومتى؟

فوجئنا في صباح اليوم بزيارة الصديقين صخر أبو نزار وعزام الأحمد، سفيرنا في العراق،
وشربنا القهوة معًا.

عزام حضر في مهمة محددة هي افتتاح مقر المنطقة في الكويت كفرع أو كملحقية
بسفارتنا في بغداد، وكلف الحاج محمد -مساعد سفير فلسطين السابق في الكويت عوني
بطاش - للقيام بالمهام.

أبو محمد عوني بطاش سفير فلسطين في الكويت... صار في عمان... ولا توجد نية في
الوقت الحاضر لاستدعائه. أمّا العزيز أبو نزار فسوف يبقى في الكويت أكثر من أيام، وربما
أسابيع...

يؤكد الصديقان أنّ المنظمة ليست مع احتلال الكويت، وأنها تقدمت خطيًا إلى القيادة
العراقية برأيها في هذا الأمر... لكن الاحتلال تم، وتدفقت القوات الأمريكية على المنطقة،
واشترط الرئيس العراقي ربط قضايا المنطقة بعضها ببعض وعلى رأسها قضيتنا.. فلم يعد
ممكّنًا أن نقول: لا، لمثل هكذا مبادرة. وأن أمريكا عدوتنا الأساسية.. ولا بد من محاربة
وجودها.

وهم يعتقدون أنّ الحرب خطيرة، لكنها ستكون أكثر خطورة على أمريكا وحلفائها... وهي
على أية حال شبه مستبعدة.

وقالا إنّ اتصالات المنظمة مع السفير الكويتي في بغداد مستمرة، وإن عزام الأحمد، سفيرنا
في بغداد، هو الوحيد من السفراء الذين يتعامل معه ويقدم إليه كلّ ما يحتاجه... وإن أبو
عمار اجتمع معه أكثر من مرة...

قلت لهما متسائلًا: «إن كانت المنظمة ضد احتلال العراق للكويت، وإن كان موقفها هذا، كما
تقولون، نقل خطيًا للقيادة العراقية... فماذا يعني قدومكم لجعل سفارة فلسطين في
الكويت ملحقية بسفارتنا في بغداد؟ وإن كان موقف المنظمة ضد احتلال العراق للكويت

فلماذا لا يعلن هذا الموقف بصوت عالٍ ومن منابر أعرف أنّ المنظمة قادرة على أن تعلنه منها بصوتٍ عالٍ جدًّا؟».

وأضفت: «أنتم مشكورون لما تقدموه من عون للسفير الكويتي المحتجز في بغداد ولكن الكويت هي التي تحتاج إلى عونكم بموقف واضح صريح من احتلال العراق للكويت... لماذا لا يقدم هذا العون للكويت... ولنا نحن أبناء فلسطين الموجودين في الكويت؟».

تنهد عزام... وعاد أبو نزار يتحدث عن خطر الوجود الأمريكي «الإمبريالي».. وعن الفرصة السانحة لطرح قضيتنا الفلسطينية... فسكّث أنا... وترحمت على أرواح الشهداء...

في المساء زارنا علي مع ولديه، ثم عبد الكريم أبو حجلة مع ابنته فرح لوداعنا، وعلمنا منه أنّ إيمان مع زوجها أصبحت في كندا منذ مدة، وأن هالة، ابنته الثالثة يمكن أن تكون قد وصلت إلى كندا عند أختها، وتنوي فرح أن تلحق بهم. أمّا أبو بشار (عبد الكريم) فإنه ينوي دخول فلسطين ليستقر فيها، وتحت ظلال زيتونات «دار أبو حجلة» إن أمكنه ذلك.

تاتشر خاضت أمس اختبارًا صعبًا، حيث تحداها وزير دفاعها السابق، مايكل هيزيلشتاين، لرئاسة حزب المحافظين البريطانيين. حصلت تاتشر على ٢٠٤ أصوات مقابل ١٥٢ صوتًا حصل عليها هيزيلشتاين. لم تحقق تاتشر الأغلبية المطلوبة وهي ٢٠٨ أصوات رغم تفوقها على منافسها بـ٥٢ صوتًا... لكن النتائج توحي بضعف موقف تاتشر نسبيًا.

ستتم عملية اقتراع أخرى يوم الثلاثاء القادم..

إسحق شامير صرّح منذ أيام بأن على إسرائيل الاحتفاظ بـ«الأراضي العربية المحتلة» أي الضفة والقطاع، فثارت ضده موجة استنكار، لم تقتصر على الفلسطينيين والعرب بشكل عام، بل هناك الكثيرون من شخصيات العالم الذين استهجنوا مثل هذا التصريح، وكذلك شخصيات سياسية إسرائيلية.

اليوم كان يومًا تاريخيًا حيث وقّع أربعة وثلاثون رئيسًا وزعيمًا أوروبيًا إضافة إلى أمريكا وكندا على معاهدة سُميت بمعاهدة باريس، والتي انتهت بموجبها الحرب الباردة بين الشرق الذي كان شيوعيًا والغرب الرأسمالي.

وقد تم ذلك في مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي الذي انعقد في باريس أيام ١٩ و ٢٠ و ٢١ من الشهر الجاري. سيتم بناءً على هذه الوثيقة أو المعاهدة تدمير أعداد ضخمة من السلاح... وستبدأ مرحلة جديدة في العالم الحديث. إنَّ الحدث هو بمثابة مفصل تاريخي مهمٌ جدًّا في تاريخ البشرية، وسيكون تأثيره بالدرجة الأساسية على دول العالم الأوّل الصناعية والمتقدمة، وخاصة في أوروبا وأمريكا، لكن آثاره ستصل إلى باقي دول العالم...

(الخميس ٢٩/١١/١٩٩٠) أهم خبر سمعناه أمس ليلاً هو أنّ الولايات المتحدة ضمنت استعداد الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي للموافقة على صدور قرار عن مجلس الأمن الدولي يوم الخميس القادم، يمهل العراق حتى الأوّل من كانون الثاني (يناير) القادم للانسحاب من الكويت بدون شروط... وإلا فمَن حق القوات المتعددة الجنسيات استخدام أية وسائل أخرى (دون ذكر القوة العسكرية) لتحقيق ذلك.

وقالت الأخبار إنّ هناك خلأً طفيفًا حول الموعد.. هل يكون الأوّل من يناير أم منتصفه كموعِدٍ أخيرٍ لانسحاب العراق قواته من الكويت... أو أن يستعد لمواجهة الحرب!

قبل ثلاثة أيام وصل طارق عزيز إلى الاتحاد السوفييتي، واستقبله وزير خارجيتها.. لكن الرئيس السوفييتي غورباتشوف «هدد وهو يضرب على طاولة أمامه بأنه لن يسمح للعراق بأن يفشل هذا التضامن الدولي ضد العدوان العراقي، وأن على العراق أن ينسحب من الكويت فورًا وبدون شروط، وإلا فليتلق مصيره».

إنها لهجة عنيفة جدًّا تصدر عن دولة كانت صديقة للعراق...

ومما أثار غضب السوفييت هو عدم وفاء العراق بوعدده السماح للرعايا السوفييت الموجودين في العراق بالسفر إلى بلادهم، وهو أمر تم الاتفاق عليه مع المبعوث السوفييتي للرئيس گورباتشوف إلى العراق منذ أكثر من شهر، وهو يفگيني بريماكوف.

من أهم الأخبار في الأيام الماضية هي أخبار من فلسطين عن أربع عمليات عسكرية ضد إسرائيل.

الأولى حدثت يوم الأحد الماضي من الحدود المصرية الفلسطينية قرب خليج العقبة، حيث كانت تمر حافلة ركاب وأربعة سيارات إسرائيلية متجهة نحو منتجع «طابا»، فقام شخص بلباس حرس الحدود المصريين بإطلاق النار على هذه القافلة، فقتل أربعة إسرائيليين، ثلاثة منهم عسكريون، أحدهم برتبة ضابط، وجرح أكثر من عشرين، حالة معظمهم خطيرة.

الثانية حدثت في نفس اليوم وفي الشريط الحدودي الذي أقامته إسرائيل في الأراضي اللبنانية ليكون حامياً لها من هجمات الفدائيين الفلسطينيين، إذ أقدمت فتاة لبنانية تنتمي إلى الحزب القومي الاجتماعي (السوري) على تفجير شنطة يدها التي كانت تحملها وهي محشوة بالمتفجرات في جمع من الجنود الإسرائيليين.

بعض الأخبار قالت إن اثنين قتلا في الحادث واستشهدت الفتاة، وأخرى قالت إن الحصيلة كانت اثني عشر جندياً إسرائيلياً، قتلوا وجرحوا في العملية الفدائية، بينما أعلنت إسرائيل أن اثنين جرحا من الجنود فقط.

الثالثة قام بها خمسة فدائيين فلسطينيين، في نفس اليوم أيضاً، ذهبوا بقارب مطاطي لينفذوا عملية في وسط الشاطئ الفلسطيني ضد الإسرائيليين... لكن أمرهم اكتشف وهم في البحر وقُضي عليهم فيه.

وأول أمس الثلاثاء قامت مجموعة فدائية فلسطينية بعملية عسكرية في الشريط الحدودي شمال فلسطين أسفرت عن مقتل خمسة عسكريين إسرائيليين واستشهاد اثنين

من الفدائيين.

اجتماع مجلس الأمن الدولي يوم الخميس القادم سينعقد بناءً على طلب أمريكي وعلى مستوى وزراء الخارجية، وتشير الأخبار إلى أنّ القرار أصبح متفقاً عليه تقريباً والذي سيكون بمثابة الإنذار الأخير للعراق.

إنّ ما يجري هو عملية تضيق الخناق على العراق لكي لا يجد لنفسه مخرجاً... والطرفان باعتقادي يخشون الحرب، والقضية أصبحت تشبه لعبة عض الأصابع.. فمن الذي سيقول: آخ، قبل الآخر... من؟

رئيس النظام العراقي، وكبار معاونيه، يركزون في معظم المقابلات التليفزيونية والتصريحات الرسمية على طلب إجراء الحوار مع الأمريكيين تحديداً! وهو يظهر في كلّ يوم تقريباً على شاشة تليفزيون بغداد، يقابل أشخاصاً كانوا في السابق من المسؤولين في بلادهم... أو مسؤولين حاليين في بلدانهم، أو مبعوثين منها، كالاتحاد السوفييتي والصين واليابان ومن دول أوروبية... إضافة إلى القلة من المسؤولين العرب الذين اتخذوا موقفاً مسانداً للعراق، بشكل أو بآخر، ومؤيداً لمبادرته «التي أصبحت تُعرف بمبادرة الثاني عشر من آب/ أغسطس» والتي تطالب المجتمع الدولي، ومجلس الأمن الدولي، ببحث كافة مشاكل المنطقة وعلى رأسها مسألة فلسطين إلى جانب البحث في أزمة الخليج...

كما يقابل الرئيس العراقي أقارب بعض الرهائن - الضيوف من النساء الغربيات اللواتي أُتّين لزيارة ذويهم في العراق بناءً على قرار العراق السماح لهم بهذه الزيارات.

ويقوم الرئيس المذكور بزيارات قليلة إلى مناطق ومحافظات، ويقابل أثناءها الناس، ويجلس مع العائلات في بيوتهم... يتحدث معهم، ويحيي المتظاهرين المؤيدين له في تلك المناطق التي يزورها.

من هذه الزيارات زيارة لفتت النظر، وهي التي قام بها إلى شيخ عجوز يبلغ من العمر حوالي التسعين. وكان الرئيس العراقي يلبس في زيارته تلك القبعة الغربية والسترة الجلدية. شاهدناه على الشاشة الصغيرة أمام الشيخ، الذي بدا لنا أنه لا يعرف أنّ الرجل الذي يقف أمامه هو الرئيس صدام. جلس إلى جانبه على كرسي أرجوحي حدائقي، وراح يسأله عن أحوالهم وعما إذا كان الشيخ راضيًا عن الرئيس صدام، وهل هو محب له أم لا... وماذا يود أن يقول له لو أنه يقابله في يوم ما!

ثم جاءت سيدة مسنة، قبّلت يده وأخذت في الدعاء له... والشيخ جالس إلى جانبه...

ثم حضرت شابة، كانت تقف على بعد مع طفل في السادسة من عمره تقريبًا، وراحت تهمس في أذن الشيخ بصوت مسموع له: «إنّ الجالس إلى قربك هو الرئيس صدام نفسه!».

ويحاول الرئيس العراقي في هذه المقابلات المصورة أن يوصل أفكاره إلى الخارج والداخل، خاصة تلك المقابلات الرسمية أو التلفزيونية.

لكن الملاحظ أنّ المقابلات التلفزيونية مع صدام، والتي كانت تلقى آذانًا تسمع وتترك أثرًا ما، سلبيًا عند البعض وإيجابيًا عند غيرهم، لم تعد في الفترة الأخيرة تغري الكثيرين بالاستماع إليها بسبب تكرار المقولات... ملّ المشاهد من كثرة تردادها.

وهو لا يزال يلح ويطالب بفتح الحوار مع الأمريكيين...

لكن الحوار من أجل ماذا؟ هو يقول: من أجل حل كافة قضايا المنطقة...

سأله أحد المحاورين له من التلفزيون الأمريكي الـ (CNN) وقال له: «لكن هناك الآن قضية ملحة، والعالم كله يطالبكم بالانسحاب من الكويت، فهل أنتم مستعدون للبحث في الانسحاب من الكويت أيضًا؟».

كان جوابه: «إنّ كافة القضايا ملحة...» لكنه وفي نفس المقابلة قال: «إنّ الكويت فرع عاد لأصله ولا مجال للبحث في هذا».

وفي ردّ على سؤال في نفس المحاورّة صاغه المحاور بالشكل التالي: «سيادة الرئيس، تطالبون بحل كافة مشاكل المنطقة لإقرار السلام فيها وحفظ أمن دولها، هل ذلك يشمل دولة إسرائيل أيضًا؟».

فأجاب الرئيس صدام قائلاً: «إنني لم أستثنِ أحدًا في ردي!».

لكن أمريكا لا تعير هذا الأمر أية أهمية. كذلك السعودية، التي أبدت في فترة سابقة شيئًا من اللين في حديثها على لسان الملك فهد ووزير دفاعه الأمير سلطان، فقد عادت إلى اللهجة المتشددة.

أمس عرض التليفزيون السعودي حديثًا للملك فهد أمام حشد من الوجهاء السعوديين في صالة كبيرة قال فيه إن على العراق أن ينسحب بدون أية شروط، لكنه ألمح بشكل خفي جدًّا بما يفيد أنّه بعد الانسحاب يمكن أن تنشأ علاقات جديدة قائمة على العدل والحق والإخاء فيما بين الأشقاء.

الرئيس الأمريكي بوش، وكما كان متوقعًا، فقد أمضى بضع ساعات مع القوات الأمريكية بمناسبة عيد يوم الشكر. كما اجتمع مع الملك فهد، وزار الشيخ جابر في مقره المؤقت بالطائف. ثمّ طار إلى مصر واجتمع برئيسها حسني مبارك. وكانت تصريحاته وأحاديثه المعلنة عادية، لم تحمل أي جديد في المواقف.

طار بعد جولته هذه إلى جنيف ليستقبل فيها الرئيس السوري حافظ الأسد، ويجتمع به لمدة ساعتين وخمسين دقيقة.

أسفر اجتماع بوش - الأسد، في جنيف عن إعادة العلاقات الدبلوماسية بين سوريا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، والتي كانت قد قطعت منذ سنوات بحجة اعتبار

سوريا بلدًا مؤيدًا للأعمال الإرهابية...

رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر، المرأة الحديدية، قررت، بعد تحدي منافسها مايكل هزيلشتاين على رئاسة حزب المحافظين البريطاني، وحصوله على نسبة جيدة نسبيًا من الأصوات لصالحه، وبعد أن كان رد فعلها السريع بأنها سوف تخوض المعركة مرة ثانية للاحتفاظ بموقعها، قررت الاستقالة.

ترشّح ثلاثة من أعضاء حكومتها لهذا المنصب هم مايكل هزيلتاين (وزير دفاع سابق) ودوگلاس هيرد (وزير الخارجية) وجون ميچر (وزير المالية). وعند الاقتراع انسحب هزيلتاين وهيرد، ونجح بالتزكية ميچر. تسلم ميچر مهامه كرئيس للوزراء في بريطانيا منذ يوم أمس... وراحت مارغريت تاتشر، المرأة الحديدية، بكبرياء... لتفسح المجال لغيرها بعد أن أثبت أنه قادر على منافستها...

الديموقراطية... أجمل اختراع بشري... ما أحلاها.

صباح هذا اليوم، في الساعة السابعة، ذهبت وتمام مع جولي وسالي وأمتعتهم المسموح لهم بحملها إلى مكان تجمع الفلبينيات اللواتي قررن السفر إلى بلدهم. ووجدنا أنّ الصديق تيسير بركات، صهر شريف العلمي، هو الذي يشرف على عملية سفر من تبقى من الفلبينيين إلى بلدهم، مما وفر لجولي وسالي الطمأنينة بعد أن علمنا منه أنّ السفر برًا سيكون فقط إلى البصرة، ومنها بطائرة مستأجرة للأمم المتحدة مباشرة إلى مانيلا.

فرحت جولي وسالي بذلك كثيرًا، ولكن دموعهن غطت وجوههن وهن يودعننا... دعونا لهن بسلامة الوصول، وتمنتا، وتمنينا معهما، أن لا يكون غيابهما عنا طويلًا...

عشرة أتوبيسات مع شاحنتين كبيرتين سوف ينقلون فيها حوالي أربع مئة وخمسين فلبينية ممن تبقى من العاملات في الكويت، وستقلهم طائرة ضخمة من طراز «جمبو جت» إلى الفلبين. قيل لي إن حوالي ألف وخمس مئة فلبينية ما زلن في الكويت!

(صباح يوم الجمعة ٣٠/١١/١٩٩٠) أميس ليلاً، أو بالأحرى بعد منتصف الليل، اتخذ مجلس الأمن الدولي في الأمم المتحدة قرارًا جديدًا حول أزمة الخليج. إنه قرار كان متوقعًا منذ مدة، اتخذ نتيجة لعدم استجابة العراق لقرارات مجلس الأمن الدولي السابقة المتعلقة بهذه الأزمة، والتي بلغت أكثر من عشر قرارات، تؤكد كلها على ضرورة سحب العراق قواته العسكرية من الكويت بدون أية شروط، وعودة الشرعية للكويت والإفراج عن الرهائن المحتجزين في العراق والكويت.

القرار الجديد يطالب العراق بسحب قواته من الكويت في موعد أقصاه الخامس عشر من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٩١، وإلا فسوف يكون مباحًا استخدام أية وسيلة، من قبل دول العالم المتضامنة ضد العراق في غزوه الكويت واحتلالها ثم إعلان ضمها، لإجبار العراق على تنفيذ قرارات مجلس الأمن الآتية الذكر.

وتعبير «استخدام أية وسيلة» يعني اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية بعد عدم ثبوت فعالية الحصار الاقتصادي لإجبار العراق على تنفيذ تلك القرارات.

وقد صوت إلى جانب القرار اثنتا عشرة دولة، وعارضه دولتان هما اليمن وكوبا، وامتنعت الصين عن التصويت.

قبل ظهر اليوم، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة ظهرًا، بثّ تليفزيون العراق بيانًا صادرًا عن اجتماع لمجلس قيادة الثورة العراقية وللقيادة القطرية لحزب البعث الحاكم في العراق، رفض العراق فيه قرار مجلس الأمن هذا، واعتبره قرارًا أمريكيًا صادرًا باسم مجلس الأمن.

وتضمن البيان العراقي تعابير شديدة ليس فقط ضد أمريكا، بل اتهم أعضاء مجلس الأمن المشاركين الذين وافقوا على القرار بأنهم مرتشون ومنافقون.

بدءًا من اليوم أصبحت احتمالات الحرب واردة في كل لحظة... ويبدو أنّ العراق غير مستعد للانسحاب بالتهديد، لكنه في الوقت نفسه لم يعطِ أي إشارة منذ احتلاله الكويت وضمه لها بأنه مستعد للانسحاب...

التحدي وصل إلى درجة مخيفة... على الرغم من أنّ قرار شنّ الحرب يتطلب موافقة الكونغرس الأمريكي. إنّ الرئيس الأمريكي وحده لا يملك حق اتخاذ قرار شنّ الحرب.

لكن وبالمقابل فإنّ القوات الأمريكية، المتواجدة بكثافة لا مثيل لها من قبل، قادرة على القيام بأعمال عسكرية في حال وقوع عدوان عليها، وهو أمر يمكن افتعاله بأي طريقة...

نحن لا نتمنى الحرب... ولا أظن أحداً يتمناها... إن كان هناك مجال لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت سلماً.

نحن نتمنى أن تنتهي هذه الأزمة بحل سلمي يحفظ الحقوق... بتحرر الكويت وزوال الاحتلال العراقي الغاشم...

كانون أول / ديسمبر ١٩٩٠

(السبت ١/١٢/١٩٩٠) لا بد من التذكير بأن القرار الذي اتخذته مجلس الأمن الدولي يوم الخميس الماضي هو الثاني من نوعه في تاريخ الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي. الأول اتخذته مجلس الأمن الدولي عام ١٩٥٠ بخصوص مسألة كوريا.

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة على صدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٧٨ والذي يسمح باستعمال كافة الوسائل، بما في ذلك القوة العسكرية، لإجبار العراق على تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة باحتلال العراق الكويت، والذي يطالب العراق بالانسحاب من الكويت قبل الخامس عشر من الشهر القادم كانون ثاني/ يناير ١٩٩١، فجرّ الرئيس الأمريكي قنبلة سياسية غير متوقعة.

ففي رسالة وجهها الرئيس الأمريكي إلى شعب بلاده بعد ظهر أمس من البيت الأبيض أعلن بوش أنه قرر دعوة العراق إلى التفاوض والحوار المباشر وعلى مستوى عالٍ فيما بين الولايات المتحدة والعراق. وأعرب عن استعداده لإيفاد وزير خارجيته جيمس بيكر إلى بغداد، وترحيبه بوزير خارجية العراق طارق عزيز. وقد أبدى استعداده لاستقبال عزيز في الفترة ما بين العاشر والخامس عشر من الشهر الجاري، كما طلب من الرئيس العراقي استقبال بيكر في الفترة ما بين ١٥/١٢/١٩٩٠ و ١/١٩٩١. يصادف الموعد الذي حدده الرئيس الأمريكي لمقابلة عزيز في واشنطن وجود وزير خارجية الاتحاد السوفييتي فيها أيضًا.

قال الرئيس الأمريكي إنه بقراره هذا، والذي جاء بعد اجتماع مطول عقده مع وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي، إنما يعطي القيادة العراقية فرصة أخيرة في سبيل إيجاد حل سلمي للأزمة، ولكن دون تنازلات، وإنه لا ينطلق بهذه المبادرة من موقف ضعف، لكنه أراد أن يوضح للقيادة العراقية مدى الالتزام الأمريكي والتصميم

الدولي على تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي دون أية تنازلات. وقال إنَّ أفضل وسيلة وجدها، بعد أن علم برغبة بغداد في إجراء الحوار، هي أن يلتقي معهم وجهًا لوجه.

وقال إنَّ اجتماعه مع وزير خارجية العراق سيحضره عدد من سفراء بعض الدول المشاركة في القوات المتعددة الجنسيات والمرابطة في منطقة الخليج.

ومما قاله في المؤتمر أنَّه في حالة اضطراره إلى استخدام القوة العسكرية لتنفيذ قرارات مجلس الأمن فإنه لن يخوض حربًا كحرب فيتنام... بل إنَّ قواته ستعمل على تحقيق انتصار خاطف.

وقال بوش إنه اتصل بكلِّ من الرئيس المصري والرئيس التركي وملك السعودية وأمير الكويت... وأطلعهم على مبادرته، وأن ردهم كان إيجابيًا جدًّا!

وأشار إلى أنه تلقى إشارة غير مباشرة من العراق لها دلالتها الإيجابية، وهي السماح بتزويد السفارة الأمريكية في الكويت بكميات من الخضراوات والفواكه والتبغ، حيث يتواجد فيها سبعة وعشرون أمريكيًّا، معظمهم من العاملين في السفارة. لكنه قال إن التيار الكهربائي لا يزال مقطوعًا عن السفارة.

رسميًا لم يعلق العراق حتى ما بعد منتصف الليل على هذا الخبر، ونقلت وكالات الأنباء أنَّ المسؤولين العراقيين فوجئوا بالمبادرة... وأنهم مرتاحون لها.

وكنت أمس مساءً، كعادتي، قرب المذيع أستمع إلى نشرة أخبار إذاعة لندن في الحادية عشرة إلا الثلث... وإذا بي أستمع للخبر... المفاجأة... ناديت تمام وقلت لها اسمعي... فاستمعت معي لتفاصيل النبأ... وهي مدهوشة مثلي... إلى أن قلنا هذه هي السياسة.. الجميع مدهوش لهذا الخبر... وهو ليس تحولًا في المواقف بل تأكيدًا عليها ولكن بصورة درامية.

فأمس تسلح الرئيس الأمريكي بقرار مجلس الأمن الدولي الذي يخوله استخدام كافة الوسائل... أي استخدام القوة العسكرية لتحرير الكويت...

وها هو اليوم يلوح بغصن الزيتون للرئيس العراقي، وكأنه يقول لشعوب العالم ولشعب الولايات المتحدة: «إنني لم أدع مجالاً يتيح فرصة للحل السلمي إلا وخضته... وفي حال عدم استجابة العراق له.. فإني مضطر إلى القيام بالإجراء العسكري.. لأنه الحل الوحيد المتبقي للحفاظ على مصداقية الأمم المتحدة، وسمعة الولايات المتحدة الأمريكية».

وبدأت إذاعات العالم تتناقل الخبر... الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية كانتا من أوائل المرحبين بهذه المبادرة، وقال الأردن مرحباً بالمبادرة: «إنَّ في العرض الأمريكي تأكيداً لصحة الموقف الأردني القائل بضرورة رفع الحظر عن التفاوض!».

السكرتير العام للأمم المتحدة رحب بها ووصفها بأنها خطوة كبيرة تجاه السلام. كما رحب بها رئيس وفد اليمن في مجلس الأمن الدولي.

نمنا أمس وقد بدأت تنمو في أحلامنا بوادر أمل في حل سلمي سريع... ولكننا كنا نتساءل عما إذا كان العراق سيتجاوب مع هذه المبادرة ويوافق على طلب الرئيس الأمريكي...!

ظهر اليوم أعلن العراق موافقته على التعامل مع مبادرة الرئيس الأمريكي، وقد جاء ذلك في بيان صادر عن اجتماع لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث في العراق. وقد بدأ البيان بأية قرآنية كريمة تقول: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله». وطالب البيان العراقي بأن يكون على رأس المواضيع التي ينبغي بحثها هو موضوع فلسطين.

ارتاح الناس كثيراً لهذه التطورات.. وتمنوا أن تكمل هذه المبادرة بالنجاح، وأن تُسفر الاجتماعات المرتقبة عن توافق واتفاق، لاستعادة الكويت وعودة أهلها إليها، وأن يتبعها

مباشرةً عقد المؤتمر الدولي الذي يتطلع إليه الفلسطينيون لحل أزمتهم وإقامة دولتهم على أرض وطنهم الفلسطيني ليعودوا إليه كما يعود كل إنسان إلى وطنه.

ردود الفعل العربية والعالمية استقبلت المبادرة، وموافقة العراق عليها، بارتياح بالغ.

الشيخ سعد العبد الله، ولي عهد الكويت وصف المبادرة بأنها حكيمة وشجاعة.

إثر إعلان مبادرة الرئيس الأمريكي هبطت أسعار النفط في العالم بمقدار دولارين تقريباً للبرميل الواحد.

(الأربعاء ٤/١٢/١٩٩١) أوّل أمس تركزت الأنباء على حديث وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني، ورئيس أركان قواته أمام لجنة القوات المسلحة التابعة للكونغريس الأمريكي. تشيني قال ما مفاده أنّ على أمريكا أن تضغط في اتجاه إجبار العراق على سحب قواته من الكويت بسرعة وبأية وسيلة حتى ولو كانت الحرب هي الوسيلة. وقال إنّ الحظر الاقتصادي لم يثبت فعالية في هذا الخصوص حتى الآن، وأن انتظار تأثير ذلك على العراق أمر يحتاج إلى وقت طويل. وأنه يخشى انفراط هذا الموقف والتضامن العالمي في حال الانتظار طويلاً. كما أشار إلى أنّ أمريكا سوف تتأثر جداً إذا ما استطاع صدام حسين أن يحقق انتصاراً في هذه الأزمة، والاحتفاظ بالكويت والهيمنة على هذه المنطقة الحيوية من العالم. وأن أثر ذلك لن يكون ضد مصالح أمريكا وحدها بل سيصيب العالم كله بالأذى والضرر الكبير والمخيف.

رئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية الجنرال كولن باول قال إنّ قواته هي الآن قادرة على تحقيق الانتصار في أي معركة من أجل تحرير الكويت من الاحتلال العراقي.

تراجعت أمريكا عن فكرة حضور سفراء بعض الدول المشاركة في القوات المتعددة الجنسيات اجتماع بوش مع طارق عزيز، وذلك بعد أن قال العراق إنه سيطلب من بعض

سفراء حلفائه حضور اجتماعه مع بيكر... المعاملة بالمثل!

لا تزال ردود الفعل جارية إثر مبادرة الرئيس الأمريكي بوش... فالعالم بشكل عام استقبل هذه المبادرة بروح إيجابية جداً، ولم تعترض عليها واحدة من دول العالم.

وتُجرى اجتماعات عربية بهذا الخصوص، كما أنّ الدول، والتكتلات الإقليمية بحثت في هذا الأمر الذي قدرت فيه مبادرة بوش وقبول بغداد المبدئي.

في القاهرة اجتمع وزراء خارجية كل من مصر وسوريا والسعودية، ومعهم وزراء الإعلام، للبحث فيما يجب الاستعداد إليه بهذا الخصوص.

كما وصل أمس صباحاً إلى بغداد الملك حسين ومعه نائب رئيس الجمهورية اليمنية علي سالم البيض ووزير خارجية اليمن عبد الكريم الإرياني للتباحث مع الرئيس العراقي في نفس الموضوع. وقد شارك الرئيس ياسر عرفات، الذي كان موجوداً في بغداد من قبل، في هذه المباحثات. وتقول الأنباء إن الملك حسين، ومعه نائب رئيس الجمهورية اليمنية، سيحاول إقناع أو حث الرئيس العراقي على التروي والمرونة في مباحثاته مع الأمريكيين.

وهناك تكهنات بأن اجتماعاً ثلاثياً بين العراق والكويت والسعودية يجري الإعداد له في سبيل التوصل إلى حل أزمة الخليج عربياً. وتقول مصادر رفيعة المستوى في القاهرة إنّ مثل هذا الاجتماع يمكن أن ينعقد في الجزائر.

لكن أخبار اليوم ذكرت أنّه من المحتمل عقد اجتماع تمهيدي يحضره الملك حسين والملك فهد والشيخ جابر في السعودية، ثم يتبعه اجتماع آخر في الجزائر يضم كلا من الملك حسين والرئيس صدام والملك فهد والرئيس الجزائري الشاذلي بن شديد.

وزراء دفاع دول مجلس التعاون الخليجي عقدوا عدة اجتماعات لهم في السعودية وبحثوا في التطورات الأخيرة، وأبقوا على جلساتهم مفتوحة ترقباً لأي طارئ!

من ناحية أخرى فإنَّ السوق الأوروبية قد وافقت أمس على أن يستقبل رئيسها الحالي، وزير خارجية إيطاليا جيانيني ميكيليس، وزير خارجية العراق طارق عزيز في طريق عودته من أمريكا بعد محادثاته مع الرئيس الأمريكي.

الرئيس الأمريكي بوش صرَّح أمس بأنه لن يُجري مفاوضات مع العراق، بل هو بصدد إجراء حوار ومحادثات حول أزمة الخليج فقط، وإن هذه المحادثات إنما تهدف إلى إقناع العراق بالانسحاب من الكويت بدون شروط. وأكد رفضه إثارة القضية الفلسطينية في إطار المحادثات الأمريكية العراقية.

وقال إنه ليس من أولئك الذين يعتقدون بأن العقوبات وحدها ستعيد الرئيس العراقي صدام حسين إلى صوابه، وأنه لا يتفق مع أولئك الذين يعتقدون بأنه يجب تأخير اتخاذ الإجراء العسكري لمدة عام آخر!

لكن الطريق أمام الرئيس الأمريكي ليست مفروشة بالورد... ففي بلاده يقف كثيرون من أعضاء الكونغرس الأمريكي ضد استخدام القوة العسكرية لحل أزمة الخليج... وكثيرون من أعضاء الكونغرس يرون أن يمنح الحظر الاقتصادي فرصة أطول ليحقق الهدف... حتى ولو امتد زمنه سنة أو سنة ونصفًا...

وقد اتخذ الكونغرس أمس قرارًا يقضي بأن يرجع الرئيس الأمريكي إلى الكونغرس، للحصول على موافقته، قبل إقدامه على القيام بعمل عسكري في الخليج... الرئيس الأمريكي يقول إنَّ صلاحياته والسوابق تخوله اتخاذ القرار دون الرجوع إلى الكونغرس!

العراق يحاول تحسين علاقاته المتدهورة مع الاتحاد السوفييتي، فقد أعلن أمس أنَّه وافق على السماح للرعايا السوفييت، والذين يقدر عددهم بحوالي ٣٠٠٠ خبير وفني كانوا يعملون بموجب عقود عمل مع العراق، بالسفر وقتما شاءوا. وإن على الاتحاد السوفييتي أن يعرض العراق عن الضرر الذي يلحق به من جراء الإخلال بالعقود المتفق عليها.

وكان الاتحاد السوفييتي قد اشتكى غاضبًا من عدم وفاء العراق بوعدده للسماح للرعايا السوفييت العاملين في العراق بالعودة إلى مواطنهم، وهدد بأن إساءة معاملة الرعايا السوفييت الموجودين في العراق سيكون سببًا في تدخلهم في الخليج!

رولان دوما، وزير خارجية فرنسا، صرّح في اجتماع للبرلمانيين في باريس بأنه أصبح من الضروري العمل لعقد مؤتمر دولي للتوصل إلى حل مشاكل منطقة الشرق الأوسط، وذلك بعد الانتهاء من حل أزمة الخليج الملحة. وقال إنّ كثيرًا من الدول ومنها الولايات المتحدة الأمريكية تفكر في ذلك. ويقول دوما إنّ هذا المؤتمر سيكون بمثابة إطار عام تعقد في ظله مؤتمرات صغيرة لحل كافة مشاكل المنطقة.

لكن الحكومة في فرنسا منقسمة في مواقفها، أيضًا، حول هذه الأزمة، إذ إنّ وزير الدفاع فيها غير مقتنع بضرورة استخدام القوة العسكرية لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت.

العراق لم يرد بعدُ رسميًا على دعوة الرئيس الأمريكي، إلا أنّ البيان الذي صدر عن القيادة العراقية في اليوم الثاني لإعلان بوش لمبادرته اعتبر بمثابة موافقة مبدئية على المبادرة.

وعلى الرغم من أنّ البيان العراقي، وما تلاها من تصريحات، أشارت إلى أنّ العراق يوافق على الحوار على أساس مبادرة الرئيس العراقي (مبادرة الثاني عشر من آب/أغسطس الماضي) فإنّ تصريحًا لرئيس المجلس الوطني العراقي سعدي مهدي صالح، وردت في مقابلة له مع إذاعة «صوت أميركا» أمس، وقال فيه: «إنه من الممكن إدخال مزيد من التعديل على مبادرة السيد الرئيس القائد صدام حسين».

واليوم قالت الإذاعات إن تصريحات لمسؤولين عراقيين ذكرت أن العراق على استعداد للانسحاب من الكويت إذا ما ضمن الاحتفاظ بمنطقة يقع فيها بئر النفط الذي اشتهر في هذه الأزمة وهو «حقل الرميلة». لكن سرعان ما صدر تكذيب من العراق لهذا النبأ، واعتبرته السلطات العراقية عاريًا من الصحة...

الأردن يرغب ويحاول استعادة علاقات حسنة مع المملكة العربية السعودية، ومن المحتمل إعادة سفيرها إلى الرياض قريبًا، كما ورد في أنباء أمس.

(الجمعة ٦/١٢/١٩٩٠) تتوالى المفاجآت فيما يتعلق بأزمة الساعة، أزمة الخليج. فبعد قرار مجلس الأمن الدولي، الذي لم يكن مفاجئًا، قام الرئيس الأمريكي بوش بمفاجأة العالم بمبادرته لفتح حوار مع العراق...

وأمس فاجأ رئيس النظام العراقي العالم بالطلب من المجلس الوطني العراقي السماح لكافة «الضيوف» الأجانب المحتجزين في العراق بالسفر إلى بلادهم، والذين يفوق عددهم ثلاثة آلاف شخص، معظمهم من الغربيين (حوالي ٧٥٠ أمريكيًا و١٢٥٠ بريطانيًا، والآخرين من جنسيات أسترالية ويابانية وغيرهم) «ليمضوا عيد الميلاد وعيد رأس السنة الميلادية مع عائلاتهم وبين أهلهم...».

وقد أوضح الرئيس العراقي أن هذا القرار اتخذ بعد أن استكملت القوات العراقية عمليات التعبئة اللازمة لمواجهة أي عدوان محتمل... وأن قرار الإفراج هذا اتخذ وأقر بعد اتصالات من جانب الأردن واليمن ومنظمة التحرير الفلسطينية والمغرب والسودان... بالإضافة إلى شخصيات أوروبية زارت العراق.

وفي اليوم الثاني لإعلان رسالة الرئيس العراقي بخصوص الإفراج عن الرهائن والموجهة إلى المجلس الوطني العراقي، عقد المجلس الوطني هذا في صباح يوم الجمعة جلسة، استغرقت حوالي ساعة، صادق فيها على طلب الرئيس... وذلك بأغلبية ٢٥٠ صوتًا مقابل ١٥ صوتًا يعارض الإفراج...

ديموقراطية... يا أخي ديموقراطية!..

قرار العراق هذا لاقى ترحيبًا من قبل دول العالم. الرئيس بوش قال في هذا الخصوص: «إنّ قرار الإفراج عن الرهائن ليس سوى مرحلة في أزمة الخليج، وإن الانسحاب الكامل

من الكويت هو الأمر الذي يحل الأزمة».

الموقف السعودي والكويتي من قرار العراق هذا هو موقف متسم بالشك وعدم التصديق، كما ذكرت بعض الإذاعات، وهما يطالبان بأن لا تحد هذه المسألة من المطالبة والتأكيد على ضرورة الانسحاب العراقي من الكويت دون شروط أو مساومة.

ويستبعد السعوديون، ويخشى الكويتيون، أن يكون الإفراج العراقي عن الرهائن هو بمثابة صفقة عراقية غربية هدفها مقايضة حرية الرهائن بضمان عدم قيام القوات المتعددة الجنسيات في الخليج بمهاجمة العراق بعد انتهاء مهلة مجلس الأمن الدولي، أي يوم الخامس عشر من الشهر القادم.

وفي مؤتمر صحفي عقده وزير خارجية فرنسا رولان دوما في باريس عقب زيارة لوزير خارجية إيران علي أكبر ولايتي قال فيه: «إنَّ الإفراج عن الرهائن قد يسمح بالسير في اتجاه خطة السلام التي اقترحها الرئيس الفرنسي ميتران في خطابه أمام الأمم المتحدة في سبتمبر الماضي. وهي خطة قد تؤدي إلى عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط... لكن يجب عدم وضع جميع أزمات المنطقة في خانة واحدة... إنَّ أزمة الكويت لها الأولوية».

ولايتي قال في تصريح له: «إنَّ الأمن في الخليج يجب أن يكون من مسؤولية دول المنطقة» واقترح نظام أمن جماعي وإقليمي فور تسوية الأزمة في الخليج. وكشف عن أن إيران أجرت اتصالات في هذا الخصوص مع بعض دول المنطقة وحصلت على مؤشرات إيجابية.

رئيس وزراء بريطانيا الجديد جون ميجر رحب بقرار العراق للإفراج عن جميع الرهائن، لكنه حذّر في الوقت نفسه الرئيس العراقي من أنَّ الأسرة الدولية لن تسمح له بتفكيك الكويت وإذابته.

ونقلت الأنباء في نفس الوقت تقريبًا خبرًا مفاده أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية لن تعارض عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط... شريطة الإعداد له بشكل جيد وعقده في الوقت المناسب...!

ومن سيعد لذلك... الظاهر أنَّ المشكلة تكمن في عدم توفر من يعد لمثل هذا المؤتمر بشكل جيد... ومتى سيكون الموعد المناسب... ألم يحن بعد هذا الموعد وأصبح مناسبًا بعد مرور ما يزيد على الأربعين سنة! عجيبة...؟

وأخبار أخرى تقول إن أمريكا وبريطانيا تعهدتا بطريقةٍ ما... بأنهما لن تقوما بالاعتداء على العراق بعد انسحاب قواته من الكويت...

العراق وافق رسميًا على تلبية الطلب الأمريكي لبدء الحوار... وقد أبلغت واشنطن رسميًا بالموافقة.. وحددت موعدًا لسفر وزير الخارجية العراقي إلى أمريكا للاجتماع مع الرئيس الأمريكي هو يوم ١٧/١٢/١٩٩٠. لكن الإدارة الأمريكية لم توافق على هذا القرار والموعد... وطلبت من العراق أن يحدد موعدًا بالمقابل لاجتماع وزير خارجية أمريكا مع الرئيس العراقي... يكون مناسبًا وتوافق عليه أمريكا...

في الكونغرس الأمريكي تحدث قبل يومين (أي قبل قرار العراق للإفراج عن جميع الرهائن) وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر عن موقف الإدارة الأمريكية من أزمة الخليج، محاولاً تبرير ما اتخذته هذه الإدارة من خطوات وإجراءات إزاء هذه الأزمة. وأهم ما قاله:

«لقد حضرت إلى هنا لأن ديكتاتورًا خطرًا مدججًا بالسلح يهدد منطقة مهمة جدًا، في لحظة من لحظات التاريخ».

«ينبغي أن يوقف الديكتاتور العراقي صدام حسين بالوسائل السلمية إن أمكن ولكن عن طريق القوة إن كان لا بد من ذلك».

«لقد حوّل مجلس الأمن الدولي كافة الدول الأعضاء استخدام القوة ضد العراق إذا لم ينسحب من الكويت قبل الخامس عشر من الشهر القادم يناير ١٩٩١. إنَّ في مقدور الديكتاتور العراقي إلى حدِّ بعيد أن يقرر من في العراق يتحمل ضرر العقوبات، وهو له تاريخ طويل في فرض الآلام والمعاناة على الشعب العراقي في سبيل السعي لتحقيق مآربه».

«إنَّ الانتظار... لن يؤدي إلى إفساح المجال أمام صدام حسين للتغلب على العقوبات وحسب، ولكنه أيضًا سيفرض مزيدًا من الخسائر لتتكبدها باقي دول العالم. وإذا انتظرت دول العالم فإنَّ صدام حسين سيواصل تشويه الكويت والقضاء عليها كدولة، وسيواصل التلاعب بمصير الرهائن محاولاً كسر الائتلاف القائم ضده. وسيواصل تحصين الكويت وبناء ترسانة من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والعمل على تطوير قدرته في صنع أسلحة ذرية».

«وبينما نحن ننتظر فإنَّ جريمة صدام حسين ستشتد وطأتها على دول العالم، ولهذا فإنه يتعين علينا أن ندعم استعداداتنا لاستخدام القوة، وأن نؤكد لصدام حسين أنَّ الوقت ليس في صالحه».

«إنَّ الولايات المتحدة ملتزمة بتسوية أزمة الخليج على الرغم مما يكتنف ذلك من مخاطر... لأسباب ودوافع إستراتيجية واقتصادية وأخلاقية».

«إنَّ صدام حسين ديكتاتور متقلب، شهوته للقوة لا حدود لها، تمامًا كأساليبه الوحشية في السعي إلى تحقيق تلك القوة. فلقد غزا دولتين جارتين له... وهو يأوي في بلاده إرهابيين... كما سبق أن استخدم الغازات السامة حتى ضد شعبه، وهو يسعى حاليًا للحصول على قنابل ذرية».

«لقد بنى سادس أكبر جيش في العالم، وقام بنشر صواريخ موجهة، وقام بعدوانه في منطقة سياسية ملتهبة هي الشرق الأوسط... وهي ملتقى ثلاث قارات. إنَّ عدوانه محاولة

لرهن اقتصاد العالم لنزوات وأهداف رجل واحد بمفرده».

«ومن الناحية الأخلاقية علينا جميعًا أن نعمل على أن تحكم القوانين الدولية، لا الخارجون على القانون الدولي فترة ما بعد انتهاء الحرب الباردة».

«إننا لم نقف معًا متحدين طوال أربعين عامًا لنتهي بالحرب الباردة إلى نهاية سلمية من أجل أن نجعل العالم مكانًا آمنًا لمن كان على شاكلة صدام حسين...».

وقد جرى إثر ذلك، وعلى مدى عدة أيام استجواب لبيكر من قبل العديد من أعضاء مجلس الكونغرس الأمريكي، والذين معظمهم من حزب الديمقراطيين، أي من الحزب المنافس للحزب الذي ينتمي إليه الرئيس الأمريكي وحاشيته، وهو حزب الجمهوريين.

وفي مجلس الأمن يدور البحث منذ أمس حول قرار يتعلق بمسألة تأمين الحماية للفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفي نفس الوقت فإنّ المفاوضات جارية بين الخمسة الكبار في مجلس الأمن من وراء الستار حول مشروع قرار يقول بضرورة عقد مؤتمر دولي لحل مشاكل منطقة الشرق الأوسط وإيجاد حل للصراع العربي الإسرائيلي...

خبر آخر، أكده لي أمس صديق سمعه من إحدى الإذاعات، يقول إن أمريكا طلبت من إسرائيل وضع جدول زمني لسحب قواتها من الأراضي اللبنانية أو مما يسمى بالشريط الحدودي الذي أنشأته إسرائيل في جنوب لبنان...

تقول الأنباء إنّ عملية الإجلاء للرعايا الأجانب الذين أفرج عنهم اليوم من قبل العراق سوف تبدأ غدًا، وأن طائرة بريطانية قد أعدت للتوجه إلى منطقة الشرق الأوسط محملة بالأدوية والمواد الغذائية و.. الشامبانيا... من أجل أن يحتفل المفرج عنهم بحريتهم وهم في الطائرة...

(الأحد ٨/١٢/١٩٩٠) سمح العراق لدعاة سلام.. أتوا من دول كثيرة من العالم... بإقامة معسكر لهم في منطقة تقع بين القوات العراقية والمتحالفة المتعددة الجنسيات، أي في منطقة تقع

على الحدود العراقية السعودية أو الكويتية السعودية!

مساء أول أمس أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها سوف تسحب دبلوماسيها العاملين في سفارتها بالكويت بعد الانتهاء من إجلاء كافة الرعايا الأمريكيين من العراق والكويت... وأنها سوف تقفل السفارة... مؤقتًا... بحجة أنه لن تكون هناك حاجة إلى وجود السفارة التي لم تكن تقوم إلا بما يخدم ويرعى شؤون الأمريكيين المحتجزين من قبل السلطات العراقية. وقالت المتحدثة الرسمية باسم الخارجية الأمريكية مارغريت تاتويلر: «إنَّ السفارة من الناحية الشكلية ستكون مفتوحة... وسيعود إليها الدبلوماسيون عندما ينتهي الاحتلال العراقي وتعود الشرعية الكويتية».

هناك مشكلة برزت بعد قرار الإفراج عن جميع الرهائن تتعلق بالأجانب الذين كانوا طوال هذه الفترة، منذ الاحتلال إلى اليوم، مختبئين في الكويت والعراق.. يجري البحث في حل هذه المشكلة. العراق أعلن على لسان أحد سفرائه بأن قرار الإفراج يشمل الجميع بمن فيهم الذين كانوا مختبئين. وحلت هذه المشكلة بالسماح للمختبئين، كغيرهم من المحتجزين، بالسفر.

مجلس الأمن الدولي، وحتى ساعة متأخرة من الليلة الماضية لم يتوصل بعد إلى قرار حول موضوع حماية الفلسطينيين ومسألة الإشارة إلى المؤتمر الدولي، وقد جرى تأجيل جلسة اتخاذ القرار مرتين بسبب تعديل مشروع القرار، الذي أعده مندوبو أربعة دول من دول عدم الانحياز في مجلس الأمن، لكي يصبح ممكنًا تمريره دون اضطرار أمريكا إلى استخدام حق النقض (الفيتو) ضده... ويكون مقبولاً لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تتابع هذا الأمر باهتمام بالغ...

إسحق شامير، رئيس الوزراء الإسرائيلي، قال تعليقاً على مسألة المؤتمر الدولي وهو في لندن، التي يزورها وهو في طريقه إلى أمريكا، قال: إنَّ عقد مؤتمر دولي لا يخدم السلام في الشرق الأوسط... وكرر المقولة الإسرائيلية بأن المفاوضات المباشرة بين إسرائيل والأطراف المعنية هو السبيل إلى تحقيق سلام دائم في المنطقة. ولا يزال موقف إسرائيل

إزاء منظمة التحرير الفلسطينية كما هو... فهي لا تعترف بأن المنظمة هي طرف في النزاع، ولا هي الممثل الشرعي للفلسطينيين، وتتهمها بأنها منظمة إرهابية!

شامير سيلتقي الرئيس الأمريكي بوش يوم الثاني عشر من الشهر الجاري.

الانتفاضة الفلسطينية أحييت أمس الذكرى الثالثة لانطلاقها، وهي اليوم تدخل أول أيام عامها الرابع دون كلل أو ضعف... بل على العكس تمامًا إذ يشهد عودها وضراوة مقاومتها.

لقد تصاعدت أعمال المقاومة الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية المحتلة في الفترة الأخيرة، خاصة بعد مذبحه الحرم الشريف في القدس قبل حوالي شهرين، وقام الشباب والشابات بعمليات جريئة استخدمت فيها المدى والسكاكين والأسلحة في بعض المرات مما أسفر عن وقوع عدد من القتلى في صفوف العدو الإسرائيلي.

من ناحية ثانية فقد تصاعدت أيضًا أعمال المقاومة المسلحة ضد إسرائيل في الشهرين الماضيين من الجنوب والشمال والشرق والغرب... وهو أمر لافت للنظر.

لبنان، وفي هذه الظروف، بدأ مرحلة جديدة أخرى بعد انتشار قوات الجيش اللبناني وهيمنة الشرعية في منطقة بيروت الكبرى... هي مرحلة تستهدف الحصول على المال من المؤسسات والدول العربية والعالمية لثلاثة مشاريع رئيسية ومهمة هي تأمين المياه والكهرباء والهاتف لكل بيروت الكبرى في سبيل تسيير الحياة بها.

وبعد... ماذا بعد...

لقد تم الإفراج عن جميع الرهائن... الرهائن الأجانب... فمتى يفرج عن الرهينة الغالية.. عن الكويت... وعنا نحن...؟

متى يصبح ممكنًا أن نعيش.. ليس كما كنا... لأن ما كان... كان، والقادم جديد بشكله ومضمونه...؟

صحيح أنه، وحتى الآن، نأكل ونشرب... ونام... ونستيقظ... لكن الحياة ليست هي الحياة...
فنحن لا نعيش في حقيقة الأمر... نحن مشلولون... محطمون نفسيًا إلى درجة كبيرة...
بسبب الانتظار... انتظار الحل... حرب أم سلام..؟ ومتى..؟

وعلى الصعيد الشخصي نتساءل، هل كنا على صواب بما اتخذناه من قرارات؟ هل كنا
مصيبين عندما رأينا أن يبتعد عنا أولادنا ليشق كل طريقه... خارج الوطن العربي... وأن
نظل نحن هنا... وإلى متى يمكن أن نظل هنا... سواء في هذه الأوضاع... أو بعدما تتحرر
الكويت؟

إنني لا أؤمل... ولا أمل أن أعيش مزيدًا من بقايا العمر في هذه الصحراء العربية الغنية...
إنني أريد قضاء بقايا العمر في الوطن الغالي... فلسطين، وعلى تلك البقعة من الأرض، التي
أمتلكها فوق سفح «جبل الطويل» في مدينة «البيرة»، المطلة على الساحل الفلسطيني
وعلى مدينتي التي عشت فيها طفولتي مدينة «اللد»... فهل تتحقق هذه الأمنية؟

على صعيد الأوضاع المعيشية العامة وأهم وأبرز الأحداث التي يتحدث الناس عنها في
دواوينهم وبيوتهم...

يتحدثون عن نهب البلد... فقد تمّ نهب كافة محتويات الدوائر والمؤسسات الحكومية
وشبه الحكومية بحجة أنه «لا يجوز أن تكون محافظة ما من المحافظات العراقية غنية
بمعداتها وأجهزتها أكثر من محافظة العاصمة... بغداد».

ثمّ بدأ السطو على الشركات ومحتوياتها والعبث بما لا يفيد... ثم افتتحت المخازن...
مخازن الدولة ومخازن الشركات والأفراد، ومعظمها يقع في منطقة «الشويخ الصناعية»
ومنطقة مجاورة للأولى هي منطقة «الري»... وفي المنطقة الصناعية الحديثة العهد،
منطقة «الصباحية».

يقال إنَّ حوالي ثلاث مئة شاحنة ضخمة قامت يوميًا، وعلى مدى أكثر من ثلاثة أشهر، بعملية نقل ما كان في الكويت... وكما يقال عادةً.. من الإبرة وحتى أكبر وأعقد وأثمن المعدات والأجهزة المتطورة الحديثة... يا حرام... ويا عيب الشوم...

قال لي صديق: «إنه في سبيل أن يحملوا وينقلوا خزانات أرفف، لا يزيد ثمن الواحدة على مئة أو مئة وخمسين دينارًا كويتيًّا، ألقوا أرضًا وأعطبوا محتويات هذه الأرفف أو الخزانات، من وثائق ومراجع، والتي يقدر ثمن ما في الواحدة منها بعشرات الآلاف من الدنانير... وكنا قد جمعنا تلك الأشرطة المهمة جدًّا من مصادر عديدة من دول العالم وخلال حوالي عشرة أعوام».

ثم بدأت عملية السطو على المنازل... وخاصة القلل الفخمة التي ظلت بدون أهلها أو خادميها. الكثيرون من أصحاب هذه البيوت والقلل كانوا خارج الكويت عندما حدث غزوها... وقليل منهم هاجر عبر الصحراء إلى السعودية.. أمَّا الخدم، فقد انتظروا أيامًا قليلة... ثم غادروا خوفًا... وبعضهم سنحت لهم الفرصة وحملوا بعض ما وقعت عليه أيديهم مما غلا ثمنه وخف وزنه من البيوت التي كانوا يعملون بها، أو من التي كانت بجوارهم ويعرفون مداخلها وما يمكن أن يكون بها... وذهبوا...!

لا نسمع، مثلما كنا في بداية الأزمة، عن عمليات مقاومة كويتية عسكرية ضد المحتلين العراقيين... والتي كان يشارك فيها عدد من الفلسطينيين بدليل أنَّ العراقيين يعتقلون عدة مئات على الأقل من الفلسطينيين، منهم محكوم عليهم بالإعدام، بسبب اشتراكهم في المقاومة الكويتية... وقيام العديد منهم بعمليات غاية في الجرأة.. يتحدثون مثلًا عن عملية جرت في منطقة الصليبخات ضد المحتلين وكان دور الفلسطينيين في هذه العملية كبيرًا... والله أعلم.

نسمع في بعض الأحيان صوت انفجار أو انفجارات... أو صليات رشاش... قريب... ولكن لم نتمكن من معرفة مصدره أو أسبابه... ولم نعد نكثر كثيرًا بمصدر هذه الأصوات أو أسبابها.. إلا أنَّ الأصدقاء من الكويتيين والفلسطينيين الذين لبعضهم علاقة بالمقاومة

الكويتية يؤكدون أن أعمال مقاومة المحتل مستمرة وبشراسة... ولكن من غير ضجيج، وأن العراقيين يتكتمون على ما يصيبهم من جراء عمليات المقاومة هذه.

حدثت خلال الفترة الأخيرة حادثتان علمت بهما.. وهزتا مشاعر الناس وأزعجتها إلى حد مذهل من شدة الرعب الذي أصابهم بسببهما... وربما حدثت حوادث مماثلة لها في أماكن أخرى... ولكن أحاديث الناس تتناول هاتين الحادثتين أو قل هاتين الجريمتين بالذات...

فقبل حوالي عشرة أيام نادى جنود عراقيون مسلحون بالطبع على الناس الذين كانوا يمشون في أحد أحياء منطقة السالمية، وطلبوا من سكان الحي أن يهبطوا من منازلهم وأن يتوجهوا إلى مكان محدد قرب منطقة رأس السالمية، ففعل الناس تحت تهديد السلاح... وإذا بالناس يرون ستة أشخاص - قيل إنهم عراقيون - مقيدي الأيدي والسيقان مربوطين إلى أعمدة في جدار من الأسلاك الشائكة... الضابط المسؤول والمكلف بتنفيذ المهمة موجود ومعه عدد من الجنود... وصلت ثلاث سيارات سوداء اللون ونزل منها اثنا عشر جندياً يلبسون ملابس سوداء... كلٌّ يحمل رشاش «كلاشينكوف»...

الضابط أعطى أمراً.. فاتخذ الجنود وقفة معينة (قيل ستة كانوا واقفين وستة على ركبهم)... وبأمر آخر.. صوبوا رشاشاتهم نحو المقيدون... أعلن الضابط أنّ هؤلاء هم من اللصوص الذين ضبطوا أثناء قيامهم بالسرقة، وأنه جرى محاكمتهم وتقرر إعدامهم. كان من بين الستة واحد يصرخ بأعلى صوته قائلاً: «مظلوم... والله العظيم مظلوم...» قيل إنه ظل يصرخ طوال فترة تنفيذ الحكم... ولا من يرحم...

أمر الضابط بتنفيذ الإعدام... فانهارت مئات الرصاصات على أجساد هؤلاء الستة، بمعدل اثنين وسبعين رصاصة لكل واحد منهم (صلية رشاش الكلاشينكوف تحتوي على ستة وثلاثين طلقة)... تمزقت أجسادهم... وتدلّت رؤوسهم... وانحنت أجسادهم... إلا أنّ ذلك الرجل الذي كان يصرخ طوال الوقت بأنه مظلوم لم يصب إلا برصاصة واحدة فقط -على ذمة الرواية- واستمر يصرخ مستغيثاً لأنه مظلوم... تقدم منه الضابط.. وأطلق عليه أوّل

رصاصه في رأسه (رصاصه الرحمة) لكن الرجل ظل يصرخ... مظلوم... فأطلق عليه
رصاصه أخرى فسكت الصراخ وانهار جسم الرجل...!

الحادثة الثانية تمت في ساحة دائرة المرور بمنطقة الشويخ الصناعية قبل يومين... إذ
نودي على الناس الذين كانوا هناك لإتمام معاملات لهم بخصوص سياراتهم (وتحويل
أوراقها ولوحتها من كونها سيارة كويتية إلى سيارة عراقية) فالتفت الناس إلى المنادي...
وتوجه البعض إلى المكان الذي حدده ذلك المنادي... فإذا بهم يفاجئون بأن سبعة من
الرجال مقيدون ومثبتون على أعمدة قرب جدار - قيل إن أحدهم ضابط عراقي برتبة
عقيد، حضرت فرقة الجنود ذوي الملابس السوداء، وتحركوا وفق أوامر الضابط
المسؤول... وأعلن الضابط أنّ هؤلاء هم من الذين يتلاعبون بالقانون ويبتزون الناس بطرق
ملتوية... إلخ.

اتخذ ذوو الملابس السوداء حالة إطلاق النار... وتم تنفيذ الحكم بالإعدام بنفس الطريقة...
وسال دم هؤلاء أيضًا وتلوث أجسادهم وانهارت ملطخة بدمائهم...

من يدري أنه جرى بالفعل محاكمتهم؟ ومن يستطيع أن يقول إن كل متهم منهم حصل على
حقه في الدفاع عن نفسه؟

إنه لأمر مرعب حقًا... كيف، وفي مثل هذا العصر... يتم محاكمة رجل ما بتهمة ما... دون أن
ينال حقه في الدفاع عن نفسه... أي عصر هذا الذي نعيشه في ظل هذا الوضع وتحت حكم
هكذا نظام؟

(الأربعاء ١٣/١٢/١٩٩٠) أمس ذهبت وتمايم إلى منطقة الشويخ الصناعية... وجدنا أنفسنا
قريبين من سوق الخضروات والفواكه الكبير (الشبرة)... ونحن لم نذهب هناك منذ أكثر من
شهرين على الأقل... وجدنا الكثير مما نحتاج إلى شرائه.. وفوجئنا بوجود السيارات
البرادات الكبيرة جدًا (شاحنات طويلة) تقف لتفرغ حمولتها من الخضروات والفواكه التي

تأتي معظمها من الأردن، ويقال إن مثلها يدخل آتياً من إيران ومن سوريا ولبنان.. ومن العراق.

اشترينا البرتقال، كيسًا يحتوي على ما لا يقل عن خمسة عشر كيلوغرامًا بخمسة وعشرين دينارًا عراقيًا، وكيسًا آخر من «الغريب فروت» بنفس الثمن. كما اشترينا سحارة خس كبيرة وأخرى من المندرين أو المنديلين بخمسة وعشرين دينارًا للواحدة... واشترينا التمر والليمون والبندورة... وغيرها...

وعند دوار «الشبرة» الكبير وجدنا سوقًا مليئة بمعظم ما يحتاجه المرء من المأكّل والمشرب ولوازم المنزل... معلبات وسمك ولحوم وفراريج مذبوحة ومجمدة وأخرى حية... وديوك وأرانب وفحم بأكياس كبيرة... وغيرها.

إنّ معظم الباعة هم من العراقيين... وقليل من الفلسطينيين، وفي أماكن أخرى يوجد باعة كويتيون أيضًا...

أحد باعة الخضروات عرفته.. فهو كان يعمل في ورشة الـ JVC، كانت مهمته تسلم الآلات من الزبائن التي تحتاج إلى إصلاح وتحديد موعد تسلم الآلة.. وكان أنيقًا في ملبسه مهذبًا في تعامله مع الناس، وهو لا يزال مهذبًا... لكنه لم يعد يلبس تلك الملابس الأنيقة... قال لي: «ماذا عساي أن أفعل... فالقدر والظروف قاهرة يا عم أبو يزيد».

وقبل بضعة أيام كان معنا على الغداء، بدعوة منا، أخوان شقيقان... وبالطبع دار الحديث منذ بدأنا حول الأوضاع... وعما يدور في هذه الأيام من تحركات سياسية ودبلوماسية، وما يصدر من قرارات وتصريحات مفاجئة... وعن المستقبل القريب، وما بعد القريب، عن الفترة التي ستفصل بين انسحاب القوات العراقية وعودة الكويتيين لتسلم مقاليد الحكم في بلادهم، وعن تصور مستقبل الكويت بعد هذه التجربة المريرة التي مروا ومررنا معهم بها...!

كان الحديث وديًا... لكنه صريح وجارح في بعضه... ومخيف...

وتساءلت بيني وبين نفسي... كم يا ترى نسبة الكويتيين ممن يرون أنّ شكل الحياة والعيش في الكويت يجب أن تقوم على مثل هذه المبادئ والأفكار التي طرحها صديقنا... خاصة ما يتعلق بعلاقات الكويت مع العرب... وما يتعلق بفرص العمل لهم في الكويت... وبخاصة الفلسطينيين...؟

والصديق... يسكن مع زوجته وثلاثة من أنجاله، كان يخدمهم فيها -قبل الغزو- سبعة آسيويين، طبّاح وسائق وحدائقي ومنظفين... هو شاب في الثلاثينيات من عمره، حاد المزاج، عنيف وذكي إلى درجة تضعه في مصاف المتطرفين، مقدام، سريع في اتخاذ قراراته وتنفيذها...

في أوائل أيام الأزمة عمل بجد في خدمة الناس وتأمين احتياجاتهم للعيش. ومنذ تعرفت إليه كان واضحًا في موقفه من العرب والعروبة، فبسبب ألمه الشديد من مواقف كثيرين من العرب، وموقف جامعة الدول العربية من احتلال العراق للكويت، كان يقول: «أنا... وليس غيري... من سيقتل أي مسؤول كويتي يحاول بعد اليوم أن يقول أنا عربي، أو أن يدعو للاستمرار في عضوية الكويت لجامعة الدول العربية»... كلام انفعالي مقبول في لحظة قوله فقط.. بسبب الآلام التي سببها الاحتلال الجائر للكويت.. وعدم وقوف الدول العربية، وبخاصة تلك التي اتخذت مواقف تساند العراق..

لم أكن في يوم من أيام الاحتلال العراقي للكويت أتصور نفسي متمنيًا أن تربط قضية انسحاب القوات العراقية من الكويت بانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية العربية المحتلة، أي بعقد مؤتمر دولي لحل أزمة الخليج مع أزمة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي لم أكن أتصور نفسي متمنيًا ذلك إلا بعد الحديث الطويل والمفتوح والصريح الذي دار قبل أيام مع الصديق...

إنني قادر على تصور ما أصاب الكويتيين من أضرار فظيعة بسبب هذه الهجمة البربرية، بكل ما احتوت عليه من فظائع رهيبة، ضد البلد ومؤسساته.. وضد سكانه من الكويتيين والمقيمين من العرب والأجانب.. وقادر على تصور مدى الألم الذي أصاب الكويتيين من جراء تصرفات بعض الفلسطينيين الذين راحوا بهبل وجهل وقلة وعي يتعاملون مع المحتل العراقي بشكل مباشر أو غير مباشر وبحجج، بعضها بلهاء وأخرى مقنعة.. كإرسال أولادهم وبناتهم إلى المدارس.. أو كالقول بأنهم يسعون وراء لقمة عيشهم والحفاظ على وظائفهم وحقوقهم من جراء خدمتهم في هذا البلد الشقيق مددًا تتراوح ما بين العشرين والأربعين عامًا، هي سنوات من أهم سنين عمرهم!

لقد غابت القيادة الفلسطينية الواعية على حقيقة ماجريات الأمور وتطوراتها والقادرة على استشفاف آفاق الأوضاع المستقبلية ولتتخذ القرار الذي به يهتدي أبناء الجالية الفلسطينية بمسارهم في هذه الأزمة...

إنّ معظم الفلسطينيين الموظفين في دوائر الدولة كانوا في حالة ضياع لفقدان المؤشر والهادي لهم لكي يقرروا على ضوئه موقفهم وما عليهم أن يفعلوه في مثل هذه الظروف المفاجئة...

إنهم يخشون، إن هم عصوا وأمر السلطة العراقية المحتلة والقائلة بضرورة الذهاب إلى مقر أعمالهم في الدوائر والمؤسسات الحكومية... إنهم يخشون أن تأمر السلطة ليس فقط بفصلهم من العمل... بل طردهم من البلاد!!

وإلى أين يذهبون... وكثيرون منهم يحملون وثيقة السفر المصرية الخاصة باللاجئين الفلسطينيين والتي لا تمنحهم حق السفر إلى مصر، المصدرة لهذه الوثيقة، إلا بتأشيرة دخول يحصل عليها الفلسطيني قبل أشهر من موعد سفره... وفي حالات كثيرة يرفض الطلب دون إبداء الأسباب...

وكثيرون هم الفلسطينيون، ممن يحملون مثل هذه الوثيقة، وحصلوا على تأشيرة دخول لمصر... أعيدوا على نفس الطائرة التي حملتهم من مكان عمل الواحد منهم أو مكان إقامته، أو ربما على طائرة أخرى... لأن سلطات مصر في مطار القاهرة أبلغته في المطار، على الرغم من وجود تأشيرة دخول لمصر، بأنه ممنوع من الدخول، فجأة، وبدون إبداء الأسباب...

وهم لا يستطيعون أيضًا دخول أي بلد عربي، أو أجنبي، إلا بتأشيرة مسبقة بوقت طويل.. إلى أين يذهبون... إلى الوطن... فالوطن أسير وواقع تحت الاحتلال منذ ثلاثة وعشرين سنة... بفضل الأنظمة العربية...

وهم ممنوعون من دخول الوطن الفلسطيني إلا بتصريح... يعده الأقارب المقيمون في الأراضي الفلسطينية المحتلة قبل أسابيع من موعد رغبة أحد في الدخول إلى الوطن... إذا وافقت السلطات الإسرائيلية المحتلة على دخوله... ودخوله على أية حال، هو دخول مؤقت ولمدة محددة... إنه زائر.. وليس مواطنًا يروح إلى وطنه...

إنّ صديقنا... لا يرى في كويت المستقبل مكانًا لكل من تعاون مع المحتل العراقي من الفلسطينيين، أو غيرهم من الجنسيات الأخرى... وأنا أوافق على ذلك.. لكننا نختلف في تعريف المتعاون...

فمن هو المتعاون في نظر الأخ الصديق...؟

قال: «هو كلّ من خدم العدو العراقي المحتل عسكريًا، أو مده بمعلومات مهمة ودقيقة عن المؤسسات الكويتية الحكومية والمستقلة والخاصة ومحتوياتها... وكيفية استخدام أدواتها أو معداتها، أو تفكيكها...».

قلت: «إنني موافق معك على هذا التعريف».

لكنه استطرد قائلاً: «وكل من داوم في وظيفته الحكومية مع بداية أيام الاحتلال، باستثناء الذين يعملون في مؤسسات حيوية كالمؤسسات الصحية ومحطات تكرير المياه وتوليد الكهرباء...».

«إنَّ كلَّ الذين راحوا يداومون في مقار أعمالهم الحكومية، بما في ذلك المعلمون هم في نظرنا متعاونون...».

قلت للصديق: «يا أخي، إنَّ الذين راحوا يداومون في المؤسسات الحكومية.. كالوزارات المختلفة، بما فيها وزارة التربية، التي يعمل فيها آلاف الفلسطينيين، لم يذهبوا لدعم سلطة المحتل... بل هم ذهبوا خوفاً على لقمة عيش عيالهم... وذهبوا إلى المؤسسات التي يعملون فيها لخشيتهم، ليس من فصلهم من وظائفهم وحسب، بل من قرار، يمكن للسلطة المحتلة أن تتخذه في حال عصيانهم، بطردهم من البلاد... فإلى أين يذهبون... وكثير منهم من حملة الوثائق المصرية التي لا تجيز لهم دخول أي بلد إلا بتأشيرة مسبقة بمدة طويلة...؟ أضف إلى ذلك أنَّ المدارس التي تم استخدامها سلمت من النهب... وبقيت معداتها فيها...».

ثمَّ أضاف قائلاً: «إننا نملك المعلومات الكافية عن كلِّ المتعاونين الذين تنطبق عليهم الشروط التي ذكرتها كمتعاونين مع العدو العراقي».

«هؤلاء... ليس لهم مكان في الكويت مستقبلاً...».

«يجب أن تكون هناك طريقة جديدة للتعامل مع الوافدين العرب والأجانب... وسيكون للكويت أسلوب جديد للاستعانة بغير الكويتيين في تسيير حياتنا في الكويت».

«الكويت لنا أوَّلاً... وسنستعين بمن نحتاج إليه فعلاً... وليس أكثر مما نحتاج على الإطلاق.. وبأسلوب التعاقد مع من نحتاج فقط.. ولن نسمح لذويه، زوجته وأولاده وخدمه، بأن يقيموا عندنا. ومدة التعاقد ستكون محدودة لمدة سنتين فقط... والله معه».

«وسوف تعمل على التعاقد مع أصحاب الكفاءة الأفضل والأرخص في نفس الوقت.. ولن تكون هناك أفضلية لأحد بسبب القومية أو الدين أو الجنسية... بل هي للأفضل والأرخص...».

وأضاف: «يجب أن تكون لنا مدارسنا الخاصة، ومستشفياتنا الخاصة أيضًا...»، مبررًا ذلك بأن أولاده أصبحوا يدرسون في المدارس الحكومية التي امتلأت بغير الكويتيين، وصار مستوى المدارس بسبب غير الكويتيين متدنياً!

«ولنا مع العائلة الحاكمة حسابات طويلة... ومع فئة الـ«بدون» حسابات أيضًا طويلة... ولن ندع الفرصة تفوتنا نحن الذين بقينا في الكويت وعانينا ونعاني من الاحتلال بشكل مباشر...».

كنت أستمع إليه مذهولاً مما أسمع، مقاطعاً له أحياناً لاستيضاح أمر ما، أو للتعقيب على هذه النقطة أو تلك. ناقشته في بعض الأمور... ولكن من تناقش... وماذا تناقش... فقد انعدمت أية مساحة من الأرض المشتركة التي يمكن أن أناقشه عليها...

لم أكن أتصور قط أن ينسى صديقنا، وأمثاله، أنّ الذي علمه، وربما علم والده، هو العربي... والفلسطيني بالدرجة الأولى... فمنذ عام ١٩٣٦ أو ١٩٣٨ جاءت أول بعثة تعليمية فلسطينية للكويت... ليس من أجل ذهب الكويت الأسود... الذي لم يكن بعد قد اكتشف... بل من أجل الشعور الأخوي العربي.. من أجل شيء اسمه أخوة عربية.

ألا يعرف صديقنا ومن يفكر مثله أنّ الذي جاء مهاجرًا من بلاد «اللبن والعسل» (فلسطين) بسبب النكبة التي حلت بشعبنا الفلسطيني، بفضل التآمر الرسمي العربي، الذي لم يجعلنا نكفر بعروبتنا - كما يفعل صاحبنا اليوم من هذه المصيبة التي حلت بالكويت - جاء إلى الكويت أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، في ظروف قاسية جدًا... إذ لم تكن الكويت قد دخلت عصر الكهرباء بعد... من أجل لقمة العيش ومن أجل أن يسهم في بناء هذا البلد الذي عجت تربته بعرق ودماء مئات الآلاف من الفلسطينيين.

هل نسي أنّ سواعد الفلسطينيين هي التي بنت، أو... حتى لا نكون مبالغين... أسهمت
بنسبة تفوق إسهام أي جالية أخرى في بناء هذا البلد؟

ألا يذكر هو أنّ أكبر نسبة من المدرسين الذين أنشئوا جيلين من الكويتيين تنشئة طيبة
واعية كانوا من الفلسطينيين؟

الفلسطينيون أثروا في هذا البلد، أو حتى أكون أكثر دقة، إنّ عددًا كبيرًا من الفلسطينيين
قد أثرى جيدًا من خير هذا البلد، ولكن ثراءهم لم يكن سرقة من أحد... بل هو ثمن كفاءة
متفوقة ولقاء جهد مثابر ومخلص.

وماذا يقصد صديقنا... بقوله: «الكويت أوّلاً لنا... أما الذين سنسمح لهم بالقدوم للعمل عندنا
فسيكونون أفرادًا من غير عائلاتهم... ولمدة محددة لا تتعدى سنتين؟
من المقصود بذلك؟ إنهم الفلسطينيون بالطبع...

لقد كان في الكويت حتى قبيل الاحتلال العراقي لها حوالي ٤٠٠ ألف فلسطيني. صحيح أنّ
المعيل العامل منهم لم تتعدّ نسبته أكثر من ٣٥ إلى ٤٠٪، وأن أكثر من نصف هذا العدد قد
خرج الآن من الكويت، ولم يبقَ بها سوى أولئك الذين اعتقدوا أنّ بقاءهم ضروري لمساندة
الكويتيين في محنتهم، وآخرين لم يكن باستطاعتهم الخروج بسبب وثيقة السفر المصرية
التي يحملونها، التي لا توفر لهم حرية السفر والإقامة في أيّ من البلاد العربية... أو هم
أردنيون من الضفة الغربية المحتلة وليس لهم في الأردن ما يربطهم سوى جواز السفر
ومعظمهم من الفنيين والمدرسين والموظفين.

هؤلاء هم الذين بقوا في الكويت... إنهم أولئك الذين اعتقدوا أنّ بقاءهم هو بمثابة
المساندة للكويتي والتضامن معه في محنته، ومن لا سبيل أمامه للذهاب إلى وطنه وخائف
من قرار يمكن أن يصدره المحتل العراقي بطرده من الكويت بسبب عصيانه لأوامره، فإلى
أين يذهب وليس أمامه إلا التيه؟

أما الجاليات العربية والأجنبية الأخرى، والتي كانت تعمل في الكويت وتعتاش من خيريه، فقد هربت... لم يبقَ في الكويت إلى جانب الكويتيين سوى الفلسطينيين، الذين أوضحت أسباب بقائهم، وبضعة آلاف من العرب والأجانب.

الفلسطينيون ببقائهم في الكويت، إلى جانب إخوتهم الكويتيين الذين بقوا في الكويت، ومعهم، تمكنوا من تيسير سبل البقاء في الكويت خلال فترة الاحتلال البغيض...

أليسوا هم الفلسطينيون الذين قاموا بالعمل في المؤسسات الحيوية وأمنوا لمن بقي في الكويت إمكانية الحياة؟

فمن الذي أدار محطات توليد الكهرباء وتوزيعها فنيًا؟

ومن الذي أدار مؤسسات تكرير المياه؟

ومن الذي تولى مسؤولية إزالة أخطار خزانات الأمونيا، وتأمين عمل محطات تكرير النفط وتوفير المحروقات للسيارات اللازمة لتسيير الحياة في الكويت أثناء فترة الاحتلال؟

ومن الذي أمن العلاج لجميع الناس وأبقى على الكثير من هذه المؤسسات الإنسانية عاملة وفعالة، كالمستشفيات والعيادات ومراكز الطب الأخرى؟

لقد كان العنصر الفلسطيني في هذه المؤسسات هو العنصر الأساسي... وشكّل ما نسبته أكثر من ٨٠ أو ٩٠% من العاملين فيها... ولولاها لما استمرت معظم هذه المؤسسات تعمل وتخدم الناس بالشكل الفعال التي كان عليه الحال في ظل الخطر القائم بسبب الاحتلال...

ومن أولئك الفلسطينيين الذين بقوا في الكويت، والذين يقدر عددهم اليوم بنحو مئتي ألف فلسطيني، يوجد بينهم بضعة مئات، أو قل ألفًا أو ألفين، من الذين يمكن اعتبارهم متعاونين مع المحتل العراقي وخونة لحق الكويت عليهم في محنتها الحالية.. منهم

المتعاونون العملاء... ومنهم المستفيدون من هكذا ظروف، كتجار الفرص... ومنهم اللصوص والمجرمون...

لكن هذه الظاهرة ليست ظاهرة فلسطينية فقط.. بل هي ظاهرة بشرية وشعبية.. توجد أينما وجد شعب... ففي كل شعوب الدنيا توجد هذه الظاهرة.

ألم يتعاون فرنسيون، إبان الاحتلال النازي الهتلري الألماني لفرنسا، مع العدو المحتل؟

ألم يتعاون جزائريون مع المحتل المستعمر الفرنسي أثناء فترة الاحتلال... بل وأثناء اندلاع ثورة التحرير الجزائرية ضد المحتل الفرنسي؟

ألم يتعاون فيتناميون مع الغزاة الأمريكيين لفيتنام في زمن الثورة الفيتنامية التي قامت في وجه العدوان الأمريكي؟

ألم يتعاون فلسطينيون مع العدو الصهيوني المغتصب لفلسطين؟

ألم يتعاون كويتيون مع المحتل العراقي للكويت في هذه الأيام؟

فمثلما توجد نسبة من العاقين والخونة لبلادهم والعملاء للعدو أو للمحتل البغيض في كل شعوب الدنيا... توجد هذه النسبة بين أبناء الشعب الفلسطيني... وبين أبناء الجالية الفلسطينية في الكويت.

لماذا ينبغي أن يكون الشعب الفلسطيني مستثنياً من هذه القاعدة؟

الحقيقة أنّ حديث صديقنا... وأفكاره هذه، أزعجتني جداً... وصار همي الجديد أن أعرف كم من الإخوة الكويتيين يفكرون مثل هذا التفكير، ويعتقدون مثل هذه الآراء؟

وقلت في نفسي إن كانت هناك نسبة عالية من الكويتيين على شاكلة هذا الصديق بأفكاره هذه... فلماذا إذن لا يرتبط حل أزمة الخليج مع حل المشكلة الفلسطينية؟

إنَّ هذا النوع من الفكر الجديد لكويت المستقبل سوف يخلق أمام مئات الآلاف من الفلسطينيين مشكلة حقيقية... أي إنه ينبغي السعي لإيجاد مكان يقيمون عليه ويعملون فيه... ولماذا لا يكون هذا المكان هو فلسطين طالما أنَّ فرصة توفرت الآن للقضية الفلسطينية لطرحها على طاولة البحث...

لكنني وقبل أن أستطرد في مثل هذه المشاكل، قلت إنَّ أفكار صاحبنا هذه لا يمكن أن تكون أفكار الأغلبية من أهل الكويت الأشقاء... ولا بد أن تكون للعقلاء غير هذه الأفكار...

إنني لست ضد أن تكون الكويت للكويتيين أوَّلًا... ولكن الكويتيين، شاءوا أم أبوا، هم جزء من الأمة العربية... تاريخًا ولغةً وتراثًا وثقافة وفكرًا وأحاسيس ومشاعر... إننا أمة واحدة على الرغم من كلِّ المصائب التي لحقت بنا من جراء هذه الحقيقة... ولا فكاك منها...

لكن هذه الأمة... التي حاولت مع طلائع هذا القرن أن تفيق من غفوة طويلة.. والتي خاب أملها ولم تتحقق أحلامها... لأن الأعداء كانوا لها بالمرصاد، ولم يمكنوها، رغم تحالف طلائعهم مع كبريات الدول في ذلك الزمن، للتخلص من حالة الخنوع التي كانوا يعيشونها في ظل الحكم العثماني، والذي ظل رابضًا على صدر هذه الأمة قرابة أربع مئة عام... هذه الأمة لا بد أن تحقق آمالها وطموحات شعوبها، ولا بد أن تنتفض وأن تقوم من غفوتها ثانية...

إنها اليوم في كبوة من كبواتها... وفي غفوة من غفواتها.. في عصر لا يحتمل الغفوات الطويلة... ولا بد من أن يأتي اليوم الذي تصحو فيه هذه الأمة لتتعايش مع هذا العصر، وتتكامل مع نفسها المجزأة بصورة ما...

إنَّ للكويتي الحق في بلده، ولكن للأشقاء من أبناء العروبة... مهما كانت ألامنا كبيرة بسببهم... وجروحنا عميقة بخناجرهم... حق فيما أنعم الله على هذا البلد... تمامًا كما للكويتي حق في التمتع بخيرات أي بلد عربي آخر. لا يمكننا ولا يجوز لنا أن نسلخ جلودنا،

ونقع في قوقعاتنا، لنقول هذا الحق لي وحسب. إننا ننتمي لشعوب عربية تكمل بعضها بعضًا... ونحتاج بعضنا إلى بعض...

إنَّ الواقع يقول إنَّه لا غنى للكويتي عن العربي، وعن الفلسطيني بشكل خاص، في السنوات القليلة القادمة على الأقل. إنَّ اقتصاد الكويت، وحركة السوق بالذات، يعتمد بنسبة كبيرة على الوجود الفلسطيني وعلى الجهد الفلسطيني. إنه من الممكن استبدال بالعربي بشكل عام، وبالفلسطيني بشكل خاص، آسيويًا ليقوم بنفس العمل الذي يقوم به العربي بمقابل أقل كثيرًا من المقابل الذي يتقاضاه العربي، والفلسطيني - مرة أخرى - بشكل خاص...

لكن الآسيوي، هنديًا أو باكستانيًا أو فلبينيًا أو بنغلاديشيًا أو غيره من الآسيويين، والذي سيتقاضى راتبًا ما مقابل خدمته، ربما يشكل ما نسبته ٢٥ أو ٣٥% من الراتب الذي يتقاضاه العربي، لن يصرف من راتبه في الكويت إلا ما نسبته ١٠% أو أقل من ذلك قليلًا...

كذلك العربي غير الفلسطيني الذي يأتي للعمل هنا من دول كمصر أو لبنان أو سوريا... أو من المغرب العربي... فهو لا يصرف عادةً سوى نسبة قليلة لا تتجاوز الـ ٢٥% من دخله... لأنه أت هنا ليجمع مبلغًا معيّنًا من المال، وفي فترة زمنية محددة، ليعود به إلى وطنه من أجل أن يكون هذا المبلغ الذي جمعه في الكويت، أو في غيرها من دول النفط، رصيدًا لمشروع ما يقيمه لنفسه في بلده.

الفلسطيني، سواء ذلك الذي يحمل وثيقة سفر مصرية أو جواز سفر أردنيًا، أي من جاء إلى بلاد النفط من قطاع غزة أو الضفة الغربية بفلسطين قبل حرب حزيران (يوليو) المشؤومة عام ١٩٦٧، وسدت في وجهه طريق العودة إلى الوطن، أنشأ بالتعاون مع الكويتي وفي الكويت من دخله - إن كان من ذوي الدخل العالي - المشاريع، ويصرف مبالغ كبيرة من دخله في الكويت. أمّا إن كان من ذوي الدخل المحدود فإنه يصرف ما نسبته أكثر من ٥٠% من هذا الدخل في الكويت.

إننا لا نتمنى أن تظل قضية فلسطين معلقة على أرفف الأمم المتحدة لنبقى نعمل ونعيش هنا في بلاد النفط... بل إننا نعمل وناضل من كلِّ مواقعنا، وكل حسب إمكاناته، من أجل أن يأتي اليوم الذي فيه نعود إلى الوطن الغالي فلسطين. لكننا، ولأننا نعرف تعقيدات قضيتنا، نقول: إنَّ الربط بين أزمة الخليج وأزمة فلسطين لا يمكن قبوله من حيث المبدأ... على الرغم من أفكار صاحبنا التي أخافتني وأرعبتني لما اشتملت عليه من طرح عنصري أناني!

وعند توجيه سؤاله إلى عدد من الإخوة الكويتيين الواعين عن نسبة من يفكرون بمثل طريقة تفكير صاحبنا... وعلى رأسهم الصديق علي، الذي ضحك قبل أن يجيبني على سؤاله قائلاً: «إنَّ هذا الصاحب لا يمثل إلا نفسه وربما عددًا محدودًا جدًّا من الكويتيين...» أحسست بالراحة، وحمدت الله أن بين الكويتيين نسبة عالية ممن يختلفون مع أفكار صديقنا وأمثاله... وأنهم لا يتفقون مع آرائه فيما يتعلق بتعريف المتعاونين مع العراقيين... وفيما يتعلق بكويت المستقبل.

نحن نشعر بالسعادة أنَّ الحديث يدور في هذه الأيام حول ضرورة عقد مؤتمر دولي لإيجاد حل لمشكلتنا الفلسطينية... وأن هذا الحديث دائر ليس فقط في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، بل هو حديث يشكل هاجسًا لكثير من الدول الكبرى في العالم.

وهذا في اعتقادي يوجب على الدول العربية أن تتحرك، أو أن تسعى بجدية لكي تتخلص من مشاكلها، وعلى رأسها إزاحة الاحتلال العراقي عن الكويت.. وأن تستعيد هذه الدول تضامنها، إن استطاعت، لكي توجه إمكاناتها وقدراتها لدفع عجلة المؤتمر الدولي.

إن حل المشكلة الفلسطينية أمر يجب السعي إليه والنضال من أجله، وهو أمر عربي وإنساني قبل أن يكون أمرًا فلسطينيًا. فالمسألة الفلسطينية، إن لم تحل، ستظل «قميص عثمان» الذي يتستر به كل طامع وحقود وغازٍ يمكن أن يبرز في المستقبل، تمامًا كما برز الطاغية صدام.

(السبت ١٥/١٢/١٩٩٠) أهم أخبار هذه الأيام تتركز على ردود فعل مبادرة الرئيس الأمريكي بوش التي كان قد أعلنها قبل أسبوعين، والتي تتعلق بقبول الحوار مع القيادة العراقية. وكانت العراق قد وافقت رسمياً على ذلك، وبعد إعلان موافقتها بأيام قليلة حددت موعداً لسفر الوزير العراقي طارق عزيز إلى أمريكا لمقابلة الرئيس الأمريكي وذلك يوم السابع عشر من الشهر الجاري.

طلبت أمريكا من العراق أن يحدد موعداً يستقبل فيه الرئيس العراقي الوزير الأمريكي، فردت بغداد محددة يوم الثاني عشر من الشهر القادم (يناير ١٩٩١) لهذه المقابلة.

أمريكا رفضت هذا الموعد، وطالبت بأن يكون الموعد فيما بين العشرين من الشهر الجاري والثالث من الشهر القادم على أبعد حد.

وقالت أمريكا إنها ترى الموعد الذي حددته العراق للوزير الأمريكي قريب جداً من الموعد المحدد في قرار مجلس الأمن الدولي الأخير، والذي يطالب العراق بالانسحاب من الكويت في موعد أقصاه الخامس عشر من كانون الثاني (يناير) القادم.

لكن العراق ما زال يصر على أن الكويت جزء لا ولن يتجزأ من العراق، وهو لا يعترف بقرار مجلس الأمن المذكور، ويرفض تحديد موعد آخر للوزير الأمريكي بحجة أن جدول مواعيد «السيد الرئيس القائد» لا يسمح له بمقابلة الوزير الأمريكي إلا في التاريخ الذي حدد له في الثاني عشر من الشهر القادم.

رفض العراق، الليلة، مشروع الحوار الأمريكي العراقي الذي كان يطالب به ووافقته عليه أمريكا، مكرراً، على لسان الرئيس العراقي، أن الكويت حق تاريخي للعراق، وأنه تواق للسلام! لكن حديث الرئيس العراقي تضمن إشارات توحى بأنه، على الرغم من حقه التاريخي في الكويت، على استعداد للبحث في الموضوع... أي أن الباب لم يغلق نهائياً في وجه الحل السلمي.

أقال الرئيس العراقي، منذ حوالي أسبوع، وزير دفاعه الفريق صديق قنشل وعيّن بدلاً منه الفريق سعدي طعمة عباس، وقد عين الفريق شنشل وزير دولة للشؤون العسكرية.

وزير الدفاع العراقي الجديد كان مفتشاً عاماً للقوات العسكرية العراقية، وكان قائداً لعمليات تحرير «الفاو» جنوبي العراق، ويعتبر من القادة المتمرسين عسكرياً وسياسياً في العراق.

قبل أربعة أيام بدأ الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد جولة لزيارة عدد من البلدان المعنية بأزمة الخليج. فقد زار حتى اليوم كل من الأردن والعراق وإيران وعمان وسوريا... وسيتوجه يوم غد الأحد إلى بيروت ومصر، وسيعرج في طريق عودته على ليبيا وتونس. وقد التقى في جولته هذه كافة زعماء هذه البلدان. وكان قد ذكر في بداية جولته أنه سيزور كلاً من الأردن والعراق والسعودية... لكن السعودية لم ترحب بزيارته قائلة إنه لا فائدة من هذه المحاولات العربية، طالما أنّ الرئيس العراقي لا يصرح بأنه على استعداد للانسحاب من الكويت.

الرئيس الجزائري الذي غادر مسقط ظهر اليوم متوجهاً إلى سوريا بعد أن التقى السلطان قابوس، وجه وهو في الأجواء السعودية برقية إلى الملك فهد حملت تحياته إليه، ورد عليها الملك فهد بتحياته، حسبما ورد في نشرة أخبار السعودية. كما أنّ الأمير سلطان بن عبد العزيز وصل سلطنة عُمان بعد مغادرة بن جديد لها، ليجتمع مع المسؤولين العمانيين هناك!

السلطان قابوس أشاد بمبادرة الرئيس الشاذلي بن جديد، وأهاب بالزعماء العرب التعاون معه لإنجاح مهمته...

وعلى الرغم من أن نتائج جولة الرئيس الجزائري بن جديد حتى الآن محاطة بالكتمان، فإنه يقال إن جولته سوف تسفر عن حل عربي يرضي الأطراف المتنازعة... وإن الانسحاب العراقي من الكويت سوف يحدث بالتأكيد قبل منتصف الشهر القادم... والله أعلم.

الإفراج عن جميع الضيوف الرهائن تم... وتمتع بهذه الهدية كل الرهائن الذين كانوا محتجزين في العراق، أو مختبئين فيه وفي الكويت. ولم يبقَ من الرهائن الأجانب إلا أعداد قليلة فضلت البقاء... ولا بد أن لها أسبابها في ذلك.

مجلس الأمن الدولي أجّل للمرة الثالثة اتخاذ قرار بشأن حماية الفلسطينيين والإشارة إلى ضرورة عقد المؤتمر الدولي لبحث مشكلة الشرق الأوسط وإيجاد حل عادل للشعب الفلسطيني.. وسيعقد هذا المجلس جلسة أخرى لهذا الموضوع يوم الاثنين القادم.

أسباب التأجيل كما قالت الأنباء، هي محاولة التوصل إلى صيغة مقبولة من قبل أمريكا! وكانت زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق شامير لأمريكا، واستقباله من قبل الرئيس الأمريكي وعدد من المسؤولين الأمريكيين، كما استقبله وزير الخارجية السوفييتي إدوارد شيفرنادزه الموجود في أمريكا، ذات علاقة بقرار مجلس الأمن الآنف الذكر.

فرنسا منزعة من الموقف العراقي الذي عقد مسألة الحوار الأمريكي العراقي، وترى أن ذلك سوف يزيد من احتمالات الحرب في منطقة خطيرة جداً... وقال الرئيس الفرنسي: «يبدو أن الرئيس العراقي لا يعرف مدى الخطورة التي تحيط به في حال إصراره على موقفه».

القوات الأمريكية تزداد، وتزداد معها وتكبر آلة الحرب. فرنسا ترسل مزيداً من القوات إلى منطقة الخليج... ورئيس الوزراء البريطاني الجديد جون ميجر بدأ أول زيارة له إلى خارج بريطانيا، فسافر إلى إيطاليا لحضور مؤتمر قمة السوق الأوروبية المشتركة الذي انعقد أول أمس في روما، وسوف يزور منطقة الخليج قريباً لتفقد القوات البريطانية المتواجدة فيها، والتي يبلغ تعدادها في هذه الأيام نحو ثلاثين ألف جندي.

وزير خارجية إيطاليا، وهو في الوقت نفسه رئيس دورة السوق الأوروبية المشتركة الحالية، صرح قبل أيام بأنه سيلتقي وزير الخارجية العراقي باسم السوق الأوروبية

المشتركة. اليوم أعلن أنه لن يقابل طارق عزيز إلا بعد أن يستقبله الرئيس الأمريكي بوش!

اجتماع القمة الأوروبي المذكور اختتم أعماله اليوم، وأصدر بيانه الذي تضمن تأكيداً على قرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بأزمة الخليج... وطالب العراق بضرورة «الانصياع لقرارات المجتمع الدولي للسلام في الشرق الأوسط، وضرورة عقده بالسرعة الممكنة، وبحضور كافة الأطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، من أجل إيجاد حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية، وضمان أمن وسلامة كافة دول وشعوب هذه المنطقة».

شهدت الأراضي الفلسطينية المحتلة عملية جريئة قتل فيها ثلاثة من المستوطنين الصهاينة. فقد اكتشفت ثلاث جثث (لرجلين وامرأة) من اليهود مقتولين بطعن السكاكين في مخزن تابع لمصنع ألنيوم في مدينة يافا. وفي نفس اليوم (أول أمس) وقعت طائرة حربية في جنوب فلسطين وقتل في الحادث خمس ضباط إسرائيليين، كما فارق الحياة أحد الذين أصيبوا في عملية هجوم رجل عسكري مصري على باص إسرائيلي قبل أكثر من أسبوعين قرب العقبة.

(الجمعة ٢١/١٢/١٩٩٠) على صعيد أزمة الساعة، لا توجد تطورات سياسية أو عسكرية مثيرة وجديدة، فالأمور وصلت إلى طريق شبه مسدود نسبياً، خاصة بعد تعثر مبادرة الرئيس الأمريكي بوش للحوار مع العراق. وأصبح من الصعب التكهن بما ستسفر عنه الأيام أو الأسابيع القليلة القادمة. العراق على موقفه من الأزمة، وأمريكا وأوروبا، إضافة إلى السعودية ودول الخليج العربية على موقفهم... طبول الحرب عادت تقرع من جديد. العراق يقول إنه، إن فرضت عليه الحرب فلسوف يحارب بشراسة... وإنه سينتصر.

العسكريون الأمريكيون الكبار يقولون إنَّ استعداداتهم أصبحت، أو على وشك أن تكون قادرة على إجبار العراق على الانسحاب من الكويت.

هناك تصريحات أمريكية عسكرية متضاربة، على لسان عسكريين مسؤولين... منهم من يقول إن القوات أصبحت مستعدة لشن حرب تحرير الكويت... ومنهم من يقول إن استكمال انتشار القوات وتمركزها لتكون مستعدة للقيام بالمهمة، سوف يتم أواسط (شباط) فبراير القادم، وآخرون يقولون إنَّ القوات الجوية هي على أتم الاستعداد لتنفيذ الضربة القاضية... وهم يعتقدون بأن الحرب ستكون خاطفة ومحققة للأهداف.

العراق يقول إن أعداءه واهمون، وأن الحرب ستكون وبالاً عليهم... وأنها لن تكون حرباً خاطفة!

بريطانيا وفرنسا متحمستان للمشاركة في العملية العسكرية إن كانت هي الحل الوحيد لتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بأزمة الخليج. هذا على الرغم من أنَّ هناك توجهاً أوروبياً يقوده الرئيس الفرنسي ميتران لحل الأزمة سلمياً. إيطاليا وألمانيا تسعيان في سبيل حل سلمي للأزمة بالتعاون مع فرنسا وباقي مجموعة الدول الأوروبية.

(الاثنين ٢٤/١٢/١٩٩٠) وأخيراً اتخذ مجلس الأمن الدولي قرارته المتعلقة بفلسطين. تضمن القرار ثلاثة بنود: استياء المجلس من عملية طرد الفلسطينيين من الأراضي العربية المحتلة (وكانت إسرائيل قد طردت أربعة فلسطينيين منذ أيام، وتنوي الاستمرار في سياسة طرد الفلسطينيين، أو على الأقل طرد قياداتهم..) ومسألة حماية الفلسطينيين من البطش الإسرائيلي والإشارة بشكل غير ملزم لعقد المؤتمر الدولي لحل مشكلة الشرق الأوسط.

القرار اتخذ بالإجماع، وهو أمر يحدث للمرة الأولى في تاريخ المسألة الفلسطينية بمجلس الأمن الدولي. أمريكا لم تمتنع عن التصويت، ما أغضب إسرائيل، ولم تستخدم حق النقض (الفيتو) بالطبع كما تعودنا في مثل هذه الحالات. الفلسطينيون لم يستقبلوا القرار بارتياح، وكانوا يأملون في قرار يتضمن نصاً أكثر صراحة وفعالية.

وليس من شك في أنّ الفلسطينيين بشكل عام استاءوا كثيرًا من مجلس الأمن والطريقة التي تعامل بها أي مسألة تتعلق بفلسطين... وتساءلوا: لماذا تعامل قضيتنا بهذه الطريقة التسوية المغمغة؟ بينما عوملت قضية أزمة الخليج بهذه الحرارة والانزعاج الدولي الهائل، وصدر عن هذا المجلس بعينه أكثر من عشرة قرارات خلال فترة شهرين أو ثلاثة.. لا تسوية فيها ولا مراوغة... قرارات واضحة صريحة حاسمة مسلحة بكافة ما يلزمها من سبل التنفيذ بما في ذلك استخدام السلاح!

الجواب... أنّ لا عجب... فأزمة الخليج واهتمام الدول العظمى أو الكبرى، وعلى رأسها أمريكا زعيمة العصر... والدول الغربية واليابان... اهتمامهم بها ليس اهتمامًا بآل الصباح، أو بالكويتيين بشكل عام، أو بالعرب بشكل أعم، بل هو اهتمام بمصالح هذه الدولة الحيوية التي صدف ووجدت في هذه المنطقة من الكرة الأرضية، التي تدعى الجزيرة العربية بمخزونها الهائل من النفط...

فكيف يجرؤ أحد من دول العالم الثالث أن يحاول التحكم فيها دون أن يكون متمتعًا برضا الدول الكبرى، وخاصة أمريكا، وأن يكون أداة من أدواتها التي تسيّر وفق ما ترسمه الإدارة الأمريكية والغربية ذات المصلحة والقوة؟ وهو، أي رئيس النظام العراقي، بعد احتلاله الكويت يتحدى... والمهم هو أنه يتحدى العالم!

إنه يتحدى الدولة الكبرى... الوحيدة... اليوم في العالم... أمريكا!

أمريكا أقامت الدنيا ولم تقعدنا... مهددة هذا الرجل الذي يدعى صدام حسين وتأمرة بالعودة عن فعلته الشنعاء المتمثلة باحتلال الكويت... وعدم فتح فمه بكلمات كبيرة... كالقول إنه لن ينسحب من الكويت إلّا بعد أن ينسحب الإسرائيليون من الأراضي الفلسطينية المحتلة... إن هذا كلام كبير غير مسموح لرجل أو زعيم دولة من دول العالم الثالث أن يتلفظ به..

من يتحدى من؟

إن صدام حسين رئيس النظام العراقي، والعراق دولة من دول العالم الثالث، بل هي واحدة من الدول العربية التي ينبغي -من وجهة نظر أمريكا والغرب- أن تظل خانعة في المنطقة..
مخمودة... مخدرة... إن صدام يتحدى أمريكا زعيمة هذا العصر!

كيف يتحدى صدام حسين جورج بوش؟

إذن يجب أن لا ينتصر صدام حسين في هذه المعركة التي حشدت لها أسلحة البر والبحر والجو من كل حدب وصوب... لكن صدام حسين يقول: لا... لأمریکا... فلتكن الحرب هي الفاصلة!

من سينتصر في معركة الفصل هذه؟

صدام حسين يقول إنه سيحارب مهما كانت التضحيات.. فمعه «الشرفاء من الأمة العربية والخيرين من العالم... ومعه الله...».

وجورج بوش يقول إنه معه كل دول العالم، باستثناء بضعة دول خرجت على الإجماع العالمي، وإن لديه أعقد المعدات الحربية وأكثرها تطورًا وأقدرها على إنزال الدمار والخراب والقتل في بلد يعصي زعيمها تعليمات سيدة هذا العالم...

وإن هذه القدرة العسكرية الرهيبة أصبحت جاهزة للقيام بمهامها عندما تحين ساعة الصفر...

في هذا العالم الذي نعيش فيه اليوم مساحات شاسعة بين «الإنشاء» والأرقام، ولغة صدام حسين هي لغة الإنشاء بينما لغة أمريكا وحلفائها هي لغة الأرقام.

أين نحن الفلسطينين من هذا؟

قيادة منظمة التحرير الفلسطينية اتخذت موقفًا منحازًا، لأن المعرفة السياسية التي بدأت منذ احتلال العراق للكويت فرضت على الجميع اتخاذ موقف من الأحداث... ولم يكن هناك

مجال للدول العربية لاتخاذ موقف محايد... على الرغم من أنّ المنظمة وحدها كان يمكنها أن تتخذ موقفًا محايدًا في هذه الأزمة.. متحججة، إن أرادت، بقدسية قضيتها!
رأت القيادة الفلسطينية أنّ الوضع لا يسمح لها إلا أن تكون مع صدام حسين...

لعل الله ينصره... لأن القيادة الفلسطينية ترى في انتصاره انتصارًا للقضية الفلسطينية...
سواء كانت المعركة عسكرية أو سياسية... هكذا اعتقد معظم قادة منظمة التحرير وقادة فصائل المقاومة الفلسطينية، بدليل سيل الزيارات التي قام بها معظمهم إلى بغداد منذ بداية الأزمة.

إن انتصر سياسيًا، أي إن وافق العالم على مطلبه بربط أزمة الخليج بأزمة الشرق الأوسط
وعقد مؤتمر دولي لحل كافة مشاكل المنطقة معًا... فسيكون صدام حسين قد حقق
للفلسطينيين حلمًا كانوا ولا يزالون، يتمنون تحقيقه...

إن انتصر عسكريًا... وهو أمر لن يحدث لأسباب موضوعية... فلسوف يفرض عندها مطالبه
الوطنية العراقية والقومية العربية، والتي، كما يدّعي، تكون فلسطين على رأس القائمة
فيها.

إن أقدم على الحرب... فالويل كل الويل... ستضرب العراق ضربًا لم تعرفه دولة من قبل،
وستدمر آلة الحرب العراقية... وسيحترق الأخضر واليابس... ومن المحتمل أن تنشأ خارطة
جديدة لهذه المنطقة، جغرافيًا وسياسيًا واقتصاديًا... وستزول من وجه هذا العالم شعوب
ودول... وستنشأ أمم وشعوب بأسماء جديدة... ونحن في هذه الأيام... أيام نهاية العام...
عيد الميلاد المجيد وعيد رأس السنة الجديدة... لا نستمتع إلى أخبار مهمة فالعالم رغم
أهمية وخطورة الوضع في منطقة الخليج، بل وفي العالم بشكل عام، يحتفل بهذه الأعياد...
وكل عام وهم... بخير!!!

صديقة لنا زارتنا آتية من الأردن، ومكثت في الكويت يومين.. بعد أن شاهدت آثار العدوان العراقي في الكويت، حزنت على ما أصابها وأصاب أهلها وسكانها... ومن يقيم على أرضها من الفلسطينيين...

لكنها مؤمنة بأن لا ضير فيما أصاب الناس من مصائب شخصية في سبيل تحقيق أهداف قومية ووطنية فلسطينية... تقول إنها فرصة سنحت لكي يمسخ زعيم عربي «بخناق» العالم في مسألة لا يستطيع العالم أن يتجاهلها أو يفض الطرف عنها لأنها مصدر حياته، فلماذا لا نساعد على أن يظل متمسكاً بالمطالبة بربط حل أزمة الخليج بحل أزمة الشرق الأوسط... ومسألة فلسطين بالدرجة الأساسية...!

إنه منطوق الناس في الأردن... وهو في رأيي انتهازي لأنه يغلب المصلحة الوطنية الذاتية على المبدأ القومي والإنساني الذي لا يجوز قهر بلد عربي شقيق... وتدميره... ونهبه... ومحاولة سحقه وإزالته... من أجل المطالبة باستعادة بقايا فلسطين...!

كيف يمكن لإنسان عاقل أن يعتقد أن ديكتاتوراً كصدام جاد في هذه المسألة؟

وإن كان جاداً في مطالبه، هل يعتقد صدام بأنه قادر على مواجهة العالم؟ وهل سيتراجع العالم، بعد كل الإجراءات التي اتخذت والتعهدات التي قطعت والقرارات التي صدرت... هل سيتراجع هذا العالم عن مطالبة بضرورة انسحاب العراق غير المشروط من الكويت، ويقبل بشروط صدام...؟

وإن لم يقبل العالم بشروط صدام... وحسب ما تتناقله الأخبار... فالحرب واقعة، أو لنقل إن احتمالها وارد... هل يستطيع صدام أن ينتصر فيها؟

وماذا يتوقع الفلسطينيون من نتائج عندما يتأكدون أن مراهنتهم على الحصان العراقي كانت خاطئة؟

ومن سيقف إلى جانبهم إذا ما أصرَّ العراق على خوض المعركة العسكرية... التي من الواضح أنها ستكون معركة خاسرة للعراق؟

وماذا تستطيع قيادة المنظمة المسؤولة عن هذا الموق ونتائجه المتوقعة أن تقدم من مبررات إلى الجالية الفلسطينية في الكويت، بل في الخليج بشكل عام، لموقفها الخاطئ من أساسه في هذه الأزمة؟

هل سنقول إنه لم يكن بالإمكان أن تتجاهل مطالب زعيم استطاع أن «يمسك العالم من يده التي توجهه»... أي أن يهدد العالم بنسف وتدمير منابع النفط في منطقة الخليج مقابل حل القضية الفلسطينية؟

هل هذه هي بالفعل مطالبه... أم أنّ فلسطين هي دائماً «قميص عثمان»...؟ أو كما شبهها لي ذات يوم أحد الأصدقاء بأنها «حمار لكل زعيم... عندما يريد لنفسه شيئاً ما يركب هذا الحمار ليحقق مآربه...».

هل صحيح أنه كان من غير الممكن أن تتحاشى قيادة المنظمة هذا المأزق السياسي الذي سيكون له، دون أدنى شك، تأثيرات سلبية مستقبلاً؟

لكن المراهنة الفلسطينية حدثت على هذا الحصان الأهوج الخاسر حتماً؟

على أية حال فإن الأيام، أو الأسبوعين القادمين سيحملان دون شك أخباراً مثيرة، فنحن قاب قوسين أو أدنى من الموعد المحدد الذي حدده مجلس الأمن الدولي لانسحاب القوات العراقية من الكويت دون شروط... من يعيش سيرى وسيشاهد فصلاً جديداً من الأزمة...

ليلة رأس السنة الجديدة ١٩٩١، الساعة الآن الثالثة والنصف من أول يوم في السنة الجديدة ١٩٩١. لم تحمل الأيام الماضية شيئاً جديداً، فالوضع على ما هو عليه، تصعيد من قبل الطرفين في اتجاه الحرب...

لا أحد يريد الحرب، إلا قليلون... خاصة في هذا العصر... حيث تطورت فيه الأسلحة الحديثة إلى درجة مخيفة حقًا.

والحرب في هذه المنطقة خطيرة إلى درجة مرعبة... إنها أرض النفط... فإن انطلقت شرارتها... لا قدر الله ستكون رهيبة... رهيبة... ومخيفة حارقة... حارقة لكل ما على هذه المنطقة... لتعود إلى صحراء محروقة سوداء! من يريد لهذه المنطقة إذن أن تتحول، ليس إلى ما كانت عليه... صحراء وحسب... بل ستصبح صحراء محترقة... لا تتوفر فيها فرص العيش والحياة، وإلى أمد بعيد... من يريد هذه الحرب إذن...؟

إن أول الدول التي يهتمها أن لا تحترق هذه المنطقة هي الدول التي تعتبر نبط هذه المنطقة منبع الحياة لها... أي دول أوروبا واليابان بالدرجة الأساسية. كما أن حكام هذه المنطقة يهتمهم أن لا تحترق هذه المنطقة لكي يكون لهم فيها شيء يحكمونه... وأرض يعيشون عليها... وتمنحهم سبل العيش.

الرئيس العراقي صدام حسين، هذا الرجل الذي أصابه، ومنذ زمن، مرض جنون العظمة... والذي يحب أن يرى نفسه... فقط... في كل مكان. صورته تملأ الميادين والجدران... ليس في العراق وحسب، بل وفي الكويت، منذ أن غزاها!

إن الشيء الوحيد الذي بناه «أشاوسة صدام» في الكويت، هو إقامة الجداريات التي تحمل صورته... مرة باللباس المعاصر، ومرة باللباس العربي، ومرة باللباس الكردي، وأخرى باللباس العسكري... ولا يمكن أن تمر ساعة في برامج التلفزيون أو الإذاعة دون أن يذكر اسم «الرئيس القائد صدام حسين» أو تعرض صورته مرات ومرات.

هذا الذي جعل من شاشة التلفزيون العراقي نافذة تطل منها في كل لحظة صورته المقززة... هذا الذي يعشق نفسه بشكل لم يسبقه زعيم من قبل... هذا الذي يلبس أفخر الملابس وأكثرها أناقة... وشعبه قابع في فقره المدقع... كيف يمكن تصور مثل هذه

الشخصية مُقدِّمة على حرب مدمرة كالتى يتوقع نشوبها في أية لحظة إذا ما أصر على تعنته الأحمق...

يبدو أنّ صدام على ثقة بأن الحرب لن تقع... وأظنه يجهل هول مثل هذه الحرب القادمة ونتائجها... والتي يعتقد أنها واقعة تمامًا... وهو لا يعرف أن فرص الانتصار الحقيقي فيها معدومة... وإلا فما هو تفسير تعنته؟ لماذا إذن يخوضها وأمامه فرص للهروب منها... وقدرة على تصوير هزيمته انتصارًا عظيمًا... وهل هناك في هذا الكون من يحسن تحويل الهزائم إلى انتصارات مثلنا... نحن العرب؟

هذا هو لسان حاله في هذه الأيام كما ترد في مقابلاته التليفزيونية. أي أنهم إذا قرروا الحرب فسوف تكون حربًا ضروسًا...

ويضيف قائلًا: «إن معنا في معركتنا كل شرفاء العالم والخيرين فيه...».

إنه يصور في أحاديثه «أن الله أراد له أن يرد العدوان عن أرض المقدسات الإسلامية.. أرض نجد والحجاز.. التي دنسها العدو الإمبريالي الأمريكي بأقدامه..!».

ما الذي دعا هذه القوات العدو الأجنبية «المدنسة»... إلى القدوم إلى أرض المقدسات؟ من الذي استجاب دون أن يدري للتورط في هذه المعركة.. ووفر المبررات لاستقدام هذه القوات إلى أرض العرب؟

من الذي ينادي اليوم بضرورة اللجوء إلى حل عربي... ورفض بالأمس الحل العربي؟

لكن الله، سبحانه وتعالى، وحده يعرف ما يدور في ذهن هذا الطاغية... ومن وراءه!

لا شك أنه استطاع أن يشغل العالم.. واستنفره لمدة خمسة أشهر تقريبًا، وهو حتى مساء اليوم الاثني عشر من خلال إعلامه على الأقل، على أن لا تنازل عن الكويت، وأن لا حل لأزمة الخليج قبل حل أزمة فلسطين... يعني أنه يستعد للحرب...

الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد يستكمل جولته العربية الأوروبية. فبعد أن زار كلاً من عمان وبغداد وطهران ومسقط ودمشق وبيروت والقاهرة وطرابلس وتونس، توجه قبل ثلاثة أيام إلى روما وباريس ومدريد والرباط ونواكشوط. ويعتقد أنه لا يزال يدرس نتائج هذه الزيارات ويتفحص الحقائق التي تكشف له من خلال لقاءاته مع زعماء هذه العواصم التي زارها لبلورة مبادرة عربية دولية تطرح باسم دول عربية وأوروبية لحل هذه الأزمة الخطرة جداً، لكن مهمته تبدو وكأنها اصطدمت بجدار نهاية الحلول العربية...

وزير الدفاع الأمريكي ورئيس أركان حربه زاروا المنطقة التي تتواجد فيها القوات الأمريكية وغير الأمريكية في السعودية، ثمّ توجهوا، مع مرافقيهم، إلى مصر وقابلوا فيها الرئيس المصري مبارك ومسؤولين مصريين آخرين.

كما أنّ رئيس الوزراء البريطاني جون ميچر زار أمريكا واستقبله الرئيس الأمريكي، وسيتوجه ميچر بعد ذلك إلى السعودية لقضاء عيد الميلاد مع القوات البريطانية.

ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز زار القوات البريطانية في السعودية، واستقبله الملك فهد وولي عهد السعودية الأمير عبد الله بن عبد العزيز.

أبرز تصريحات من مرّ ذكرهم تصب في نفس الموقف المطالب بضرورة انسحاب العراق من الكويت قبل الخامس عشر من الشهر القادم، وإلا فالقوة العسكرية ستستخدم لإجباره على ذلك.

بدأت أول أمس السبت قمة مجلس التعاون لدول الخليج العربية في الدوحة، وحضرها كافة زعماء هذه الدول الست، وصدر عنها القرارات المعهودة... لم تأتِ بجديد سوى الإشارة إلى أنها ستتعاون على إنشاء نظام أمني بالمشاركة مع إيران.

وهكذا... نحن ندخل إلى العام الجديد ١٩٩١ مع احتمالات الحرب الكبيرة... ومحاولات ضعيفة لإيجاد حل سلمي... ولكل منها ما يبررها...

حرب أم سلام؟

الدول الأوروبية تنوي إيفاد رئيس الدورة الحالية للسوق الأوروبية المشتركة (وزير خارجية لوكسمبورغ) إلى العراق لمقابلة وزير الخارجية العراقي، وربما الرئيس العراقي، للبحث عن مخرج يربط بين ضرورة حل أزمات المنطقة، بما فيها المسألة الفلسطينية، ولكن دون الترابط الزمني فيما بينهما.

إن الوزير اللوكسمبورغي سيذهب ليبلغ القيادة العراقية باسم دول أوروبا أن الانسحاب من الكويت مطلب لا تراجع عنه، ولكن يمكن التعهد بأن قضية فلسطين سوف يعقد لها مؤتمر دولي فور الانسحاب العراقي من الكويت لحل هذه القضية المعقدة.

هاني الحسن، الذي زار السعودية في بداية الاجتياح العراقي للكويت وأيد الخطوات السعودية، شاهدناه قبل أيام قليلة في بغداد، وقد استقبله الرئيس العراقي ومعه عبد الله إفرنجي وعزام الأحمد.

كان لرئيس النظام العراقي منذ أيام حديث مهم ألقاه على مسامع وفد التجمع الديمقراطي الأردني، وبثه التلفزيون العراقي منذ يومين، كان لحديثه أثر لم نعهده من قبل على الرغم من المعلومات المبالغ فيها جدًا... وغير الصحيحة...!

لقد تطرق صدام حسين في حديثه المشار إليه أعلاه إلى العوامل الأساسية التي جعلته -كما يقول هو- يقوم بمهاجمة الكويت واحتلالها ثم ضمها. تناول الموقف الكويتي الرسمي من العراق، واعتبره موقفًا متآمرًا بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق.

تساءل: «لماذا عوملت أزمة الخليج بهذا الاهتمام الكبير جدًا بينما لا تعامل القضايا المهمة الأخرى كقضية فلسطينية بنفس المعيار والاهتمام...؟».

أول أمس نقل تليفزيون السعودية مقابلة مهمة مع أحد العراقيين المنفيين هو حسن العلوي (كاتب وصحفي وكادر حزبي بعثي سابقًا). المقابلة جرت في تليفزيون قطر،

وأعادت بثها السعودية.

تكلم العلوي عن المعاناة والعذاب الذي يعيشه أهل العراق وعن الأوضاع المتردية فيه على الرغم -حسب قول الرجل- من الثروات الهائلة الموجودة في العراق. مما قاله: «إن البلد الذي يتوفر فيه الماء والبشر والنفط فإنه يجب أن يوفر العيش السعيد لسكانه».

وقد روى العلوي في هذه المقابلة قصصاً رهيبة عن أسلوب الحكم القائم حالياً في العراق... وذكر بالأرقام والأسماء معلومات تبين الأسلوب الديكتاتوري والفاشي القمعي الرهيب الذي يستخدمه صدام حسين في العراق.

لقد كان لهذه المقابلة أثر كبير على كثير من الناس الذين يعلمون ويشاهدون بعض الممارسات التي يقوم بها نظام صدام حسين في الكويت...

كانون ثاني / يناير ١٩٩١

(السبت ٥/١/١٩٩١) قبل ثلاثة أيام بدأت عجلة الحياة السياسية والدبلوماسية الدولية تدور وبسرعة فائقة لتجنب نشوب الحرب في هذه المنطقة الساخنة جداً... منطقة الخليج والشرق الأوسط، خاصة وإن الموعد المحدد من قِبَل مجلس الأمن الدولي القائل بضرورة سحب القوات العراقية من الكويت قبل الخامس عشر من الشهر الحالي قد أصبح قاب قوسين أو أدنى.

الولايات المتحدة الأمريكية تقدمت بمبادرة جديدة تقضي بأن يتقابل وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر مع نظيره العراقي طارق عزيز في سويسرا، فيما بين السابع والتاسع من الشهر الجاري للتداول في إمكانية إيجاد حل سلمي للأزمة. قالت أمريكا على لسان رئيسها ومسؤوليها الكبار إنها بذلك تمنح الرئيس العراقي آخر فرصة للحيلولة دون نشوب الحرب... ولكن دون أي تنازل عن المطالب الدولية التي صدرت عن مجلس الأمن الدولي.

ويشعر الواحد منا بأن أمريكا تسابق أوروبا، التي اجتمع وزراء خارجيتها أمس الجمعة في لوكسمبورغ للبحث في إيجاد مخرج لهذه الأزمة وإيفاد رئيس الدورة الحالية إلى دول السوق الأوروبية المشتركة إلى بغداد لهذا الغرض، يشعر المرء بأن أمريكا تخشى من الموقف الأوروبي... أو تحوله عن الإجماع العالمي المتحد في وجه التعنت العراقي.

وقد أكد أكثر من مصدر أوروبي بأن أوروبا لن تبدأ مع العراق مفاوضات منفردة على قضية الانسحاب من الكويت... وأكدت دول أوروبا أنها بصد أن توضح للرئيس العراقي والقيادة العراقية ضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن، والانسحاب الفوري من الكويت قبل الموعد المحدد، وإلا فإن الحرب واقعة لا ريب فيها...

كانت الأيام الثلاثة الماضية أي منذ المبادرة الأمريكية المذكورة، أيامًا ثقيلة انتظرنا خلالها الرد العراقي على المبادرة الأمريكية. وعلى الرغم من أنني كنت مقتنعًا بأن العراق لن يرفض الدعوة، وسيتجاوب معها ويوافق على فحواها، فإنني توقعت احتمال رفضها لشدة اللهجة القاسية التي استعملت في بيان المبادرة الأمريكية وما صدر عن المسؤولين الأمريكيين من تصريحات... فالرئيس الأمريكي ووزير الخارجية بيكر أوضحوا بشكل لا مجال فيه للشك أن بيكر سوف يؤكد على ضرورة أن يستجيب العراق لمطالب المجتمع الدولي وفورًا وفي الموعد المحدد... وإلا فإن الحل العسكري سيكون الحل الوحيد لتحقيق الانسحاب العراقي من الكويت... وإن القوات الأمريكية التي يبلغ تعدادها اليوم أكثر من أربع مئة ألف جندي إضافة إلى القوات الأخرى المتحالفة معها، ومعهم حوالي ألفين وخمس مئة طائرة حربية حديثة، وآلاف الطائرات العمودية، ومئات السفن الحربية ومن ضمنها أكثر من خمس سفن من حاملات الطائرات الضخمة، وغير ذلك من الآليات والصواريخ والأسلحة التقليدية... كل ذلك أصبح جاهزًا ومستعدًا لتنفيذ المهمة العسكرية لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي، إذا ما أصرَّ العراق على موقفه من مسألة الانسحاب من الكويت وفق قرارات مجلس الأمن الدولي.

أمس الجمعة مساءً أعلنت العراق موافقتها على مبادرة أمريكا، وحددت يوم الأربعاء المقبل (التاسع من كانون ثاني، يناير الحالي) موعدًا لاجتماع طارق عزيز مع جيمس بيكر في سويسرا.

كذلك أسفرت اجتماعات وزراء خارجية المجموعة الأوروبية عن دعوة وزير خارجية العراق طارق عزيز إلى الاجتماع معه يوم الخميس، أي بعد يوم من اجتماع عزيز مع بيكر. ترك ذلك أثرًا حسنًا عند الناس، إذ خفف ذلك من هواجس الحرب وويلاتها... والكل يسأل الله أن يكلل اجتماع بيكر - عزيز، وهذه المساعي الأوروبية الأخرى بالنجاح.

الرؤساء العرب الأربعة هم حسني مبارك وحافظ الأسد ومعمار القذافي وعمر البشير، عقدوا ولمدة يومين في ليبيا اجتماع قمة مصغراً للبحث في الأزمة الحالية. وقد جاء هذا

الاجتماع بعد اجتماع لوزراء خارجية الدول العربية الأربعة، و صدر عن اجتماع القمة الرباعي هذا بيان أوضح اهتمام هذه الدول بضرورة إيجاد حل سلمي للأزمة، وتعهد بالسعي لتحقيق ذلك عن طريق حل عربي وسريع.

الملك حسين غادر الأردن قبل أيام لزيارة عدد من العواصم الغربية الأوروبية في سبيل السعي إلى إيجاد حل سلمي للأزمة.

(الاثنين ٦/١/١٩٩١) أمس الأول كان عيد الجيش العراقي، وكانت مناسبة للرئيس العراقي أن يلقي خطاباً بالمناسبة. وبالإضافة إلى الحديث عن الجيش العراقي تحدث الرئيس العراقي عن «أم المعارك» أي المعركة المتوقعة بين «العراق ومعه كل الشرفاء من العرب والخيرين في العالم.. وبين العدو الأمريكي ومن معه من قوى الكفر والشيطان».

كان الحديث شديد اللهجة، وكان المعركة واقعة لا ريب فيها، وأكد على أن «الكويت هي المحافظة التاسعة عشرة من محافظات العراق، ولا تنازل عن ذلك...».

بالمقابل قام الملك فهد بزيارة ميدانية للمنطقة التي تحتشد فيها القوات المتعددة الجنسيات، واجتمع مع كبار القادة العسكريين، وألقى خطاباً مطولاً تناول فيه تاريخ العلاقات السعودية العراقية والأزمة الحالية... و«أنه لا يضير العراق ولا رئيسه أن يتخذ قراراً كالذي اتخذه بصدد إيران، وينسحب من الكويت بدون شروط ليجنب المنطقة والعالم حرباً رهيبية. وأنه بعد الانسحاب يمكن للعراق أن يجد مع أشقائه الفرص لحل النزاعات المختلف عليها مع جيرانه».

(الثلاثاء ٧/١/١٩٩١) جيمس بيكر بدأ جولته منذ أول أمس، والتي سيزور فيها حوالي عشر عواصم أوروبية وعربية، قال إنه لن يطرق على الطاولة أمام طارق عزيز عند لقائه، بل سيطرح أمامه ما يقنع العراق للانسحاب من الكويت... وكيفية الانسحاب.

أمس أذاعت إذاعة مونت كارلو على لسان مراسلها في القاهرة أن مصادر دبلوماسية أفادت بأن الإدارة الأمريكية أبلغت بعض الدول العربية الحليفة بالشروط التي سيبلغها بها بيكر طارق عزيز أثناء مباحثاته معه في جنيف يوم غد الأربعاء ٩/١/١٩٩١. وقد حدد المصدر ست نقاط ستعرض:

- الانسحاب العراقي الكامل بدون شروط.

- أن لا تزيد مدة الانسحاب العراقي الكامل من الكويت على أسبوعين أو ثلاثة إن دعت الضرورة.

- دعوة العراق إلى مباحثات مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الخليجية من أجل إقرار نظام أمني دائم في منطقة الخليج.

- دعوة العراق إلى مباحثات مع الكويت ودول أخرى لتسوية الخلافات بينهما.

- موافقة الولايات المتحدة الأمريكية على عقد مؤتمر دولي لتسوية جوانب مشكلة الشرق الأوسط حينما يتقرر الوقت المناسب لذلك ووفق الاتفاق بين أطراف النزاع دون ربط ذلك بمراحل الانسحاب العراقي من الكويت وقضية الشرق الأوسط.

- ضرورة تعويض الكويت عن كل الخسائر التي خلفها الغزو العراقي للكويت إلا إذا تنازلت الكويت عن هذا المطلب.

وذكر مندوب الإذاعة أن الاتصالات كشفت عن أن الولايات المتحدة الأمريكية ستمهل العراق ثلاثة أيام للرد على هذه الشروط، مع استعداد واشنطن والرئيس بوش لاستقبال طارق عزيز إذا ما كان الرد إيجابياً.

رفضت بغداد أمس الأول دعوة المجموعة الأوروبية لاستقبال طارق عزيز والتباحث معه حول إمكانية إيجاد حل سلمي للأزمة. ويعتقد أن السبب هو استياء بغداد من التصريحات

الأوروبية التي وردت على لسان أكثر من مسؤول والتي كررت المقولات الأمريكية بشأن الانسحاب من الكويت. وقالت بغداد أن لا داعي للتباحث مع المجموعة الأوروبية طالما أنها تتقبل الأوامر الأمريكية...!

أوفد الرئيس الفرنسي ميتران رئيس لجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية ميشيل غوزيل إلى بغداد منذ أيام حيث التقى الرئيس العراقي لمدة أربع ساعات ونصف. توجه غوزيل بعد انتهاء زيارته إلى بغداد إلى تونس والتقى فيها الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، ثم عاد إلى بلاده ليطلع الرئيس الفرنسي على نتائج جولته.

وقد صرح ميشيل غوزيل قائلاً إنه شعر أثناء زيارته بغداد بأن المسؤولين العراقيين مستعدين للتنازل في مسألة الكويت... وإن الشعب العراقي لا يريد الحرب. وأضاف بأنه يعد لمبادرة فرنسية عربية، أو أوروبية عربية، في حال فشل لقاء عزيز بيكر.

أذاعت قناة «صوت أمريكا» ليلة أمس أن ست طائرات مروحية عراقية قد لجأت أمس إلى السعودية. لم يعرف إن كانت الطائرات قد هربت بطياريتها وحدهم أم أن الطائرات كانت تحمل آخرين فيها...!

وأضافت الإذاعة أن هناك عدة آلاف من الجنود العراقيين الذين هربوا إلى السعودية منذ الاحتلال العراقي للكويت.

نفت السعودية اليوم على لسان وزير دفاعها، الأمير سلطان بن سعود، أن يكون هذا الخبر صحيحاً وقال الأمير سلطان إنَّ الخبر عارٍ من الصحة تماماً. ويبدو أنَّ الخبر صحيح، ولكن السعودية لا تريد في الوقت الحالي الحرج والدقيق جداً أن تعطي أي مبرر لمزيد من المشاكل مع العراق... والله أعلم.

في الوقت الذي وصل فيه جيمس بيكر إلى أول محطة في جولته الحالية، وهي لندن، صرح الرئيس الأمريكي جورج بوش قائلاً: «إن الخامس عشر من الشهر الحالي هو موعد

المهلة التي يتوجب على العراق قبل حلولها أن يختار السلام»، وأضاف «إن هذا الموعد ليس التاريخ الأكيد لبدء النزاع المسلح». الوزير الأمريكي بيكر وصل مساء أمس إلى جنيف بعد أن زار كلاً من لندن وباريس وبون وميلانو.

في بون، التي وصلها ظهر أمس، قال بيكر إن لقاءه مع طارق عزيز هو آخر فرصة جيدة لمناقشة مشكلة الخليج. وقال: «إذا ظهرت بوادر أمل جديد من أجل السلام قبل الخامس عشر من الشهر الحالي فإن ذلك سيكون مدعاة إلى السرور...».

وكان الملك حسين، الذي غادر عمّان إلى عدد من العواصم الأوروبية منذ أيام في محاولة لنفس الهدف، قد وصل بون في نفس وقت وصول بيكر لها، ويعتقد بأنه التقى المسؤولين الألمان... لكنه لا يعرف ما إذا كان قد التقى بيكر أم لا.

في باريس التقى الوزير الأمريكي نظيره الفرنسي رولان دوما ثمّ استقبلهما الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران لمدة ساعة ونصف.

صرح بيكر للصحفيين قائلاً: «إن باريس وواشنطن متضامتان تضامناً تاماً بصدد أزمة الخليج. إن هناك اتفاقاً كاملاً وتاماً بين فرنسا والولايات المتحدة فيما يتعلق بضرورة التطبيق الكامل لقرار مجلس الأمن».

رولان دوما صرّح في نفس المكان والزمان بأن هناك تطابقاً بين باريس وواشنطن وأن الطرفين عازمان على طلب تطبيق القرارات في الخامس عشر من الشهر الجاري.

وعند سؤال دوما عمّا إذا كانت المحادثات مع بيكر قد تطرقت إلى موضوع عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط، أقر دوما بوجود خلاف بين الطرفين بهذا الخصوص، مشدداً على موقف فرنسا الثابت والداعي منذ عام ١٩٨٣ لعقد المؤتمر الدولي الخاص بالشرق الأوسط. وواضح أنّ الولايات المتحدة لا تتجاهل هذه المشكلة، لكنها تعتبر أنّ ذلك قد يبدو في الظروف الراهنة وكأنه تنازل للرئيس العراقي صدام حسين، ومن ثمّ تشويش

على الرسالة التي ستوجه إليه. وأضاف بأنه ذكّر بمواقف كل من الدولتين... وهذا لن يغير شيئاً في تضامنا الذي هو أمر واقع في الظروف الحالية.

في هذه اللحظة تدخّل الوزير الأمريكي وتناول مكبر الصوت، أمام الصحفيين، ليعلن أمامهم أنّ باريس وواشنطن متفقتان على استبعاد أي ربط بين أية مسألة وبين مسألة الانسحاب العراقي وغير المشروط من الكويت.

وبالرغم من أن اجتماع الغد الأربعاء (بيكر - عزيز) هو اجتماع تاريخي تتطلع إليه أنظار العالم وشعوبه، خاصة الشعوب العربية والأوروبية والأمريكية، بكثير من الأمل والحذر والخوف والترقب، فإنّ فشله، المعلن على الأقل، لن يكون نهاية المطاف.

يقال إن اتصالات دبلوماسية سرية جارية بين أمريكا والعراق... وإن هذه الاتصالات مستمرة حتى يوم الخامس عشر من الشهر الجاري بهدف التوصل إلى حل سلمي للأزمة (ذكرت ذلك إذاعة مونت كارلو مساء أمس).

الرئيس الفرنسي أوفد الأمين العام لقصر الإليزيه صباح اليوم إلى الجزائر ليسلم رسالة من الرئيس الفرنسي إلى الرئيس الجزائري تتعلق بأزمة الخليج.

(الأربعاء ٩/١/١٩٩١) اليوم هو اليوم الموعود الذي يتطلع إليه الناس... ويتساءلون... حرب أم سلام...؟

هل ستكون نتائج الاجتماع كما يتمنى العالم كله... أي اتفاق الطرفين على حل سلمي للأزمة، التي تطورت بشكل يهدد مستقبل المنطقة بشكل عام!

فالحرب إن نشبت، وبحكم التفوق النوعي الواضح في المعدات العسكرية للقوات المتعددة الجنسيات التي تقف في مواجهة القوات العراقية، ستكون وبالأعلى العراق... وعلى الكويت والمنطقة بشكل عام...

ولقد ارتفعت درجة التهديد إلى أقصاها، فهذا الطرف الذي تتراسه أمريكا يعيد ويكرر ويؤكد أنّ على العراق أن ينفذ المطالب الدولية وأن ينسحب دون قيد أو شرط من الكويت وفي الوقت المحدد... وإلا فالقوات على أهبة الاستعداد بكل ما لديها من عتاد ومعدات حربية معقدة متطورة لضرب القوات العراقية وضرب العراق ونظامه... وإن هذه القوات على ثقة بأنها سوف تحقق النصر خلال أيام!

أما العراق... فرئيس النظام العراقي، ومساعدوه، من وزراء وأعضاء مجلس قيادة ثورة وقادة عسكريين وسياسيين، يصر على تمسكه بالكويت التي -كما يقول- هي المحافظة التاسعة عشرة من المحافظات العراقية... ولتكن الحرب هي الفاصلة إن أصر «أعداء الله» على إجبار العراق لتنفيذ قرارات مجلس الأمن «غير الشرعية». وإنه لا يمكن التقيد بالمواعيد التي حددها مجلس الأمن ولا العمل بموجبها...

يتساءل المرء... إذن على أي أساس يذهب طارق عزيز لمقابلة جيمس بيكر وكيف سيتفاهمون طالما أنّ المواقف المعلنة متناقضة وواضحة كوضوح الشمس؟

(الجمعة ١١/١/١٩٩١) لقد تم الاجتماع الذي كان مرتقبًا من كافة دول وشعوب العالم، وبخاصة الدول والشعوب المعنية بها وبن نتائجها...

عند ظهر يوم الأربعاء الماضي، أي يوم اجتماع وزير خارجية العراق طارق عزيز ووزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية جيمس بيكر، رحنا نلتقط الأخبار لمعرفة أجوائها أولاً بأول، في حوالي الثالثة بدأت الأخبار تزد في نشرات الأخبار عن أول جلسة لهما. فقد نقلت الأنباء أنّ الجلسة الأولى انفضت بعد حوالي ساعتين ونصف. وأعلن أن الوفدين سيتناولان قسماً من الراحة لتناول طعام الغداء لمدة ثلاثة أرباع الساعة ثمّ يستأنفان الاجتماع (كان كل وفد يتألف من تسعة أشخاص يرأسهم الوزير).

لم يصدر عن الجلسة الأولى ما يفيد بجو الاجتماع، أو ما دار فيه... وكل ما وصل إلينا عبر الإذاعات أنهما سيعودان للاجتماع بعد ثلاثة أرباع الساعة.

وبلغنا، من أخبار الإذاعات، أن فاروق القدومي، عضو اللجنة التنفيذية ورئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية، موجود في جنيف وفي نفس الفندق الذي ينزل فيه الوفدان الأمريكي والعراقي...

علم أن بيكر أجرى خلال فترة الاستراحة هذه اتصالاً هاتفياً لمدة ربع ساعة مع الرئيس الأمريكي بوش، لكنه لم يعرف ما إذا كان طارق عزيز قد فعل كذلك مع رئيسه.

عقدت الجلسة الثانية... ثم الثالثة... ولم يصدر شيء حتى الساعة العاشرة ليلاً تقريباً عن نتائج الاجتماع..

القناة الثانية لتلفزيون السعودية التي كان يمكن مشاهدتها مشوشة قطعت برامجها لتنقل مباشرة وقائع المؤتمر الصحفي الذي أعلن أنه سيعقده بيكر وعزيز، وذلك من خلال محطة تلفزيون الـ CNN.

وبدأ البث المباشر فعلاً من جنيف... وراح المذيع - مراسل الـ CNN في جنيف يحاول أن يقدم للحدث، لكنه ولأنه لا يعرف كغيره نتائج الاجتماع، إذا لم يرشح شيء حتى تلك اللحظة عمّا دار في الجلسات الثلاث، فإنه قال مثلاً: «إننا نترقب دخول الوزير بيكر إلى هذا المكان (قاعة المؤتمر الصحفي) ومن المحتمل أن يدخل وهو يمسك بيد الوزير عزيز، وسيكون هذا مؤشراً على أن الاتفاق تم بينهما، أما إن دخل وحده فسيكون لذلك معنى آخر.

دخل جيمس بيكر وحده... متجهماً الوجه، ووقف وراء المنصة والميكروفونات، وبدأ حديثه قائلاً: «إنني آسف لإبلاغكم أن اجتماعاتنا لم تسفر عن أية نتيجة». وأضاف بأنه لم يسمع خلال هذه الساعات الطويلة أنّ العراق سينسحب من الكويت أو أنه مستعد لإظهار أية مرونة تجاه ذلك. وقال: «إنني لم ألمس أية ليونة في الموقف العراقي، وإن كل طرف عرض موقف بلاده، وإن هذه المواقف لم يطرأ عليها أي تغيير».

وجدد بيكر أمام نظيره العراقي أن واشنطن لا تقبل بالربط بين أزمة الخليج ومشاكل الشرق الأوسط الأخرى ولا تقبل بالمؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط لأن ذلك من شأنه تعقيد المشاكل. وأضاف: «إن وقت التفاوض بالنسبة إلى العراق قد ولى، وعلى العراق أن ينفذ قرارات مجلس الأمن بأسرع وقت، لأن الوقت ضيق...».

وقال: «آمل أن تكون لدى العراق الحكمة الكافية لاختيار السلام وأن يصدق أن التهديد الذي يواجهه هو تهديد حقيقي».

وأكد بيكر لعزیز أن العراق لن يُهاجم إذا انسحب من الكويت.

وكرر أكثر من مرة بأن حسابات العراق كانت -في رأيه- خاطئة، وهي لا تزال خاطئة، وإنه يأمل أن لا تظل حساباته تقع في نفس الأخطاء.

كما قال إن باب الحل السلمي لم يقفل تمامًا، فبإمكان صدام حسين أن يفتحه على مصراعيه. كما أشار إلى أن الأمين العام للأمم المتحدة مستعد للتوجه إلى بغداد لإنقاذ الموقف إن أمكن، وإن هناك فرصًا أخرى لرؤساء من أمثال الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران في محاولة أخيرة قبل حلول الموعد المحدد في الخامس عشر من الشهر الجاري!

الحقيقة أنه كان يومًا من أصعب الأيام، وأظنه من أصعب الأيام في حياة كثيرين غيري، ونمنا تلك الليلة المليئة بالكوابيس، كما يقول المثل العامي: «على وشنا طب...».

إن طول الاجتماع بين الوزيرين الأمريكي والعراقي، وجعله في ثلاث جلسات استغرقت ما مجموعه حوالي سبع ساعات، أوحى للكثيرين منا بأن الأمور تشير إلى أن الطرفين متفقان... فإذا بنا نفاجاً بفشل المحادثات...

من ضمن الأمور التي حدثت في الاجتماع، والتي أعلنها بيكر، هي أن بيكر كان يحمل رسالة من الرئيس الأمريكي بوش إلى الرئيس العراقي صدام، قال بيكر: «لقد اطلع عليها الوزير العراقي وقرأها بتمعن، لكنه رفض تسلمها، وأعادها إليّ» وهي رسالة، كما نقلت

الأخبار عن فحواها، صيغت بأسلوب دبلوماسي لبق تطلب من الرئيس العراقي الانسحاب من الكويت وإلا فإنه سيواجه عواقب وخيمة.

وكانت هذه الرسالة نفسها قد جرت محاولة لتسليمها إلى العراق عن طريق السفير العراقي في واشنطن... لكنه رفض تسلمها أيضًا!

الرئيس الأمريكي جورج بوش كان ينتظر نتائج الاجتماع ليعقد من بعده مؤتمرًا صحفيًا يقول فيه رأيه بالنتائج... وما سيتبعها...

وظهر بوش، أيضًا على شاشة التليفزيون السعودي وهو في حالة مضطربة... وفي غاية الاستياء من النتائج التي بلغها له الوزير بيكر. قال بوش ما مفاده أنّ هناك طريقًا واحدًا للسلام هو انسحاب العراق من الكويت بدون شروط.

الرئيس الفرنسي ميتران عقد قبيل انتهاء اجتماع جنيف مؤتمرًا صحفيًا قال فيه: «إن فرنسا ستواصل جهودها حتى اللحظة الأخيرة لتجنب الحرب. إن الخامس عشر من الشهر الجاري هو آخر موعد لحل سلمي، بعده يصبح استخدام القوة أمرًا مشروعًا».

أشار ميتران إلى أنه سيدعو البرلمان الفرنسي إلى الانعقاد في جلسة استثنائية يوم السابع عشر من الشهر الحالي في حال عدم التوصل إلى حل سلمي للأزمة، وإن قرارًا بهذا الشأن سيصدر عن الحكومة الفرنسية، وإعلانًا باسم رئيس الجمهورية الفرنسية بهذا الخصوص.

وانتقد الرئيس الفرنسي موقف واشنطن الراض لمؤتمر دولي حول أزمة الشرق الأوسط. وقال إن فرنسا لا تمانع في الإعلان عن ضرورة عقد مؤتمر دولي لحل مشكلات الشرق الأوسط، مما تعتقده فرنسا ثمنا لإغراء العراق ومساعدته على الانسحاب من الكويت.

أمريكا لا تشارك فرنسا هذا الرأي، وتعتبر ذلك بمثابة مكافأة على العدوان.

إسرائيل استنفرت قواتها... وهي متحمسة للحرب وتتمنى وقوعها لأسباب لا تخفى على أحد. إنها دائماً تستغل فرص الحرب لتتقضم جزءاً جديداً من الأراضي العربية لتضمه إلى ما استولت عليه حتى الآن من الأراضي العربية.

موشي إرينز صرّح قائلاً: «إن الجيش الإسرائيلي أجرى تدريبات عسكرية خلال الخمسة أشهر الماضية في مناطق النقب (وهي مناطق مصراوية) وإن إسرائيل على أتم الاستعداد لمواجهة كل الاحتمالات».

الأيام القليلة القادمة ستحمل في طياتها مفاجآت لا يعلمها إلا الله... وبعض زعماء هذا العالم.

حرب أم سلام...؟

هذا هو السؤال الذي يتردد في كل دواوين وجلسات الناس وأحاديثهم.

أخبار أمس الخميس ذكرت أن الأمين العام للأمم المتحدة بيريز ديكيولار سيصل يوم السبت غداً إلى بغداد لمقابلة الرئيس العراقي... وإجراء محاولة أخيرة. وقد صرح بأنه يذهب باسم دول وشعوب العالم مناشداً الرئيس العراقي أن يجنب العالم ويلات حرب لا تبقي ولا تذر!

هل سينجح ديكيولار أم لا؟

لا أعتقد أن ديكيولار سينجح، إن الماضي القريب يقول إن الرئيس العراقي لن يقبل الانسحاب من الكويت.. إنه يظن نفسه «صلاح الدين» العصر... الذي سيحرر فلسطين كما فعل صلاح الدين الأيوبي منذ مئات السنين، كي يخلده التاريخ!

وهو يعتقد أنه قادر على إجبار العالم على الرضوخ لمطلبه، أي التعهد الواضح والصريح بعقد «المؤتمر الدولي» لحل مشكلة الشرق الأوسط، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية،

كثمن لانسحابه من الكويت... ولو أنه لم يقلها صراحة...

المشكلة تكمن في كونه يعتقد ذلك دون أي اعتبار لعوامل كثيرة في هذا العصر الذي نحيا فيه... مضافاً إلى ذلك غروره الأجوف والدجل الإعلامي الذي يعتمد عليه في تعنته..

إنني أتوقع أن يبادر الرئيس الفرنسي، بعد عودة الأمين العام للأمم المتحدة من بغداد خائباً، بطلب الموافقة الدولية، من خلال عقد جلسة لمجلس الأمن الدولي، على عقد مؤتمر السلام الدولي لحل مشكلة الشرق الأوسط، وفي مقدمتها المسألة الفلسطينية، وذلك قبل الخامس عشر من الشهر الجاري.

وقبل انتهاء الموعد المحدد بساعات سيعلن الرئيس العراقي استعداد العراق للانسحاب من الكويت... مدعيًا أنه حقق للأمة العربية، وللشعب الفلسطيني، أهم أمانيتها، وبذلك يصور للناس أنه يخرج من الكويت منتصرًا سياسيًا، ومحققًا هدفًا سعى العرب إليه منذ عشرات السنين.

لكنني أعتقد أنني شديد التفاؤل... فلا صدّام اجتاح الكويت من أجل فلسطين، ولا الدول الكبرى بما فيها أمريكا مهتمة بالشعب الفلسطيني وبحقوقه المشروعة.

صدام حسين اجتاح الكويت لأهداف شخصية وأنانية، وأمريكا حضرت بجيوشها من أجل نفط المنطقة، ومن أجل تحطيم أسطورة هذا الطاغية الذي يمثل خطرًا كبيرًا على مصالحها ومصالح حلفائها من الدول الصناعية وغيرها...

إن صدام حسين يلعب لعبة سياسية خطيرة على أية حال، هي لعبة حافة الهاوية، كما سماها أمس تحسين بشير (مستشار الرئاسة المصرية سابقًا) وهو سيظل ممسكًا بمطالبه دون تنازل عنها حتى اللحظة الأخيرة... فلربما تتحقق بعض مطالبه وأهمها تحقيق عقد المؤتمر الدولي أو التعهد بالموافقة عليه وعقده في أقرب فرصة ممكنة لحل القضية الفلسطينية، بعد أن تظهر أمام شعوب العالم العربي بأن لا حل قبل حل القضية

الفلسطينية... وهو تعهد له وقعه الكبير في نفوس العرب بشكل عام، وبدونه سيفسر قبوله بالانسحاب من الكويت على أنه هزيمة له... وسيخسر هيبتة التاريخية التي يحلم بها... ويظل السؤال قائماً... هل سيصمد العالم حتى حافة الهاوية انتظاراً لقرار صدام؟

الجواب في رأيي هو نعم... العالم سينتظر، وهو لن يخسر شيئاً... فبعد الخامس عشر من الشهر الجاري، إن لم يتخذ صدام حسين قراراً بالانسحاب فإن العالم، أو بالأحرى الدول المعنية به والمشاركة في القوات المتعددة الجنسيات وفي مقدمتها القوات الأمريكية، ستكون في وضع يسمح لها باتخاذ الإجراءات التي تنص عليها قرارات مجلس الأمن الدولي... بما فيها شن الحرب لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي...

(السبت ١٢/١/١٩٩١) ديكويلار أمضى الليلة الماضية في عمّان، وظهر اليوم وصل إلى بغداد. وكان قد صرح في جنيف التي مر بها أمس قائلاً إنه يأمل أن يستجيب العراق إلى قرارات المجتمع الدولي وينسحب من الكويت.

عند وصوله إلى بغداد قال إنه آتٍ إلى بغداد وهو يحمل آمال دول وشعوب الدنيا للتوصل إلى حل سلمي للأزمة، وإنه لا يعرف كم ستستغرق زيارته لبغداد.

التليفزيون العراقي في بغداد لم يورد أي خبر في نشرات أخبار المساء عن وصول ديكويلار إلى بغداد على الإطلاق.

ويقال إنَّ ديكويلار يحمل معه مقترحات إلى الرئيس العراقي تطلب منه الإعلان عن استعداده للانسحاب من الكويت بعد صدور قرار عن مجلس الأمن يقضي بتشكيل قوة سلام لتتولى الإشراف على انسحاب القوات العراقية وتفصل بينها وبين القوات المشتركة، وتعهداً لعقد المؤتمر الدولي لحل مشاكل الشرق الأوسط!

الدول الأوروبية تستعد في حال فشل ديكويلار أن تقوم بمبادرة ما.

واليوم كان الكونغرس الأمريكي قد بدأ مناقشاته حول منح الرئيس الأميركي صلاحية القيام بعمل عسكري ضد العراق في حال عدم انصياعه لقرارات مجلس الأمن.

في آخر الليل أذاعت الأخبار أنَّ الكونغرس منح الرئيس الأميركي بوش صلاحية شن الحرب ضد القوات العراقية لتحرير الكويت إن دعت إليها الضرورة.

وقد عرض الرئيس الأمريكي إثر ذلك مؤتمرًا في البيت الأبيض، بث مباشرة من هناك في حوالي منتصف الليل، قال فيه إنه ممتن للكونغرس على قراره بتفويضه باتخاذ الإجراء العسكري إن دعت الضرورة لذلك... وحذر راجيًا دول العالم عدم منح الرئيس العراقي أي مجال لشق صف التضامن الدولي، وإنه لا بد من تحقيق كامل المطالب الدولية المتعلقة بهذا الشأن مهما كانت التضحيات. لكنه تمنى على السكرتير العام للأمم المتحدة، الذي وصل بغداد الليلة، أن يوفق في مساعيه لإيجاد حل سلمي للأزمة.

الخبر الآخر المهم أنَّ بغداد دعت المجلس الوطني العراقي (مجلس الشعب) إلى الانعقاد يوم الاثنين القادم، أي بعد غد، في جلسة استثنائية. وكان هذا المجلس قد أعلن عن دورته منذ أيام... لكن طلب وأمر «السيد الرئيس القائد» لا يرد. وتتوقع الدوائر المراقبة أن يكون لهذا الأمر علاقة بمفاجأة من مفاجآت صدام حسين.

إنها أيام دقيقة... وخطرة... فإن مصير المنطقة العربية كلها يتوقف على قرار رجل واحد، هو صدام حسين.

(الأحد ١٣/١/١٩٩١) استيقظت في حوالي التاسعة صباحًا، والجو في الخارج ممطر... السماء ملبدة بالغيوم... وهي لا تزال تمطر منذ الفجر... ونحن الآن في منتصف النهار. وهذه هي المرة الثانية التي يهطل فيها المطر في الكويت هذا العام، فقبل أيام هطلت بعض الأمطار... أما هذه المرة فالمطر أكثر غزارة.

أنا لم أخرج من البيت منذ أيام... فقد قيل لي إن الحواجز العسكرية (التي يسمونها نقاط سيطرة) صارت تسأل عما يسمى بطاقة شؤون العرب، أي بطاقة الهوية أو الإقامة العراقية... ومن لا يحمل هذه البطاقة يحجز ويحقق معه ثم يغرم ويمكن أن يسفّر إلى الخارج.

وكنت قد رفضت... وأرفض عمل هذه البطاقة، كما رفضت وأرفض تغيير أوراق السيارة من كونها سيارة كويتية إلى سيارة عراقية... لأنني أرفض المبدأ من أساسه. وقد نصحتني بعض الأصدقاء الأقارب بعمل هذه الإجراءات لأنه أمر ضروري لتحاشي أية إشكالات في وضع لا يعرف أحد إلى متى يمكن أن يدوم... قلت وماذا يمكن أن يحدث... سوف يصادرون السيارات... أو يمنعوني من تعبئة السيارة بالبنزين... لا بأس... فلن أستعمل السيارة... وسأقضي مشاويري القريبة إن كان هناك ضرورة لها مشيًّا. وإن قرروا أن يرحلوني... فليفعلوا...

وقد اتصل بي أقرباء وأصدقاء ينصحون بأن لا أخرج بسيارتي، وأنهم على استعداد لكي يأتوا ويأخذوني لأي مكان أريد... شكرتهم وقلت إنني لست بحاجة إلى الخروج حتى الآن.

ومن نعم الله أن لدي في البيت الكثير مما يمكن أن يشغل وقتي... الشيء الوحيد الذي لم أجربه، ولا أشعر أنني قادر عليه... هو دخول المرسم لرسم، فلا أظنني أستطيع أن أمسك بالريشة والألوان وأن أرسم وألون في مثل هذه الظروف... فلا حول ولا قوة إلا بالله.

تمام خرجت منذ حوالي العاشرة صباحًا مشيًّا إلى مستشفى «الهادي» لإيجاد علاج للالتهابات التي نشأت بين أصابعها من جراء استعمال مواد الغسيل والتنظيف والجلي، وقد حملت مظلتها وراحت إلى المستشفى.

من هناك سوف تذهب تمام إلى بيت الدكتور محمد أبو لغد للسلام على أم طارق (زوجته) التي حضرت من عمان أمس الأول مع كل أنجالهما - باستثناء العروس رولا التي تزوجت خلال هذه الظروف بدون طبل ولا زمر بالطبع- لقضاء هذه الظروف الصعبة مع زوجها

وابنتها ريم (التي كانت قد حضرت إلى الكويت مع والدها وتفضل البقاء معه) وتقول أم طارق: «لقد حضرت لكي نكون معًا... نعيش معًا أو نموت معًا».

وهناك رسالة أحضرتها أم طارق لتمام وصلت من السيدة مي النوري.

منذ الصباح ونحن نسمع أصوات مدفعية متوسطة المدى -كما يخيل إليّ- وأظنها تدريبات في جهة البحر...!

لا أدري إن كنت قد تكلمت عن انشغالي بمسألة تنظيم الري في البيت... وهي عملية شغلتنى ذهنيًا وجسديًا مدة أسبوعين تقريبًا... وقد أصبحت أحواض الزرع تروى بطريقة أفضل وأسلم وأسهل. وبقي حوضان لم أتم بعد ما يحتاجانه من الأنابيب المخرمة والموصلة للماء بطريقتي الجديدة.

أخبار المساء والليل لم تحمل الجديد المنتظر... ديكويار (واسمه في الحقيقة يلفظ ديكويار بشدة فوق الياء) أمضى فترة ما قبل الظهر في مقابلة أجراها مع ياسر عرفات في بغداد، وأخرى مع وزير الخارجية العراقي طارق عزيز. ولم يعرض التلفزيون العراقي صور وصوله واستقباله ومقابلاته، باستثناء مقابله طارق عزيز.

ويبدو أنّ الرئيس العراقي قابله في المساء (إحدى الإذاعات الأجنبية قالت إن صدام جعل ديكويار ينتظر عدة ساعات قبل أن يستقبله).

قبيل منتصف الليل غادر ديكويار بغداد متوجهًا إلى باريس... وصرّح في مطار بغداد بأنه ليس متفائلًا ولا متشائمًا...!

أطلقت كافة الجسور في مدينة الكويت (الجسور هي جسور فوق الشوارع) وأصبحت السيارات تمر عبر الشوارع الملاصقة للجسور.. فازدحم السير في بعض المناطق. ويعود سبب إغلاق هذه الجسور إلى أمرين: الأول هو أنّ القوات العراقية بنت فوق بعض هذه الجسور «دشم» عسكرية زودت بعضها بمدافع مضادة للطائرات والدبابات، والثاني هو

إبقاء هذه الجسور، ومعظمها يقع على الشوارع الدائرية الأساسية في الكويت لتكون سالكة أمام حركة مرور الآليات العسكرية في هذه الظروف الحربية.

بلغني أنّ دخانًا أسود كان يتصاعد منذ صباح اليوم وحتى المساء من منطقة وسط المدينة... تبين لأحد الأصدقاء الذي ذهب مع زوجته لاستطلاع مكان انبعاث هذا الدخان أن سببه هو عملية حرق متعمدة لكافة قوارب الصيد الكبيرة والصغيرة التي كانت توجد على الشاطئ قرب قصر «السيف». من المحتمل أن تكون عملية حرق هذه القوارب قد تم لأسباب عسكرية...

(الاثنين ١٤/١/١٩٩١) إذاعات العالم اعتبرت أن لقاء ديكيوار وصادام لم يكن ناجعًا ولا ناجحًا... وأن نتائجه سلبية... لكن الغموض لا يزال يسيطر على هذه التحركات.

ديكيوار سوف يقابل اليوم وزير الخارجية الفرنسي، ثمّ رئيس المجموعة الاقتصادية الأوروبية «بوس» وزير خارجية اللوكسمبورج، كما أنه سيقابل الرئيس الفرنسي ميتران لإطلاعهم على نتائج زيارته لبغداد... وما يقترحه من إجراءات يمكن اتخاذها بسرعة لتفادي نشوب الحرب...

ياسر عرفات صرّح بعد مقابلته ديكيوار أنه متفائل تجاه التوصل إلى حل سلمي وأن أبواب وشبابيك السلام لا تزال مشرعة...

إسرائيل، التي يزورها وفد على مستوى عالٍ من الولايات المتحدة الأمريكية، منشغلة في إجراءاتها ورفع درجة الاستنفار العسكري إلى حده الأعلى. الوفد الأمريكي طلب التنسيق مع الإسرائيليين فيما يتعلق بمشاركة القوات الإسرائيلية في المعركة إن نشبت الحرب...

الناس يودعون بعضهم بعضًا مع اقتراب الخامس عشر من يناير الحالي... فالكثيرون يتوقعون الحرب... ويتوقعونها رهبة شرسة... كثير من البيوت أعادت تنظيف وإعداد الملاجئ بكل ما يلزمها لتكون جاهزة لحالة الطوارئ والحرب المتوقعة الآن بدرجة كبيرة

جدًا.... وآخرون خططوا للانتقال من بيوتهم إلى بيوت أقرباء أو أصدقاء لهم لتوفر الملاجئ عندهم أو لأنها أكثر أمنًا من المناطق التي يسكنون فيها.

تحدثت وتمايم عمًا ينبغي عمله في حالات ثلاث: (١) اندلاع الحرب، (٢) ما يمكن أن يحدث بعد الحرب وفي الفترة الفاصلة بين نهايتها ورجوع أهل الكويت لوطنهم وبين استتباب الأمن فيها، (٣) صدور قرار عن السلطات الكويتية بعد عودتها وتسلمها مقاليد الحكم بترحيلنا بسبب علاقتي بمنظمة التحرير الفلسطينية (كوني عضو مجلس وطني فلسطيني، وكوني أمين عام اتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين ولأن إقامتي في الكويت بكفالة منظمة التحرير الفلسطينية).

إنني أجد نفسي في هذه الأيام مضطربًا... متوترًا... بسبب توقع نشوب الحرب بين يوم وآخر، لكن دون أن أتخذ أي إجراء ما في هذا الصدد. وأنا، كما تمام، قلت إنني لن أخرج من بيتي في حال اشتعال الحرب... وسأظل فيه... لكن هذا لا يمنع من التفكير، بيني وبين نفسي، في المكان الأكثر أمنًا في البيت لنلجأ إليه في حالات اشتداد المعركة.

يحكى في أوساط الكويتيين أنّ صراعًا قد بدأ منذ فترة في أوساط العائلة الحاكمة في الكويت، عائلة الصباح، وأن جناحًا منها ويتزعمه أمير الكويت الشيخ جابر وولي عهده الشيخ سعد اللذان يحرضان على علاقة جيدة مع القوى الديمقراطية الكويتية، بينما جناح آخر يختلف مع هذا الاتجاه. ويقال إنّ هذا الصراع وصل إلى مرحلة خطيرة... إذ إن الجناح الثاني قد بلغت فيه الأمور إلى درجة وضع لائحة بأسماء الشخصيات الوطنية وتكليف مأجورين لاغتيالهم... إنه كلام خطر... لكن الأخطر أن يكون هذا الكلام صحيحًا.

ويقولون إن نسخة من الكشف المذكور قد وصل إلى أيدي رجال «إسكتلاند يارد» البريطانيين، وأن الأخيرين أحاطوا عددًا من الكويتيين المسجلة أسماءهم في الكشف والموجودين في بريطانيا علمًا بهذا الموضوع، وطلبوا منهم اتخاذ الحيطة والحذر في تحركاتهم.

حركة المقاومة الكويتية، تستعد لدور جديد في مقاومة الاحتلال العراقي. وهي في نفس الوقت تتخذ ما يلزم من الإجراءات استعدادًا لمرحلة ما بعد التحرير... وكيفية تسيير أمور البلاد أثناء تسلمها وما يلي ذلك، وإلى حين قدوم السلطة الكويتية لتسلم مقاليد الأمور. إن الاتصالات بين الخارج والداخل مستمرة، والتنسيق قادم على مختلف الصعد.

سعدت بسماع ما جاء على لسان أحد الوزراء الكويتيين، الذي كان يتحدث في مؤتمر أو لقاء في القاهرة، إذ قال إن الكويت بعد تحريرها سوف تقفل أبوابها لبضعة أشهر لكي تتمكن من تنظيم وتنظيف البلاد من آثار الغزو والعدوان العراقي بمشاركة كافة الكويتيين والذين بقوا في الكويت من الإخوة العرب والأكثرية منهم هم الفلسطينيون. فصاح أحد الحضور مستهجنًا ومتسائلًا: «تتعاونون مع الفلسطينيين الذين نهبوا الكويت...» فرد عليه الوزير قائلاً: «الفلسطينيون لم ينهبوا البلاد، ولكن بفضل من ظل في الكويت من الكويتيين والفلسطينيين سلمت الكويت وبقيت... كما سلمت الكثير من المستشفيات، وقام الأطباء والممرضون الفلسطينيون لمعالجة أهلنا الذين ظلوا فيها، كما أمكن تأمين شرايين الحياة في وطننا كالماء والكهرباء... ثم سأله الوزير: «أنت... ماذا تفعل هنا...؟».

اجتمع المجلس الوطني العراقي واتخذ قرارًا بتأييد ودعم «السيد الرئيس القائد» في الاحتفاظ بالكويت، ومحاربة «القوات الأمريكية التي تستعد للعدوان على العراق...».

إن هذا يعني إغلاق باب الحل السلمي بشكل شبه نهائي...

صرَّح ديكيوار، الأمين العام للأمم المتحدة، بعد أن وصل إلى باريس قائلاً: «الله وحده يعلم ماذا سيحدث» مشيرًا إلى أن محاولته في بغداد لم تحقق أهدافها، وإنه لم يتلقَ من الرئيس العراقي ما يشير إلى أي تغيير في موقف العراق من مسألة الانسحاب من الكويت، وأنه فقد الأمل في إمكانية تحقيق تسوية سلمية للأزمة.

هناك تحركات عربية وفرنسية أخيرة في هذا الخصوص، إلا أن قليلين هم الذين يعتقدون بأن فرص التوصل إلى حل سلمي ما تزال متوفرة... رغم أن المدة التي تفصل بيننا وبين

الموعد المحدد أصبحت تعد بالساعات. الأجواء الإعلامية العالمية تتحدث عن الحرب... والناس هنا، كما ذكرت، أعدوا ويعدون أنفسهم لمواجهة ما يمكن أن يصيبهم من جرائها...

في صباح هذا اليوم كنت أعتقد أنّ فرص الحل العسكري لا تتعدى الـ ٦٠٪، لكني الآن ونحن في المساء، وبعد سماع عدد من نشرات الأخبار، أعتقد أن باروميتر الحرب يتصاعد بشكل جنوني... لذا أستطيع أن أقول الآن إنّ الحرب أصبحت هي السبيل الوحيد لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت!

(الثلاثاء ١٦/١/١٩٩١) أمس في الخامس عشر من كانون ثاني ١٩٩١، حيث كان اليوم الأخير من الإنذار الذي أصدره مجلس الأمن للعراق لكي يسحب قواته من الكويت... استشهد أحد رفاق الدرب، الصديق صلاح خلف، أبو إياد، واستشهد معه في عملية خسيصة رفيق دربه وصديق آخر هو خايل عبد الحميد، أبو الهول، وكلاهما عضو في اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح). كما استشهد معهما فخري العمري، أبو محمد، أحد كبار مساعدي أبو إياد، رحمهم الله جميعاً!

العملية تمت، كما نقلت الأنباء، باقتحام أحد رجال أبو الهول منزل أبو الهول بسلاحه الرشاش... الحراس لم يمنعوه من الدخول... فهو أحد رجال أبو الهول المعروفين... وعند دخوله المكان الذي كانوا فيه يجلسون، وربما يناقشون أو يعملون، فتح نيران رشاشه على الثلاثة فخرجوا صرعى على الأرض.

قيل إن أبو إياد لم يفارق الحياة في تلك اللحظة، وأنه نقل إلى المستشفى لإسعافه... لكن روحه فارقتة أثناء نقله أو ربما عند وصوله المستشفى...

رحمك الله يا أبا إياد... أيها الأخ الصديق... يا من نذرت روحك من أجل فلسطين الغالية منذ صرت شاباً... وأنت اللاجئ من يافا إلى غزة... إنه قدر الرجال... وأنت الذي كنت تعرف أكثر من غيرك أن روحك على كفك...

في بيروت عودتنا أن تطل علينا بين الفينة والأخرى، ولم يكن السبب جيرتنا في السكنى، بل وفاء منك لصداقة قديمة تربط بيننا... وراحت بيروت.

وفي الكويت عودتنا، وحرصت دومًا، أن تقترن زيارتك لعائلتك في الكويت، وللكويت ومن بها، بزيارتنا مهما كانت مشاغلك...

بالأمس أنهت رصاصات غادرة حياتك... عطاءك... وألغت فرص اللقاء فيما بيننا...

وعلى غير العادة شغلت المذيع في التاسعة... فإذا بإذاعة عمّان تبدأ نشرتها الإخبارية بخبرك يا أبا إياد... وكنت ما زلت مستلقيًا في فراشي... قلت لعله حلم... كابوس.. لكن سرعان ما أيقنت أنني أستمع إلى خبر حقيقي... يا للفاجرة... أبو إياد... وأبو الهول وفخري العمري...

كم من الضحايا علينا، بعد، أن ندفع في سبيل الغالية فلسطين.. إنها غالية... وغالية جدًا...

تذكرت سلسلة الشهداء من أبناء شعبنا الفلسطيني، ومن قادته بالذات، وكان آخر من سبقهم في عملية مشابهة هو أمير الشهداء أبو جهاد... صديق آخر خرّ صريع الغدر الصهيوني... ومن قبلهم... أبو الوليد سعد صايل، ماجد أبو شرار، أبو يوسف محمد النجار وكمال عدوان وكمال ناصر... من... غسان كنفاني... وسعيد حمصي وعز الدين قلق ومحمد الهمشري ووائل زعيتر ونعيم خضر...

لا أظن أنّ ثورة في العالم تعرضت قيادتها لسقوط هذا العدد الكبير من الشهداء... هل هذا أمر يدعونا إلى أن نفخر به أم لا...! إن الاستشهاد مصدر فخار واعتزاز، ولكن لماذا يستشهد هذا العدد الكبير من القادة... أهو تقصير أمني منا أم أن الأمر يكمن في قدرة العدو وجبروته...

آه يا أبو إياد... لماذا منحتهم هذه الفرصة... لماذا يا عزيزي؟ لماذا يكون استشهادك في يوم من أخطر أيام التاريخ البشري المعاصر...؟

وقبل نحو أسبوعين فقط، أو ربما أقل، سافرت أم إياد بطلب من أبو إياد إلى تونس لتكون إلى جانبه، أو ربما فكر في إبعادها عن بؤرة التوتر الشديد في منطقة الخليج، لكن ابنته الدكتورة إيمان وابنه إياد ظلوا هنا، بينما أختهم جيهان التي تزوجت منذ حوالي الشهر، في حفل صامت لم يستطع أبو إياد أن يحضره في الكويت بسبب الوضع هنا... وأختهم الأخرى علياء سافرت مع أمها، وزياد ابنه الثاني يعمل ويعيش في أثينا، أما الثالث وهو منير فإنه يدرس في بريطانيا.

إيمان وإياد سافرا صباح اليوم، بعيد انتشار الخبر المفجع، بصحبة أبو الأديب، سليم الزعنون، وزوجته، وصديق شلة المرحوم الأخ الصديق خيرى حسن إلى بغداد، لمعرفة موعد ومكان الدفن... وليتوجهوا من هناك إلى المكان.

من القاتل؟

قالت الإذاعات إن القاتل كان يعمل مع تنظيم (فتح - المجلس الثوري) الذي يقوده أبو نضال (صبري البناء)، وأنه التحق مندسًا بالعمل مع جهاز أبو الهول قبل فترة...

إسرائيل نفت أن تكون لها أية صلة بهذا الحادث.. وهي في العادة تلزم الصمت إن كانت هي الجهة التي تقف وراء العملية.

وزير الخارجية الإيطالي جاني ديكييميليس قال أمس: «من المحتمل أن يكون اغتيال أبو إياد له علاقة بأحداث الخليج، فنحن سلمناه أمس رسالة تحمل مبادرة باسم إيطاليا لتنقلها قيادة الثورة الفلسطينية إلى المسؤولين العراقيين».

قيل لي إن أبو إياد ذكر في خطاب له بالجزائر، وآخر في عمان، بمناسبة الذكرى الثانية لإعلان قيام الدولة الفلسطينية أنه «يرفض من حيث المبدأ احتلال دولة أراضي دولة أخرى، خاصة إن كانت الدولتان عربيتين... لذلك... وبصراحة أقول إن احتلال الكويت من قبل العراق إجراء مرفوض... وعلى العراق أن يسحب قواته من الكويت»...

رحم الله أبو إياد، وألهم زوجته العزيزة أم إياد وأبناءه وبناته ومحبيه ومعجبيه الصبر والسلوان.

الساعة تقارب الثانية ظهرًا... هناك هدوء غريب يلف جو المدينة... لم نسمع كما تعودنا أصوات وضجيج سير السيارات... كل شيء هادئ إلى درجة الخوف والرعب.

نحن الآن، ومنذ خمس ساعات، دخلنا زمن الحرب... هي لم تبدأ بعد، ولكنها آتية... فشل مجلس الأمن بالاتفاق على إقرار مشروع فرنسي لحل الأزمة سلميًا... كما لم يوافق المجتمعون في المجلس على مشروع قرار آخر بريطاني... ولم يتبق سوى قرار واحد ووفق عليه يقضي بتوجيه نداء أخير من الأمين العام للأمم المتحدة إلى الرئيس العراقي يناشده العمل على تجنب العالم ويلات الحرب... ولكن صدام حسين أقفل كل الطرق المؤدية إلى حل سلمي للأزمة... فالتصريحات المتتابة والتي تؤكد كلها على أن «لا انسحاب من الكويت...» لم تترك مجالاً للحلول السلمية...

وجه الملك حسين كلمة عشية آخر يوم من الفترة التي حددت للعراق لكي ينسحب من الكويت عبّر فيها عن مشاعر الألم والحزن لفشل المجتمع الدولي من أجل إيجاد حل سلمي للأزمة. وقال إنه مرتاح الضمير، إذ إنه بذل كل الجهد الممكن لإنقاذ الموقف... لكنه فشل في ذلك!

الأردن أرسل معظم طائراته المدنية التابعة لشركة الخطوط الجوية الأردنية عاليًا إلى الخارج خوفًا من الحرب وما يمكن أن تجره على الأردن. ونقول الأخبار إن حالة الناس هناك قلقة جدًا...

في السعودية، وخاصة في المناطق الشرقية والوسطى كالرياض والدمام والظهران، أصيب الناس بما يشبه الرعب والارتباك الشديد في تصرفاتهم. فقد نفدت سلع كثيرة من المحال بشكل لم يسبق له مثيل... وذلك بسبب خوفهم من الحرب المتوقع نشوبها في كل لحظة..

الحكومة حاولت وتحاول طمأنة الناس بأنه لا داعي إلى هذا القلق الشديد، وأنه يتوفر في المملكة الكثير من المواد الغذائية...

الملك فهد رد على رسالة صدام حسين التي أذيعت مساء أول أمس والتي هاجم فيها الرئيس العراقي الملك فهد بأسلوب غاية في السوء والوقاحة، واتهمه بشتى النعوت المشينة... الملك فهد رد عليه بأسلوب مهذب موضحًا أحد الجوانب التي تتعلق بمساعدات السعودية للعراق أثناء الحرب الأخيرة مع إيران.

لقد ورد في رسالة صدام المنوه عنها عاليه أن كل ما دفعته السعودية من مساعدات مالية وعينية يقدر بنحو ١٢ مليون دينار... مليون دينار...!

الملك فهد قال ردًا أو إيضاحًا للحقيقة بأن السعودية قدمت إلى العراق ما مجموعه أكثر من خمسة وعشرين مليارًا (خمسة وعشرين ألف مليون) دولار. وقد بين تفاصيل ذلك... يعني هناك فرق في الرقم الذي ذكره صدام والآخر الذي ذكره الملك فهد بنحو ٢٤٩٨٥٠٠٠٠٠٠، أربعة وعشرون مليارًا و٩٨٥ مليون دولار... بس...!

إسرائيل فرضت منذ أمس حظر التجول في معظم أنحاء الضفة والقطاع، بسبب العنف الذي تصاعد أمس بعد انتشار خبر اغتيال أبو إياد وأبو الهول والعمري. وقد أسفر ذلك عن استشهاد ثلاثة فلسطينيين على الأقل. والسبب الثاني هو حالة الاستنفار الشديدة في إسرائيل تحسبًا لوقوع الحرب...

إسرائيل فرضت منذ أمس حظر التجول في معظم أنحاء الضفة والقطاع، بسبب العنف الذي تصاعد أمس بعد انتشار خبر اغتيال أبو إياد وأبو الهول والعمري. وقد أسفر ذلك عن استشهاد ثلاثة فلسطينيين على الأقل. والسبب الثاني هو حالة الاستنفار الشديدة في إسرائيل تحسبًا لوقوع الحرب...

كثير من شركات الطيران العالمية أوقفت رحلاتها التي تمر عبر أجواء المنطقة خوفاً من الحرب المتوقعة.

كثير من شركات الطيران العالمية أوقفت رحلاتها التي تمر عبر أجواء المنطقة خوفاً من الحرب المتوقعة.

وجه الأمين العام للأمم المتحدة بيريز ديكويار نداءه الأخير إلى الرئيس العراقي في ختام اجتماعات مجلس الأمن يوم أمس. وقد تعهد فيه للعراق بأنه اتفق مع الدول وعلى مستوى عالٍ في حال موافقته على الانسحاب من الكويت بأنه لن يقوم أحد بشن أي عدوان على العراق أثناء الانسحاب أو بعده. كما قال إنه وبالاتفاق مع الدول المعنية اتفقوا على أن يكون الصراع الإسرائيلي العربي، وخاصة المسألة الفلسطينية، من أوائل القضايا التي سيتم تناولها للبحث عن حل لها...

منذ الصباح قمت وتمايم بإنزال اللوحات من أماكن وجودها على الجدران، ورتبناها في أماكن ربما تكون أسلم لها... واتخذنا بعض الاحتياطات اللازمة، وألقت تمام نظرة على الملجأ الذي يقع قرب بيتنا... وأرسلت فيه بعض ما يمكن أن نحتاج... والشنطة التي تحتوي على ما يلزمنا من أدوية وملابس صوفية وبعض الماء لاستخدامها في الملجأ الذي يحتمل أن نظل فيه أياماً... إن اضطررنا إلى اللجوء إليه...

خرجت لاستطلاع الدار والزرع كعادتي اليومية... فوجدت الياسمين منتعشة... فانتعشت، ووجدت زهورها الرقيقة متفتحة... قطفت البعض منها ونظمتها في زهرية مناسبة ليعبق أريجها في البيت...!

الاتصالات فيما بين الأقارب والأصدقاء، وما يجري خلالها من أحاديث، كلها ذات علاقة بالحرب المحتمل وقوعها في أية لحظة... ويسألون ماذا نفعل... على اعتبار أننا أصحاب خبرة سابقة في هذا المضمار... بيروت ٨٢ وما قبلها من أحداث رهيبه مرت علينا أو على أحد منا...

الاتصال مع الشقيق جمال والشقيقة إنعام وابن العم أمين وأنجالهم مستمر بالطبع، جمال مستعد للانتقال مع زوجته وأنجاله إلى منزلنا في حالة اشتعال الحرب... إنه يشعر شعورًا أكثر اطمئنانًا.. إضافة إلى أننا نؤنس بعضنا بعضًا. حتى أنّ أمين ابن العم مع الشقيقة إنعام يفكرون أن يفعلوا نفس الشيء... نعيش معًا أو، لا سمح الله، نواجه وجه ربنا معًا... والله يسلم.

بالي مشغول على انشغال بال أولادنا علينا... اللهم الطف بنا وبهم... وطمئنهم علينا وطمئنا عليهم.

(الخميس ١٧/١/١٩٩١) اندلعت الحرب المتوقعة...

نعم اندلعت الحرب المتوقعة... لكنها حرب جوية حتى الآن... أما زحف القوات البرية فهو لا يزال مؤجلًا...

ففي الساعة الرابعة فجرًا أيقظتني تمام بطريقتها المعتادة في حالات الطوارئ... استيقظت... وكان أول سؤال لي:

«اشتعلت...؟».

قالت: نعم ومنذ أكثر من ساعة.. وقالت: إن شقيقك جمال آتٍ إليك مع عائلته لنكون معًا...

وقبل أن أدخل الحمام توجهت إلى المذياع لمعرفة في أي اتجاه تسير ریح الحرب. قالت تمام: لقد قصفوا بغداد... وكانت أصوات الانفجارات والرشاشات الثقيلة تخترق هدوء الفجر...

غسلت وجهي ولبست «الدشداشة» الصوفية، ولففت رقبتني باللفحة الصوفية التي غزلتها تمام لي... ورحت أوقف المكيف وأفتح الشبابيك الزجاجية قليلاً خشية تأثرها بالاهتزازات والانفجارات... ثم خرجت إلى باحة الدار لأستطلع الوضع، وفتحت باب الدار والعتمة لا

تزال تغطي الجو، وفوانيس كهربائية مضيئة في شارعنا... لكن معظم الناس أطفأت أنوار بيوتهم... وضجيج الحرب يسمع ويرى بوضوح، إذ كانت النيران التي كانت تنطلق تجاه السماء مخلفة وراءها وهج انطلاقها، الأحمر الأصفر البرتقالي الأبيض الوهاج، المختلط مع أصواتها المرعبة.

مرَّ بي أحد شباب الجيران من الإخوة الكويتيين، ألقى تحية الصباح، وقال: «يا عم أبو يزيد إن كثيرًا من سكان الحي أصبحوا في الملجأ»... هلاً أتيتم؟ قلت: إن شاء الله نأتي إذا ما اشتدت وطأة الحرب... وشكرته.

تركت الباب مفتوحاً لكي يأتي جمال وعائلته ويدخلوا فوراً... فالحالة خطيرة جداً... ولم تمض دقيقة واحدة حتى دخل الشقيق جمال مع لميس وأنجالهما، والخوف والقلق باد على محيَّاهم.

بعد الظهر... ظللنا نتبع الأخبار من المذيع... لأن التليفزيون لم يفدنا بشيء، فقد اختفت محطات بغداد، الأولى والثانية. وتمكننا من خلال محطتي السعودية الأولى والثانية معرفة أبناء تعرَّض بغداد لقصف عنيف، وعن بعض المؤسسات التي تعرضت للضرر... منها مبنى الإذاعة والتليفزيون ووزارة الدفاع ومقر القيادة وحزب البعث والقصر الجمهوري...

وأن قواعد الصواريخ قد أعطبت ودمرت بما في ذلك تلك التي كانت تهدد العراق بها إسرائيل، وأن معظم مدرجات المطارات الحربية العراقية قد تم إتلافها وأن معظم الطائرات العسكرية العراقية قد ضربت، وأصبح سلاح الجو العراقي مشلولاً، على ذمة الأخبار التي تناولتها إذاعات الغرب وإذاعات الدول العربية التي تقف إلى جانب الكويت.

لم يكن ممكناً بعد ذلك مشاهدة أي محطة تليفزيونية...! محطة تليفزيون بغداد غابت بسبب تدمير مبنى الإذاعة والتليفزيون العراقي في بغداد.. لكن لماذا غابت أيضاً محطات تليفزيون السعودية؟

هل يا ترى بسبب الغيوم التي كانت تغطي السماء أمس... ولكن من غير مطر...!

قالت الأخبار إن أكثر من ألف وثلاث مئة طائرة أمريكية وبريطانية وسعودية وكويتية وفرنسية اشتركت في أكثر من خمس مئة طلعة لتغير على المواقع التي مرَّ ذكرها... في الساعات الأولى.

الطائرات الفرنسية لم تشارك إلا في الإغارة على المواقع العراقية التي تقع في الكويت، بينما شاركت باقي الطائرات الأخرى في ضرب المواقع العراقية في الأراضي العراقية.

اعترفت فرنسا بأن أربع طائرات من طائراتها قد أصيبت أثناء قيامها بالإغارة على أهدافها، لكنها، أي الطائرات الأربع المصابة، تمكنت من العودة إلى قواعدها في السعودية، وأنه تم إصلاح أعطابها وعادت للمشاركة في العمليات العسكرية. قيل إن أحد الطيارين الفرنسيين أصيب بإصابة طفيفة.

كما حملت الأنباء خبر سقوط طائرة «تورنيديو» وإن قائد الطائرة ومساعدته قد فقدا.

أمريكا اعترفت بأن طائرتين لها أصيبتا وفقدتا أثناء العمليات الجوية المذكورة.

العراق أعلن منذ الصباح، من بث إذاعي مشوش ضعيف، «أن العدوان قد بدأ» وأن الطائرات العدو قد ضربت أحياء سكنية مدنية، وأنه استشهد من جراء ذلك ٢٣ شهيداً مدنياً و٦٠ جريحاً.

وقد صدر عن السلطة العراقية بيانان، كلاهما يتحدث عن العدوان ويستحث «الهمم الغربية الشريفة» للدفاع عن مصالح الأمة العربية... ويدين العدوان ويصر على الاستمرار في الدفاع... لتحرير الأمة العربية من الهيمنة الأمريكية... وأنه لا بد سينتصر.

كما أعلن العراق عن إسقاطه ثلاثة وأربعين طائرة عدوة. إلا أن الدول المتحالفة والتي شارك سلاحها الجوي في المعركة قالت إنه لا صحة لهذا الخبر، وأن ما ذكرته هو الصحيح،

أي أربع طائرات فرنسية أصيبت إصابات طفيفة وعادت للعمل بعد أن أصلحت، وأن بريطانيا فقدت طائرة «تورنيديو» مع طياريهما الاثنتين، وأن الكويت فقدت طائرة (لم يذكر إذا ما كان طيارها أو طيارها نجوا من الحادث، وأن أمريكا قد فقدت طائرة مع طيارها).

لكن الصواريخ التي كان العراق قد قال إنه سوف يستخدمها لضرب إسرائيل إذا ما تعرضت للعدوان... لم تنطلق حتى أواسط الليل...

هدير الانفجارات والمضادات والمدفعية الثقيلة لم ينقطع طوال النهار إلا لفترات قصيرة، لكن معظمها بعيد... وكأنه على الحدود الكويتية السعودية. لكن ضرب القواعد الجوية في الكويت والتي قام بها الطيران الحربي الفرنسي كان مسموعاً جيداً... ومخيفاً.

تخلل النهار وحتى منتصف الليل قصف قريب... ومضادات ضده. وكنا كلما اشتد وارتفع صوت القصف والانفجارات نحاول قدر الإمكان أن نهدي من روعنا... وكنت وتمام قدر الإمكان، بحكم خبرتنا في هذا الخصوص، نعمل على شرح ما يحدث وما يمكن أن يحدث... وذلك لتهيئة نفوس أخي وزوجته وأنجالهما.

ابن أخي علاء كان في بعض الأحيان الأكثر خوفاً بحكم صغر سنه بالطبع... ولو أنه في أحيان كثيرة، وكنا نشجعه على ذلك، يلجأ إلى «الأورگ» أو إلى «البيانو» للعزف عليه، لكن دون أن نسمعه وذلك بأن يضع السماعات على أذنيه فيسمع وحده ما يعزفه، أو أن يقفل باب الغرفة التي يوجد بها «البيانو».

لعبت وشقيقي جمال «دق طاولة زهر»، وحاول البعض لعب الورق، تمام ولميس، وورنا وداليا... لكن الراديو كان سيد الجمع...

ولأننا لم ننم في الليلة السابقة إلا قليلاً... فقد أوينا إلى الفراش في البيت مبكراً، يعني في حوالي الحادية عشرة والنصف ليلاً.

(الجمعة ١٨/١/١٩٩١) استيقظت في حوالي التاسعة صباحًا... وأصوات القصف وغيره
مستمر... وذهبت إلى الحمام وقمت بكل ما تعودت على القيام به.. حلقت ذقني وأخذت
حمامًا سريعًا.. وخرجت لألقي تحية الصباح على من في البيت..

ما هي الأخبار.. وإذا بي أفاجأ بخبر إطلاق العراق صواريخ على إسرائيل، فأصابت كلاً من
حيفا وتل أبيب... هل هذا معقول...؟

صواريخ عربية تصيب أهدافها.. وتضرب مدناً إسرائيلية...؟

يا للمفاجأة..!

أحسست بأن المعركة بدأت تأخذ مجرى جديدًا... فإلى أين؟

إسرائيل لم ترد حتى الآن... هل سترد...؟

إن ردت بضرب بغداد أو العراق فسيكون ذلك بمثابة تحول في مجرى الأحداث... وسيقلب
موازين اللعبة... التي أخذت، بعد خبر ضرب العراق إسرائيل وما يمكن أن يسفر عنه هذا
الخبر من تحول وتطور وردود فعل، أن تكون لعبة بالفعل... ماذا يجري... وماذا سيجري يا
ناس...؟

واليوم فوجئنا بإمكانية مشاهدة محطات التلفزيون في كل من الإمارات وقطر والبحرين
رغم الغيوم التي ما تزال تغطي السماء... بل أكثر من ذلك فإننا نشاهد من هذه المحطات
برامج الـ CNN الأمريكية الشهيرة، التي نقلت لنا أخبارًا مصورة مهمة عمّا يجري في
المنطقة...

شاهدنا مدينة بغداد وهي تضرب والحسرة تملأ قلوبنا، ليس على نظام بغداد، بل على
بغداد العاصمة العربية وأهلها وما لنا بها من أحبة وأصدقاء... وعلى هذه القدرة العسكرية

العربية وهذه المنشآت العربية التي تحطمت أمام أعيننا بسبب قرار طاغية مجنون واحد...!

وشاهدنا ما أحدثته صواريخ «سكود» السوفييتية الصنع، التي يملكها العراق، من دمار في حيفا وتل أبيب... فرحنا... لكننا خائفون من اللعبة... فأي لعبة هذه.. وإلى أين ستأخذنا هذه اللعبة؟

(السبت ١٩/١/١٩٩١) استمرت في الليلة الماضية حدة القصف، لكن هديره اشتبك مع أصوات الرعد المخيفة... والبرق بالطبع امتزج مع وميض الانفجارات التي كان يمكن مشاهدتها من الشبايبك.

الساعة الآن هي حوالي الحادية عشرة صباحًا... المطر هطل بكميات أكبر بكثير مما تعودناه في هذا البلد، وفي مثل هذه الفترات من السنة.

لا تزال الكهرباء والماء والهاتف، والحمد لله، لا تزال تعمل بشكل طبيعي، وندعو الله العلي القدير أن يحمي هذه المنشآت لأطول فترة ممكنة إن لم يكن من الصعب حمايتها من إصابة طائشة أو مقصودة... فبدونها ستكون الحياة أكثر قسوة علينا... خاصة في هذه الأيام الشتوية والباردة...!

ونحن كما كنا عليه منذ بداية الحرب، مع الشقيق جمال وعائلته... ولا شك أن وجود جمال وعائلته معنا خفف من شعورنا بالوحدة على الرغم من علاقاتنا مع الجيران الطيبين، وخفف عن الشقيق جمال الخوف والرعب من هذه التجربة الجديدة بالنسبة إليه... وبالنسبة إلى عائلته.

والاتصالات مع الشقيقة إنعام وزوجها ابن العم أمين وابنهم إباد وبناتهما رولا وأناس مستمر... وكنا نتمنى لو أن باستطاعتهم أن يكونوا معنا... لكن التحرك من مكان إلى آخر منذ اندلعت الحرب فيه الكثير من المخاطر. كما أنّ الاتصال قائم مع أبناء العم ياسين ومطر وحمدي وخالد وعيالهم للاطمئنان عليهم ولطمأنتهم علينا.. والحمد لله أنهم بخير... كذلك الحاجة أم ياسين والحاجة أم علي.

وأبو زكي حائر بين قرارين يتعلقان بابنه الدكتور زكي شموط الذي لجأ عنده منذ بداية الحرب، وطلب المشورة بخصوصها. هو حائر بين أن يسمح لابنه أن يذهب إلى عمله كطبيب في المستشفى، وبين أن يظل إلى جانبه خوفاً من الأخطار الكامنة بسبب الحرب، وقال إن زكي يرغب في الذهاب.

قلت له إن على زكي أن يذهب إلى عمله دون إبطاء، ليقوم أولاً بواجبه ثم لكي لا يأتي عليه يوم يندم فيه لأنه لم يقم بواجبه في وقت يكون الناس في حاجة إليه...

وأخيراً حتى لا يتعرض لأية إشكالات في عمله الوظيفي. وتقرر أن يذهب الدكتور زكي إلى عمله صباح هذا اليوم... وقد فعل.

جمال ولميس ذهبا صباح أمس إلى منزلهما لتفقدته... وعادا منه سريعاً بعد أن أحضرا معهما بعض الحاجيات الخاصة بهما، وبعض المآكل...

كثير من الأصدقاء اتصلوا بنا، وآخرون اتصلنا بهم للاطمئنان...

والإشاعات بدأت تنتشر عبر الهواتف، وربما تكون الأخبار التي تنقلها هذه الإشاعات حقائق وليست إشاعات... لكن الناس تناقلتها لاتخاذ الاحتياطات اللازمة... من هذه إشاعة انتشرت بسرعة رهيبية تقول إن أناساً (هل هم رجال وحدهم أم رجال ونساء... لم نعرف) يلبسون المعطف الأبيض الذي يلبسه الأطباء عادة، يطرقون أبواب البيوت... ويطلبون من سكان

البيت أن يمدوا أذرعهم لحقنهم بمادة تقيهم من الغازات السامة، أو الكيماوية والبيولوجية... وإن أكثر من عائلة تعرضت لهذا العمل الغريب...

لكن سرعان ما شعر الذين تعرضوا لهذه التجربة بأعراض غير طبيعية... نقلوا على إثرها إلى المستشفيات... فتبين أنهم محقنون بمواد سامة. بعض من اتصل قال إن عائلتين قضى عليهن موتًا من جراء هذه الحقن... وآخرون قالوا إن أكثر من عائلة يخضعون الآن للإسعافات والإنقاذ من الموت.

الخبر الأول الذي وصلنا ذكر أن الذين تعرضوا لهذه الخدعة هم من الفلسطينيين... وأن الفاعلين قد يكونون من الكويتيين... لكن سرعان ما بدأت الاتصالات من أصدقائنا وأصدقاء جمال الكويتيين يحذروننا من التعرض لمثل هذه الخدع، وهو ما يدل على أن الكويتيين بعيدون عن هذا الأمر...

لكن السؤال يظل قائمًا: من الذي قام بمثل هذه الأعمال... أو من له مصلحة في القيام بهذا العمل الدنيء؟

وفي البيت، كما في معظم البيوت، كميات من الأغذية يكفي لمدد تتراوح بين بضعة أسابيع وبضعة أشهر إذا ما أحسن التصرف. ولولا حرص الناس وتمكنهم من اتخاذ الاحتياطات لهذا الموضوع لتعرض الكثيرون للجوع...

المستشفيات تعمل، ولكن في حالة طوارئ. فمستشفى الهادي مفتوح لكل الحالات الطارئة ليلاً نهاراً، وهو أمر طبيعي في مثل هذه الظروف. باقي المستشفيات الحكومية تعمل أيضاً بنفس الطريقة...

لم تمر ساعة واحدة دون سماع هدير القصف والدفاعات الأرضية التي تطلق النيران بشكل يكاد أن يكون عشوائياً، والدليل على ذلك أننا شاهدنا بعد المغيب النيران الأرضية التي بدت على شكل حبيبات حمراء متوهجة وهي تخترق السماء في شكل سلسلة مترابطة،

ومن عدة جهات، لكن ليس في اتجاه واحد. كما أمكن مشاهدة وهج الانفجارات في الأفق البعيد في نفس الوقت، ترافقها الأصوات المخيفة... أصوات الانفجارات.

عن أخبار المعركة:

الصواريخ التي سقطت على كل من تل أبيب وحيفا والخضيرة بلغ عددها ما بين ثمانية إلى اثني عشر صاروخًا من طراز سكود السوفيتية الصنع والمطورة عراقياً... وقد حملت رؤوسًا عادية... لا كيميائية ولا بيولوجية. وقد تسببت في إشعال بعض الحرائق والدمار، وجرح ثمانية أفراد، حسب المصادر الإسرائيلية والغربية.

لكن خمسة إسرائيليون ماتوا بسبب يدعو إلى الدهشة... فهم لم يموتوا بسبب تأثير الصواريخ المباشر، بل بالسبب غير المباشر... فقد ماتوا اختناقًا من جراء الأقنعة الواقية التي لم يستطيعوا التخلص منها ونزعها عن رؤوسهم.

وهذه الصواريخ هي من نوع «سكود» المعدل التي يصل مداها إلى حوالي ست مئة وخمسين كيلومترًا، ويدعى هذا الصاروخ المعدل باسم «العباس». وهو يحمل رأسًا من المتفجرات العادية التي تزن حوالي خمس مئة كيلوغرام.

هناك صاروخ معدل آخر يدعى «الحسين»، وهو نفس صاروخ «سكود» لكنه معدل بشكل مختلف، إذ يستطيع وصول هدف على بعد ثماني مئة كيلومتر.

وهذا النوع من الصواريخ يمكن إطلاقه من منصات ثابتة أو متحركة. ويبدو أنّ معظم قواعد الصواريخ الثابتة قد استهدفتها الغارات الجوية، لكنه من الصعوبة بمكان رصد المنصات المتحركة، والتي يعتقد بأن الصواريخ التي أطلقت على إسرائيل قد انطلقت منها.

هذا وقد تمكنت القوات الأمريكية من ضرب وإسقاط الصاروخ العراقي «سكود» الذي كان متجهًا نحو هدف في الظهران، وحال دون إصابته هدفه.

في إسرائيل عقد مجلس الوزراء المصغر اجتماعًا للبحث في «العدوان» العراقي وكيفية الرد عليه. لكن دول العالم وخاصة أمريكا تضاغط في اتجاه إقناع إسرائيل بعدم الرد لما في ذلك من مخاطر على التحالف القائم الآن في وجه العراق.

العراق أطلق عدة صواريخ أخرى على إسرائيل في الليلة الماضية أصابت كلاً من القدس وتل أبيب...

تركيا، وبعد أن تحصنت بقرار من مجلس النواب فيها بالسماح لقوات حلف الأطلسي باستخدام أراضيها والمرور بها، صارت مستعدة لاستقبال الطائرات الحربية الأطلسية لتتخذ من تركيا موقعًا تنطلق منه نحو أهداف في العراق... بل إن هناك توقعًا لدخول تركيا الحرب بشكل أو بآخر!

بعض الأخبار قالت إن عددًا من الطائرات قد انطلق بالفعل من تركيا، ويقدر عددها بحوالي خمسة وعشرين طائرة.

أخبار أخرى تقول إن العراق طلب المعونة من إيران (عدوة أمس) لكن إيران ردت بأنها لا تستطيع تلبية طلب العراق إلا في حالة تعرض مصالحها للخطر... وهو أمر لم يحدث حتى الآن...!

ذكر العراق أن عددًا من الطيارين الأعداء قد وقع في أيدي العراقيين بعد إسقاط طائراتهم فوق الأراضي العراقية... وتقول بغداد إن عدد الطائرات التي تمكنت من إسقاطها حتى مساء أمس قد بلغ اثنين وسبعين طائرة.

المصادر الأخرى تقول إن ما فقد حتى الآن من الطائرات: ثلاث طائرات أمريكية، طائرة كويتية وإن قائدها قد نزل بمظلته في الكويت وهو في أمان، وطائرة إيطالية وأخرى إسبانية...!

دمار شديد لحق ببغداد، فقد دخلت طائرة (بي ٥٢) القاذفة العملاقة في الإغارة على بغداد إلى جانب آلاف الطائرات المختلفة الأنواع، والتي تقوم يوميًا بـ ٢٠٠٠ طلعة حسبما تقول الأخبار قوات التحالف...

خبر غير مؤكد يقول إن جميع أفراد عائلة رئيس النظام العراقي وعوائل باقي أعضاء القيادة العراقية قد تم نقلهم من بغداد إلى موريتانيا...

نمضي الوقت في متابعة الأخبار عبر التلفزيون والمذياع.. نناقش بعضها، ووقت آخر أمشيته مع شقيقي جمال لأعرفه على بعض برامج الكمبيوتر وما يمكن عمله من خلاله... نرسم... نكتب... نلون...

وقد تمكن جمال أمس من رسم صورة الموسيقار العالمي «بيتهوفن» على جهاز الكمبيوتر.

نحضر الأكل... نأكل ونشرب... نسهر مع أشرطة فيديو عائلية مصورة منذ سنين... فنسر بمناظر الأمس ونتحسر على أيامنا هذه... ونلعب طاولة الزهر والورق...

(الأحد ٢٠/١/١٩٩١) آه... آه... ما أصعب أن يكون الإنسان في موقف لا يستطيع عمل شيء فيه إلا انتظار ما يقرره وينفذه الآخرون.. خاصة في حالة الحرب التي نعيشها... إنها حرب حقيقية.

صحيح أننا لم نتأثر بعد بالحرب بشكل مباشر... بمعنى أننا ما زلنا نسمعها ولا نرى وهجها إلا بالليل، لكن القنابل لا تنزل على أحيائنا أو بالقرب منها... أو على رؤوسنا كما يمكن أن يحدث، لا قدر الله، لكننا نحن أسراها غير المعلنين... ورهائنها غير المعروفين... وضحاياها المحتملون...

متى ينتهي هذا الانتظار البليد الملبد بكل الأخطار... وكيف سينتهي؟

اليوم هو اليوم الرابع في هذه الحرب.. ولا تزال الأمور إلى حد بعيد غير محسومة بعد... فالذين توقعوا أن تنتهي الحرب في ساعات أو خلال أيام لم يكونوا على معرفة وخبرة بحروب من هذا النوع. الانفجارات ما تزال تسمع وكأنها قذائف مدفعية تنطلق من القواعد العراقية إلى حشود القوات المتحالفة في الأراضي السعودية أو عكسها... أحياناً نسمع أصوات انفجارات قنابل تسقطها طائرات قوات التحالف المغيرة على المواقع العراقية في أرض الكويت... ليس في العاصمة بل من المحتمل جداً أن يكون بعضها في ضواحي العاصمة...

ها هو المؤذن يؤذن لصلاة الظهر... والمآذن بالمناسبة لم تنقطع يوماً عن أداء واجباتها الدينية... وبعض الناس يذهبون لأداء الصلاة في المساجد... لكنهم قلة.

ذكر لي ابن العم ياسين أنه كان يؤدي صلاة المغرب مع شقيقه مطر في المسجد بالفروانية، وكان في المسجد نحو عشرين من المصلين... فإذا بهم يسمعون أصوات انفجارات مرعبة وقريبة، قال: لقد أكمل الإمام الصلاة، ثم أتبعها بصلاة العشاء في موعد صلاة المغرب، وهي ما تسمى بصلاة التقديم... خشية أن تتطور الأحداث إلى الأسوأ فلا يتمكن المؤمنون من أداء صلاة العشاء... وقال: «بعد أن أنهينا الصلاة رحنا مهرولين نحو بيوتنا ونحن في حالة خوف شديد».

كنت ذكرت أنّ أحد الشباب من الجيران في أول ساعات نشوب الحرب قد قال لي إن أهل الحي صاروا في الملجأ... ونحن ننتظركم، وقلت له إننا سنفعل عندما نرى حاجة إلى ذلك.

أمس بدأ الناس الذين حشروا أنفسهم في الملاجئ منذ بداية الحرب بالخروج منها بعد أن أحسوا بأن أخطار الحرب ما تزال بعيدة عن الناس سكان الكويت.

شاهدت عددًا من الرجال والنساء والأطفال يتحركون في الحي... ولكن بحذر شديد. سألت إن هم ينوون العودة إلى الملاجئ فقليل لي إنهم سيفعلون... لأن الخطر أو احتمالاه وارد في أي لحظة. لكنني أعتقد أنّ الخطر لا يزال بعيداً... ومن المحتمل أن يكون هناك خطر بالفعل

عندما يبدأ انهيار القوات العراقية... فتحدث الاشتباكات داخل العاصمة لتنظيفها... وهو أمر يدعو إلى القلق فعلاً... لكن اعتقادي أنّ ذلك لن يستمر طويلاً.

أتوقع بعد انهيار القوات العراقية أن تفرض القوات المنتصرة والتي ستدخل الكويت منع التجول لأيام قليلة... وأمل أن تمر تلك الفترة دون دماء كويتية أو فلسطينية كثيرة.

والنقاش يدور أحياناً، وخاصة في اليومين السابقين، حول احتمال عدم انهيار القوات العراقية أو استسلامها... بدليل مرور أربعة أيام على بدء الحرب، التي حشدت في مقابلها أحدث الأسلحة المتطورة إضافة إلى ما يزيد على ست مئة ألف جندي، منهم أكثر من أربع مئة ألف جندي أمريكي وثلاثون ألف بريطاني وخمسة عشر ألف فرنسي وثلاثون ألف مصري وعشرون ألف سوري وأربعة عشر ألف كويتي مع ما يقرب من مئة ألف سعودي، دون أن تحسم لصالح أحد الخصمين حتى الآن...

لكني من الموقنين بأن القوات العراقية ستنهيار في النهاية... إلا إذا كان هناك مخطط سري غير معلن الذي نقوم بإجراء حساباتنا على أساسه.

الذي نعرفه أن العراق عندما يفقد طائرة أو صاروخاً أو دبابة لا يستطيع أن يعوضها بغيرها... (إلا إذا كنت أجهل تطور هذا الموضوع في العراق) لسبب بسيط هو أنه لا يصنع هذه المعدات الثقيلة...

الخصم، وهو يتمثل في قوى العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن تعوض الطائرة باثنتين، والدبابة بأربع، والصاروخ بعشرة.

إن صمود القوات العراقية حتى الآن ما هو إلا صمود قوات كبيرة، عملية سحقها يتطلب وقتاً يعد بالأسابيع إن لم نقل بالأشهر. يجب أن لا ننسى أنّ الجيش العراقي اعتبر من قبل مؤسسات الدراسات العسكرية الدولية هو سادس (وقيل خامس كما قيل رابع) أقوى جيش في العالم...

هنا يكمن مصدر التمزق النفسي الذي أصابنا جميعاً... كيف يسمح لسحق جيش عربي يعتبر من أقوى جيوش العالم...؟ ألم يكن ممكناً الخروج من هذا المأزق دون تحطيم هذا الجيش لاستخدامه في الدفاع عن الحقوق العربية... وليس لخرق هذه الحقوق وانتهاكها...؟

هنا يكمن مصدر التمزق النفسي الذي أصابنا جميعاً... كيف يسمح لسحق جيش عربي يعتبر من أقوى جيوش العالم...؟ ألم يكن ممكناً الخروج من هذا المأزق دون تحطيم هذا الجيش لاستخدامه في الدفاع عن الحقوق العربية... وليس لخرق هذه الحقوق وانتهاكها...؟

لماذا يزعج بهذه القدرة العربية العظيمة في أتون المحرقة...؟

إنني من المؤمنين أنّ احتلال الكويت بادئ ذي بدء لم يكن بهدف تحرير فلسطين... ولا يمكن أن أقبل من حيث المبدأ بهذه الانتهاكات الفاضحة من بلد عربي ضد بلد عربي آخر بحجة إنقاذ فلسطين.

أما وقد حدث ما حدث... ووقف العالم بأسره في مواجهة الإجراءات العراقية ضد الكويت وطالب بانسحابه فوراً وفق الاتفاقات الدولية... والتي تبعتها اتخاذ قرارات المقاطعة والتهديد ثم تحديد موعد الانسحاب له... وإلا استخدمت القوة لإجباره على الانسحاب، فقد كان واجباً على القيادة العراقية، لو أنها قيادة عاقلة وحكيمة... أن تقدر حجم القوة التي ستواجهها، قوة قادرة على سحق العراق وجيشه...

هل ندفع «سحق القوات العراقية» ثمناً لتصلب موقف رئيس النظام العراقي صدام...؟

هل ندفع هذا الثمن الباهظ بدلاً من الانسحاب من الكويت مع تعهد الدول الكبرى في العالم بتسوية الخلاف بين العراق والكويت ومشاكل المنطقة بما فيها المسألة الفلسطينية؟

قيل لقد تعهدت الدول الكبرى للعرب أكثر من مرة... لكن هذه الدول الكبيرة كانت دائماً تنكث بوعودها. هذا صحيح... لكن الصحيح أيضاً أن الظرف الدولي هو غير الظرف الذي

كان... وإن الحفاظ على قوة العراق كان يمكن أن يشكل أحد الضمانات لإجبار العالم على تنفيذ وعوده، ففي السابق لم نكن نملك مثل هذه القوة...

من ناحية أخرى، وقد كررت ذلك أكثر من مرة، أن الديكتاتورية لم تخلف لشعوبها في تاريخ البشرية إلا القهر والظلم والفقر والدمار والتخلف...

ماذا يعني هذا الموضوع؟ ألا يعني أنّ ما يقوم به هذا الطاغية وزمرته يصب في نهاية المطاف في صالح أعداء العرب... ويخدم المصالح الغربية ومصالح مدلتهم إسرائيل؟

الغيوم ما تزال تغطي السماء، لكنها اليوم أكثر ارتفاعاً، أي أنها من الغيوم المتوسطة، والرؤيا لهذا السبب أفضل من أي يوم من أيام الحرب منذ بدأت... لهذا فهناك معركة دائرة منذ حوالي الساعة في محيط العاصمة... أستطيع وأنا أكتب أن أستمع جيداً لأصوات قصف جوي ومدفعي ورشاشات ثقيلة من نوع المضادات.

قرع جرس الباب... نبج «ريكي» كعادته (ريكي كلب أصيل من النوع الصغير الحجم لكنه شديد الذكاء) راحت داليا لتفتح الباب... لكن ريكي ظل ينبج، اعتقدت أنّ جمال ولميس وعلاء الذين ذهبوا من الصباح إلى منزلهم لغرض ما... اعتقدت أنهم على الباب، لكن داليا قالت بصوت فيه شيء من الخوف والشفقة... «يا عمو طفل ضائع يبحثون عن ذويه»...

وكان القصف لا يزال مستمرّاً وبعنف... تركت الكتابة على الكمبيوتر فوراً... وذهبت للمساعدة، وجدت خارج الدار بعض الشباب والرجال... أحدهم يمسك بيد طفل في الثانية من عمره... قالوا إنه ضائع ولا نعرف من هم أهله.. لكن عيسى بائع الدكان الواقع بجوارنا عرفه وأخذه ليوصله إلى ذويه... لعن الله الأم التي تغفل عن طفلها... لكن من يدري عن حالة أم هذا الطفل الآن؟

سياسياً هناك محاولة لمبادرات من أجل إيقاف هذه المعركة، فقد طلب الملك الحسن أن يستجيب العراق للانسحاب على أن تستبدل بالقوات العراقية قوات من المغرب...

وگورباتشوف أرسل رسائل إلى صدام حسين وياسر عرفات...

وياسر عرفات أرسل إلى الصين للقيام بعمل ما في هذا الشأن..

وحسني مبارك يتمنى على الرئيس العراقي أن يستجيب للسلام..

والقذافي سار في مظاهرة بلغ عدد المشاركين فيها مليون شخص من أجل إيقاف الحرب...

والمظاهرات المناهضة للحرب ما تزال تجوب أنحاء العالم..

لكن هذه الحرب، في اعتقادي، لن يوقفها إلا استسلام العراق وانسحابه من الكويت...

عندئذ ستضع الحرب أوزارها، فقد ضاعت فرص الإنقاذ...

بالطبع لا مجال لشراء شيء من المحال أو البسطات التي كانت توجد على الشوارع... ولو

أني متأكد أن التجار سيعملون وسيجدون طريقهم لتسيير أمورهم والاستفادة من

الظروف، مهما تكن حالها لكي يستغلوها. ولقد قيل لي إن عددًا من الباعة بدءوا يطلون

ويظهرون في بعض المناطق، وأنهم يقفون بسياراتهم في أماكن يعتقدون أنها أكثر أمنًا من

غيرها، يفتحون «دبة» السيارة (الصندوق الخلفي) ويضعون نماذج لبعض السلع التي

يبيعونها.

الصديق علي اتصل سائلًا المساعدة لإيجاد مكان لحفظ جثة عمته المسنة التي توفاهها الله

ليلة أمس، في مستشفى الهادي، وهو يعرف أن لنا علاقات جيدة مع أطباء في هذا

المستشفى... لكننا نعرف أنه لا يتوفر في هذا المستشفى براد لحفظ جثث الموتى...

اعتذرنا له... وقلنا له: البقية في حياتك...

(الاثنين ٢١/١/١٩٩١) أمس، وفي حوالي العاشرة ليلاً، انقطع التيار الكهربائي عن بعض

المناطق في الكويت.. وعشنا للحظات في ظلام دامس... ثم أوقدنا فوراً الشموع ومصباح

«الغاز» (الكيروسين) الذي أعدناه لمثل هذه الحالة.

كثيرة هي الأسئلة التي بدأنا نطرحها في صمت بيننا وبين أنفسنا... هل ضربت محطة توليد الكهرباء، لا سمح الله؟ هل هناك غارة جوية، أم أنّ خللاً أصاب المحطة ولا أحد يستطيع إصلاحه في مثل هذه الظروف؟ وهل سيدوم الانقطاع لفترة طويلة... وماذا عسانا وعسى الناس أن يفعلوا بما تخزنه من أغذية في مجلداتها (فريزر) وفي براداتها؟

خرجت إلى باحة الدار فلاحظت أنّ شارع الدائري الخامس (القريب منا نسبيًا) منار بأضوائه البرتقالية... فاطمئن قلبي على أنّ المحطة بخير والحمد لله. وبعد حوالي ربع ساعة... تنفسنا الصعداء بعودة التيار الكهربائي... لكنني بدأت فعلاً أفكر جدياً في المشكلة... والتي يحتمل أن تحدث في أي وقت... فكيف ينبغي أن نتصرف؟

لديّ مولد للكهرباء كنت أحضرته من بيت الصديق عميد قبل مغادرته للكويت، وكنا أجرينا تجربة تشغيله بمساعدة إياد ابن شقيقتي منذ أكثر من شهرين وعمل بشكل جيد بواسطة بطارية سيارة قديمة. قررت أن أحاول وشقيقتي جمال في صباح هذا اليوم أن أشغله احتياطياً... ليكون على أهبة العمل حفاظاً على ما لدينا من أغذية مجلدة... ولإشغال قنديل «لمبة» أو أكثر في المنزل ليلاً.. حاولنا جهدنا... لكن المولد لم يعمل!

وحدث في الوقت الذي كنا نحاول تشغيله انقطاع ثانٍ للتيار الكهربائي، لحوالي نصف ساعة... سنعيد الكرة مرة أخرى غداً، إن بقينا أحياء إن شاء الله.

إن الأخبار تقول إن هذه الحالة، التي نحن فيها، ربما تستمر عدة أسابيع أو بضعة أشهر، لذا فالاهتمام بما لدينا من غذاء أمر حيوي جداً... والأمر الحيوي جداً أيضاً هو ضرورة وضع برنامج غذائي لنا، أعني أنا وجمال وعائلته، كي يكون بالإمكان التكيف مع هذا الوضع المحتمل أن يطول وكمية الغذاء المتوفر لدينا.

وفي الجو المطير هذا، أوقدنا ناراً في المنقل... وجلسنا خارج البيت في مدخله، ومنظر النار ورائحته أعاتدنا إلى الوراء عشرات السنين... إلى ذكريات الأيام الخوالي...

اتصل بنا الصديقان الدكتور صلاح وبهاء... قالت لهم تمام إننا أوقدنا النار وجلسنا من حولها في هذا الجو المطير المنعش.. فقالا: إننا قادمان، وقدما بالفعل...

انتقلنا إلى مكان آخر في البيت (أسميه المدخل القدسي) حيث يطل على خميلة تتكون من مجموعة أشجار كنت زرعتهما واهتممت بها منذ سكنا هذا البيت عام ١٩٨٦ (ياسمين وشجيرات عنب -دوالي- إلى جانب الشجرة المجنونة) وجلسنا أمام النار... تحدثنا عن الأوضاع... أكلنا حبيبات من البطاطا العادية التي شواها جمال على جمر النار.

المرور بين المناطق ممكن... لكن المار بسيارته يتعرض للتفتيش الدقيق، والسيارة التي لا تحمل رقمًا عراقيًا تصادر من قبل رجال الشرطة العراقيين، كما يستجوب بهذا الخصوص سائقها.

والناس بشكل عام لا يتجولون في هذه الظروف... هذا مع العلم بأن نظام منع التجول سار من الساعة الخامسة مساء وحتى السادسة صباحًا.

يقول المراقبون السياسيون... إن المعركة الدائرة اليوم سوف، أو ربما تستغرق أسابيع أو شهرًا قبل أن تحسم!

يا ويلاه... أسابيع أو شهور نظل على هذا الحال... لكن ماذا عسانا أن نفعل؟

فليس أمامنا سوى الصبر ودعاء الله أن يلطف بنا... ومتابعة الأخبار وترقب الخبر... الخبر...

الرياض والظهران ضربتا بصواريخ عراقية من طراز «سكود»... يأتي هذا بعد يومين من إطلاق مثلها على تل أبيب وحيفا... لكن الأخبار تقول إن واحدًا فقط استطاع الوصول إلى إحدى مناطق الرياض وأحدث دمارًا في منطقة نزوله. أما الصواريخ الثمانية الأخرى فقد أمكن ضربها وهي في الجو بصواريخ (باتريوت) المضادة للصواريخ ولم تصل صواريخ «سكود» إلى أهدافها... والعاشر - كما قيل - سقط خطأ في البحر.

الحقيقة أن هناك تعتيمًا على ما تفعله هذه الصواريخ في الأراضي السعودية... والأخبار حولها ليست واضحة تمامًا وتكون أحيانًا مرتبكة ومتناقضة...

إسرائيل استجابت لنداء أمريكا ودول عالمية فلم ترد على العراق بعد أن قصفها الأخير بعدة صواريخ من الأراضي العراقية، كما أن أمريكا وبسرعة فائقة، زودت إسرائيل بصواريخ «باتريوت» المضادة للصواريخ... وقد تمكن الفنيون الأمريكيون من نقلها، من أوروبا، وتركيبها وتشغيلها في يومين، بحيث أصبحت قادرة على حماية إسرائيل من صواريخ العراق!

إلا أن صديقًا قال لي إنه سمع أحد الخبراء في هذا المجال يقول في مقابلة إذاعية إن صواريخ «باتريوت» المضادة للصواريخ العراقية السوفيتية الصنع والمطورة في العراق، ليست قادرة على تحقيق أهدافها بشكل دقيق... وإن هناك مبالغة من قبل الأمريكيين وحلفائهم في تصوير قدرة الصاروخ «باتريوت» على مواجهة صاروخ سكود المطور!

المعركة مستمرة على وتيرة واحدة كما نسمع عنها من الإذاعات.. فالقصف الجوي مستمر والتصدي له بالمضادات مستمر أيضًا... والمواقف السياسية على ما هي عليه... لا جديد.

صدام حسين وجه أمس نداء، أو رسالة، يؤكد فيها على أن «أم المعارك» قد بدأت وأن الانتصار حليف «المؤمنين لا محالة». وذكر في خطابه أو ندائه أن العراق لم يستعمل إلا ربع قدرته العسكرية حتى الآن... وأن المفاجآت آتية... اللهم رحمتك من جنون المجانين المسلحين...

القوات المتحالفة تقول إن عملية القصف سوف تستمر لبضعة أسابيع أو أكثر أي إلى أن تنهار قوى الجيش لعراقي لتدخل بعدئذٍ قوات الدروع والمشاة لتحرير الكويت وتتسلم مقاليدها...

ما أشبه اليوم بالبارحة... ففي الثاني من آب الماضي، يوم اجتاحت القوات العراقية الكويت ضربت محطات الإرسال الإذاعي والتلفزيوني الكويتية... فصارت الكويت تبث برامجها من محطة ضعيفة جداً... قيل إنها محطة بث متنقلة بسيارة... ثم قُضي على الإذاعة الكويتية من الكويت...

وتسلم العراقيون البث التلفزيوني باسم الكويت... لكن من غير استعداد فني لمثل هذا الموضوع... وبأسلوب بدائي متخلف...

وفي الثاني من رجب (السابع عشر من يناير)... وبعد أن دارت عجلة الزمن دورتها، وعلى البادي تدور الدوائر، ضربت مؤسسة الإذاعة والتلفزيون العراقية... وصرنا لا نكاد نسمع الإذاعة العراقية لضعف بثها من محطة يقال إنها من سيارة متنقلة، كما أن التلفزيون العراقي الذي توقف لمدة يوم واحد، عاد يبث من محطة ضعيفة وعلى قناة غير التي كان يبث عليها... وعاد الأسلوب البدائي يظهر مرة ثانية... لكن من تلفزيون العراق هذه المرة... فكتابة العناوين أو الشعارات تتم باليد ومن غير أي ذوق فني... وليس سوى الأخبار والبيانات المقروءة من غير صور وذلك لتعطل أجهزة الاستقبال من الأقمار الصناعية... بسبب قصفها وتحطيمها!

لماذا يحدث كل هذا في بلد عربي؟

لماذا يسمح لمجنون عاتٍ مغرور أن يقرر مصير شعب وبلد يعتبر من أكبر وأهم البلدان العربية؟

ما ذنب الأطفال والشيوخ والنساء «الماجدات»، كما يسميهم مجنون العراق، لكي يتعرضوا لكل هذا العذاب والدمار وهذه المصائب ونار هذه الحرب المجنونة؟ لماذا؟

يسألون أين النخبة من أبناء العراق... ليقولوا لهذا الطاغية: قف أيها المجنون... يا نيرون العمر الحديث...

إن النخبة قد قضى عليها من طغيان هذا الطاغية... فمنهم من قضى نحبه في سجونهم...
ومنهم من أعدم بقراره... ومنهم من فر من جبروته ليعيش مشردًا في بلاد العالم!

هناك مليون عراقي يعيشون خارج العراق ومنذ أكثر من عشر سنوات... ومعظمهم من
النخبة المثقفة الذين لم يستطيعوا أن يعيشوا في ظل نظام هذا المجنون الطاغية المعقد...

الأخبار تقول إن طائرات القوات المتحالفة أغارت على العراق منذ بداية المعركة أكثر من
سبعة آلاف مرة، أي في الأيام الأربعة أو الخمسة الماضية... وإنه قد تدمير كثير من
المؤسسات والمنشآت العسكرية والاقتصادية... من ضمنها المفاعل النووي، شمالي العراق،
الذي يحتاج الآن إلى إعادة تشغيله بضعة سنوات من العمل على الأقل!

وتتركز معظم الغارات على القواعد العسكرية، وعلى البنية التحتية للجيش المنتشر في
الصحراء... في العراق... وبرد الصحراء ينخر عظامهم! وطائرات الحلفاء الحربية القاذفة
العملاقة (بي ٥٢)، والتي تستعمل الآن قواعد ومطارات عسكرية في جنوب شرقي تركيا،
إضافة إلى المطارات الخليجية الأخرى، تنطلق نحو أهدافها في العراق.

القوات المتحالفة تقول إن عدد الطائرات التي خسرتها حتى اليوم لا يزيد على عشرين
طائرة... بينما تقول العراق إنها أسقطت حوالي مئتي طائرة للقوات المتحالفة حتى اليوم...
والله أعلم.

العراق أعلن اليوم أنه سينقل الطيارين الأسرى، الذين تم أسرهم بعد هبوطهم بالمظلات من
طائراتهم التي أصيبت في القتال، إلى مواقع إستراتيجية.. تمامًا كما فعل مع قضية الرهائن
- الضيوف... وقد عرض التلفزيون العراقي أمس مساء صور سبعة من الأسرى الطيارين
(بريطانيين وأميركيين وإيطاليين وفرنسي واحد).

(الثلاثاء ٢٢/١/١٩٩١) الجو كان في الصباح ممطرًا... وهو أمر غريب... لكن الآن (الساعة
الواحدة ظهرًا) بدأت الشمس تطل باستحياء من خلال الغيوم المتناثرة في السماء...

وتوقف المطر. أما القصف ومضاداته فلا تزال الحال على ما كانت عليه في الأيام الماضية.

في مساء أمس سمعنا أصوات انفجارات قريبة ومرعبة... وكانت تحلق في الأجواء طائرات عالية يسمع هديرها وهي تحوم في سماء المنطقة، خرجنا إلى مدخل البيت في محاولة لمشاهدة ما يحدث... كان جمال إلى جانبي يحاول أن يبدو ممسكاً بأعصابه... لكنني أحسست بأنه خائف جداً من تلك الأصوات الرهيبة حقاً، لم أحاول أبداً أن أبين لجمال أنني أحس بخوفه... لكن علاء، ابنه، أصيب بما يشبه التلعثم والتأتأة وهو يحاول أن يعبر عن مشاعره ببعض كلمات لم تخرج واضحة من فمه... فنهزه أبوه بطريقة أكدت بأنه أكثر خوفاً من ابنه! الحقيقة أننا كلنا كنا نشعر بالخوف... فلقد كنا أمام سماء مليئة بأصوات الحرب المخيفة والمرعبة، وتحت أخطار لا يعلم إلا الله مداها... الانفجارات من جراء القصف تهز أعماقنا وتجعل أسناننا تصطك من شدة رهبتها... ووهج الانفجارات يلمع بلونه الأحمر الناري في ظلمة الليل... وطلقات المضادات المشتعلة والمضيئة باللون الأحمر البرتقالي تشق السماء من اتجاهات عديدة... دون هدف واحد... كل صلية مدفع تتجه في اتجاه مختلف عن الآخر في محاولة لإصابة طائرة!

(الجمعة ٢٥/١/١٩٩١) أكتب في آخر الليل، الحقيقة أننا دخلنا يوم السبت، فالساعة الآن تقارب الثانية والنصف بعد منتصف الليل.

أهم أخبار الأيام الماضية السياسية والعسكرية هي أن القتال... أو المعركة ما تزال مستمرة... وهو ليس قتالاً بقدر ما هو انقراض طائرات ومدفعية وصواريخ القوات المتحالفة بزعامة أمريكا على المواقع العراقية في العراق والكويت...

قالت الأخبار إن عدد الطلعات الجوية التي أغارت على مواقع العراقيين قد تجاوزت العشرة آلاف طلعة منذ بداية المعركة... وإن أهدافاً كثيرة أصيبت في العراق، لكن الغارات ما تزال مستمرة... ويقول الغربيون إن منطقة البصرة تعرضت لقصف شديد حيث تتواجد فيها قوات الحرس الجمهوري الذي يعتبر من أكثر فرق الجيش العراقي تمرساً في الحرب ويمتلك قدرة عالية في القتال... كذلك بدأ سلاح الجو التحالفي يضرب بعض المراكز

القيادية للجيش العراقي في العراق وفي الكويت. قيل لي إن معظم الخط الساحلي في الكويت قد ضرب بشراسة رهيبة، وإن دخان الحرائق يمكن مشاهدته من بعض أسطح المباني العالية وهو يتصاعد من شواطئ مدينة الكويت ومن منطقة «الدوحة».

في المقابل العراق ومنذ أطلق أول صواريخه «سكود» على أهداف إسرائيلية وسعودية وخليجية أخرى... لا يزال يوميًا يقصف هذه الأماكن بهذه الصواريخ.

قبل أمس ضربت تل أبيب بعدة صواريخ من نوع سكود... وتقول الأخبار إن معظمها لم يصل إلى أهدافه لأنها جوبهت بالصواريخ المضادة «باتريوت»... لكن واحدًا على الأقل انفجر في تل أبيب وأحدث دمارًا كبيرًا، وقتل ثلاثة إسرائيليين وأكثر من مئة جريح - على ذمة المصادر الإسرائيلية...

كذلك أصاب أكثر من صاروخ عراقي من هذا الطراز (سكود) كلاً من الرياض والظهران والبحرين والدوحة... أو نزلت في ضواحيها، وإن أضرارًا وجرحى (لم يذكر قتلى) قد نتج من جراء هذه الصواريخ في الأيام الفائتة.

ويحاول العراق من وراء ضرب إسرائيل «جر شكّلها» أي أن يجرها لدخول الحرب، لكن أمريكا وحلفاءها جميعًا، بما في ذلك مصر، راحت عبر مبعوثيها أو رسائلها المستعجلة يرجون إسرائيل أن لا تقحم نفسها في هذه الحرب... وأن لا تستجيب للمخطط العراقي الذي يهدف إلى زعزعة التحالف العالمي والعربي المتحد في وجه العراق... لكن سوريا ومصر أعلنتا أنهما لن يستجيبا لمخطط صدام حسين، ولن ينسحبا من التحالف بسبب ضرب صواريخ «سكود» على إسرائيل.

الجو عاد ممطرًا، والسماء ملبدة بالغيوم... ولم تصحُ إلا يومًا واحدًا منذ بداية الحرب... ويقول العسكريون إن الجو لم يكن في صالح العمليات التي تقوم بها القوات المتحالفة... وإنه لم يساعدهم على تحقيق أهدافهم بشكل دقيق!

العراق، وبعد أن عرض صور حوالي عشرة من الأسرى الغربيين في التلفزيون العراقي، وأكد أنه سوف يكون مقر إقامتهم في الأماكن الإستراتيجية العراقية التي يمكن أن تكون هدفًا لغارات قوات التحالف، أقام حفيظة دول العالم وبخاصة الدول الغربية... وقالوا إن هذا عمل إجرامي آخر مخالف لاتفاقيات جنيف المتعلقة بأسرى الحرب...

وطالب دول العالم الغربي العراق بأن يعامل الأسرى وفق اللوائح الدولية في هذا الشأن، وأن يسمح للصليب الأحمر الدولي بزيارة هؤلاء الأسرى...

اليوم قال الصليب الأحمر إنه تلقى إشارة أولية بأن العراق سيسمح للصليب الأحمر بزيارة الأسرى... وإنه لن يعرض صورًا أخرى للأسرى الجدد!

إذاعة الكويت، من السعودية، تسمع بوضوح شديد... كذلك أصبحت إذاعة بغداد تسمع بصورة أفضل من قبل... أما برامج التلفزيون فإننا لم نتمكن من مشاهدة أي محطة في الأيام الماضية منذ بدأت الحرب الجوية باستثناء ثاني يوم للحرب حيث، ولأسباب نجهلها، أمكن مشاهدة محطات البحرين وقطر - ومن خلالها برامج الـ (CNN) وإيران... كذلك أمكننا مشاهدة تلفزيون إيران أمس وأمس الأول لكن الاستقبال لم يكن واضحًا...

للمرة الأولى، وحسبما قالت أخبار الإذاعات، توجهت طائرتان عراقيتان (وقيل أربعة) صوب بحر الخليج مستهدفة ضرب سفن عسكرية للتحالف الدولي... لكن طائرة، وقيل طائرتان، سعودية، وقيل أمريكية، تمكنت من ضرب الطائرتين العراقيتين في الجو وإسقاطهما...

اليوم نقلت الأخبار أنّ طائرة مروحية (هليكوبتر) أمريكية تعقبت سفينتين عراقيتين... واحدة كانت تزرع ألغامًا في مياه الخليج، وأخرى محملة بالنفط، فأغارت عليهما وأصابتهما الأولى... بينما ارتطمت الأخرى بأحد الألغام التي انفجرت فيها...

وفي طريق عودتها اكتشفت الطائرة جزيرة صغيرة جدًا، تدعى غارو، وذلك عندما راحت مدفعية مضادة تطلق النار على الطائرة... عادت الطائرة -كما روت الإذاعات التحالفية - إلى الجزيرة وأغارت عليها فقتل ثلاثة جنود عراقيين واستسلم اثنان وعشرون... وقيل إن عدد الأسرى العراقيين الذين تم أسرهم أمس قد بلغ واحدًا وخمسين جنديًا عراقيًا.

وتقول الأخبار إن حالة الأسرى العراقيين مزرية جدًا... إذ يفتقرون إلى الغذاء والكساء الجيد، ويعانون من الأنيميا ومن انتشار القمل في أجسادهم... يا للحسرة على «أشواوس العروبة... المنتصرين بعون الله...!».

وتوجد بقعة نفطية كبيرة منتشرة على سطح مياه شاطئ الكويت، قدرت مساحتها بحوالي خمسة عشر كيلومترًا طولًا وخمسة كيلومترات عرضًا... تقول الأخبار إنَّ القوات العراقية سربتها عمدًا من خزانات النفط في الأحمدى لتشكّل -في اعتقادهم- مانعًا نفطيًا، سيشعل في وجه أي إنزال بحري للقوات المتحالفة على شواطئ الكويت!

موقف إيران من الأزمة هو موقف غريب... فهم ضد العراق لاحتلاله الكويت، وضد التواجد الأجنبي في أراضي السعودية، وضد السعودية... وضد إجراء أي تغيير في خارطة المنطقة... وضد تركيا ووقوفها مع الغربيين...

اليوم وفي خطبة الجمعة قال الرئيس الإيراني «حجة الإسلام» هاشمي رفسنجاني إن «دخول الحرب إلى جانب العراق في هذه الظروف المعقدة هو عملية انتحارية ولن ندخلها»...

قالت إذاعة مونت كارلو الليلة أنّ المستفيد الأكبر والأول في هذه الحرب حتى الآن هي إسرائيل. فمن ناحية أصبحت هي «الحمل الوديع المعرض للافتراس من المتوحشين العرب..» بعد أن كانت إسرائيل هي الدولة الظالمة القائمة المتوحشة ضد الشعب الفلسطيني... وهي تبتز الدول الغربية بحجة إرضائها وإقناعها لعدم إقدامها على الرد ضد الصواريخ العراقية... فحتى الآن وعدت بأن يقدم إليها ما قيمته أكثر من ثلاثة عشر مليار

دولار ثمن انصياعها لرغبة العالم في عدم الرد على العراق... وهي قد سلّحت بترسانة من صواريخ «باتريوت» المضادة... والحبل على الجرار..

الرئيس الأمريكي بوش في غاية الغضب... وقد صعدت واشنطن الليلة من لهجتها ضد العراق... وهددت بأن عدم رضوخ العراق يعني أن تزيد القوات المتحالفة من قسوتها في ضرب القوات العراقية... وتأليب الجيش العراقي ضد قيادته السياسية.

هناك عملية تلميع وتحضير لقيادة سياسية بديلة تتم في الخارج من رجالات العراق المنفيين...

أمس الخميس كان الطقس جميلاً، لم يكن ممطراً ولا بارداً، فامتلاً الحي بأصوات الأطفال والصبية والبنات وهم يلعبون بعد أن حشروا في الملاجئ قبل الأوان لبضعة أيام... أحسست بأن الحياة لا تزال بخير وأنها لا بد مستمرة، وأن لا شيء يمكن أن يوقفها...

ما أجمل الأطفال إذ هم يصفون على الحياة معنى البقاء والفرح...

أما عن حياتنا في البيت فإننا نمضي معظم أوقاتنا في أمور عديدة... شغلنا مولد الكهرباء (اتضح أن البطارية التي كنا نحاول تشغيل المولد بها كانت ضعيفة جداً).

جمال يحب دخول المطبخ فيعمل لنا الخبز... و«القطايف»... و«الكنافة»... نلعب الورق والطاولة... نشاهد التليفزيون... نتفقد الزرع... نناقش الأوضاع ونحلل أخبارها، أو بالأحرى نحاول تحليلها... نختلف في بعض القضايا... ونتفق في بعضها الآخر...

وأمس زارنا ابن العم أمين مع ابنته إيناس لأول مرة منذ اندلاع الحرب الجوية، واليوم زارنا للمرة الثانية...

كذلك زارنا الصديق القريب جميل قبل ظهر اليوم وتبادلنا الأحاديث إياها.

(السبت ٢٦/١/١٩٩١) أيقظتنا أصوات الطيران الحربي في حوالي الثامنة صباحًا... وما يتبع ذلك عادة من قصف ومضاداته... لكن غارة اليوم كانت رهيبة ومروعة حقًا... إذ إنَّ الجو صحو في هذا الصباح... الرؤيا ليست حسنة جدًّا... لكنها أفضل من الأيام الماضية... لذلك كانت الطائرات تحلق على علو منخفض مسموع جدًّا... فيهتز البيت من صوتها... وترتج الأبواب والشبابيك والستائر... ثمَّ يتبعها أصوات الانفجارات الرهيب... كنا نحس بأثر ضغط الهواء جراء الانفجارات... لقد كانت غارة اليوم مخيفة حقًّا..

استيقظنا جميعًا... ونحن الذين رحنا إلى فراشنا لننام بعد الثانية ليلاً... أنا لم أنم إلا في حوالي الرابعة فجرًا... تمام فعلت ذلك قبلي بنصف ساعة، المهم أن فجر هذا اليوم وصباحه كانا مخيفين...

خيل إليَّ أن بعضها كان في منطقة قصر بيان، الذي يبعد عنا أقل من ألف متر، وليس أبعد من ذلك... لكن القصف استمر وفي مناطق كثيرة... توقف لفترة ثم عاود مرة أخرى.. وها أنا أسمع بعضها الآن... (التاسعة صباحًا) لكن ما أسمعه بعيد عنا كثيرًا بالمقارنة مع غارة الصباح الباكر.

لم أستطع العودة إلى النوم بالطبع... شربنا القهوة... ثمَّ خرجت إلى باحة الدار... هكذا دون هدف يذكر... فوجدتني أتفقد الأشياء بشكل عفوي... كان علاء ابن أخي معي، وجدت بعض المياه راكدة من أثر مطر أمس في بعض الأماكن المنخفضة من الباحة.. فرحت أجر هذه المياه بالقشافة إلى الخارج. لكنني فوجئت بأن لون المياه رمادي.. أي أنَّ المياه التي نزلت من السماء أمس كانت تحمل معها ذرات الهباب الأسود المتطاير من الحرائق النفطية التي قيل إنها مشتعلة في بعض آبار نפט منطقة الوفرة منذ أيام... أو ربما من حرائق في مناطق أخرى! ذكرت أخبار بعد الظهر أن سبع طائرات عراقية حطت في إيران بشكل اضطراري... وأن إحداها ارتطمت بالأرض وانفجرت... وأن التحقيق بدأ مع الطيارين من قبل الإيرانيين.

الصديق مثقال كلمني هاتفياً ليطمئن علينا... والحقيقة أن الذين يسألون من الأصدقاء والأقارب ليطمئنوا علينا كثيرون... مثقال قال إنه تجول في منطقة الشويخ وحولي، وأنه

حاول شراء بعض الأشياء الموجودة في منطقتي حولي وسوق الجملة بالشويخ (محلات المنتجات التركية) فقال إن الشبيرة «بتصفر» من فراغها ولا أحد بها وهي خالية بالطبع من أية سلع. أما في الأماكن الأخرى فتوجد أشياء لكن أسعارها خيالية. كيس البطاطا الذي يزن حوالي عشرة كيلوغرامات مثلاً يباع بمئة دينار عراقي... كرتونة البيض (ثلاثين بيضة) بأربعين ديناراً... كيس الطحين إن وُجد بسبع مئة وخمسين ديناراً... (وقيل إن ثمنه وصل إلى أكثر من ألف دينار) كروس السجائر (عشرة علب) بمئة وخمسة وعشرين ديناراً...

المصيبة ستحدث إن امتدت هذه الحالة أشهرًا على هذا المنوال... لأن معظم الناس، ولا أقول كلهم، خزنوا ما يكفي من الأغذية لمدة شهرين على الأقل، فإن انقضت هذه الأزمة قبل مرور شهرين فلن تكون هناك مشكلة في الغذاء... هذا على الرغم من أن البعض يقولون إنَّ هناك عائلات تفتقر إلى غذاء يوم أو اثنين... لكننا لا نعرف صدقًا أحدًا من هؤلاء.

قلت للصديق مثقال هل مررت بمخبز اليرموك... إنهم يقولون إنه يعمل؟ قال: نعم... لكن هناك طابورًا من الناس طوله كيلومتران...

زارنا ظهر اليوم العزيزان ليلى ووليد أبو بكر، ومعهم جار لهم يدعى معين... قال وليد لقد طلبنا منه أن يحضرنا بسيارته لأنه ممن غيروا أوراق سيارته، ولا نستطيع -كما تعرف- التجول بإحدى سيارتنا التي لا تزال تحمل الأرقام الكويتية... كسياراتكم.

منذ أكثر من أسبوعين تُصدر أي سيارة تسير بغير لوحة عراقية، أي أن يكون صاحبها قد غير أوراقها من كويتية إلى عراقية، وإلا تعرضت للمصادرة... ويتعرض سائقها للاستجواب وما إلى ذلك. لهذا خفت حركة السير في شوارع المدينة بدرجة كبيرة... هذا إضافة إلى أن معظم الناس ظلوا في بيوتهم أو ملاجئهم بسبب الحرب المشتعلة.

(الأحد ٢٧/١/١٩٩١) في كل مرة، ومع بداية الكتابة لا أستطيع تذكر اليوم ولا التاريخ... فأعود إلى يوميات اليوم السابق أو الأسبق لمعرفة اليوم والتاريخ.

استيقظت صباح اليوم متأخرًا، أي في حوالي العاشرة لسببين، الأول أنّ الغيوم كانت تغطي السماء، وهي غيوم ممطرة، والثاني أن الصباح كان هادئًا نسبيًا... فلم توقظنا أصوات الانفجارات والصواريخ كما حدث أمس مثلًا.

غريب أمر المطر في هذه السنة... وكما سبق وقلت، لم نتعوده من قبل في هذا البلد العزيز. على أية حال إنه لفأل طيب.. ولعل هذه الأمطار الهائلة تبشر بخير نحن أحوج ما نكون إليه في مثل هذه الظروف، على الرغم من أنها أمطار ملوثة بذرات السخام الأسود التي تركت بصماتها على المباني والقلل البيضاء وعلى السيارات ذات الألوان غير الداكنة.

فالمباني البيضاء توشحت بخيوط وبقع من السواد بسبب الأمطار الملوثة... وكأنها لبست ثوب الحداد على حال هذا البلد بسبب ما أصابه... هذا البلد الذي كان في يوم من الأيام بلد أمن وسلام وخير، نَعَمَ به الكثيرون من أبنائه وأبناء الجاليات العربية والأجنبية... وكان - كما يدعونه - درة الخليج.

من أين هذا السواد؟

إنه آتٍ من حرائق النفط المشتعلة في بعض مناطق الكويت، من منطقة «الوفرة» في جنوب شرقي الكويت... وقد قيل إنه شوهدت حرائق فيها يعتقد أنها ناتجة من تفجير بعض آبار النفط فيها واحتراق مخزونها الهائل!

وبحيرة النفط التي تكبر وتكبر في مياه الخليج من جراء تدفق نפט خزانات «الأحمدي» وهي كارثة جديدة وخطرة... وقد بلغت مساحتها حتى اليوم حوالي خمسين كيلومترًا طولاً وعشرين عرضًا... ولقد امتدت النار إلى بعض بقعها فتطاير شرارها الأسود ذارت التصقت بالسحب التي تغطي منذ أيام سماء المنطقة الممطرة، ونزلت مع حبات المطر.

إن هذه البحيرة النفطية العائمة فوق سطح مياه الخليج... والمتزايدة... لخطر كبير يهدد الحياة في منطقة الخليج، ليس فقط حياة الناس بل أيضًا كل الكائنات الحية على أرض

وفي بحر المنطقة.

الخوف الأول هو تلوث المناطق قرب محطات تحلية المياه على شواطئ الخليج، فالكويت والسعودية تعتمدان في معظم مياهها على محطات تكرير مياه البحر... والخوف الآخر هو هلاك كمية هائلة من طيور البحر وأسماكه... ولمدد طويلة.

يقال إنَّ العراق هو الذي فتح مصب النفط في محطة التحميل بالأحمدي فتدفق النفط في البحر ولا يزال يتدفق في البحر... كما يقال إن عدة ناقلات نفط عراقية أفرغت حمولتها في البحر عمدًا... هذا إضافة إلى ناقلة نفط كانت قرب الشواطئ العراقية والتي اصطدمت بلغم فجرها فتدفق نفطها الأسود إلى سطح البحر.

العراق ينفي ذلك ويقول إنها بسبب إغراق أمريكا إحدى ناقلات النفط العراقية والتي كانت مليئة به وتقف بمحاذاة الشاطئ الكويتي!

ويقولون إن هدف العراق من هذا هو خلق صعوبات أمام احتمالات قيام القوات المتحالفة بإنزال أو هجوم بحري ضد مواقع القوات العراقية على الشواطئ الكويتية. بل إن المعلومات تفيد بأن العراقيين قد أعدوا خنادق على طول الشاطئ الكويتي لكي يسكب فيها النفط في الوقت المناسب وإحراقه في وجه القوات المهاجمة...

هكذا يقولون... وهكذا فعل أجدادنا الأولون في حروبهم منذ مئات السنين... تراث الأجداد... ويا له من تراث... ولإيمان صدام بتراث الأجداد فإنه يحارب آلة الحرب المعاصرة جدًا بآلة الحرب التراثية... «وبعون الله منتصرين...!».

ولأول مرة أخرج اليوم من البيت منذ اندلعت الحرب الجوية في الخليج... وزرنا الصديق علي في منزله. وقد ذهب برفقة الشقيق جمال وبسيارته، وأتت معنا رنا وعلاء، مكثنا عنده قرابة نصف ساعة وعدنا بعدها ونحن نحمل كيسًا من المواد الغذائية - خيار وبطاطا وجبن وبسكويت... وغيره.

وكنت قد قطفت له، من زرعنا في البيت، حزمة من الجرجير والبقدونس حملناها له بدلاً من باقة زهور... وهي أكثر قيمة من الزهور في الوقت الراهن على أية حال.

بالطبع تبادلنا الآراء حول ما يجري... وكيف أن ضرب إسرائيل بالصواريخ العراقية «سكود» أفاد إسرائيل بما لم تكن تحلم به.. ولم يضرها إلا بسقوط بضعة قتلى وعشرات الجرحى وتدمير عشرات المباني (قصفت إسرائيل بصواريخ العراق طوال الأيام الماضية... بشكل يومي تقريباً).

مما لا شك فيه أنَّ قصف إسرائيل يحطم نظرية مهمة من نظريات الإسرائيليين... وهي نظرية التفوق العسكري في المنطقة... بهذا الذي قام به العراق تنهار مثل هذه النظرية... لكن هذا هو ليس هدف العراق من قصف إسرائيل... بل إن هدفه هو ضرب التحالف الدولي الذي يقف في مواجهته... وإخراج ثمَّ إخراج دول عربية مشتركة مع هذا التحالف وعلى رأسها كل من مصر وسوريا (لمصر حوالي ثلاثين ألف جندي ولسوريا حوالي عشرين ألفاً).

وكانت ولا تزال العراق تأمل بأن تنفعل إسرائيل وترد على ضربها بهذه الصواريخ... وتدخل المعركة. لكن الضغط الأمريكي والعالمي، إضافة إلى عوامل أخرى تصب في المصلحة الإسرائيلية حالت دون أن تحقق للعراق أهدافه.

إن المسؤولين الإسرائيليين يصرحون بعد كل صاروخ يسقط على «أراضيها» بأنهم لن ينجروا في هذه الأيام وراء استفزازات العراق، ولكنهم يؤكدون أنهم سيردون في الوقت الذي يناسبهم وبحجم يفوق حجم الضرر الذي أصابهم بكثير.

مساء أمس، في حوالي العاشرة ليلاً، انطلقت صفارات الإنذار في كل من الرياض والظهران وفي كل أنحاء إسرائيل... وفي البحرين وقطر... وقيل إن الصواريخ المضادة «باتريوت» أعطبت معظمها.

إيران، وعن طريق رئيس مجلس النواب (كاروبي) وعلى إثر زيارة عدد كبير من المسؤولين من دول، كالهند وسوريا والأردن... أعلنت عن مبادرة تقضي بطلب وقف الحرب ثم انسحاب العراقيين من الكويت والغربيين من السعودية...

ثمّ عقد مؤتمر دولي لحل النزاع العربي الإسرائيلي ومنح الشعب الفلسطيني حقه في إقامة دولته.

لا يمكن أن ينسى المرء، ولن أنسى أنا شخصياً، منظر طيور النورس، التي أحبها كثيراً، والتي كانت اليوم تحلق بأعداد كبيرة في سماء منطقتنا بالجابرية... هاربة من شواطئ الكويت... وربما الخليج... الملتهبة بنيران الحرب والنفط.. فهي إما تحترق وإما مغطاة بالنفط أو تقصف بالقذائف والصواريخ والمدفعية... لن أنسى منظر طيور النورس هذه وهي تبحث عن غذائها في أكوام القمامة التي تنتشر في أحياء الكويت... بعيداً عن البحر الذي تعشقه ولا تحيا إلا بقربه... خوفاً من الحرب... آه من الحرب... إن الضحايا ليسوا فقط من البشر...

(الاثنين ٢٨/١/١٩٩١) زرت اليوم، بصحبة جمال وابنه علاء، بيت الشقيقة إنعام وابن العم أمين للمرة الأولى منذ اندلاع المعركة الجوية، وهي أيضاً المرة الأولى التي أخرج بها من منطقة الجابرية التي نسكنها منذ اندلاع المعركة.

كان أحد أسباب الزيارة هو الاطمئنان على إياد الذي ألمت به وعكة صحية، تصلب في عضلات رقبتة وأعلى ظهره وأكتافه.

الطريق إلى بيت أمين سلكناه من مخرج الجابرية الواقع قبالة مستشفى الهادي... لكن طريق «الفحاحيل»، وهي طريق عريضة (أوتوستراد) التي نروح عادة منها كانت مقفلة، ذهبنا في الدائري الخامس في اتجاه الغرب ثمّ عدنا عندما أمكن في اتجاه الشرق، لكن في نفس الخط المخصص للمتجهين نحو الغرب. المهم أننا سلكنا طرقاً عبر منطقة «الرميثة» ثمّ إلى منطقة «سلوى» حيث يسكن أمين وإنعام.

كانت هناك بعض السيارات التي تتحرك في الشوارع... لكن عددها قليل جدًا نسبيًا. شاهدت في منطقة الرميثية تجمعًا كبيرًا للسيارات والناس... عرفنا أنه سوق.

مررنا، بعد أن أنهينا زيارتنا، على منزل الشقيق جمال لإحضار بعض الأغراض التي يمكن أن نحتاجها في حياتنا الحالية، والتي صار من المؤكد لنا بأن حالها سوف يطول...

«حكورة» جمال منتعشة ونباتاتها مرعرة... ما شاء الله... (الحكورة أو الحاكرة هي عبارة عن قطعة أرض مزروعة... وتكون مساحتها عادة صغيرة) قلعنا بعض رؤوس الفجل، كان أحدها لافتًا للنظر لحجمه الكبير.

طائرة أو طائرات تحوم في سماء الكويت في هذه اللحظات... بدأت المضادات تعمل وتطلق نيرانها نحو السماء في اتجاه الطائرات... الطائرة قصفت عدة قنابل هزت الأرض من تحتنا... الشبابيك والأبواب اصطكت.. كأسنان علاء في ذلك المساء... لا يزال الاشتباك قائمًا وأنا لم أتزحزح من مكاني... وكذلك من هم في البيت (أنا وتمام وجمال وعائلته ووليد، خطيب رنا)... لم تدم الغارة إلا دقائق قليلة... اختفت الآن الأصوات المرعبة...

المهم.. أعود إلى ما كنت أتحدث عنه، فعندما كنت أقبل قبالة «حكورة» جمال مرّ بي جار لجمال ليلقي التحية، فرددت عليه بأحسن منها، سألته:

«ما الأخبار...؟».

وأنا أعرف ميوله من خلال ما ينقله جمال شقيقي عنه، فهو من المتحمسين للرئيس العراقي، (وعضو في جبهة التحرير العربية المرتبطة بالعراق).

قال بكل ثقة: «لا بد أن ينتصر الرئيس صدام لأنه يدافع عن حق... لا بد... وإلا فمعنى عدم انتصاره أنّ الله ليس موجودًا...».

قلت متسائلًا بعد أن استغفرت الله: «ألم ندافع نحن عن حق في الماضي...؟».

قال: «نعم».

قلت: «لماذا لم ينصرنا الله إذن..؟».

قال: «لأن الحق لا بد له من مطالب ومدافع عنه..».

قلت: «ألم يدافع جمال عبد الناصر عن الحق؟ ألم تطالب، ولا تزال، الثورة الفلسطينية بالحق...؟».

قال: «بلى... ولكنهم لم يكونوا على هذا القدر من الوعي والفهم... لا بد أن ينتصر «الرئيس القائد صدام...!».

قلت... وفي نفسي حسرة: «ربنا يجيب اللي فيه الخير..» وافترقنا.

منذ أيام ونحن محرومون من أكل الفواكه... نتذكرها ونتسامر حول هذا الموضوع بعد كل وجبة غداء أو عشاء.. كالقول مثلاً: «هاتوا هالتفاح والموز... وإلا بلاش... هاتوا هالبطيخة أو الشمامة...».

أمس ذكرت الأخبار أنّ متحدثاً رسمياً عسكرياً أمريكياً قال إن تسعة وثلاثين طائرة عراقية قد هبطت في مطارات إيرانية... وإن غموصاً يكتنف هذه المسألة بسبب تكتم إيران على الموضوع... ولم تعلن إيران إلا عن الطائرات السبع التي ذكرناها سابقاً. المتحدث قال إن القيادة لا تعرف ما إذا كانت هذه الطائرات قد هربت عمداً... باتفاق عراقي إيراني... أم أنّ طياريتها قد هربوا بها من نيران الحرب ومن نظام بغداد...

إسرائيل وبعد أن تعرضت لصواريخ «سكود» في الأيام الأخيرة، إضافة إلى ما تعرضت له في الأيام الأولى للحرب، رفعت ثمن سكوتها وعدم الرد من ثلاثة عشر مليار دولار إلى ثمانية عشر ملياراً...

التليفزيون العراقي استأنف البث مساء أمس على قناتين... معظم ما يشاهد منه هو مجموعة من أشرطة الأغاني عن صدام... وأخبار مقروءة... وبيانات تصدر عن القيادة العراقية، صدر منها حتى الآن حوالي عشرين بياناً منذ نشوب الحرب.

بقعة النفط... أو بالأحرى بحيرة النفط العائمة في بحر الخليج... تكبر، فقد وصل طولها إلى حوالي ثمانين كيلومتراً... وهي تتجه نحو الشواطئ السعودية والعمانية. يقال إنها أكبر بحيرة نفط تطفو على وجه البحر في تاريخ البشرية...

أمريكا أرسلت خبراءها لمعالجة المشكلة... والجميع منشغل بهذه المصيبة الحياتية والعسكرية.

(الأربعاء ٣٠/١/١٩٩١) حتى حوالي الرابعة من بعد ظهر يوم أمس لم يستجد شيء ذو أهمية خاصة، فالحرب بشكلها الذي أصبح مألوفاً مستمرة، والحياة، حياتنا كما هي عليه، لا جديد فيها سوى ازدياد حدة الإرهاق النفسي من جراء هذا الوضع الصعب.

وكان ابن العم أمين قد حضر للحظات مع ابنتيه إيناس ورولا... تركهم عندنا وذهب عاجلاً مع جاره الكويتي وابنته إلى المستشفى ليكون إلى جانبه أثناء مراجعة الطبيب بشأن ابنته المريضة.

في حوالي الرابعة حضر أمين... ونادى على بناته ليذهب بهم إلى البيت... قلت له: اجلس قليلاً... قال: «معلش.. الوقت أصبح متأخراً... ثمّ إني جد حزين على حادث أودى بحياة.. وسكت... ثمّ أردف قائلاً... لقد اغتيل «أبو زياد» في صباح هذا اليوم. قلت: من أبو زياد... أبو زياد قبلأوي؟ قال: نعم، ومعه حارسه... لا حول ولا قوة إلا بالله.

أبو زياد، رفيق قبلأوي، أمين سر حركة فتح في الكويت، وعضو لجنة إقليم فتح، وعضو المجلس الوطني الفلسطيني. وهو، بعد قرار خروج عوني بطاش من الكويت، وبعد سفر أبو الأديب لحضور جنازة زميله ورفيق دربه المرحوم أبو إياد صلاح خلف قبل يوم من بدء

الحرب (وهو لم يعد حتى الآن بسبب الوضع) يعتبر أبو زياد أول شخص فلسطيني مسؤول في الكويت.

وكنت آخر مرة شاهدت فيها المرحوم أبو زياد كان صباح اغتيال الصديق المرحوم أبو إياد، أي قبل أسبوعين. فقد كنت ذهبت إلى مكتب الحركة -حركة فتح- في صباح ذلك اليوم مع شقيقي جمال وابن شقيقتي إياد للتعزية في استشهاد أبو إياد.

وصدف أنني جلست إلى جانبه بعد أن قبلته معزيًا... ودار حديث قصير جدًا بيني وبينه... عن سفر إياد وشقيقته الدكتورة إيمان... وعن فتح باب العزاء كما تقضي التقاليد... واقترح أن يكون السرداب (الطابق تحت الأرض) مكانًا للتعزية خشية وقوع الحرب... فقال باستهجان: «يا زلمة... لمّا تقع الحرب بيفرجها ربك...».

رحمك الله يا أبا زياد..

طوال الليلة الماضية كان صوت الانفجارات والقصف.. ولا أحد منا يعرف مصدره أو آثاره... مستمرًا، وقد استيقظت حوالي التاسعة صباحًا على دويه.. تمام ظلت نائمة لأنها لم تستطع النوم قبل الخامسة عشرة والنصف فجرًا...

وجدت جمال مستيقظًا.. خرجت إلى باحة الدار، لم تكن السماء صافية، لكنها لم تكن ملبدة بالغيوم... كانت أشبه بأيام «الطوز»... إذ ينتشر في أيام الطوز نوع من الغبار الناعم جدًا في الجو فيحجب لون السماء الأزرق... ظننته كذلك.

قمت وجمال ببعض الأعمال... فقشطت مياهاً كانت تسيل من خرطوم لم يكن محكم الإغلاق... وجمال قطع بعض الأغصان المريضة من شجيرات البندورة (الطماطم) ودخلنا نتحدث... سمعنا صوت طائرات تحوم في الأجواء... بدأت النيران المضادة تنطلق في اتجاه السماء.. خرجت مع جمال لمحاولة رؤية شيء ما، فلم نر شيئًا، بل رحنا نتتبع بأعيننا مصدر

هدير الطائرات... ولم نرَ شيئاً... نزلت أولى القذائف... ثمّ ثانيها... اهتز البيت واهتزت معه قلوبنا هلعاً... وظلت نيران المضادات مستمرة إلى أن ابتعد صوت الطائرات...

دخلنا البيت... فصحت تمام ورنا (لميس وداليا وعلاء ذهبا إلى بيتهم لاستقبال شقيقة لميس -عبير- وأنجالها، لأنها ستتناول الغداء بدعوة من لميس وجمال في بيتهم.

بعد حوالي ربع ساعة اتصل بنا الصديق العزيز علي يخبرنا بأن الجو ملوث بالخارج... وينصح بأن نغلق النوافذ... وأن نبقى داخل البيوت.

إذاً هذا هو سبب تعكر الجو وعدم صفاء لونه... وهو ليس بسبب «طوز» طارئ كالذي نعهده.

خرجت مع جمال وإذا بنا نشم رائحة ذات علاقة بالنفط ومشتقاته... هو ليس رائحة غاز (غاز البوتان) ولا هو رائحة الغاز أو المازوت... هو شيء من هذا كله...

أقفلنا كافة النوافذ والأبواب لتخلص من مشكلة تلوث الجو في الخارج... لكننا أصبحنا معرضين النوافذ والأبواب الزجاجية -وكلها زجاجية- لخطر التكسر بسبب الضغط الذي يحدثه عادة صوت الانفجارات والقصف... لا حول ولا قوة إلا بالله.

لديّ جهاز لتنظيف الهواء، أهدانيه الصديق أمين بيدس قبل سنوات بمناسبة انتقالنا إلى بيتنا هذا الذي نسكنه... قلت لعله من الأفضل أن أنقله إلى غرفة نومنا... فساعدني جمال في حمله وتركيبه.. وهو الآن يعمل بقربي في غرفة النوم، والتي بها جهاز الكومبيوتر هذا الذي أكتب عليه.

كما أنني قمت اليوم بلصق شريط لاصق على نوافذ الغرفة الزجاجية التي ننام بها، بها أربعة نوافذ... لكنها محكمة الإقفال.

شباط / فبراير ١٩٩١

(الجمعة ١/٢/١٩٩١) غدًا يكون قد مرت ستة أشهر على احتلال الكويت من قبل القوات العراقية... لم يكن أحد يتصور يوم اجتاحت القوات العراقية أرض الكويت، وبعد أن ثارت ثائرة العالم لخرق العراق أحد أهم قوانين هذا العصر ألا وهو احتلال قوات دولة ما أراضي دولة أخرى بالقوة... وتزيل وجودها كدولة من خارطة العالم... ثم تضم أراضيها لها بحجة الحق التاريخي... لم يكن أحد يتصور أن بقاء العراقيين في الكويت يمكن أن يدوم أكثر من أيام...!

ها هي الستة أشهر تمر والقوات العراقية لا تزال تحتل أرض الكويت... وتصر على أنها جزء من أراضي العراق...

(إن إسرائيل «مستثناة» من هذا القانون باعتبارها الابن المدلل لأمريكا القادرة على تطويع إرادة دول العالم لرغباتها... ألم تحتل إسرائيل أراضي عربية، وضمت أجزاء منها لها كالقدس والجولان منذ عام ١٩٦٧...؟).

والحرب مستمرة، ها أنذا استمع إلى صوتها وأنا أكتب هذا الذي أكتبه... فالانفجارات التي تهز الأرض من تحتنا... ويخترق صداها كل ما حولنا ليهين أعماقنا، ويجعل قلوبنا ترتعش في حنايا ضلوعنا كعصفور خائف أمام حية رقطاع مكشرة عن أنيابها... متى يبتعد هذا الشبح ويزول من أحلامنا...؟

في اليومين السابقين كان حدث «الخفجة أو الخفجي» هو الأهم، كما أن تحركًا سياسيًا قد بدأ، إضافة إلى مشكلة بحيرة النفط العائمة فوق مياه الخليج، وصواريخ العراق التي تقذف يوميًا في اتجاه السعودية والبحرين وإسرائيل، والطائرات العراقية التي تحط يوميًا في إيران...

لكن قراءة سير الأحداث يقول إنه لا مجال لحلول سلمية أو حلول وسط...

«الخفجي» بلدة تقع على الحدود السعودية الكويتية، كان يعيش فيها موظفو وفنيو
وعمال شركة «جيتي» البترولية وبعض الموظفين الحكوميين السعوديين. وكانت البلدة
قد أخلت من سكانها قبل بدء الحرب، باعتبارها لا تشكل موقعًا إستراتيجيًا مهمًا من
الناحية العسكرية...

يوم الأربعاء ليلاً أعلن العراق أنّ قواته اقتحمت بلدة الخفجي وقهرت «قوى عدو الله...
قوى البغي والشيطان» واحتلتها.

السعودية، والقوات الأمريكية، أعلنت حدوث الاعتداء... وقالت إن المعركة لم تنته بعد.
استمرت المعركة حتى ظهر يوم أمس، واستعيدت البلدة.

القوات المتحالفة تقول إنها أسرت مئات الجنود العراقيين (وكانت قد قالت قبيل ذلك إن
مجموع القوات العراقية التي دخلت البلدة هو مئة وخمسون جنديًا) وإن مئات آخرين من
العراقيين قد قتلوا في هذه المعركة. كما ذكر بأن نحو عشرين دبابة وعشرات الآليات قد
دمرت للعراق، وأنه تم الاستيلاء على كمية كبيرة من العتاد الحربي.

العراق لم يشر في بياناته الأخيرة إلى أنّ قواته أخرجت من الخفجي، بل إنه اتبع نفس
الأسلوب العربي «بتاع زمان» قائلًا إن «الله نصر جنده... وإن الله مع المؤمنين».

المتحدث الأمريكي اعترف بمقتل أحد عشر جنديًا أمريكيًا، وجرح عدد آخر، وفقدان اثنين
-جندي وجندية- وخسارة مدرعتين. لكنه قال إن ذلك حدث في مكان آخر... وليس في
الخفجي.

كما أنّ جزيرة كويتية صغيرة أخرى تدعى «أم المرادم» قد انتزعت من أيدي العراقيين
واستعيدت أول أمس.

هناك تحركات سياسية من ثلاثة محاور تهدف إلى إيقاف الحرب وحل الأزمة سلمياً. الأول من قبل السوقية الذين عبروا عن انزعاجهم من كمية الدمار الذي يصيب العراق من جراء القصف الجوي المستمر على الأهداف المنتشرة في شتى أنحاء العراق (قدر أحد الباحثين أنّ كمية المتفجرات التي ألقيت على العراق خلال الأسبوعين الماضيين بما يساوي خمسة عشر ضعف قوة القنبلة الذرية التي ألقيت على هيروشيما) لهذا تحرك السوقية في اتجاه القول إن قرار الأمم المتحدة يقضي بالعمل لتحرير الكويت وليس تدمير القوة العراقية...

توجه وزير الخارجية السوقييتي الجديد... بيزميرنيخ... إلى واشنطن واجتمع مع نظيره الأمريكي بيكر وأصدرا معاً بياناً مهماً يقول إن الحرب يمكن أن تقف إذا ما أعلن العراق بشكل صريح لا لبس فيه استعداداه للانسحاب من الكويت، وإن هناك ضرورة، بعد الانتهاء من حل مشكلة الخليج، للعمل من أجل حل مشاكل الشرق الأوسط بما في ذلك المسألة الفلسطينية.

يمكن أن ينظر إلى هذا البيان على أنه مبادرة، بشكل غير مباشر، تهدف إلى وقف الحرب المدمرة الدائرة اليوم، وتحقيق تحرير الكويت... والحفاظ على ما تبقى من القوة العراقية...

التحرك الثاني يجري في طهران، التي زارها عدد من المسؤولين السياسيين الأجانب والعرب، فقد وصلها أمس سعدون حمادي (نائب رئيس الوزراء العراقي) ووزير الخارجية الجزائري ووزير الخارجية اليمني وأمين عام وزارة الخارجية الفرنسية...

التحرك الثالث يقوم به الرئيس الفلسطيني بالاشتراك مع زعماء دول المغرب العربي... ودول أخرى...

أكبر بقعة نفط تحدث في تاريخ البشرية، والتي نتجت -كما تقول المصادر الإذاعية لدول القوات المتحالفة- عن فتح صمامات النفط في خزانات الأحمدى، هذه البقعة أو البحيرة النفطية تحركت نحو الجنوب الشرقي... لوثت بعض شواطئ الكويت والسعودية وإيران... وربما البحرين وقطر...

خبراء من الغرب حضروا لإيجاد حل لهذه المشكلة التي سيتسبب عنها تلوث هائل لبيئة المنطقة وسيترك آثاره على المنطقة لعشرات السنين القادمة...

وبعد أن تمكن سلاح الجو الأمريكي من ضرب مصبات النفط في الأحمدى، وأمكن بالتالي إيقاف تدفق النفط منها إلى البحر... تقول نفس المصادر السابقة إن العراق فتح صمامات مستودعات نفط في منطقة البصرة وجعل النفط يتدفق منها إلى بحر الخليج مرة أخرى... ما نتج منه بقعة نفط أخرى آخذة في الاتساع!

الصواريخ العراقية «سكود» (يسمىها العراق بصواريخ «الحسين» لكونها معدة في العراق كما سبق وأشرنا) لا تزال تتساقط على إسرائيل والرياض والظهران والبحرين بشكل شبه يومي... لكن أخبار «التحالف» تقول إن معظمها يتم اعتراضها قبل وصولها إلى أهدافها (بعد إطلاق نحو ثلاثين صاروخًا من العراق على إسرائيل -حسب أخبار الغرب- قتل من جرائها اثنا عشر إسرائيليًا وجرح مئتا شخص... ودمرت بعض المنازل).

يوميًا تحدث الغارات الجوية التحالفية ضد العراق، في العراق والكويت، وقد بلغ عدد الطلعات الجوية حتى يوم أمس نحو ثلاثين ألف طلعة، أي بمعدل ألفي طلعة يوميًا.

وفي هذا الصدد، فقد تزايد عدد الطائرات العراقية التي وصلت إلى مطارات إيران... ذكرت مصادر إنجليزية أنّ عددها قد وصل إلى حوالي مئتي طائرة، أما المصادر الأمريكية فقد قالت إنّ عددها تجاوز المئة، وأنها متنوعة... منها ميج ٢٩، وميج ٢٣، وميراج، مقاتلة وقاذفة، وطائرات نقل عسكرية ومدنية، وهي ظاهرة لم يتمكن الحلفاء من تفسيرها بشكل حازم... خاصة وأن إيران لا تفصح عن العدد الصحيح الذي حط عندها من هذه الطائرات...

إيران لا تنفي أنّ عددًا منها قد حط عندها.. لكنها لا تذكر العدد الصحيح، ولا أية تفاصيل أخرى. لكن إيران أعلنت ولأكثر من مرة أنها لن تفرج عن الطائرات العراقية وتدعها تطلع من مطاراتها إلا بعد انتهاء حرب الخليج.

على الصعيد الشخصي، ومن أجل تضييع الوقت في شيء مفيد، فقد عملت وجمال في الأيام الأخيرة في نقل صورة وصور عائلته القديمة على شريط فيديو... ولا زلنا مستمرين في هذه المهمة... نعمل إليه...؟

وفي الليل نعجن... نخبز... وكل واحد منا نحن الأربعة (أنا وجمال وتمام ولميس -لاحظت الآن ان حرف الميم موجود في أسمائنا نحن الأربعة- لعله ميم، أقصد لعله خير) كل واحد يجرب ويختبر... ونحن مع أنجال جمال ولميس نأكل مهما كانت النتيجة... خبز أعوج ألوق مشعوط معجن... كله يؤكل... وصحة وعافية على الجميع.

في حوالي العاشرة والنصف صباحاً مرّ بي أمين ابن عمي حسب اتفاق مسبق، وذهبت وإياه إلى مقر الهلال الأحمر الفلسطيني، لنعزي في استشهاد المرحوم أبو زياد حيث فتح باب التعزية منذ أمس. وكان السرداب هو المكان لهذا الغرض. تذكرت ما دار بيني وبين أبو زياد في آخر لقاء معه بمكتب فتح يوم ذهبت للتعزية في استشهاد أبو إياد، فكان أبو زياد رحمه الله يتقبل التعزية، تذكرت ما قلته له يومها بأن يكون السرداب مكاناً للتعزية إن هم فتحوا باب التعزية... فلم يقبل الاقتراح قائلاً: «يا زلمة...».

كان في العزاء عدد من كوادر فتح المعروفين والموجودين في الكويت... وبعض المعارف الفلسطينيين، منهم عادل الرشق الذي جاءني متسائلاً هل أنت هنا...؟ قلت: نعم... وقال إنه سيتصل من أجل أن نلتقي. حضر اثنان من الكويتيين، أحدهم هو عبد الله النيباري، أحد رجال الكويت الوطنيين.

بعد ذلك ذهبت وأمين إلى منطقة حَوَلي للتعرف على وضعها، وفي نفس الوقت لشراء ما يمكن أن يكون متوفراً.

مررنا بحاجز عراقي سألوا عن الهوية... فشاهدوا هوية أمين الوزارية وهويتي وسيارة أمين تحمل لوحة عراقية... أما السيارات التي تحمل لوحات كويتية فإنها تصادر.

في شارع تونس، في الساحة المقابلة لمطعم هاشم، تجمع كبير للناس والسيارات... إذن هو السوق... وكان كذلك بالفعل.

أبرز ما يباع من الخضراوات أو ما يصلح للأكل هو البطاطا والبندورة، كيس البطاطا حوالي عشرين كيلوغرامًا بحوالي مئة دينار، وثمان الكيلو الواحد من البطاطا ستة دنانير... البندورة مهترئة من شدة احمرارها وغالية... لكنني لاحظت وجود بندورة أردنية غالية الثمن (البوكسة بستين دينارًا - تزن حوالي ثمانية أو عشرة كيلوات).

سوق كبير ومليء بكثير من الأشياء التي لا تلزم في مثل هذه الأوقات... فهناك رجل كهل يبيع الخواتم الرجالية والمساح المتنوعة... كما يوجد فيه الأحذية والملابس المختلفة والمعلبات وأكياس الفول والحمص (حب)...إلخ.

منذ منتصف الليل وصوت الانفجارات ودوي المدافع وصواريخ الراجمات يسمع... هو أخف الآن قليلاً... لكنه لم ينقطع. الأخبار من إذاعة الكويت قالت في الصباح إنَّ قافلة من الدبابات العراقية، طولها نحو عشرين كيلومتراً، متجهة نحو الجنوب، ويعتقد بأنها ذاهبة نحو الخفجي، تتعرض لقصف طائرات القوات المتحالفة... وإن عددًا من هذه الدبابات قد أبيت... والمعركة لا تزال مستمرة.

(اليوم السبت على ما أعتقد ٢/٢/١٩٩١) المعركة مستمرة وبشراسة أكبر مما كنا نسمع من قبل، فمنذ منتصف الليل وحتى الآن (الساعة الآن حوالي الثانية ظهرًا) ودوي الانفجارات البعيدة، وبعضها قريب، مع أزيزي الرشاشات المضادة التي تنطلق من كل حذب وصوب عندما تمر طائرة أو طائرات فوق سماء الكويت العاصمة، كل هذا مستمر مع ما يحدثه من رعب وخوف، نحاول نحن الكبار أن نخفيه حتى أمام أنفسنا...!

نلجأ إلى المذيع ونفتش عن محطات إذاعة... لتفيدنا بما يحدث ولكن دون جدوى، فنحن كما يقول المثل الشعبي كالطرشان في الزفة... نحن لا نعرف أين هو موقع القصف أو المعركة الدائرة الآن، فدوي الانفجارات يصلنا من كل الجهات، وباعتبارنا نسكن في منطقة

محاطة بالمباني والقلل، فإن صدى الانفجارات يتردد بشكل يحول دون أن نعرف مصدر هذا الرعب...

ما أعظم الإنسان عندما يقوم بعمل من أجل بقاء الإنسان وخيره وسعادته...

وما أبشع الإنسان عندما يقوم بعمل من أجل فناء الإنسان وقهره وظلمه...

أمس وفي حوالي الخامسة والنصف مساءً، وبعد أن قامت العزيزة تمام بقص شعر رأسي بعد أن كنت عازفًا عن ذلك منذ نحو شهر، بدأت أحس بألم في خاصرتي اليسرى... إنها أعراض آلام الكلية التي أعرفها وخبرتها منذ أكثر من ثلاثين سنة، وكانت آخر مرة داهمتني فيه مثل هذه الآلام قبل نحو خمسة عشر عامًا. الآلام بدأت تتزايد تدريجيًا... وشعور بضرورة التبول ولكن دون أن أتمكن من ذلك... تأكدت من أنها أعراض تحرك رمل أو التهاب أو حصوة في الكلية اليسرى.

لجأت إلى الفراش، ووضعت المدفئة الكهربائية (هي بديل من قربة الماء الساخن) على مكان الوجع.. والألم يزداد مع مرور الوقت... أذهب إلى الحمام كل بضعة دقائق لعلني أتمكن من التبول... ولكن دون جدوى.. وبدلاً من ذلك تقيأت أكثر من مرة بشكل عنيف جرح حنجرتي...

بالطبع كل من في البيت نسي ما يحدث في الخارج من حرب شرسة واهتم وانشغل بي... ما العمل وقد قاربت الساعة حوالي التاسعة ليلاً... تمام اتصلت بالدكتور محمد أبو لغد تسأله المساعدة في وصف دواء يخفف الآلام عني ويدير البول، وجمال راح يقطف من نبات البقدونس ليغليه بالماء كي أشرب منه... فهناك من يقول إنه مدر للبول...

أخذت من دواء كان موجودًا عندنا وصفه الدكتور أبو لغد، وشربت من ماء البقدونس... لكن الألم تزايد إلى درجة عدم القدرة على تحمله. اقترحت تمام وجمال أن يذهبا إلى مستشفى

الهادي لإحضار دواء غير متوفر في بيتنا... لكنني رفضت ذهابهم خوفًا عليهم من المحتلين العراقيين ولأنني سمعت طلاقات رشاشات قريبة.. أملًا أن يخف الوجع.

تمام اتصلت بالدكتور صلاح الدين الغول الصديق، وهو اختصاصي أمراض قلب وأنا مريضه... فحضر الدكتور صلاح خلال دقائق حاملاً شنطة «العدة» مع جاره وصديقنا بهاء الدين السفاريني...

وبعد أن تأكد أنها أعراض الكلية، حقنني بحقنتين، واحدة في الشريان وأخرى في العضل... وقال: «ستنام خلال ربع ساعة وسيزول الألم إن شاء الله»... وهذا ما حصل بالفعل.. بدأ الألم يزول تدريجيًا ورحت في نوم شبه تام لمدة ساعتين تقريبًا. أفقت بعدها دون ألم على الإطلاق.. ولكن منهار القوى. ذهبت إلى الحمام... وسارت الأمور على ما يرام...

من هنا تذكرت كم هو الإنسان عظيم بأفعاله الخيرة... وذكرني ضجيج الحرب، المسموع جيدًا طوال الوقت، ببشاعة الإنسان في أفعاله المدمرة..

لماذا لا يكون الإنسان دائمًا عظيمًا...؟

لماذا يصير البعض أن تكون صورة الإنسان بشعة... لماذا...؟

في حوالي التاسعة صباح اليوم استيقظت من نومي دون أي ألم والحمد لله، والشكر للدكتور صلاح الذي ينتمي بعمله ومهنته إلى فئة الإنسان العظيم. لكنني أشعر بالإرهاق... إلا أن دوي الانفجارات المستمر جعلني متيقظًا... وأنا أعلم أنني بهذا لا أستطيع تغيير شيء مما يجري..!

عملت وجمال في نقل جزء آخر من صورة... تمام ولميس ذهبنا منذ الصباح، ولليوم الثالث، ينتظرن فرصة الحصول على أنبوبة غاز من مجمع التعاونية... لكنهما عادتتا بدونها.

أخبار أو نتائج معركة الخفجي قالت أمس أنّ البلدة حررت من القوات العراقية. وقد اعترف العراق بانسحابه منها ببلاغه رقم ٣٤، لكن البلاغ أو البيان تضمن كالعادة فقرات من الإنشاء البليغ... وصور الانسحاب على أنه انتصار عظيم...

ألم نقل إنّ العرب هم أقدر الأمم على تحويل الهزائم إلى انتصارات؟ ولن يطول الوقت لإعلان «الانتصار العظيم»!...

اللافت للنظر هو محاولة السعودية التقليل من عدد الضحايا العراقيين، فبينما قالت المصادر الغربية إن خسائرهم في معركة الخفجي بلغت نحو ثلاث مئة... قالت السعودية إن قتلى العراق هو في حدود الثلاثين فقط.

لكن القياديين العسكريين من السعوديين والأمريكيين اتفقوا في بياناتهم أن عدد الأسرى العراقيين يفوق الأربع مئة أسير عراقي.

ويذكرني هذا بحادث هروب ستة طائرات مروحية عراقية حطت أوائل نشوب الحرب في أراضي السعودية، وقد أعلنت وسائل الإعلام الغربية مؤكدة هذا النبأ، إلا أنّ السعودية نفت يومها أنّ ذلك الخبر صحيح.

(الأحد ٣/٢/١٩٩١) منذ ظهر أمس والمعركة دائرة على أشدها بشكل لم يسبق له مثيل منذ بدء الحرب... فلم يتوقف دوي الانفجارات أو الصواريخ أو القنابل دقيقة واحدة، الأمر الذي بث في نفوسنا مزيداً من الرعب والخوف. ولكن ماذا عسانا أن نفعل في مثل هذه الأحوال...

لا نشعر بأن ما يحدث هو قريب منا، بمعنى أنه على بعد بضعة مئات من الأمتار، بل هو على بعد ما لا يقل -في تقديري الخاص- عن عشرين كيلومتراً من موقع بيتنا... لكن الاهتزازات التي تحدثها هذه الانفجارات شيء مرعب حقاً!

المعركة لا تزال مستمرة... (والأخبار نسمعها من المحطات الغربية، بالأمس أمكن مشاهدة محطة الـ CNN من خلال محطتي تليفزيون البحرين وقطر) في مناطق الحدود الكويتية والسعودية... وحول العاصمة وفي مناطق «الجهرة» وعلى طريق الكويت - البصرة...

أمكننا أمس مشاهدة المقابلة الوحيدة التي أجراها مندوب الـ CNN في بغداد (وهو الوحيد مع زميل له سمحا لهما بالبقاء في العراق من بين مراسلي وسائل الإعلام الأجانب، إذ إنَّ العراق طلب في بداية الحرب الجوية من المراسلين مغادرة البلاد لأسباب أمنية) أمكننا مشاهدة الرئيس العراقي صدام وهو يجيب على أسئلة مندوب الـ CNN وكان شيئاً لا يحدث، فهو في كامل لباسه المدني الأنيق... ونفس المترجم... والأهم هو أنَّ أجوبة الرئيس العراقي هي ذاتها لم تتغير، إنه يصر على أن الكويت هي المحافظة التاسعة عشرة من محافظات العراق... و«إن الله سينصر عباده المؤمنين ضد الكفرة وحلفاء الشيطان...».

وعلى عكس هدوء السائل كان الرئيس العراقي يبدو متوتراً عصبياً رغم محاولاته إخفاء ذلك، وإعطاء صورة عن نفسه توحى بالهدوء والتماسك.

لا بد من التذكير بأن المقابلة جرت مع الرئيس العراقي أثناء وجود القوات العراقية في الخفجي وقبل دحرهم فيها. وكمثال على إصرار الرئيس العراقي بأن الكويت هي واحدة من محافظات الكويت وفي نفس الوقت توحى بعصبية الرئيس صدام، فقد كان المترجم يترجم جواباً للرئيس العراقي... واستعمل كلمة quite في إحدى جملته... فإذا بالرئيس العراقي يلتفت نحو المترجم ويقول له بغضب: «أنا لم أقل ولم أذكر كلمة الكويت! فأجابه المترجم: «سيدي أنا لم أقل الكويت بل كلمة quite...».

سمح قبل يومين بعودة بعض المراسلين الأجانب إلى العراق... كما أمكن سماع مراسل إذاعة مونت كارلو يتحدث عن الأوضاع في بغداد هاتفياً لأول مرة منذ اندلاع الحرب (خطوط الهاتف معطلة في العراق، إذ ضربت معظم منشآت الاتصال في اليوم الأول من الحرب).

أمكننا مشاهدة آثار القصف الجوي على بغداد... حيث الدمار شديد... والله لقد تمزقت قلوبنا ونحن نشاهد تلك المناظر... أليست بغداد إحدى العواصم العربية ويسكنها أهلنا وأبناء أمتنا...؟ ألم تكن يوماً منارة إسلامية عربية تشع فكراً وأدباً وفناً...؟

لماذا سمح العراق لسفاح ديكتاتوري همجي أن يحكمه... لماذا؟

محطة الـ CNN قالت، كتابة على شاشتها، إن كل الأخبار واللقطات التي تبث من خلالها حول الحرب الدائرة خضعت لمراقبة العراق والسعودية وإسرائيل والأمريكيين والبريطانيين.

أمس ليلاً، في حوالي التاسعة، حضر إلى الحي الذي نسكن فيه مجموعة جنود عراقيين ومعهم بعض المدنيين... وراحوا يحاولون تشغيل آليتين أوقفنا في الساحة المقابلة لبيتنا (جرافة ورافعة وسيارة براد وسيارة نقل ماء) لقد أمكننا مشاهدة الجنود وهم يحملون رشاشاتهم، وكان عددهم لا يتعدى العشرة أفراد، انشغل البعض منهم في تشغيل الآليتين والآخرين في حراسة العملية... والحرب دائرة... ودوي الانفجارات مستمر...

لم نحاول الخروج من البيت... بل رحنا نتلصص عليهم من نوافذ البيت بشكل لا يدع أحدهم يرانا... فنحن لا نريد الاحتكاك بهم لسبب بسيط هو أننا لن نكون قادرين أن نساعد في شيء أمام البنادق الرشاشة التي يحملونها... ولأن ما ينوون نهبه أمام أعين أصحاب الآليتين سيتم، رضي أصحاب الآليات أم رفضوا! بعد حوالي ساعتين أمكنهم تحريك الآليتين... أخذوهما وذهبوا..

في الصباح تحدثنا مع الجيران، فقالوا: لقد سرقوا أملاكنا أمام أعيننا... ولم يكن هناك أي مجال للحيلولة دون ما حدث. قال الجيران إنهم قالوا للجنود «سنخبر مخفر الجابرية...» فأجاب الجنود أنهم أتون من مخفر «كيفان» وأنه لن يفيدهم أحد... وأن مصادرة الآليتين سيتم بالقوة... أو بالتي هي أحسن... فاستسلم الجيران لرهبة البنادق...

وأضاف الجيران: يقولون إن الجنود العراقيين قالوا بعد أن لاحظوا أنّ عدد السيارات التي لم تغير لوحاتها الكويتية إلى لوحات عراقية: «كل هذا العدد من السيارات في الحي لم تغير لوحاتها.. سنعود... لمصادرتها...».

في الحقيقة أنا، وأنا شخصيًا، توترت، وتوترنا جميعًا مما حدث... أخذت أفكر فيما ينبغي عمله، خاصة بعد أن علمنا بقصة الصديقين عبير وسمير قطينة اللذين استيقظا مذعورين من سريريهما صباح يوم الأربعاء الماضي من جراء طرق باب منزلهم في منطقة بيان... وإذا بعدد من الجنود العراقيين يدخلون المنزل (قيلا يملكونها) وبعد التي والتي... صودرت أمام أعينهم مجموعة آلات وأجهزة هاتفية وفاكسات وقيديوات وآلات تصوير... وهي ملكهم... بعضها يخص البيت وأخرى تخص مكتب سمير، أحضرها إلى بيته للحفاظ عليها. لم أستطع الحصول على قسط من الراحة خلال فترة ما بعد الظهر لتوتري الذي حاولت قدر إمكاني إخفائه عن في البيت...

في المساء نادى عليّ تمام لأرد على الهاتف، وإذا بالصديق العزيز صخر أبو نزار، الذي كان قد وصل قبل ساعات كما ذكر، وبعد الاطمئنان وتبادل التعازي بفقدان العزيز أبو إياد وأبو الهول وأخيرًا أبو زياد... تبادلنا التحيات والسلامات واتفقنا أن نلتقي.. قال: ستجدي عندك دون إنذار مسبق كعادتي.

(الثلاثاء ٥/٢/١٩٩١) المعركة هادئة إلى درجة مخيفة... لم نعد نسمع تلك الأصوات المرعبة من القذائف والانفجارات بالشكل الذي تعودناه في الأيام القليلة الماضية... ولم تعد الطائرات تحلق في السماء، والتي كنا نسمعها ولا نراها إلا في بعض الأحيان، كما لم تعمل المضادات ضدها... فماذا حدث أو ماذا يحدث؟

إن هذا الوضع الهادئ جدًّا، نسبيًّا، بدأ منذ ليل الأحد، ثمّ يوم أمس الاثنين واليوم... ولا يشوّهه إلا بعض الانفجارات البعيدة... أو قليل جدًّا منها قريب نسبيًّا، بمعنى أنه خارج إطار العاصمة.

عند منتصف ليلة أمس حدث إطلاق قذائف متلاحقة، لمدة نصف ساعة تقريبًا، أحسنا وكأنه يحدث على الشاطئ الكويتي...

الكل خائف من هذا الهدوء غير المعهود منذ بدء الحرب... وفي أعماقنا تمنيات بأن يكون ذلك مؤشرًا لاتفاق على وقف لإطلاق النار... وحل سياسي يحق الحق ويجنبنا ويلات الحرب الحقيقية التي لم تصبنا بعد بنارها!

وكعادته، وكما توقعنا، حضر العزيز أبو نزار مع الصديقة عبدة... هي بقيت قليلًا واعتذرت وذهبت، وأبو نزار قال: «إني آتٍ لتناول طعام الغداء عندكم ومعكم...» وقبيل موعد الطعام وبعده تناولنا الحديث إزاء الأحداث الجارية.

أبو نزار يعتقد «أنَّ هذه المعركة إن لم تكن من أجل فلسطين فينبغي أن نجعلها معركة فلسطين، فلم يعد لدى العرب ما يجعلنا مطمئنين إلى أن أحدًا من الأنظمة العربية يريد خلاصنا وتحقيق أهدافنا المتواضعة التي قبلناها في آخر مجلس وطني بناء على الضغوط الغربية، وإن فشلت هذه المعركة، والتي يجب أن لا نجعلها تفشل... فإن مستقبلنا الفلسطيني سيكون قاتمًا...».

قلت: «يا أبا نزار القضية من أساسها قضية مبدأ... إن احتلال دولة عربية لدولة عربية ليس هو السبيل الصحيح لخلق معركة تحرير فلسطين، وإقامة دولتنا العتيدة عليها... وإن سياسة التوريط التي اتبعت قبيل حرب حزيران عام ١٩٦٧ لم تعد ناجعة بالدليل القاطع...». أضفت: «ومتى... بربك... قدم ديكتاتور ما.. خيرًا إلى شعبه أو إلى أمته؟».

كيف يمكن الاعتقاد بأن طاغية مثل هذا الديكتاتور، المتهور والمجنون عظيمة، يحتل الكويت من أجل فلسطين؟

تحدثنا عن الإمكانيات لدى الخصمين... أبو نزار يعتقد أن العراق يملك من القدرات المعنوية إضافة إلى القدرات العسكرية ما يجعله يؤمن بأن العراق سينتصر بإطالة أمد المعركة...

وهذا في رأيه انتصار!

«هراء...!».

تحدث عن الدمار الذي أصاب بغداد، وهو موجود في بغداد منذ منتصف الشهر الماضي، وكان بصدد السفر إلى تونس من أجل جنازة الشهيدين أبو إياد وأبو الهول، لكنه ألغى برنامج سفره بعد أن نشبت الحرب...

وقال: «لقد أصيبت بغداد بدمار رهيب... لكن اتساع رقعة بغداد لا يدع المرء يرى حجم الدمار كما عهدناه في بيروت». وأضاف: «لقد كنا نسير في طريق مجيئنا إلى الكويت ما بين القذيفة والقذيفة... ولقد تدمرت أو أصيبت أمام أعيننا جسور وطرق ومنشآت».

وقهقه ضاحكاً: «عندما وصلت الكويت استطعت أن أنعم بحمام ماء ساخن... وأن أستمع إلى المذياع بوجود الكهرباء، التي دمرت مولداتها في العراق، كما لا يوجد فيها بطاريات لتشغيل المذياع في بغداد...!».

قلت: «وتعتقد بعد هذا... أن مسار المعركة يمكن أن يتحكم به صدام...».

وأضفت: «لقد سنحت لهذا الطاغية فرص عظيمة لكي يبقي على جيشه وعلى شعبه وعلى بلده وعلى نفسه... وربما تكون هناك فرصة أخيرة له كي تنتشر صورته في معظم أنحاء العالم ليرضي بها غروره الأحمق... وفي كل الأزياء التي يحب أن يصور بها... كما أن الفرص سنحت له لكي يفرض قبضتنا الفلسطينية الآن على طاولة المفاوضات...».

«إن خوفي أن تضيع آخر الفرص للحفاظ على ما تبقى... وما يمكن إنقاذه والتمسك بما يصدر من بيانات وتعهدات ووعود، من دول كبرى في العالم كالأمريكيين والسوفييت والفرنسيين والبريطانيين والألمان والإيطاليين وغيرهم والتي أصبحت تشعر بضرورة السعي مباشرة لحل مشاكل الشرق الأوسط والمساءلة الفلسطينية فور انسحابه من الكويت ووقف الحرب الدائرة والطاحنة...».

قال: «ومن يضمن أن تكون هذه الدول، وخاصة أمريكا صادقة فيما تقول...؟ لقد لحست أمريكا مضمون البيان الأمريكي السوقييتي الذي صدر قبل أيام قليلة والمتعلقة بهذا الخصوص...».

أضاف: «لتصدر أمريكا وإسرائيل بيانًا صريحًا تتعهدان فيه بأنهما على استعداد للمشاركة في مؤتمر دولي لحل الصراع العربي الإسرائيلي وإيجاد حل للمسألة الفلسطينية، وأنا متأكد أنّ القيادة العراقية ستقبل بوقف الحرب... والبدء في البحث لإيجاد مخرج من هذه الأزمة...».

قلت: «إن النظرية شيء... والواقع شيء آخر. والحرب الواقعة الآن هي واقع ملموس بين العراق الذي يقوده نظام صدام حسين، وبين دول العالم المسلحين بقرارات الأمم المتحدة وقرارات دول عدم الانحياز ومنظمة الدول الإسلامية وجامعة الدول العربية، والتي تقف الآن في مواجهة العراق بأحدث أسلحتها...».

العراق يملك جيشًا قويًا من حيث العدد والعدة... ويملك كما ثبت حتى الآن إرادة قتالية وراء قيادته... كيف؟ لا أدري! وإلى متى؟ لا أعرف!

النظام العراقي حتى الآن، ورغم كثافة الغارات والضرب الموجه له لم يقل: «أخ... لكن الشعب العراقي قالها... فهو الذي يذبح الآن..».

«كيف يمكن أن ينتصر العراق في مواجهة هذه القوة العالمية الضخمة التي تقودها أمريكا... سيدة هذا العالم في هذا العصر...؟».

«هل التظاهرات، والأناشيد، والدجل الإعلامي العراقي الموجه، مع ما لدى العراق من قوات وأسلحة تقليدية وغير تقليدية، وأساليب بدائية، في الحرب، يمكن أن يشكلوا عوامل انتصار...؟».

«هل غابت كل هذه الحقائق والوقائع عن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية؟ هل أنجرت قيادة المنظمة وراء حماس أهلنا في فلسطين المحتلة، ووراء جهل وعقد الناس في الأردن؟».

«إنه لمن الممكن تلمس الأعذار للفلسطينيين في فلسطين المحتلة لموقفهم المؤيد للعراق، فهم كما يقول المثل الشعبي: «كالغريق الذي يتعلق بقشة...» أما أولئك الذين يعيشون في الأردن فإني غير قادر على تفهم دوافع وقوفهم ضد الكويت... أو مع النظام العراقي...!».

«إن الأغلبية العظمى من الفلسطينيين المقيمين أو الذين كانوا يقيمون في الكويت لا يؤيدون العراق فيما أقدم عليه ضد الكويت، لسبب بسيط هو أن هؤلاء لم يسمعوا فقط بشعارات صدام حسين لينخدعوا بها، بل شاهدوا وعاشوا ممارسات «أشاوس» النظام العراقي... ووجدوا أنّ الشعارات شيء... والممارسات شيء آخر... وهم يعرفون حقيقة بديهية تقول إنّ الطريق إلى تحرير فلسطين لا يمر جنوباً عبر الكويت... ولكنه يمر غرباً عبر الأردن وسوريا...».

«لكن موقف القيادة الفلسطينية وتظاهرات الفلسطينيين والأردنيين واليمنيين والموريتانيين والسودانيين، إضافة إلى التظاهرات المضادة للحرب في أمريكا وأوروبا ودول أخرى كثيرة في العالم، وتظاهرات التضامن مع الشعارات العراقية البراقة والخادعة... كل ذلك ليس له قيمة عسكرية في حسابات الحروب الحديثة... ولا في معركة هي الآن معركة عسكرية حقة...».

لكن العزيز أبو نزار يقول: «إن أمريكا هزمت في فيتنام ليس بسبب هزيمة عسكرية، بل بسبب الرأي العام الأمريكي والعالمي المعارض للحرب، الذي عبر عن نفسه من خلال المظاهرات التي عمت العالم من أجل نصرة الفيتناميين...».

قلت: «هذا صحيح.. ولكن الصحيح أيضاً أن العالم في ذلك الوقت -شعوباً وحكومات- كانوا مع الفيتناميين ضد أمريكا.. أما اليوم فإن العالم، شعوباً وحكومات، ضد العراق ومع

أمريكا...».

«لا يفرنك التظاهرات التي تقوم في أوروبا وأمريكا... فهؤلاء لا يتظاهرون تضامناً مع صدام ومع العراق... بل هم يتظاهرون ضد الحرب بشكل عام... أي حرب... وإن أغلبية المجتمع الدولي من حكومات وشعوب لا تؤيد بأي شكل من الأشكال احتلال العراق الكويت ومسحها من خارطة العالم...».

حزنت.. حزنت... حزنت... وأسفت.

(الأربعاء ٦/٢/١٩٩١) أعلن العراق أمس إيقاف بيع وتوزيع كافة أنواع المحروقات المستخرجة من النفط في العراق.. وهذه هي الآخ الأولى... المعلنة...

والعراق بدأ يعلن بازدياد ملحوظ عدد الغارات الجوية التي يشنها طيران الحلفاء.. وإن معظمها يصيب أماكن سكنية ومنشآت إنسانية...

اتضح من خلال ما سمعناه ونسمعه أن سبب الهدوء النسبي الذي عشناه في الأيام القليلة الماضية هو أنّ القوات المتحالفة ركزت هجماتها الجوية على مزيد من المواقع الإستراتيجية في أراضي العراق... وقالت بغداد إن كثافة الهجمات الجوية كان رهيباً وغير ما كانت عليه الغارات في أيام الحرب الأولى.

منذ بعد ظهر أمس عاد صوت ودوي الانفجارات المرعبة حول الكويت... وهو يسمع ويحس بشكل مخيف. وكما سبق وذكرت فإن الانفجارات تلك التي نسمعها تحدث نوعاً من الارتجاجات في الأرض، وبالتالي تهتز البيوت... زجاجها وأبوابها ونوافذها... ولا تزال هذه الأصوات مستمرة... الأخبار الغربية تقول إن سلاح الجو التابع للقوات المشتركة قد حقق في طلعاته، التي بلغت حتى الآن أكثر من أربعين ألف طلعة، كثيراً من أهدافه، وإن سلاح الجو العراقي ودفاعاته الجوية أصبحت غير فعالة في الحرب الدائرة إلا بشكل ضئيل جداً.

وإن القوات المشتركة بدأت منذ أمس بالإغارة على مواقع عراقية في الكويت تمهيداً للمعركة الأرضية أو البرية...

وتقول هذه المصادر أيضاً إن المدمرة البحرية الأمريكية «ميسوري» المجهزة بمدفعية ضخمة (من عيار ١٦ بوصة) إضافة إلى الأسلحة الأخرى، بدأت منذ أمس بضرب مواقع العراقيين في الكويت... وإنها أصابت مراكز رصد (رادارات) وبطاريات مدفعية ومواقع لقوات الحرس الجمهوري، التي تعتبر من أقوى قطاعات جيش العراق، والتي تُعد بنحو مئة وخمسين ألف مقاتل، وإن هذه العمليات الحربية قد حققت كثيراً من أهدافها.

الملاحظ أنّ القوات العراقية في موقف المُدافع منذ بداية الحرب... باستثناء محاولة اختراق قام بها العراق واحتل بلدة «الخفجي» لمدة يوم أو اثنين. وقد اعتبرها البعض محاولة من العراق لجس نبض دفاعات القوات المتحالفة من جهة، ومن الجهة الأخرى إقحام القوات المتحالفة في المعركة البرية التي يريدتها العراق سريعاً... لكن القوات المتحالفة تريدها في الوقت المناسب.

إن الرئيس الأمريكي بوش صرح في اليومين السابقين: «إن تحديد مكان وشكل المعركة البرية أمر ستحدده القوات المشتركة وليس صدام حسين».

شوارتسكوف، رئيس الأركان للقوات الأمريكية المتواجد على أرض المعركة، قال اليوم إن الحسم العسكري البري لن يأتي متأخراً...

جمال وتمام وعلاء ذهبوا منذ الصباح الباكر إلى الجمعية، وتمكنوا من شراء بعض البرتقال والخيار وأشياء أخرى... لكن الأهم هو الحصول على أنبوبة غاز، ونحن نبحت عن الغاز منذ مدة.

ثمّ ذهبنا تمام وعلاء مع نظام يوسف إلى «مركز سلطان» بعد أن هاتفنا قائلاً إن المركز المذكور يبيع القمح، وإنه من الممكن شراء كيس منه... ثمّ أخذه للمطحنة.

لكن تمام ذهبت وعادت بدون القمح، وأن المسألة لا تعدو كونها إشاعة، لكنها اشترت من هناك بعض الأشياء، أهمها شريحة سلمون كبيرة بأربعة وعشرين دينارًا...

في هذه اللحظات (الساعة الآن هي السادسة وخمسون دقيقة مساء) انطلقت سلسلة من الانفجارات الناجمة عن غارة جوية على ما أعتقد... وأظنها من نوع الغارات التي تقوم بها طائرات ضخمة من نوع طائرة (بي ٥٢)... لقد توقف جميع من في البيت عن العمل الذي يقوم به للحظات من شدة الرعب الذي دب في نفوسها.. اللهم لطفك...

لكن الحياة تستمر، فها هو جمال يعزف الآن على الأورگ بعض الألحان... وكثيرًا ما يقوم بالعزف على العود... كما يقوم علاء أو شقيقته رنا أو داليا بالعزف أو الغناء...

وتمام مع لميس، وأظن أن معهما رنا وداليا، يقومون بعمل الكعك «معمول بتمر»... وقبل قليل كنت مع جمال وعلاء نصلح له دراجته الهوائية (البسكليت) وريكي المسكين (الكلب) ينبح كلما سمع هذه الأصوات المرعبة... فهو أقل منا سمعًا إذا ما قلنا إنه مثلنا كالأطرش في الزفة...

(الجمعة ١٩٩١/٢/٨) استمر صوت المعركة التي نعيش لحظاتها بترقب قلق جدًّا... ودوي الانفجارات لم ينقطع... وفي منتصف الليلة الفائتة استمر دوي الانفجارات هذه بصورة لم يسبق لها مثيل... كانت الأصوات تأتي من جهة الغرب، أي من ناحية الدوحة (منطقة تقع على بعد نحة ثلاثين كيلومترًا من الكويت) ومن جهة منطقة المطلاع... استمر دوي الانفجارات بشكل متلاحق... ظننا أنها بداية المعركة البرية، وأن هناك عملية إنزال تجري في منطقة المطلاع... وشيء من هذا القبيل...

ومن أجل أن لا تظل أعصابنا مشدودة بسبب تلك الأصوات المرعبة... رحنا نلعب الورقة (كالعادة التي درجنا عليها منذ أيام، كنا فريقين، أنا ولميس مقبل جمال وتمام)، علاء كان قد نام كعادته على أريكة في الصالة التي نمضي معظم وقتنا فيها، ورنا وداليا يشاهدان شريط فيديو لمسرحية «مدرسة المشاغبين» التي شاهدناها عدة مرات خلال هذه الأيام.

ثمّ اخترت، بعد أن كسبنا اللعبة أنا ولميس، شريط فيديو مثيرًا لكي أدع الجميع لا يسمع أو يهتم بما يحدث في الخارج، ويحدث من رعب في النفوس... أرهقنا النعاس وذهبنا للنوم في حوالي الثالثة والنصف فجرًا...

أمس جلست مرتين في ديوانية «السحاحير» أمام الدكان الذي يجاورنا، كان الحاج عارف الأكل، رحمه الله، يذهب إلى دكان في بيروت يملكه صديق له من يافا، ويلتقي أصدقاءه فيها... يجلسون على «سحاحير» الخضراوات والفواكه (السحاحير هي صناديق خشبية... اليوم بلاستيكية) ويتبادلون الأحاديث ذات العلاقة بالحياة والواقع والذكريات... وكان يسمى ذلك المكان بـ«مؤتمر السحاحير» وكان معنا بعض من رجال الحي... أخذنا نتبادل الأحاديث عما يجري وما هو متوقع. وهذه ليست المرة الأولى، بل لقد جلست هناك أكثر من مرة.

أمس كان معظم حديثي منصب على ضرورة تلاقي رجال الحي للتنسيق فيما يتعلق بمتطلبات الأيام القادمة ومشاكلها المتوقعة... مشاكل أمنية ومعيشية وصحية ونفسية، وقلت إنه ينبغي اتخاذ الاحتياطات الممكنة لاحتمالات وقوع هذه المشاكل.

وكانت بوادر أزمة انقطاع الماء قد بدأت تظهر تدريجيًا... فقد خف ضغط الماء من الأنابيب بحيث أصبح وصول الماء إلى الخزانات المتواجدة على أسطح المباني والقلل ضعيف جدًا. كما بدأت أزمة أخرى هي انقطاع تدريجي لخطوط الاتصال الهاتفي بين الأحياء...

وأمس انقطع الاتصال الهاتفي تمامًا... ولم يعد الاتصال ممكنًا بواسطة الهاتف مع أحد!

وأتوقع انقطاع التيار الكهربائي في أية لحظة... وبالتالي انقطاع المياه نهائيًا كنتيجة حتمية لانقطاع التيار الكهربائي...

هذه الاحتمالات طرحتها على جارٍ تعرفت إليه منذ فترة وجيزة يدعى أبو بشار، وهو ناظر مدرس زميل وصديق لابن العم أبو زكي، وقلت له إن مثل هذه المشاكل المحتملة ينبغي

توقعها والاتفاق على حلول مسبقة لها... لذلك أرى أن يلتقي رجال الحي في أي مكان تراه أو ترونه مناسبًا لمناقشة هذا كله.

رحّب الرجل بالفكرة وقال إنه لأمر ضروري ومهم أن يتم هذا... واتفقنا أن يخبرني بالموعد والمكان الذي يراه الآخرون من رجال الحي مناسبًا.

منذ ثلاثة أيام ونحن لا نعرف شيئًا عن الشقيقة إنعام وزوجها ابن العم أمين وابنتهما إياد وابنتيهما رولا وإيناس بسبب انقطاع خط الهاتف... ولعدم توفر البنزين للسيارات... كذلك لا يوجد أي اتصال مع أحد من الأقارب للأسباب نفسها. نسأل الله أن يكونوا جميعًا بخير. الكل يتحدث عن قرب بدء المعركة البرية الفاصلة... ويدنا على قلوبنا، سائلين المولى عزّ وجلّ أن يلطف بنا... وأن لا يجعلها طويلة.

عقد الرئيس الفرنسي ميتران أمس مؤتمرًا صحفيًا خصه للحديث عن حرب الخليج... وأبرز ما جاء فيه أنه لا مناص من المعركة البرية، وأنها ستكون المعركة الحاسمة... وأنه يتوقع حدوثها خلال الشهر الحالي، أو في الأيام القليلة القادمة.. وإن المعركة لن تدوم طويلًا بعد أن قام سلاح الجو للقوات المشتركة بالتمهيد لها، وهو يتوقع إن طالت أن لا تتعدى الربيع القادم، على الرغم من أنه لا يعتقد بأنها ستتطور إلى هذا الحد.

وزير الدفاع الأمريكي، تشيني، ورئيس هيئة أركان حرب القوات المشتركة، باول، يصلان اليوم إلى السعودية للاطلاع على أرض الواقع العسكري لسير المعركة... ونقل أخبارها إلى الرئيس الأمريكي، ليتخذ قرار بدء الهجوم البري من أجل تحرير الكويت من الاحتلال العراقي.

ألقي الملك حسين خطابًا مساء يوم الأربعاء بثه تلفزيون الأردن وإذاعة الأردن، وتناقلته وكالات الأنباء بسرعة حيث أثار الكثير من ردود الفعل ضده، خاصة رد فعل أمريكا... لقد ورد في الخطاب ما مفاده «أنّ الحرب التي تشنها القوات المشتركة بقيادة أمريكا ضد العراق هي حرب غير عادلة...».

الاتصالات الدبلوماسية ما تزال مستمرة... لكن أحدًا لا يعتقد بتوفر فرص نجاح أي منها.

(الأحد ١٠/٢/١٩٩١) السماء صافية في هذا الصباح... زرقاء كسماء يافا، وهو أمر قلما نراه في الكويت، فقد تعودنا رؤية السماء مغبرة بسبب طبقة من الغبار الناعم جدًا والمعلقة في السماء، وتكون أحيانًا خفيفة وأحيانًا أخرى تكون مكثفة نتيجة للعواصف الرملية، أو على الأصح العواصف الغبارية التي تهب من صحراء الكويت والسعودية في كثير من أيام السنة. وهذا الغبار يهبط إلى مستوى منخفض على الأرض، فيحجب الرؤيا من على بعد أمتار، وهو مايمسى بـ«الطوز».

والشمس مشرقة ودافئة... جلسنا نحن الأربعة (تمام ولميس وجمال وأنا) في الخارج نستمتع بدفء الشمس وزرقة السماء... ونشرب القهوة. لكن أصوات قصف بعيد، والتي تصلنا منهكة القوى، تتحدى هذا الهدوء والجو الجميل...

فتشوهه إلى درجة ما... كما سمعنا أزيز طائرات حربية... لكنها عالية في السماء يتعذر رؤيتها بالعين المجردة...

تناولنا الحديث العام عن آخر الأخبار التي سمعت... الأخبار الواردة من مصادر دول القوات المشتركة أو المتحالفة تقول إن المعركة ما تزال مستمرة حسب ووفق الجدول الموضوع لها... وأن تشيني، وزير الدفاع الأمريكي، الذي يزور ساحة القتال مع رئيس هيئة أركان حرب هذه القوات يتابع الاستماع إلى تقارير قادة القوات المشتركة وهو في مزاج جيد. تشيني سيعود اليوم إلى واشنطن ليقدّم تقريره عن المعركة إلى الرئيس جورج بوش.

كما تضيف هذه المصادر أنّ ما لا يقل عن ٢٠% من القدرة العسكرية العراقية قد دمر بفعل الغارات المستمرة على العراق وقواته المنتشرة في أرض العراق والكويت (بلغ عدد الطلعات الجوية لقوات التحالف سبعة وخمسين ألف طلعة). كما تقول المصادر إنّ حوالي سبع مئة وخمسين دبابة ومثلها من الآليات والمدافع العراقية دمر أو أصبح غير صالح

للاستعمال... وإن نحو ألف عراقي أصبحوا على أرض السعودية، إما كأسرى وإما كلاجئين مستسلمين!

مصادر العراق تقول إن معظم ضحايا الغارات الجوية هم من المدنيين.. من أطفال ونساء وشيوخ... وإن أحياءً سكنية مدنية كثيرة وفي معظم مدن العراق وقراه قد دمرت تدميرًا رهيبًا... لكن، تضيف مصادر العراق: «إن رجالنا الأشاوس ينتظرون في مواقعهم معركة أم المعارك لكي يثبتوا للكفرة وحلفاء الشيطان بأن الله سينصر عبده المؤمنين، أبطال العراق، بقيادة السيد الرئيس القائد صدام حسين».

قبل يومين أو ثلاثة أعلن العراق أنه أطلق صاروخين، واحدًا في اتجاه إسرائيل والآخر نحو الظهران... لكن وكالات الأنباء والمسؤولين في إسرائيل والسعودية نفتا أن يكون أي صاروخ قد سقط في بلادهم!

الطائرات العراقية التي ما تزال تحط في مطارات إيران مستمرة في ذلك... وتقول آخر الأخبار إنَّ عدد الطائرات العراقية التي أصبحت في إيران قد بلغ نحو مئة وخمسين طائرة عراقية.

مرة أخرى، فمن الملاحظ أن العراق بدأ يعطي أرقامًا كبيرة عن عدد الغارات التي تقوم بها قوات التحالف... ولا يبالغ في عدد الطائرات التي يعلن أنه أسقطها للعدو...

فبالأمس مثلًا لم يدع العراق أنه أسقط أية طائرة من طائرات القوات المشتركة.

(القوات المشتركة أو المتحالفة أو الحليفة هي أسماء لشيء واحد، أي القوات المتعددة الجنسيات والمتحالفة والمتواجدة في منطقة المعركة، أي في منطقة «حفر الباطن» شمال شرقي السعودية وعلى طول الحدود السعودية العراقية والكويتية العراقية وفي الإمارات والبحرين وقطر).

أمس ذهبت وتمام، وعلاء، مشيًا على الأقدام إلى بيت ابننا يزيد لتفقد، ولزيارة جيرانه وأصدقائنا الدكتور صلاح وبهاء، وللاطمئنان على زوجته الحامل والتي كان من المفترض أن تلد في الأسبوعين الماضيين... ولأن خطوط الهاتف لم تعد تعمل... فوجئنا بأن حنان، زوجة بهاء قد ولدت طفلة قبل نحو أربع وعشرين ساعة... وأنهم أسموها «مرام» والاثنتان في البيت وبخير والحمد لله.

وكان الدكتور صلاح عند الصديق بهاء يساعد في توفير مصل ليعطى للطفلة عن طرق «المصاصة» وذلك بسبب عدم در حليب أمها حتى الآن!

كان المشوار جميلًا، وكان الطقس باردًا قليلًا، والشمس تطل باستحياء من بين غيوم السماء، فتدفع كمية من الدفء إلى أجسامنا، ثم تختفي وراءها فيلفحنا هواء بارد... لكنه محتمل على أية حال.

الحديث مع من كان في بيت الصديق بهاء دار كما هو متوقع حول الأوضاع... وأن الجميع يترقب نهاية هذا النزاع الرهيب... وماذا سيصيبنا منه عندما يتطور إلى الاشتباك البري من أجل تحرير الكويت من القوات العراقية... لكن الجميع قابل بقدر الله ومتأمل برحمته.

من الملاحظات التي لفتت الأنظار هو خلو الشوارع من السيارات... اللهم سوى القليل منها... يعني في الشارع الرئيسي في الجابرية القادم من حولي لم يكن يمر فيه في نفس اللحظة سوى سيارة أو اثنتين من أوله لآخره!

كثير من الناس، وبخاصة الكويتيون، كانوا يركبون الدراجات الهوائية للتنقل... يشتركون بعض ما يحتاجونه من الأغذية التي يتوفر البعض منها في «دكاكين الشوارع والأرصفة»... أما الجمعيات التعاونية فلم يعد يوجد بها شيء يذكر... وكثيرون يمشون على أرجلهم وهم يحملون حاجياتهم... من منطقة إلى أخرى... قال لي الجار أبو بشار ضاحكًا ونحن نستعرض شكل الحياة في هذه الأيام، وكيف يتصرف الناس في الأزمات... وعن الدراجات

الهوائية... قال: «رأيت خلف حينًا حمارًا مربوطًا عند باب أحد البيوت... إنه وسيلة نقل أيضًا لا تقل أهميتها في هذه الظروف عن سيارة «الكاديلاك».

فكما سبق وأوضحنا فإن سبب قلة السيارات في الشوارع يعود إلى أمرين، الأول عدم توفر البنزين في المحطات، والثاني هو أنّ السيارات المسموح بسيرها هي السيارات المحولة لوحاتها من كويتية إلى عراقية. إن معظم الكويتيين لم يغيروا أو يحولوا لوحات سياراتهم... بينما فعل معظم الفلسطينيين ذلك. لهذا قلما تجد سيارة يقودها كويتي تمر في الشوارع الرئيسية، خاصة تلك التي توجد بها نقاط ما يسمى بنقاط «السيطرة». إن أغلبية السيارات التي تتجول، وهي على أية حال قليلة جدًا، هي سيارات تحمل أرقام العراق ويقودها فلسطينيون... ويحدث كثيرًا أن يقف الفلسطيني ليسأل الكويتي، الذي يمشي على قدميه وهو يحمل متاعًا ما، مساعدته في توصيله إلى المكان الذي يريد إن كان المكان في نفس الاتجاه.

أمس عندما كنت وتمايم وعلاء ذاهبين مشيًا إلى بيت يزيد، مر بنا جمال شقيقي بسيارته وإلى جانبه تجلس زوجته... أبطأ سير سيارته لإلقاء التحية فوجدنا ثلاثة يجلسون في المقعد الخلفي بسيارته، أحدهم عرفنا أنه كويتي من لباسه... وعندما التقينا جمال لاحقًا أوضح أنه وجد الرجل، وهو كويتي، ومعه ولداه وهم يحملون بعض الحاجيات في طريق عودته من منطقة حولي، فوقف جمال قرب الرجل يسأله إن كان يحتاج المساعدة، شكره الرجل وركب هو وولداه السيارة شاكرًا، وقال لجمال: «الحمد لله إن الدنيا لا تزال بخير يا عمي...».

وأخيرًا طلوا علينا... أمين وإنعام وإياد ورولا وإيناس في حوالي الثالثة بعد ظهر أمس... بكى معظمنا أثناء تقبيل بعضنا بعضًا، وكانوا قبل حضورهم إلينا قد مروا بالفروانية وزاروا من بها لنا من أقارب، وتناولوا الغداء في بيت ابن العم أبو زكي، وطمانونا عنهم... قالوا إن الجميع منهار نفسيًا... وإن جارًا لهم في المبنى الذي يسكنه أبو زكي ومطر منهار عصبياً، ويعاني من حالة صعبة نتيجة للوضع العام...

المهم أننا فرحنا بقدوم أمين وعائلته... وقلنا لهم: «إننا كنا ننوي القدوم إليكم في الغد لو أنكم تأخرتم عن ذلك...».

دبلوماسياً وصل أمس سعدون حمادي، نائب رئيس مجلس الوزراء العراقي، إلى طهران حاملاً رد الرئيس العراقي صدام حسين إلى الرئيس الإيراني علي أكبر هاشمي رفسنجاني. حمادي وصل إلى الحدود العراقية الإيرانية براً، وأقلته من هناك طائرة مروحية إلى طهران. لم يذكر شيء عن رد صدام على رفسنجاني بخصوص المبادرة الإيرانية التي تتلخص في طلب انسحاب العراق من الكويت وانسحاب الغربيين من أراضي المسلمين، واستبدال بالقوات العراقية في الكويت قوات إسلامية... وحل المشاكل بين العراق والكويت!

الرئيس السوفييتي غورباتشوف أعلن مساء أنه يتمنى على الرئيس العراقي أن يكون واقعياً وأن يدرك حجم الأخطار المحدقة بالعراق، بقواته وأبناء شعبه وببلاده، وأن يستجيب لمطالب المجتمع الدولي بالانسحاب من الكويت. وذكر أنه على استعداد لإيفاد ممثله الخاص فوراً إلى بغداد لهذا الغرض... كما قال في خطابه إنَّ الاتحاد السوفييتي قلق بسبب ما تقوم به القوات المتحالفة من أعمال تدميرية في العراق تجاوزت ما هو وارد في قرار مجلس الأمن الدولي بهذا الشأن... وإن الاتحاد السوفييتي يحذر من احتمالات اتساع رقعة الحرب إذا ما طال أمدها!

الساعة الآن تقارب الثانية بعد الظهر... والوضع هادئ جداً منذ أكثر من ساعة ونصف...

(الثلاثاء ١٢/٢/١٩٩١) نقلت الأخبار على لسان الرئيس الإيراني رفسنجاني أنه قد خيب أمله بالرد العراقي الذي حملة له سعدون حمادي... وإن الموقف العراقي لا يزال على ما هو عليه من تصلب تجاه قضية الانسحاب من الكويت...

الرئيس العراقي وجه خطاباً إلى الشعب العراقي أول أمس طالب فيه شعبه بمزيد من الصبر... و«إن الله لا بد ناصره في معركة... أم المعارك...».

مبعوث الرئيس السوفييتي، وهو يفغيني بريماكوف (الذي سبق وزار العراق وقابل الرئيس العراقي صدام منذ حوالي ثلاثة أشهر في محاولة لحل الأزمة سلمياً ولم يفلح في مهمته تلك في ذلك الوقت) وصل جواً إلى طهران أمس، ومن المفترض أن يكون قد وصل بغداد برّاً مساء أمس، وهو يقوم بمحاولة جديدة، ليس لإيجاد حل للأزمة... بل للاتفاق على وقف لإطلاق النار، ومن بعد يتم الاتفاق على كيفية حل الأزمة سلمياً... ناطق سوفييتي رسمي أوضح أمس أن الاتحاد السوفييتي يؤيد جميع القرارات التي أصدرها مجلس الأمن الدولي بخصوص أزمة الخليج، ومع ضرورة انسحاب القوات العراقية من الكويت... لكنه قلق من احتمال انتشار الحرب في المنطقة بشكل يصعب ضبطها من بعد.

الصواريخ العراقية لا تزال تضرب إسرائيل والرياض، ولكن بمعدل أقل مما كان عليه في بدء الحرب، وكان آخرها مساء أمس حيث سقط أحدها في فلسطين المحتلة (ذكرت إسرائيل أنه سقط وسط البلاد) أما الصاروخ الذي وجه نحو الرياض فتقول الأخبار إنه أمكن إصابته في الجو بصواريخ «باتريوت» المضادة.

البث التلفزيوني الذي تراه في هذه الأيام هو بث من محطة باسم: العراق فقط، فالطقس لا يساعد على مشاهدة غيرها من المحطات. لكن البث ليس مصدره بغداد... ويعتقد، بعد أن ضربت مؤسسة الإذاعة والتلفزيون العراقية في بغداد ودمرت، أنّ البث يتم من مكان، هو أشبه بشقة أو سرداب، في الكويت أو قريبا... وإن مذييعين اثنين فقط هما اللذين نشاهدهما، أحدهما هو الذي يقوم بتقديم معظم الفقرات... وهي على أية حال لا تتعدى أشرطة معدة للأغاني والأناشيد والأهازيج المسجلة... ونشرة الأخبار!

نوبنا اليوم القيام بزيارة بيت ابن العم أمين وعائلته للاطمئنان عليهم، ولنكون معاً لتناول طعام الغداء معهم، ثمّ نعود بعد الغداء...

الساعة الآن هي حوالي الثانية عشرة، منتصف النهار...

(الأربعاء ١٣/٢/١٩٩١) الحرب مستمرة بشكلها الذي أصبح مألوفًا عندنا... الطيران الحربي للقوات المشتركة يقصف مواقع القوات العراقية بشكل مستمر... يتوقف ساعة أو ساعتين، أو بالأحرى نحن لا نسمع هدير أصواته لمدة من الزمن، لكنه ربما يكون مستمرًا ولكن في أماكن أخرى. الدخان الرمادي غير المألوف في الأحوال العادية... وهو أشبه بالسحب الدخانية، هذا الدخان أو هذه السحب الدخانية تلف أفق العاصمة الكويت وسماءها... لكننا لا نشم أو نحس بأية روائح غير عادية، أو ربما تكون روائح هذا الدخان الغريب قد تسفل بهدوء إلى أجوائنا... وأصبحنا نتنفسه دون أن نشعر به!

أمس، حيث ذهبنا إلى بيت ابن العم أمين وتناولنا طعام الغداء معهم في منطقة «سلوى».. صعدنا إلى سطح المبنى الذي يسكنونه بعد سماعنا عدة انفجارات ناتجة من غارات جوية على محيط الكويت... شاهدنا دخانًا يتصاعد من ناحية مطار الكويت، كما كان نفس الدخان الرمادي الداكن يشكل حلقة هائلة في أفق الكويت من كل أنحائها...

اعتقدنا أنّ هذا الدخان ناتج من حرائق... لا ندري نوعها... فهي غالبًا حرائق منشآت نفطية أو مواقع عسكرية، أو ربما ناتجة من انفجارات لمستودعات ذخيرة. في بعض الأحيان استطعت أن أشم رائحة البارود... رائحة بارود آتٍ من بعيد.

إننا نسمع أزيز الطيران الحربي... والذي يليه دوي الانفجارات في العادة وصليات مضادة قليلة جدًا بالمقارنة مع ما كان في السابق، قليل من هذه الغارات نحسه من مكان إقامتنا وكأنه في ضواحي العاصمة الكويت... وخاصة على المواقع العسكرية الممتدة على شاطئ العاصمة، أو في جنوبها...

الأخبار تقول إن الطيران الحربي للقوات المشتركة، بعد أن أصاب بغداد والبصرة بدمار شديد... حيث دمرت معظم جسور العاصمة العراقية وكثير من مبانيها، وبعد أن أصبح سلاح الجو التحالفي مسيطرًا على أجواء المعركة، يركز قصفه الجوي في الأيام الأخيرة على مواقع القوات العراقية في الكويت تمهيدًا للمعركة البرية البحرية الجوية الفاصلة المتوقعة خلال أيام.

التحركات الدبلوماسية مستمرة... فقد وصل بريماكوف إلى بغداد، ووصلها أيضًا الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات... والمؤتمر المصغر لدول عدم الانحياز انعقد منذ أول أمس في بلغراد، ووزير خارجية فرنسا رولان دوما وصل موسكو واجتمع إلى الرئيس السوفييتي غورباتشوف...

لكن أحدًا لا يتوقع -كما تقول الأنباء- أن تغير بغداد من موقفها من الحرب وأن تنصاع لقرارات الأمم المتحدة والمجتمع الدولي للانسحاب من الكويت.

إن دول عدم الانحياز عبرت عن موقفها من هذه الأزمة بقرارات عديدة في السابق، وهي أكدتها مرة أخرى في الخطاب الافتتاحي لمؤتمره المصغر، إذ قال الرئيس اليوغسلافي الذي افتتح المؤتمر بأن على العراق أن ينسحب من الكويت لإنهاء وإيقاف الحرب المدمرة الدائرة رحاها في منطقة الخليج.

العراق لم يرسل بأي من ممثليه إلى مؤتمر دول عدم الانحياز بحجة أنّ المؤتمر عاجز عن القيام بعمل أي شيء...

والحياة مستمرة... لكنها بدأت تزداد صعوبة. أمس انقطعت مياه «البلدية» فاتخذنا فورًا إجراءات حاسمة في هذا الشأن، أقفلت صنابير المياه التي توصل الماء من مستودعها أعلى السطح إلى كافة أنحاء البيت. ولم يكن في هذا المستودع أو الخزان سوى قليل من الماء، يقل عن عشر اتساعه!

وقبل يومين اخترعت وجمال طريقة، بدائية بالطبع، لمعرفة كمية الماء الموجودة في الخزان بدون حاجة إلى الصعود إلى السطح، ثمّ إلى سطح بيت السلم، ثمّ إلى فتحة الخزان... وذلك بتركيب عوامة في الخزان مربوطة بخيط من النايلون القوي، وأخرجنا الخيط من خرم صغير في غطاء الخزان يمتد إلى جهة نافذة المطبخ وفي آخر الخيط علقنا علبة مليئة بالرمل تشد الخيط... وعندما يكون الخزان مليئًا ترتفع العوامة فتتهبط علبة الرمل، وعكس ذلك في حال خلوه من الماء... الحاجة أم الاختراع!

ظللنا قلقين بسبب هذه المشكلة... وهي على أية حال متوقعة كما نتوقع انقطاع التيار الكهربائي في أي وقت إذا ما استمرت الحرب مشتتة... وهي تبدو كذلك...

ونحن لم ننس مثل هذه المشاكل المتوقعة واحتطنا نسبيًا لها... فإن لدينا العديد من الكالونات والأوعية التي ملئت بالماء قبل مدة من الزمن... قبل بدء الحرب... لكن الإنسان لا يشعر بالمشكلة حقًا إلا إذا حدث بالفعل! منذ صباح اليوم اكتشفنا أنّ مياه البلدية جارئة، لكنها ضعيفة إلى درجة أنها لا تصل إلى الخزان عبر الأنابيب العادية... فرحنا نعبئ كل ما لدينا من أوعية... من كل الأنواع والأشكال... بماء البلدية بواسطة خرطوم المياه... ثمّ ملأنا أحواض «البانيوهات» في الحمامات الثلاث... وروينا أحواض الزرع بكمية قليلة من هذا الماء... ثمّ فكرنا في مد الخرطوم إلى الخزان لعل المياه تصله بشكل أسهل من سيرها في الأنابيب المعقدة داخل البيت... ونجحت الفكرة ووصلت المياه إلى الخزان... ضعيفة لكنها وصلت.

صنابير المياه التي تأتي من الخزان إلى كافة أنحاء البيت لا تزال مقفلة، وسوف أصر على أن تبقى كذلك إلى أن يمتلئ الخزان بالماء. سنستعمل منذ اليوم المياه التي أمكن تعبئتها في الأوعية والأواني والبانيوهات... وبعد ذلك سيكون استعمالنا للمياه بتقنين شديد ووفق الحاجة الحقيقية... وسوف أحاول أن يظل الخزان مليئًا بالماء قدر استطاعتي إلى أن يفرجها الله علينا جميعًا.

راح جمال، بعد أن انتهينا من مسألة المياه (والذين عملوا فيها هم أنا وتمام وجمال وعلاء) وهي الآن تصب في الخزان، راح جمال يكمل عمل قفص لدجاجتين، من المفترض أن تكونا بياضتين، كان قد اشتراها من قبل، وأحضرهما منذ يومين من سطح المبنى الذي فيه الشقة التي يسكنها... لعلهما تبيضان... إن ثمن كرتونة البيض (ثلاثين بيضة) وصل إلى حوالي خمسين دينارًا عراقيًا.

يقول البعض إن معنويات القوات العراقية شبه منهارة... وإن القوات العراقية المتواجدة عند الحدود لا يتلقون ما يحتاجونه من طعام ولا من ذخيرة..

قال أحدهم إن جنديًا أوقفه يرجوه أن يأخذه إلى مدينة الجهراء، أفاده السائق بأنه ليس متوجهًا إلى الجهراء، وإنه لا يستطيع أن يذهب إلى هناك لعدم توفر البنزين... فقال له الجندي إذن انقلني إلى أي مكان تستطيعه على طريق الجهراء... ففعل السائق. أثناء هذه الفترة دار حديث بين الاثنين فقال الجندي: «إني آتٍ من الوفرة بتكليف من الضابط المسؤول منذ الخامسة فجرًا (الساعة كانت الواحدة ظهرًا) للذهاب إلى الجهراء لإحضار الطعام لمجموعتنا... فنحن لم نأكل منذ ثلاثة أيام...».

وقال آخر إنه تحدث إلى ضابط مسؤول في أحد مخافر الكويت، وسأله عن توقعه فيما لو وصلت الحرب إلى الكويت المدينة فقال له: «لا يوجد لدى أحد منا أية تعليمات إلا أن يتصرف كل واحد حسب الذي يراه مناسبًا له...».

وعن القوات المتواجدة في المواقع المتقدمة في جبهة الحرب قال الضابط: «التعليمات أن لا رجوع لأحد... إما التقدم وإما الموت...».

تقول أخبار التحالف إنَّ لديها أكثر من ألف أسير عراقي... منهم عشرات المستسلمين طواعية في كل يوم... وكثير منهم يستسلم وهو يرفع عاليًا الرسائل (دعوات من السعودية أو القوات المشتركة للاستسلام) التي تلقيها طائرات التحالف على القوات العراقية والتي توضح للجنود والضباط العراقيين سبل الاستسلام وطرق الوصول إلى مواقع القوات المشتركة...

بلغ عدد الطلعات الجوية التحالفية إلى أكثر من خمسة وستين ألف طلعة...

قبل أيام قليلة أعلن متحدث رسمي حكومي كويتي في المنفى أنَّ الكويت ستغلق أبوابها بعد تحريرها حوالي شهرين أو ثلاثة (وقيل إن المتحدث كان الشيخ سالم الصباح وزير الداخلية) وأضاف أنه لن يدخلها أحد إلا بعد توفير ضرورات الحياة فيها وتهيئة وإعادة إعمار مداخلها وتوفير ما يلزم لأمنها... وإنه من المحتمل أن تفرض أو تعلن حالة الطوارئ في البلاد إلى حين استعادة الأمور إلى نصابها... وأنه لن يتم دعوة مجلس الأمة للانعقاد

(مجلس الأمة الذي تم انتخابه عام ١٩٨٥ وحل بقرار أميري عام ١٩٨٦) إلا عندما تنهياً الظروف المناسبة لذلك.

هذا الموضوع الحساس جداً أثار حفيظة الكثيرين من الكويتيين، وخصوصاً أعضاء المجلس المذكور أنفسهم ومن يعرفون بالديمقراطيين أمثال الدكتور أحمد الخطيب وأحمد الربيعي وعبد الله النيباري وغانم النجار وغيرهم... فقام ولي العهد الشيخ سعد العبد الله الصباح أمس بالتأكيد على أن ما اتفق عليه في المؤتمر الشعبي الكويتي الذي انعقد بُعيد احتلال الكويت في السعودية سيعمل به، وإن الأمور سوف تتم وفق دستور عام ١٩٦٢... محاولاً طمأنة من أثيرت حفيظتهم من أعضاء مجلس الأمة الأخير آنف الذكر.

(الخميس ١٤/٢/١٩٩١) ذهبت وتمام لزيارة الصديق العزيز علي مشياً على الأقدام، فبيته يبعد نحو كيلومتر ونصف تقريباً عن بيتنا... وهكذا فعلنا، فالطقس جميل، ليس بارداً ولا حاراً، والسماء الزرقاء موشحة بالسحب الدخانية... وقد بدأنا مشوارنا في نحو الحادية عشرة ظهراً...

الشارع الرئيسي في الجابرية شبه خالٍ من السيارات... ومررنا أمام المخفر حيث تكدس العديد من السيارات... يبدو أن معظمها معطل... وبعض الجنود والمدنيين يجلسون أمام المخفر... ويقبع جندي أو اثنان من العراقيين في «دشم» مبنية بطريقة بدائية جداً ومتواجدة في هذا الشارع...

وقرب السفارة اليابانية مررنا بالحاجز الموجود هناك منذ بداية الأزمة تقريباً... لكن أحداً لم يسألنا عن شيء.

وكانت أصوات المعركة مستمرة بالطبع... فهي لا تتوقف.. هدير الطائرات ودوي الانفجارات وأصوات الرشاشات المضادة.. وقبل خروجنا من البيت بنحو ساعة استمعنا إلى دوي انفجار هائل إثر هدير الطائرات الحربية.. في طريقنا إلى بيت الصديق علي شاهدنا بوضوح كتلاً من الدخان الأبيض تتصاعد من جهة المطار أو ربما يكون في الأرض الجرداء

المقابلة لنادي الصيد والفروسية في الكويت... وفي الجهة اليمنى من سيرنا نحو بيت علي كان يتصاعد دخان أسود من جهة قلب المدينة أو ربما من شواطئها...

وصلنا إلى بيت علي، فوجدنا السيدة زوجته عواطف (أم محمد) وابنه مبارك، أما علي فكان قد ذهب مع ابنه إلى مستشفى مبارك مشياً على الأقدام لمعالجة حُبيبة ملتهبة في خد ابنه محمد. مكثنا مع أم محمد نحو ساعة... ثم عدنا. لقد كانت فرصة لكلينا لكي نمشي على أرجلنا... وهو أمر أحتاجه كما تحتاجه تمام.

أبرز أخبار أمس، الغارة الجوية التي أصابت ملجئاً حصيناً جداً في منطقة العامرية ببغداد، وراح ضحيتها حسب البيان العراقي، وحتى بعد ظهر اليوم أربع وتسعون ضحية معظمهم من النساء والأطفال... لكن مصادر أخرى تقول إن العدد ربما يتجاوز الأربع مئة ضحية. قيل إنَّ سُمك سطح الملجأ من الأسمت المسلح يبلغ نحو ثلاثة أمتار أو ثلاثة ونصف... وهو يتسع لنحو ألف وخمس مئة شخص.

وتقول المصادر العراقية إنَّ كل من كان فيه هم من المدنيين، نساء وأطفال وشيوخ...

إنها جزء من المأساة التي تحدث على أرض العراق ويغرق فيها الشعب العراقي...

إنها الحرب التي غالباً ما يكون المدنيون من النساء والأطفال والشيوخ أكثر ضحاياها... ولا حول ولا قوة إلا بالله...

المصادر الغربية، والأمريكية كذلك، اعترفت بهذه المأساة، وأن هناك تحقيقاً يجري حول ملابسات الغارة.

العسكريون الأمريكيون قالوا إن الملجأ كان مقرراً مخصصاً للعسكريين، وكان شبه غرفة عمليات عسكرية، وإنه كان مموهاً بالأصباغ... لكن المراسلين الأجانب الذين أخذوا لمشاهدة المكان قالوا إنهم شاهدوا عدداً كبيراً من الضحايا المحترقين والمشوهين، وأنهم شاهدوا ما يزيد على أربعين ضحية من النساء والأطفال.

التحركات السياسية وأبرزها التحرك السوقييتي، المتناغم بشكل أو بآخر مع التحرك الإيراني، تقول إن بريماكوف ألمح، بعد مقابلته مع الرئيس العراقي، إلى بصيص من الأمل لإيقاف الحرب وإيجاد حل ما يرضي الأطراف ذات العلاقة.

وزير الخارجية العراقي طارق عزيز سوف يصل إلى موسكو يوم الأحد القادم للاجتماع مع الرئيس السوقييتي.

وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل طار إلى جنيف للاجتماع مع نظيره الإيراني علي أكبر ولايتي الذي سيسافر إلى موسكو أيضًا بعد اجتماعه مع الفيصل، كما يتوقع أن يستأنف البلدان (السعودية وإيران) علاقاتها الدبلوماسية.

وزير الخارجية الكويتي، الشيخ صباح الأحمد، وصل أمس موسكو للاجتماع مع الرئيس السوقييتي وغيره من المسؤولين في موسكو.

وزير الخارجية الألماني كينشر زار سوريا وهو يزور الأردن، وزير الخارجية السوري يزور مصر...

والرئيس الليبي معمر القذافي يزور مصر ويلتقي فيها الرئيس المصري حسني مبارك.

وهكذا تستمر التحركات الدبلوماسية... هل ستصل إلى نتيجة؟ إنه بصيص أمل في ظلمة حالكة.

أمس ليلاً كنا نجلس أمام التلفزيون نشاهد مسلسلًا مصريًا يبثه التلفزيون العراقي، أبرز أبطاله حسن عابدين وفردوس عبد الحميد... وهو مسلسل قديم كنا شاهدناه منذ نحو سنتين أو ثلاث.

فجأة أوقف المسلسل.. وكان الشريط انقطع.. وظلت الشاشة تعرض شيئًا مموهاً..

ظننا أنّ هناك خبرًا مهمًّا تسبب في وقف المسلسل... بعد دقائق راحت المحطة تبث الأغاني الوطنية، وظل اعتقادنا أنّ هناك خبرًا ما...

لكنني تذكرت ونحن ننتظر الخبر أنّ المسلسل تضمن حوارًا عن سفر مدرسة (فردوس عبد الحميد) إلى الكويت...

قلت: «أتعرفون لماذا أوقف المسلسل؟» أردفت قائلاً: «لأن المسلسل تحدث عن شيء اسمه الكويت»... قالوا: آه... والله صحيح... وهو السبب الحقيقي لإيقاف المسلسل.

المصادر العسكرية الأمريكية أعلنت مساء اليوم أنه قد تم حتى الآن تدمير ثلث الدبابات التي يملكها العراق، أي نحو ألف وثلاث مئة دبابة (لدى العراق أربعة آلاف دبابة)، وحوالي ثمان مئة آلية عسكرية، وألف ومئة مدفع... وإن الطقس الذي تحسن في الأيام الأخيرة ساعد ويساعد على ضرب الأهداف العسكرية العراقية بدقة جيدة... وبخاصة قوات الحرس الجمهوري العراقي المتواجد على أرض الكويت، وفي جنوب العراق.

القوات المشتركة العسكرية بقيادة الولايات المتحدة مستمرة في أداء أعمالها العسكرية بشكل عادي... فهذه هي مهمتها... ليس لها علاقة بالقضايا السياسية.. إنها قوات تأتمر بأوامر القادة العسكريين الكبار الذين يتلقون قرارات الحرب واستمرارها أو وقفها من السياسيين..

نشعر بالأسى والحزن الشديدين لما يحدث... قوات عربية تقف إلى جانب القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية، التي كانت أمس، ولا تزال، تقف إلى جانب عدوة العرب الأولى «إسرائيل»، لتحارب قوات عربية أخرى... هي قوات العراق التي كنا بالأمس القريب نفتخر بوجودها...

ونشعر بالألم الشديد والحزن والغضب لما يصيب الأبرياء من شعب عربي هو جزء من أمة العرب...

لماذا كل هذا الذي يحدث؟

إنه حدث ويحدث بسبب خلاف بين العراق والكويت... ولم تنجح محاولات تسوية هذا الخلاف المفتعل.. فقام العراق، أو بالأحرى نظام العراق بقيادة طاغية بغداد بارتكاب الخطيئة.. فأمر قواته باجتياح الكويت واحتلالها، وشكل حكومة «كرتونية» باسم الكويت أسماها حكومة ثورية، ثم أعلن أن حكومة الكويت الثورية قررت استبدال بالدولة جمهورية، ثم اختصر الطريق وضم الكويت إلى العراق... وجعلها المحافظة التاسعة عشرة من محافظات العراق، كل ذلك حدث خلال أسبوع واحد.

لم يفكر طاغية بغداد في عواقب ما أقدم عليه من اختراق لقانون دولي لا يسمح لقانون الغاب أن يكون بديلاً منه.

يقول البعض: «ولماذا سمح لإسرائيل بالعمل بموجب قانون الغاب... فاحتلت الأراضي العربية عام ١٩٦٧ بموجبه، وضمت أجزاء من هذه الأراضي (الجولان والقدس) إليها

رسميًا... وأنها لا تزال تحتل الضفة الفلسطينية وقطاع غزة على الرغم من القرارات التي اتخذت في هذا الخصوص في مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة بشكل عام؟».

هل مثل هذه الأسئلة هي التي تجعل أهلنا في فلسطين وفي الأردن يقفون بحماس منقطع النظير مع العراق... ومع الرئيس صدام حسين... وضد أمريكا؟

هل هم كالغريق الذي يتعلق بالقشة، كما يقول المثل، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه؟

كيف يمكن أن يتوقع المرء من صدام حسين الدكتاتوري الفاشي المتعجرف الأثاني السادي الدموي الشرير أن يقدم عملاً خيراً إلى الناس... كيف...؟

كيف يمكن أن يتوقع الناس من رجل باع دماء مئات الآلاف من أبناء العراق، ومثلهم من أبناء إيران، وأهدر عشرات البلايين من الدولارات في حرب ضروس بدأها هو ضد جارتها المسلمة إيران، بدون مقابل في النتيجة... كيف يتوقعون منه أن يأتي بخير على شعبه... أو على شعب فلسطين التي لم يتذكرها بعد احتلاله الكويت إلا بعد عشرة أيام من غزوه؟

كيف يمكن أن يأمل أحد في نظام لا يأبه بدمار بلده وفناء معظم أبناء قواته وشعبه أن يقدم خيراً إلى الغير... ألا يقول المثل: «فاقد الشيء لا يعطيه...»؟

آه يا أبناءنا الأعزاء... آه يا يزيد ويا بشار ويا بلال... آه يا بنى يا حبيبتى... ماذا ينتظركم في عالمنا العربي.. فالعرب صاروا أكثر من عربين... والانقسام الذي أحدثته هذه الأزمة في الجسم العربي حقيقة ستظل آثارها تنخر في الجسم العربي إلى أن تنهار الآمال المعقودة... وقد بدأت هذه الآمال تخبو بالفعل...

فأين هي الحرية.. وأين هي الوحدة... وأين هي الاشتراكية؟

إن سياج حدود الأقطار العربية يعلو ويعلو فيما بينها، وفي وجوه أبناء الأمة الواحدة... وفي كل يوم تصدر قرارات تزيد من هذه الحواجز ارتفاعاً... وتقف الأبواب في وجه أبناء

هذه الأمة، شعوب الأقطار العربية الشقيقة... الشقيقة... الشقيقة جدًا!

(الأحد ١٧/٢/١٩٩١) الـ«آخ» الثانية خرجت من العراق... وهي ليست آخًا فحسب، بل هي آخ مصابة موجوعة رغم الطريقة المتعجرفة التي عبر النظام العراقي من خلالها عنها...

فقبل أمس، وفي حوالي الرابعة من بعد الظهر، وكنت عندها قد ارتخيت على فراشي للحصول على قسط من الراحة، قيلولة ما بعد الظهر، وهي في حقيقة الأمر فترة استماع هادئ للأخبار... أصبحت عادة يومية... أضع سماعة المذياع الصغيرة في أذني هذه أو تلك وأستمع إلى أخبار أكثر من محطة مبرمجة على المذياع الأوتوماتيكي دون أن أزعج تمام...

في هذه الأثناء طرقت أحد أبناء شقيقي جمال -داليا ثم علاء- باب غرفتنا ليخبرانا أن بعض أقاربنا ممن يعيشون في منطقة «الفروانية» قد حضروا لزيارتنا... فرحت للخبر... وقمت ألبس ما يناسب لاستقبالهم، وفي العادة ألبس بعد ظهر كل يوم منذ الاحتلال «الدشداشة» الصيفية أيام الصيف، والشتوية في فصل الشتاء، أي منذ نحو ثلاثة أشهر...

لكني وأثناء عملية اللباس كان المذياع يعلن عناوين الأنباء من محطة الإذاعة البريطانية في لندن... فإذا بالمذيع يقول في نبئه الأول: «العراق يعلن استعداده للانسحاب من الكويت...»

كانت تمام ما تزال في الغرفة ترتب مظهرها... أنا لم أصدق ما أسمع.. على رغم توقعي لهذا ومنذ مدة، التفت إلى تمام... فإذا بتمام تدهش للخبر معبرة عن ذلك باتساع حدقة عينيها واتجاه السواد فيهما باتجاهات حائرة وهي تقول وتردد... معقول... معقول...؟

لم أخرج للأقارب الذين كانوا يجلسون في صالة الضيوف إلا بعد أن استمعت للخبر مفصلاً، فهذا هو خبر يسمع بتفاصيله...!

الخبر الذي أذاعته لندن جاء كما يلي: «أعلن العراق استعداده للبحث في قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٠ مع استعداده للانسحاب من الكويت شريطة انسحاب القوات المشتركة

من الأراضي العربية السعودية، وانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة، وذلك في بيان صادر عن مجلس قيادة الثورة العراقي بعد اجتماعه صباح اليوم...».

قلت بيني وبين نفسي هذه هي الآخ أو الآه الثانية المنتظرة من العراق... الذي أغرق نفسه في بحر لا يحسن العوم فيه ولا يعرف حيل التخلص من دواماته وأمواجه... في بحر رمى نفسه فيه ولم يحسن دراسة أعماقه ولا المخاطر التي تكمن فيه... بل أغراه سطحه الأملس وأمواجه الراقصة الحنونة...

خرجت للأقارب وأنا ألبس «دشداشتي» الصوفية وألف رقبتي باللحفة التي غزلتها لي تمام، وفوق كل هذا «البرنس» المغربي الصوفي الأبيض (أشبه بالعباءة)... لكن الأهم هو ما أحمله من خبر لا يعلمونه بعد! رحبت بهم وقبلتهم... وكانوا كلهم من الرجال (أبو زكي وأبو وائل ووائل شموط ومعهم من الجيران أبو الظاهر وأبو إياد وجار آخر حضروا كلهم بسيارة واحدة بسبب عدم توفر البنزين) وكان شقيقي جمال معي بالطبع... كانت أساري منفرجة بسبب هذه الأخبار المهمة جدًا...

قلت: «ألا تريدون سماع خبرًا جيدًا...؟».

قالوا: نعم، إننا آتون للاطمئنان عنكم أولاً ولمعرفة آخر الأخبار منكم...

قلت: «إن العراق أعلن استعداداه للانسحاب من الكويت..».

فدهشوا وقالوا: «معقول...!».

قلت: «هكذا تقول آخر الأخبار التي استمعت إليها منذ دقيقتين».

امتزجت تعابير الدهشة والفرح على وجوه الموجودين متمسة بشيء من القلق والحيرة...

وبعد دقائق من ذلك راح الرصاص يلعلع في أجواء الكويت... فالرشاشات من كل الأنواع... من الكلاشينكوفات إلى المضادات الجوية الرشاشة... والمدفعية راحت تطلق نيرانها بشكل

جنوني...

اعتقد البعض أنها جزء من المعركة..

قلت: «بل هي الفرحة عند الجنود والضباط العراقيين».

أبو وائل ارتعب من كثافة النيران التي تطلق، ودب الرعب في نفوس الباقين... وراحوا يفكرون في كيفية العودة إلى الفروانية!

في هذه الأثناء وصل الصديق علي راكبًا دراجته، وقد استمع إلى إطلاق النار الكثيف غير المعروف له وهو في طريقه إلينا... فأكمل مشواره ووصل... وسأل البائع جارنا عيسى قبل أن يطرق باب دارنا، أجابه عيسى بأن العراق سينسحب من الكويت...

وعندما استقبلت عليًا، قال: هل ما قاله لي عيسى بأن العراق سينسحب صحيح؟

قلت له: «نعم يا أبا محمد».

دخل علي وجلس بعد أداء تحيته على الجميع، ودار الحديث عما يجري... وحرصا الابتهاج مستمر في الأجواء... لاحظت أن معظم أهل الحي يقفون في الخارج ومعهم أولادهم وصغارهم.

الأطفال الصغار راحوا يكملون ألعابهم في الساحة المقابلة لبيتنا... وهم لا يدرون بالخبر وأهميته... تمنيت لو أكون طفلًا مثلهم!

وكان من بين الموجودين أبو بشار ووليد وآخرون.. وكانوا منفعلين جدًا من هذه الأخبار وهم يسألون: «هل هذه الأخبار صحيحة؟».

قلت لهم: نعم... إنها البداية الحتمية لتراجع هذا الطاغية... ولا بد من انسحابهم...

لكني أقترح عليكم عدم الوقوف في الخلاء وتحت السماء... فهذا الرصاص المنطلق إلى عنان السماء لا بد أن ينزل مرة أخرى إلى الأرض... ومن المحتمل حدوث إصابات بسببه... فتفرق الجمع، ونودي على الأولاد والأطفال ليدخلوا البيوت.

لم يمكث الأقارب والأصدقاء الآتون من الفروانية كثيرًا خشية انشغال ذويهم عليهم من هذه الحالة الغريبة، ومن كثافة إطلاق النيران ابتهاجًا في الهواء، خاصة وأن خطوط الهاتف لا تعمل لطمأنتهم... ودعناهم، ودعونا لهم بالوصول سالمين.

بقيت وجمال مع الصديق علي نستعرض الوضع... ثم استمعنا إلى أخبار الساعة الخامسة من إذاعة لندن للتأكد من تفاصيل الخبر.. فكان الخبر هذه المرة متضمنًا الشروط العراقية... وهي شروط لم تذكر في النشرة السابقة بسبب حداثة الخبر... فقالت الأخبار إنَّ العراق يشترط إضافة إلى ما ذكر من شروط إلغاء عدد من قرارات مجلس الأمن الدولي...

قلت لهما إن العد العكسي لخلاص الكويت قد بدأ... وما اجتماع مجلس قيادة الثورة العراقي واستعداده للبحث في قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٠، والذي يقضي بضرورة انسحاب القوات العراقية من الكويت بدون قيد ولا شرط، إلا بداية التراجع العراقي وانهزامه في معركة لم يحسب حساباتها جيدًا...

لكن الله موجود... وهو دائمًا موجود... وسيظل موجودًا!

لقد ظن العراق أن دعوات المؤمنين له... وهتافات المتظاهرين ضد «الكفار وحلفاء الشيطان... المستعمرين» سوف تحقق له النصر!

«شتا نصر...» ورحم الله الشيخ أحمد الخطيب إمام جامع مدينة اللد، صاحب هذا التعبير.

الكل صار منفعلًا بالحدث... ومضطربًا لما يمكن أن يتبعه من تطورات... هل سيتم الانسحاب في ظلمة الليل.. وكيف وعدد القوات يعد بمئات الآلاف؟ لكن الحياة رغم كل

شيء تستمر، تم تحضير العشاء وتناولناه، ورحنا نفتش عن محطات الأخبار الإذاعية والتليفزيونية لنشفي غليلنا بأخبار جديدة.

المعركة لا تزال مستمرة وكأن شيئاً لم يتغير... فدوي الانفجارات وأصداؤها تتردد في أعماقنا وتهزنا... وهدير الطائرات وضجيجها والانفجارات التي تتبع هديرها... والمضادات القليلة التي تطلق نيرانها صوبها... كل هذا يشير إلى أن المعركة مستمرة وبخشونة غير معهودة...

بدأت ردود الفعل على البيان العراقي تبث من محطات الإذاعات العالمية...

الرئيس الأمريكي بوش تلقى خبر البيان العراقي وهو يستعد لإلقاء خطاب مكتوب رسمي في مناسبة ما بأمريكا، علق على ما بلغه بالارتجال قائلاً: «لقد سعدت لاستعداد العراق للانسحاب من الكويت... لكن الشروط التي وضعها العراق للانسحاب تجعل الخطوة العراقية خدعة غير مقبولة...»، وأضاف: «لقد خيب صدام حسين أمل الشعب العراقي الذي راح يعبر عن بهجته بعد سماعه الخبر بإطلاق النار والرقص في شوارع بغداد... وهو أكبر دليل على أن الشعب العراقي لا يريد استمرار الحرب. إن على العراق أن ينسحب دون أي قيد أو شرط، وهذا وحده كفيل بإيقاف الحرب...».

رئيس الوزراء البريطاني والرئيس الفرنسي وغيرهم من المسؤولين الغربيين قالوا: «إن الشروط العراقية تجعل من العرض العراقي خدعة مكشوفة... ولن يكون هناك مبرر لوقف الحرب ضد العراق سوى إعلان العراق استعداده للانسحاب من الكويت دون شروط...».

قلنا إن الماء انقطع منذ أيام... وأنه إن وصل، فهو يصل ضعيفاً لا يقدر على الوصول إلى خزان المياه... وقد اتخذنا احتياطاتنا لهذا الأمر.

في هذه الليلة، ليلة إعلان العراق استعداده للانسحاب من الكويت، وكنا بعد سماعنا الأخبار، من عدة محطات نشاهد فيلمًا مشهورًا تبثه محطة العراق (وهي محطة تبث

برامجها من أرض الكويت) يدعى Rainman، في حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف، انقطع التيار الكهربائي... وغرقت الكويت، لأول مرة منذ وطئت أقدامنا الكويت عام ١٩٨٣ للعيش فيها، في ظلام تام...

كان التيار الكهربائي قد انقطع من قبل مرتين أو ثلاثاً... لكن انقطاعه لم يدم أكثر من حوالي ربع أو نصف ساعة...

كثرت نجوم السماء ونامت آلات التكييف وغيرها من الآلات التي تساعد الإنسان على سير الحياة في الكويت... وأخذنا نفكر في أسباب انقطاع التيار الكهربائي... منا من قال: لعل المولدات الكهربائية قد ضربت، وآخر قال: من المحتمل أن تكون قد تعطلت بسبب عدم توفر قطع الغيار اللازمة... وآخر قال: لعل العراقيين هم الذين قطعوا التيار خشية من عمليات إنزال عسكري... وهكذا أخذتنا الظنون... ودعونا الله أن يلطف بنا...

ومع هذا الصمت الرهيب الذي خيم على الكويت الذي صاحب ما يختلج في نفوسنا من أحاسيس ومشاعر مضطربة ومنفصلة بسب أخبار العراق واستعداده للانسحاب عشنا لحظات غريبة جداً لم نألفها من قبل.

أضاًنا مصباحين لدينا يعملان بالغاز (الكيروسين)... وجلسنا معاً نتابع حياتنا في هذه الظروف الجديدة... وبدأت أفكر فيما أحتاج إليه لتشغيل جهاز توليد الكهرباء الذي بحوزتنا يوم غد أن استمر انقطاع التيار الكهربائي...

ظلت الكهرباء منقطعة طوال الليل وحتى الصباح... وقررنا أن نشغل المولد الكهربائي. مددنا الأسلاك اللازمة لتشغيل الثلاجة والمجلدتين (الفريزر)، ومددت خطاً لتشغيل التليفزيون في الليل إن استمر الانقطاع...

وكنت قد طلبت من الجيران أن يحصوا عدد المولدات الكهربائية في الحي لكي يستفيد الجميع منها، وقلت لهم إن لديّ واحداً منها، أعتقد أنني أستطيع أن أفيد جاراً أو اثنين منه.

لكن، ومع الأسف، لم يهتم أحد بهذا الموضوع.

الحرب مستمرة... ولا جديد فيها عسكرياً سوى أن القوات العراقية تواجه عملية إبادة منتظمة ومستمرة، وإن معظم الغارات الجوية أصبحت تصب نيرانها على قوات الحرس الجمهوري الذي يقال إنه أنهك إلى درجة كبيرة.

الدخان الرمادي الداكن كان يلف أفق الكويت وسماؤها منذ أيام ولا يزال... أمس ازدادات كمية هذه السحب الدخانية الرمادية الداكنة وغطت سماء الكويت بشكل لم يسبق له مثيل منذ اشتعال الحرب.

عند المساء التقيت بعض رجال الحي، وعرضت مرة أخرى إمكانية تزويد أحد الجيران بخط كهربائي، فطلب جارنا وليد الذي يسكن على يسارنا أن أمده بخط واحد لتشغيل المجلدة لديهم (الفريزر)، ثم طلب الجار الآخر على يميننا خطاً لتشغيل لمبة واحدة... فلبيت لهم طلبهم.

شغلنا المولد الكهربائي منذ الصباح ولمدة ساعتين ونصف تقريباً، حيث أمكن المحافظة على درجة البرودة المرادة في المجلدات والثلاجة، وفي المساء شغلناه مرة أخرى من الساعة السادسة إلى حوالي الثامنة والنصف... ثم أوقفناه ليبرد ولتزويده بالبنزين...

شغلناه مرة أخرى في حوالي التاسعة والنصف ليلاً... وتمكنا من مشاهدة التلفزيون الإيراني بوضوح تام (محطتين) أما محطة العراق فلم يكن ممكناً مشاهدتها... ويبدو أنها تعطلت عن البث...

وكنا شاهدنا في أفق منطقة «بيان» وهجاً يوحي وكأن الكهرباء سارية في تلك المنطقة... وبعدها بنحو ربع ساعة شاهدنا الشيء نفسه في منطقة «السرة» فتأملنا خيراً وتوقعنا أن يصلنا التيار الكهربائي في أية لحظة.

في حوالي العاشرة والنصف ليلاً ونحن نشاهد التلفزيون الإيراني الواضح جداً أضاءت المصابيح في المنزل فجأة... فصرخنا فرحين لعودة التيار الكهربائي وراحت داليا تتأكد من أنّ كافة المصابيح في البيت تضيء، وعادت لتقول: «إنها جميعاً تضيء...».

خرجت وجمال وعلاء لأوقف المولد، وأعدنا وصل المجلدات والثلاجة والتلفزيون بالتيار الرئيسي... وعادت الأمور إلى طبيعتها. وكنا قد استيقظنا صباحاً في جو ماطر ملوث... فقد كانت السماء مليئة بالسحب الرمادية الداكنة... وآثار السواد ظاهرة على الأرض والجدران المبللة بمياه المطر الأسود...

الأخبار السياسية تقول إن السوفييت والإيرانيين ماضون في مساعيهم الخيرة لإيقاف الحرب، وإن التنسيق قائم بين الطرفين السوفييتي والإيراني، والاتصالات في هذا الخصوص مستمرة وجادة مع جهات كثيرة في العالم.

نائب رئيس الوزراء العراقي سعدون حمادي وصل أمس إلى طهران لمزيد من التشاورات مع المسؤولين الإيرانيين إثر المبادرة العراقية وبعد عودة وزير الخارجية الإيراني علي أكبر ولايتي من موسكو. كما ذكرت أنباء إيران أن وفدًا رفيع المستوى يزمع السفر إلى بغداد من أجل الوصول إلى حل لإيقاف الحرب.

موسكو استقبلت وفد الترويكا (دول المجموعة الأوروبية) المؤلف من وزير خارجية إيطاليا واللوكسمبورغ، وكانت موسكو قد استقبلت قبل أيام وزير خارجية فرنسا، للبحث في تطور أوضاع منطقة الخليج والحرب الدائرة فيها.

في القاهرة، حيث أنهى وزراء خارجية ثماني دول عربية هي دول مجلس التعاون الخليجي الست إضافة إلى مصر وسوريا، صدر بيان باسم هذه الدول ترفض فيه المبادرة العراقية، وتأمل من العراق أن يستجيب للمنطق والعقل وإرادة المجتمع الدولي.

(الاثنين ١٨/٢/١٩٩١) اليوم أحد الأيام التاريخية في تاريخ العرب الحديث... اليوم يلتقي الوفد العراقي المؤلّف من نائب رئيس الوزراء، سعدون حمادي، ووزير الخارجية طارق عزيز، بالرئيس السوفييتي غورباتشوف في موسكو في إطار البحث عن سبيل لإيقاف الحرب الدائرة في المنطقة.

ومن المفترض أن يكون الوفد العراقي مكلّفًا بنقل الرأي الأخير للعراق حول استعداداته للانصياع لقرارات مجلس الأمن الدولي... وتفاصيل تنفيذ ذلك.

السوفييت أكدوا ولأكثر من مرة ومن مصادر عدة بأنهم ملتزمون تمامًا بقرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بأزمة الخليج، ويطالبون علانية بضرورة انسحاب العراق من الكويت فورًا ومن غير شروط.

طارق عزيز صرح في طهران أمس، وقبل سفره منها إلى موسكو، بأن العراق «سيجد نفسه مضطرًا لمتابعة المعركة إذا أصرت أمريكا على عدم التعامل مع المبادرة العراقية الأخيرة...»! (المبادرة التي أعلنها العراق قبل أيام، والتي جاء فيها أنّ العراق على استعداد للتعامل مع قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٠ شريطة إلغاء باقي قرارات مجلس الأمن الأخرى المتعلقة بموضوع أزمة الخليج).

أمريكا، وأوروبا بشكل عام، وافقوا على طلب الاتحاد السوفييتي بعدم البدء في المعركة البرية أثناء المفاوضات التي تجري مع العراق في موسكو، وذلك حسبما جاء في الأخبار... لكن الانتظار لن يدوم طويلًا، ومن المفترض أن يكون هناك موعد أخير لتلقي الرد النهائي للعراق حول مبدأ قبوله بالانسحاب غير المشروط أم لا.

الأخبار تقول اليوم إن كافة الاستعدادات أصبحت جاهزة لشن المعركة البرية، والتي ستشارك فيها قوات المشاة البحرية والجوية والمدفعية والمدركات التابعة للقوات المشتركة...

رولان دوما قال إن موعد بدء المعركة قد حدد، وإن الحكومة الفرنسية قد أبلغت بذلك. المسؤولون الأمريكيون نفوا أن يكون الموعد قد حدد... لكنهم قالوا إن القوات المشتركة أصبحت جاهزة لمثل هذه المعركة.

في هذه اللحظات (الساعة الآن هي السادسة والرابع مساء) تدوي في الجو أصوات سلاسل من الانفجارات التي تهز أركان البيت الذي نسكنه، وباقي البيوت بالتأكيد، وتحدث ارتجاجاً عجيبياً في كياننا... إن هذا الدوي المتسلسل يذكرنا بما كنا نعرفه ونحن صغار ونسميه «أم رعيذة»... وهو نوع من الرعد الذي يحدث من بعده أصداء متتالية مرعبة للصغار أيام الشتاء والبرد القارس في فلسطين.

وتقول الأخبار إن القوات المشتركة تقوم في الأيام الأخيرة بتمهيد الطريق أمام المعركة البرية المتوقعة خلال الأيام القادمة. من هذه الأعمال هو تفجير حقول الألغام التي زرعها العراقيون على طول الحدود الكويتية السعودية وذلك بواسطة قنابل تزن الواحدة منها سبعة أطنان... تسقطها الطائرات على حقول الألغام فتحدث انفجاراً هائلاً متسعاً جداً يفجر معه ألغام تلك المنطقة... ولعل هذه الـ«أم رعيذة» التي نسمعها في الأيام الأخيرة، والتي ما تزال مستمرة حتى اللحظة، هي دوي هذه القنابل العملاقة!

إنه يوم تاريخي لأن القرار العراقي، إن كان الوفد العراقي الموجود اليوم في موسكو مفوضاً باتخاذها، سيحدد مسار الأمور... إما استمرار الحرب وإما وقفها...!

إنني أظن أنّ السوفييت يقولون الآن للعراقيين: «لقد قدمنا لكم النصح في السابق، وقلنا لكم إنّ التحالف الدولي قوي ضدكم، وإن هذا التحالف جدي فيما يزعم القيام به إن أنتم لم تستجيبوا لمطالب المجتمع الدولي وتنسحبوا من الكويت... ولكنكم لم تقبلوا النصيحة... وخسرتم ما خسرتموه حتى الآن». (تقول آخر الأنباء في هذا الخصوص إنّ سلاح الجو والبحرية العراقيين قد عطلا تماماً وأصبحا غير ذي جدوى في المعركة، وإن نحو ٤٠٪ من القوة العراقية الأرضية قد دمر أو عطل أو أعطب).

ويضيف السوفييت قائلين للوفد العراقي في ظني: «اليوم نقدم إليكم نصيحة أخيرة ونقول لكم إن عليكم الانسحاب من الكويت دون إبطاء ولا شروط... وإلا فسوف تخسرون ما تبقى لكم من العراق...».

قائد القوات الأمريكية في السعودية قال إنه في حال بدء الانسحاب العراقي المكثف والجددي من الكويت فإن القوات المشتركة لن تقوم بمهاجمة القوات العراقية وهي منسحبة...

على الصعيد الشخصي، فقد تمكنا أمس من ملء خزان الماء الرئيسي بمياه البلدية، وتغلبنا على مشكلة ضعف ضغط المياه لتصل إلى الخزان الموجود فوق البيت بمساعدة الجيران، لأنهم أعارونا خرطوم المياه ومضخة الدفع التي بواسطتها أمكن إيصال المياه إلى أعلى.

لكننا خائفون من احتمال استمرار الحرب وما يمكن أن يقدم عليه مجنون بغداد من أعمال تخريبية ضد كل ما تبقى من مؤسسات في الكويت، وعلى رأسها مؤسسات المياه والكهرباء الحيويتين والضروريتين للعيش في الكويت... لذلك لا نزال نستعمل الماء بتقنين شبه شديد إلى حين معرفة اتجاه الأحداث.

ندعو الله... ونقول لعل هذه القوات الكبيرة المشتركة تحول دون تمكين هذا الطاغية من إلحاق مزيد من الأذى، وتدمير ما تبقى في الكويت من مؤسسات حيوية، والحفاظ على سلامة من فيه وتمكينهم من البقاء... يا رب...

لا زلنا نعجن ونخبز ونخترع أشكالاً من المأكّل... ونشاهد محطات التلفزيون التي يساعد على استقبالها تحسن الطقس وازدياد نسبة الرطوبة فيه. أمس أمكننا مشاهدة بعض المحطات الخليجية، ومنها محطة قطر التي مكنتنا من مشاهدة جزء كبير من أخبار محطة الـ CNN، ولكن ذلك لم يستمر إلا لبعض الوقت (ساعتين)... كما أمكن مشاهدة محطتي إيراني بوضوح... أما محطة بغداد فقد انقطع بثها منذ أيام...!

أكتب الآن والساعة هي الثانية والنصف من فجر الثلاثاء... وقد نقلت الأخبار أن اجتماع الموفدين العراقيين مع وزير الخارجية السوفييتي بيزميرنيخ، والأكاديمي يفغيني بريماكوف استمر ساعة فقط، ثم استدعاهم الرئيس گورباتشوف واجتمع مع الأربعة لمدة تجاوزت الثلاثة ساعات.

گورباتشوف قدم للوفد العراقي مقترحًا لحل يوقف بموجبه الحرب... وجاء في شكل مبادرة سلام جديدة لإيقاف الحرب... لكن المقترح لم يعلن.

طارق عزيز غادر موسكو عن طريق طهران، التي يتوقع أن يجتمع فيها مع الرئيس الإيراني، ثم سيتوجه إلى بغداد حاملاً مقترح گورباتشوف.

اهتمت كل وسائل الإعلام العربية والغربية بهذه المبادرة، كما بدأت سلسلة من الاتصالات بين المسؤولين الكبار في العالم للتشاور بشأنها واستطلاع الرأي حولها.

تقول إحدى صحف ألمانيا التي ستصدر اليوم الثلاثاء إن المبادرة تشتمل على أربع نقاط أساسية: الانسحاب الفوري للقوات العراقية من الكويت بدون شروط، وتعهد من السوفييت بأن لا يحدث أي اعتداء على العراق بعد ذلك، والحفاظ على النظام العراقي وعلى سلامة الرئيس القائد صدام، وضرورة السعي للبحث في سبل حل قضايا المنطقة وفي مقدمتها قضية فلسطين...!

مطلوب من العراق الرد خلال أيام قليلة على هذه المبادرة..

ذكر أنّ الرئيس السوفييتي سيقوم الليلة بإطلاع الرئيس الأمريكي والفرنسي وغيرهم من المسؤولين الأوروبيين على فحوى هذه المبادرة. ويعتقد بأن الاستطلاع قد حدث قبل إطلاق هذه المبادرة...!

بذلك يصبح يوم غد، أو أحد الأيام القليلة القادمة، هو يوم تاريخي آخر والذي سيحدد فيه مسار الحرب... هل ستذهب في اتجاه استمرار الحرب أم نحو إيقافها...؟

شخصيًا أتوقع أن يوافق العراق على المبادرة... وليخسأ الخاسئون..!

والليلة عملت «الحلاوة البيضاء» التي طالما تحدثنا للكثيرين من أبنائنا عنها والتي كنا نقوم بصنعها وبيعها عام النكبة (١٩٤٨-١٩٤٩). وقد سر بذلك أبناء شقيقي جمال بطريقة عملها وأكل الجميع منها...

وقد شرحت لهم طرق عملها، وطرق بيعها وما يتبع ذلك من ذكريات... برضه شيء من التغيير وإشغال النفس بأشياء من هذا القبيل لكي تمر هذه الأيام الثقيلة جدًا... كما عملت لميس «صينية نمورة»... حلاوة النصر.

في آخر الليل تحدثنا عن المتوقع في الكويت، قلت إنه لمن المفروض الآن أن تكون حكومة الكويت في المنفى قد بدأت التحضير لإعادة إعمار الكويت... وتحضير مرافقها لاستقبال الكويتيين الموجودين في الخارج، والتي قدر أحد الوزراء (السميط) عددهم، في حديث له عن هذا الموضوع، بنحو أربع مئة ألف كويتي، ينتظرون اللحظة التي تتحرر فيها الكويت ليعودوا إلى وطنهم، وهل هناك ما هو أحلى وأثمن من أن يعود المرء إلى وطنه... الذي كان محتلاً وتحرر...!

لا أستطيع أن أقول إنني أحسد الكويتيين الذين يقتربون من يوم عودتهم إلى وطنهم... بل إنني جد سعيد بعودتهم القريبة إلى وطنهم الغالي الكويت، فهو حق مشروع... ولكنني أتحسر على حالنا نحن الفلسطينيين الذين ما نزال ننتظر مثل هذا اليوم... يوم التهيؤ للعودة إلى الوطن الحبيب فلسطين...

هل يأتي ذلك اليوم ونحن أحياء يا ترى..؟

هناك خوف من عمليات انتقام حاقدة ضد الفلسطينيين من قبل بعض الكويتيين الذين لم يروا في الفلسطيني إلا أسوأ من وما فيهم... لكننا، وعندما جاء موعد الإخلاء إلى النوم، رحنا إلى غرفنا والأمل يحدونا بأن العاقلين من الكويتيين، وهم الأغلبية، سوف يكونون

الدرع الواقعي من حقد الجاهلين منهم. إخوة لنا كويتيون قالوا: «لا تشغل بالك بهذا... فنحن نعرف من أنت يا أبا يزيد... وسيوفر لك ما يلزم لبقائك في الكويت...» والله أعلم.

(الثلاثاء ١٩/٢/١٩٩١) الحرب مستمرة، ولكن بوتيرة أكثر عنفاً... والجهود الدبلوماسية على كافة الأصعدة مستمرة بعد المبادرة السوفيتية، التي أصبحت هي المبادرة التي يجري على أساسها التحرك الدبلوماسي العالمي... وقد أرسل نص المبادرة إلى الرئيس بوش، وإلى زعماء غربيين آخرين...

الرئيس بوش عقد اجتماعاً لكبار مسؤوليه السياسيين والعسكريين للبحث في هذه المبادرة... وصرح على إثرها بوش بأنها مبادرة لا تلبى كافة المطالب.

بعض المصادر الإذاعية الغربية قالت بأن الرئيس بوش رفضها، والبعض الآخر قال إنه لم يرفضها... وإنه ينتظر رد العراق على هذه المبادرة.

ناطق رسمي باسم الاتحاد السوفيتي قال إن المبادرة موجهة إلى الرئيس العراقي وليس إلى الرئيس الأمريكي... وأنه ليس من حق بوش أن يرفضها طالما أنها غير موجهة إليه، واعتبر أنّ أمريكا لم ترفض المبادرة بشكل رسمي على أية حال...

«الترويكا» الأوروبية وغيرها من الدول، وكذلك إيران وبعض الدول العربية رأوا في المبادرة إمكانية لوقف الحرب بعد أن عرف أنّ أول بند فيها هو طلب انسحاب القوات العراقية من الكويت بدون شروط...

المهم أنّ «الكرة الآن في الملعب» العراقي... والحرب مستمرة وكأن شيئاً لا يحدث على الصعيد السياسي والدبلوماسي... وقد قصفت بغداد أمس قصفاً عنيفاً لم تشهده منذ أيام... كما أنّ الغارات الجوية المكثفة مستمرة على المواقع العسكرية العراقية في الكويت...

السؤال الذي يتردد الآن هو لماذا إذن التباطؤ في إعلان العراق موافقته على المبادرة وإعلانه جدولاً زمنياً مقبولاً من القوات المشتركة للانسحاب من الكويت، طالما أنه أبدى

استعداده من حيث المبدأ الانسحاب من الكويت ليجنب المزيد من الأبرياء العراقيين الموت المحقق بهم، بمن فيهم جنود العراق المساكين الذين لا مفر أمامهم إلا تنفيذ الأوامر... أو مواجهة كتائب الإعدام العراقية التي تقف خلفهم بالمرصاد؟

يبدو أنّ البحث دائر في تفاصيل الإجراءات التي ينبغي ترتيبها وفق ما يرضي الطرف المنتصر في المعركة... وهو قوات التحالف المتعددة الجنسيات. فليس للمهزوم أن يشترط، أي ليس للعراق أن يطالب بأية شروط...

ويبدو أنّ الأمر يحتاج بعض الوقت، وليس كما توقعنا أمس أن الرد سيكون سريعاً جداً (قيل أمس إن موسكو تنتظر الرد خلال أربع وعشرين ساعة) وإن الانسحاب سيكون خلال أيام... «واللي صبرنا ستة أشهر ونصف بيصبرنا أسبوعين أو ثلاثة آخرين...».

ذهبت وجمال لزيارة الصديق القريب جميل، الذي كان يزورنا دائماً، وتمنى أن نبادله زيارة بخمس... ولكن قبل أن نذهب إليه مررنا بشارع تونس في «حولي» وإذا بسوق الأرصفة مقابل مساحة الأرض الخالية المواجهة لمطعم «هاشم» وحولها، وعلى جوانب الشارع كله، ازدحام هائل من المتسوقين والباعة... سوق شعبي يمكنك أن تجد فيه كثيراً مما يخطر في البال... وكنت أبحث عن بطاريات صغيرة للراديو... لكنني لم أجدها...

فرح جميل بنا، وكان يقطع قطعة لحم... ويحضر غداءه... جلسنا عنده مدة ساعة ونصف تقريباً، تناولنا واستعرضنا الأوضاع.. وكانت آراؤنا متفقة على أن الحرب على وشك إيقافها بعد أن أفلس العراق في تحقيق أهدافه.. ثمّ ذهبت لزيارة الصديق سمير، ووالدته وشقيقته وزوجها الذي يسكن معهم في هذه الظروف... لكن العزيزة الدكتورة أروة ليست في الكويت، فهي كما ذكرت سابقاً اضطرت إلى السفر إلى والدتها في موسكو، ومن أجل لقاء طفلها هناك. لقد كانت المعنويات منتعشة بسبب آخر الأخبار... وهم مثلنا ينتظرون إكمال الفصل الصعب من هذه المحنة...

ولم يتوقف دوي الانفجارات وهدير الطائرات...

وقبل ذهابي لقيلولتي فاجأنا العزيز وليد أبو بكر بزيارة كنت متشوقاً إليها، وكنت أنوي زيارته والاطمئنان عنه وعن ليلي العزيزة زوجته وأنجالهما يوم غد الأربعاء. قلت لوليد إن حساباتنا كانت منذ البداية صحيحة... وإن ما توقعناه وانتظرناه حدث ويحدث.

قلنا ذلك وقلوبنا تتمزق على ما أوصلنا إليه مجنون بغداد... بأنانيتته وعجرفته واعتقاده بأنه مخلص ومنقذ العراق والأمة العربية والإنسانية من شرور «الكفرة وحلفاء الشيطان... بوش وأعوانه وعملائه...».

وتساءلنا: «لماذا يسمح بكل هذا الذي حصل... ألم تكن الفرصة سانحة لهذا المجنون لكي يخرج قبل الخامس عشر من الشهر الماضي ببياض وجهه من هذه الأزمة (سود الله وجهه) محافظاً على قواته التي دمر منها حتى اليوم ما يزيد على ٤٠% منها... وعلى ما كان ممكناً تحققه من مكاسب سياسية لصالح العرب وفلسطين بشكل خاص؟

لكن الدكتاتورية هي الدكتاتورية... لا يمكن أن تخلف للشعوب سوى الموت والقهر والفقر والظلم والتخلف والمصائب.. قاعدة أصبحت مؤكدة من خلال تجاربها في تاريخ البشرية القديم والمعاصر.

حاولت بعد أن غادر وليد إلى منزله أن أنام قليلاً، لكن دوي الانفجارات واهتزازاتها حالت دون تمكني من ذلك.. فقامت من فراشي أستطلع ما يحدث. الطائرات الحربية تحلق بهديرها المخيف في أجواء الكويت.. والرشاشات والمدفعية المضادة للطائرات تطلق نيرانها صوب الطائرات... ثمّ تتبعها الانفجارات الرهيبة...

وفي حوالي الساعة مساء راحت عاصفة من إطلاق النيران تنطلق بشكل جنوني... هي ليست مضادات ضد طائرات... ونحن لم نكن نسمع في تلك الأثناء هدير طائرات... ثمّ إنها صليات رشاشات كلاشينكوف ومسدسات ذكّرتنا باليوم الذي ابتهج فيه الجنود العراقيون بإعلان القيادة العراقية استعدادها للانسحاب... وراحوا يومها يطلقون النيران بشكل جنوني...

قلت هذا ليس إلا تعبيرًا عن خبر سياسي كلنا ننتظره... فهل أعلن العراق موافقته علانية على الانسحاب من الكويت...؟

خرجت وجمال إلى خارج البيت، وذهبنا نحو بعض رجال الحي الموجودين عند الدكان الملاصق لبيتنا... وهم في حالة مضطربة... ويتساءلون... هل سمعتم أية أخبار...؟ قلت إن الكل يتوقع خبرًا مهمًا كلنا نعرفه.. لعله الخبر..

في تلك الأثناء مرت سيارة خاصة (من نوع BMW) مسرعة في الشارع المؤدي إلى مسجد البلوش، الواقع على بعد أقل من مئة متر عنا... وبعد ثوانٍ عادت السيارة وتوجهت نحونا... ووقفت بعصبية... كان فيها أربعة رجال، أحدهم يلبس لباسًا عسكريًا عراقيًا.. أما الآخرون فقد كانوا في ملابس مدنية، واثنان منهم يلبس «الدشداشة».

أطل السائق، بعد وقوفه المفاجئ، ونحن نحاول التعرف على من في السيارة، لكن السرعة لم تمكننا من معرفة إلا ما سبق وذكر...

سألنا السائق... والرصاص لا يزال يلعلع في سماء الكويت... «هل أعلنت بشرى الانسحاب...؟».

أجبنا بـ«أنا لا نعرف... ولا نسمع إلا هذا الرصاص...».

قال السائق: «الانسحاب سيكون اليوم أو يوم غد...».

وانطلقت السيارة مسرعة، وما إن ابتعدت عنا نحو عشرين مترًا عن مكان وقوفنا حتى شاهدنا رشاشًا يطل من شبك السيارة ومصوبًا نحو السماء من الجهة التي يجلس فيها العسكري، فأفرغ خزان رشاشه بشكل جنوني لا تفسير له سوى أنه تعبير عن فرحة الجنود العراقيين بقرب انسحابهم من الكويت.

قال أحد الشباب: «إنني أعرف هذا العسكري (الذي أطلق النار)... إنه من رجال المخابرات العراقيين المسؤولين...».

بعد أقل من عشر دقائق عادت السيارة إلى الحي مرة ثانية، ودارت في مربعه ثم خرجت دون أن تشتبك معنا في أي حديث...

(الجمعة ٢٢/٢/١٩٩١) أول أمس ويوم أمس كانا من الأيام الثقيلة جداً على نفوسنا جميعاً، وهما يومان من أيام حياتي التي لا يمكن نسيانها من شدة التوتر والخوف الشديدين اللذين أصابانا بسبب انتظار رد العراق على المبادرة السوفيتية... وعلى الرد يتوقف مصير المنطقة وما فيها من حياة...!

لماذا تأخر العراق في الرد...؟

ماذا يعني تأخر رد العراق...؟

وكان قد أعلن أنّ طارق عزيز سوف يعود بالرد يوم الثلاثاء... ومر الثلاثاء... ثمّ مر الأربعاء... ولكن طارق عزيز حامل رد العراق لم يصل بعد إلى موسكو...!

الإذاعات تقول منذ يوم الثلاثاء، إن طارق عزيز في طريقه إلى موسكو... لكنه لم يصلها... والكل ينتظر هذا الرد على أحر من الجمر... هل الآتي حرب أم سلام...؟

من المفترض أن عزيز يحمل الجواب أو المؤشر... والعالم كله، أمريكا وأوروبا والعرب... ونحن... نحن المنسيين في الكويت... ننتظر الجواب... نحن لا نريد مزيداً من الحرب.. مزيداً من الموت للجنود العراقيين، الذين هم شئنا أم أبينا، إخوة وأشقاء لنا، ولا نريد مزيداً من الحرب حتى لا تقترب منا نحن المقيمين في الكويت... نحن الذين نسمع هدير وضجيج ورعب هذه الحرب التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.. نحن لا نريد أن تصلنا نارها، ولا نريد أن نموت ونحترق في أتونها...

هذه المعركة قامت منذ بدايتها لتصحيح مسار خاطئ، إنسانيًا وقوميًا ووطنياً، مسار انتهجه نظام العراق... وهي معركة خاسرة للعراق المعتمد على الغوغائية والدجل الإعلامي والكذب على الناس، وادعائه أنها حرب من أجل العروبة والإسلام... ومن أجل فلسطين...!

أي إسلام هذا الذي يدعيه هذا الفاجر...؟

وأية عروبة يتكلم عنها هذا الطاغية...؟

والطريق إلى فلسطين لا يمر من الكويت...

إن الطريق الصحيح إلى فلسطين هو الذي يعبر الأردن وسوريا. فحدود هذين البلدين الشقيقين تربط العراق مع الحدود الفلسطينية.

بعث في العراق وبعث في سوريا... وعلاقات حميمة مع الأردن... وكلا البلدين لهما أطول حدود مع الكيان الصهيوني في فلسطين... فلماذا لا يكون الطريق إلى فلسطين من خلالهما...؟

هل الجغرافيا هي السبب...؟

أم أنّ بوصلة مجنون بغداد مجنونة أيضًا...؟

لو أنّ الموت حقًا في سبيل العروبة أو الإسلام... أو فلسطين الحبيبة... لقلنا يا مرحبًا بالموت في سبيلها أو سبيل أحدها.

لكننا نرفض... ونرفض... ونرفض أن نموت، إن استطعنا، من أجل نزوات ديكتاتوري.. كافر.. ظالم.. مجنون..

لهذا عشنا اليومين الماضيين في حالة من الاضطراب والتوتر التي لم نعرفها من قبل... لقد جعلنا هذا الطاغية المجنون نعيش وأعصابنا مشدودة إلى درجة كان يمكن أن ينفلت

زمامها ونفقد سيطرتنا على أنفسنا ونهوي منهاري الأعصاب... بسبب هذا المجنون الذي لا يريد الاعتراف بأنه هزم عسكريًا وسياسيًا بأفكاره وأفكار زمرة المريضة...!

منذ صباح أمس والأخبار تقول إن طارق عزيز سوف يصل اليوم حاملاً الرد العراقي إلى موسكو... ومنذ مساء أول أمس والأخبار تقول إن الموعد النهائي للإفصاح عن الموقف العراقي بشأن الانسحاب غير المشروط من الكويت هو مساء يوم الخميس... وإلا فإن معركة الفصل البرية ستنشعب لا محالة...

إن نشبت المعركة الفصل هذه فسوف تكون كما يقول العالمون بأسرار هذه المعركة: حرب شرسة ومعركة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من قبل!

ومبعث خوفنا هو ما يمكن لمجنون وطاغية بغداد، في حال نشوب معركة الفصل، أن يقدم عليه من أعمال إجرامية لا حدود لها، كاستعماله للقنابل الكيماوية والبيولوجية والجرثومية، وهو يمتلك الكثير منها، كما تقول الأخبار...

والأدهى من ذلك هو احتمال إقدامه على تدمير الكويت على من فيها من بشر... مقابل التدمير الذي أصاب مدن العراق وعاصمته بغداد بفضل «تياسة» هذا الإنسان... هذا الوحش الكاسر... الذي لم يبين في الكويت التي احتلها منذ أكثر من ستة أشهر، والتي دمر مؤسساتها وكثير من منشآتها ونهب كل خيراتها، لم يبين فيها، منذ الأيام الأولى لاحتلاله لها، سوى الجداريات التي تحمل صورته المخزية المقززة.

ظللنا أمس نترقب الأخبار... من محطة إلى أخرى...

في المساء، وحوالي الساعة السادسة، أفاد جمال بأن إذاعة عمان قالت إن الرئيس العراقي صدام سيلقي في السادسة مساء خطاباً مهماً موجهاً إلى الأمة... رحنا فوراً نبحت عن إذاعة بغداد، التي لم تعد تسمع إلا بصعوبة بالغة ومشوشة جداً، سمعنا آخر الفقرات من خطابه...

لكننا لم نفهم شيئاً سوى كلمتيه اللتين أصبحتا «اللازمة» التي تختتم بهما معظم خطبه أو بياناته «... فليخسأ الخاسئون...».

قلنا: طالما أنه أنهى خطابه باللازمة إياها... إذن الأمور لست على ما يرام ولا حول ولا قوة إلا بالله...

رحنا ننتظر نشرات الأخبار الغربية في السابعة مساء... وكان أول خبر في كل منها هو أهم ما جاء في خطاب صدام حسين... وإن ما جاء به يدعو إلى التشاؤم. ومما جاء في خطابه، استعراض لماجریات «التأمر» ضد العراق... وما أبداه العراق من مبادرات سلمية، آخرها مبادرته في الخامس عشر من الشهر الجاري والتي جاء فيها استعداده للتعامل مع قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٠، وإن العراق مستعد للتعامل مع ما سبق وأعلنه، ولا مجال للتنازل...

كما أشار إلى أن طارق عزيز في طريقه الآن إلى موسكو حاملاً رد العراق... وأن الحل الآخر هو المنازلة العسكرية... وأن القوات العراقية على استعداد لها مهما تكن النتائج، وقال إنه في حال عدم الموافقة على مبادرتنا فإن على الآخرين أن يتحملوا تبعات ذلك...!

الحقيقة أننا متنا خوفاً من خطابه... وأخذتنا الظنون إلى أغوار عميقة من الرعب.. وانطوى كل منا على نفسه... لكننا حاولنا أن نتمالك أنفسنا ونحاول أن نجد بصيص أمل من خلال ما جاء في خطابه.

وقلنا، كما قالت الأخبار، إنه لم يرفض ولم يقبل في خطابه المبادرة السوفيتية، بل هو لم يشر إليها إلا بشكل غير مباشر عندما قال إن طارق عزيز يحمل رد العراق إلى موسكو.

كما قلنا لعله يحاول بسرده تاريخ الأزمة وما قبلها من «تأمر» ضده، وأن جيوش ثلاثين دولة تحارب العراق... وما إلى ذلك... قلنا لعله بهذا يحاول أن يهيئ الرأي العراقي والعربي

لتبرير ما سيقبل به... وهو الانسحاب من الكويت التي لم يتنازل عن كونها المحافظة
التاسعة عشرة من محافظات العراق حتى أيام قليلة خلت...

استمرت عملية متابعتنا للأخبار لعلنا نسمع شيئاً يريحنا من هذا الكابوس الذي سيطر علينا
بعد خطاب صدام... ورحنا نترقب وصول طارق عزيز إلى موسكو... وما عساه أن يصرح به
عند وصوله... لكننا كنا نقول: «صدام سبق عزيز وقال ما قال... فما عسى طارق أن يضيف
أو يزيل أو يغير...؟».

لكننا لم نفقد الأمل نهائياً، على الرغم من الظلال السوداء القاتمة التي خيمت على نفوسنا
بعد خطاب صدام الطاغية.

حوالي منتصف الليل علمنا من الأخبار أن طارق عزيز سوف يصل، أو لعله وصل إلى
موسكو، وأنه سيجتمع فور وصوله إلى الرئيس السوفييتي غورباتشوف، ثم سيعقد الاثنان
مؤتمراً صحفياً بعد الاجتماع مباشرة. في الواحدة والنصف بعد منتصف الليل علمنا أن
عزيز وصل، وأنه مجتمع الآن مع غورباتشوف... لكن عزيز لم يصرح بأي شيء قبل بدء
اجتماعه.

ألكسندر بيزميرنيخ وزير خارجية الاتحاد السوفييتي لم يعد بعد من إسبانيا، التي كان في
زيارة رسمية لها، كي يستقبل عزيز... وتوقعت الأخبار عودته إلى موسكو ليلاً أو في صباح
اليوم (الجمعة) للاجتماع إلى طارق عزيز.

ولكي نمضي الوقت ونبعد شبح اقتراب الحرب البرية المحتملة منا... رحنا نشاهد مسرحية
«المتشائل»... وأمكن التغلب نسبياً على الحالة التي كنا في داخلها وتمكنا من الاندماج في
المسرحية... حتى هدّنا التعب والنعاس...

ذهب كل منا إلى فراشه لننعم بنعمة النوم... والنوم نعمة لا يعرفها إلا من يستطيع أن يغرق
فيه في عز الأزمات والمصائب...

وليس من العادة أن يطرق باب غرفتنا جمال شقيقي أو زوجته في الصباح. لكن اليوم وفي حوالي العاشرة طرق باب غرفتنا... فإذا بجمال ولميس يخبراننا بأن طارق عزيز أعلن موافقة العراق على المبادرة السوفيتية... وأن وكالات الأنباء وإذاعات العالم منشغلة بردود الفعل على قبول العراق للمبادرة.. تنفسنا الصعداء، وقلنا: الحمد لله... لكن جمال أردف قائلاً: «إن أمريكا لم توافق...».

بعد أن أعدنا أنفسنا... جلسنا تحت أشعة الشمس الدافئة لنشرب قهوة الصباح، ونتبادل الحديث حول هذا الخبر المهم جدًا جدًا.. قلت إن أمريكا لا تستطيع أن ترفض المبادرة... وإلا فلسوف تظهر أمريكا كبلد داعٍ إلى الحرب بينما الاتحاد السوفيتي سيظهر كبلد يسعى إلى السلام، وهو كسب سياسي مهم لن تمنحه أمريكا للسوفييت.

هناك دول كثيرة كانت قد أعلنت ترحيبها وموافقتها المبدئية على المبادرة السوفيتية، ومنها الصين وإيطاليا وإيران وإسبانيا ودول عربية، لكن أمريكا وبريطانيا لم تقبلوا مبادرة السوفييت، فرنسا لم تتخذ موقفًا حاسمًا في هذا الأمر، وقالت إن المشروع يحتاج إلى المزيد من المعلومات.

أما اليوم فإن ردود الفعل لم تظهر جلية بعد... فموافقة العراق على المبادرة السوفيتية بعد تعديلها بشكل أو بآخر جعلت الموضوع مهمًا جدًا، والموقف حرجًا جدًا، والقرار بشأنه يجب أن يصدر بعد دراسة دقيقة...

ردود الفعل الأمريكية والبريطانية والفرنسية غير الرسمية الأولية قالت إن المبادرة لا تلبى كافة الشروط المطلوبة وفق قرارات مجلس الأمن... لكن الموضوع سيبحث اليوم بعناية على مستوى عسكري وسياسي رسمي...

مطلوب وبسرعة فائقة أن تتخذ دول العالم، صاحبة القرار في مجلس الأمن، موقفًا من هذا الموضوع... ومجلس الأمن الذي علق اجتماعه منذ أيام انتظارًا لنتائج المبادرة السوفيتية

مدعو إلى الانعقاد سريعًا لاتخاذ القرار المناسب، وإعلان وقف إطلاق نيران الحرب الدائرة... ووضع تفاصيل الحل والانسحاب...

لكن الحرب دائرة حتى اللحظة... الأخبار تقول إن الاشتباكات جارية على الحدود الكويتية السعودية بين القوات المشتركة والقوات العراقية... وهدير الطائرات الحربية للقوات المشتركة فوق الكويت مستمر منذ الصباح...

طلعات تتبعها طلعات بشكل مستمر... تقابلها المدافع المضادة على اختلاف أنواعها، وكذلك دوي الانفجارات... هذا ما نسمعه...

يقال إنَّ هذه الحرب استهلكت حتى الآن من المواد المتفجرة أكثر مما استنفد في الحرب العالمية الثانية التي امتدت نحو خمسة أعوام.

(السبت ٢٣/٢/١٩٩١) مساء يوم أمس أذاعت محطة صوت أمريكا بيان الرئيس الأمريكي جورج بوش بخصوص المشروع السوفييتي لوقف الحرب، والذي اشتمل على قرار، قال عنه الرئيس الأمريكي إنه قرار الدولة المتحالفة، وجاء فيه:

«على الرئيس العراقي أن يعلن صراحة استعداده لسحب قواته من الكويت فورًا وبدون شروط، وأن يبدأ سحبه لقواته بعد أربع وعشرين ساعة من الآن، أي في الساعة الثانية عشرة من منتصف نهار الغد السبت بتوقيت نيويورك (الساعة الثامنة مساء السبت بتوقيت الكويت) وأن يخلي العاصمة الكويت خلال ثمان وأربعين ساعة من التاريخ المذكور، وأن يتم سحب جميع قواته من كل الكويت بحدودها التي كانت عليها قبل الثاني من آب/ أغسطس الماضي خلال أسبوع واحد... وإلا فإن المعركة البرية ستكون هي الفاصلة... وعلى العراق أن يتحمل نتيجة عدم استجابته لهذا المطلب...» (هو هو ليس النص الرسمي والحرفي للبيان، ولكنه فحواه).

مرة أخرى غصنا في هم وغم كبيرين... ليس إلا خوفًا من أن لا يستجيب طاغية بغداد لهذا القرار الحاسم والجدي جدًا كما يبدو.. ففي حال عدم استجابته علينا أن نتوقع بدء المعركة البرية... والتي لا يعلم إلا الله مدى تأثيرها علينا نحن الذين نعيش في الكويت. ثم بدأنا نحاول الاستماع إلى محطات أخرى لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذا البيان... وهل هو بديل من المشروع السوقييتي؟

هل يلغي بيان أمريكا أو مشروعها الذي قدم باسم دول التحالف مشروع السوقييت؟ من ناحية أخرى فإن السوقييت مستمرين في مناقشاتهم مع طارق عزيز في موسكو. ويقول السوقييت إنهم توصلوا مع طارق عزيز إلى صيغة معدلة لصالح قرارات مجلس الأمن، وإن عزيز طالب بحمل الصيغة الجديدة والسفر إلى بغداد لإطلاع صدام حسين عليها، فقال له السوقييت إن الوقت لا يسمح بذلك، وبإمكانك أن ترسل ما تريد عن طريق سفارتنا في بغداد، أو ربما بواسطة أخرى...

ردود الفعل على بيان الرئيس الأمريكي بدأت تعلن من معظم دول العالم مؤيدة ما جاء فيه، السوقييت لم يعقبوا على ذلك حتى الآن...

أصبنا جميعًا بحالة غريبة من الخوف الرهيب، وأحسنا بأن المعركة واقعة حتمًا... وأنا شخصيًا وعلى الرغم من توتري النفسي خلال الأيام القليلة الماضية وجدت نفسي مرتاحًا، وأكثر هدوءًا مما كنت عليه من قبل... إننا لم نعد حائرين بين الحرب والسلام... لقد تيقنا بأن الحرب آتية لا ريب فيها، ولسان حالنا الآن يقول: «هذا ما كتبه الله علينا.. ونحن لا نملك أن نغير شيئًا في المكتوب لنا... ولا حول ولا قوة إلا بالله..».

في حوالي التاسعة دخلت المطبخ، فجمال وتمام ولميس ورنا وعلاء هناك.. ماذا يفعلون...؟ إنهم يحضرون كمية لا بأس بها من «الكعك بالتمر» وشيء شبيه به بدون التمر مع الينسون والسمسم... شغلت نفسي معهم في المعاونة العامة. قالوا: إننا نحضر قوتًا ناشقًا للطوارئ...

قلت: على بركة الله...

في حوالي السادسة، وقبل بيان الرئيس الأمريكي، أعلمني علاء ابن أخي بأن هناك جنودًا عراقيين في الحي، وأنهم يحاولون سرقة سيارة للجيران... خرجت فورًا وأنا أتلفح بعباءتي المغربية ودشداشتي الشتوية... وإذا بي أرى جمال يقف مع شاب فلسطيني يسكن الحي (شوقي) ومعهم عيسى «البياع».

وعند بيت أحد الجيران (بيت أبو بشار) اثنان من الجنود العراقيين وقد حضرا بسيارة BMW لا تحمل أرقامًا وراحا يحاولان تشغيل السيارة... «على عينك يا تاجر» وبدون أي شعور بالحرص. ولا أحد غيرنا في الشارع أو الحي الذي يعج دائمًا بأهل الحي...

قلت لعيسى أين سكان الحي؟ أين رجالها؟ لماذا لا يخرجون كلهم معًا كما كنا قد اتفقنا...؟

قال عيسى إنهم خائفون...

ذهبت نحو الجنديين محاولًا أن أشجع أحدًا من الجيران أن يخرج... أطل أحدهم وعاد إلى بيته مسرعًا.. ثم جاء من الممر الذي يؤدي إلى مدرسة البيان ثلاثة جنود مسلحين... بل مدججين بالسلاح.. قلت في نفسي هل أوضح لهم أن الطريق إلى فلسطين ليست من هنا...!

تبعني شقيقي جمال وقال لي: عد يا أخي... ماذا عساک أن تفعل... أصحاب السيارة أعطوهم المفتاح ولم يقاوموا... عدت وأنا أردد: اللهم لطفك يا رب...

بعد محاولات من الجنود لتسيير محرك السيارة، ولم يتحرك، ذهبوا وعادوا بسيارة شبه جيب... وجروا السيارة جراً و«باقوها» على رأي الكويتيين دون أن تحمر وجناتهم خجلاً أو... يرف لهم جفن...

والمعركة الكبرى دائرة رحاها... معركة «أم المعارك» والقصف الجوي مستمر ودوي الانفجارات يهزنا... وأم المعارك... أم المعارك إيه يا عم...؟ يا عمي إنها أم المعارك.. «الله يلعن أبو.. أمه...».

وجنود صدام الذين سينتصرون «بعون الله» ينهبون ما يمكنهم نهبه في اللحظات الأخيرة مما لم ينهب بعد و... «منصورين... بعون الله».

منذ أيام والعراقيون يقومون بحملة اعتقالات كبيرة... إن العدد يقدر بآلاف الشباب والرجال الكويتيين الذين اعتقلوا من الطرق، ومن سياراتهم حتى ولو كانت بلوحة عراقية، ومن البيوت... ومن أمام المساجد حين يخرج المصلون منها...

شابان من سكان الحي، أحدهما صهر لجيراننا (بيت وليد ووحيد وعلي) أخذ من الشارع، وآخر كان قد سكن البيت الموجود على يميننا مع أقارب له ويدعى عبد العزيز رجب... وكان مع صديق له بسيارته التي كانت تحمل لوحة عراقية... أنزلوه منها واعتقلوه.

إن تفسير هذه الحملة -كما يقول البعض- هو أن العراقيين يريدون احتجاز هذه الفئة من الكويتيين خوفاً مما سيحدث بشكل مفاجئ، وإما إنهم يريدونهم كأسرى لتبادلهم مع أسراهم في الحرب، الذين صارت أعدادهم تعد بالآلاف، وإما أن يشكلوا منهم درعاً بشرياً في المعركة المحتملة...

اليوم استيقظت في حوالي التاسعة والنصف صباحاً، لكنني أحسست وكأن الليل لم ينحل بعد... لكن الساعة التاسعة والنصف... المهم قمت وقضيت مهام الحمام وحاولت أن أرى السماء من نافذة الحمام الصغيرة فبدت داكنة جداً... لكنني اعتقدت أنها سحب مطر رغم أننا لسنا متعودين على ذلك كثيراً...

كان جمال يجلس في الصالة اليومية مع زوجته... ألقىت تحية الصباح... وسألت فوراً وأنا أرى من نوافذ البيت سماء ليلية.. يا إلهي... ما هذا؟ قال جمال أتري... هذه ليست سحب

مطر كما يمكن أن يخطر على بالك... إنها دخان النفط..!

قلت: أهذا معقول... قال: نعم.

قال لي جمال: لا تخرج.. فالجو في الخارج ملوث... وروائح دخان النفط والغاز والزبالة منتشرة...

لكنني خرجت لأرى منظرًا للسماء لم أراه نهارًا في حياتي إلا في حالة كسوف الشمس الكامل، والذي أذكر أنني شاهدته مرة في صباي... المنظر مخيف... والشمس تبدو قرصًا رماديًا محمرًا في سماء شبه سوداء. وشارع الحي مضاء بالكهرباء وكأن الليل والظلام لا يزالان يخيمان، وهما كذلك بالفعل... لكنه ظلام حرائق آبار النفط التي أشعلها «رجال صدام الأشاوس» والتي بلغ عدد الآبار المحترقة منها مئة وخمسين بئرًا حتى الآن...

أحكمتنا إغلاق نوافذ البيت... وهو أمر خاطئ إذا ما وقعت الانفجارات... فلربما يتسبب إغلاقها في تحطم زجاجها... ولكن ماذا عسانا أن نفعل... نحن نحاول تجنب الخطر الآتي والواقع...

بدأنا نفتش عن خبر جديد في إذاعات العالم.. كل شيء على ما هو عليه حتى الآن... والساعة الآن تقترب من الثانية ظهرًا... السحب الدخانية السوداء اتجهت مع ريح خفيفة جدًا نحو البحر شرقًا، وبدأ النهار يبيغ وكأنه الفجر. هل هو الفجر حقيقة يا ترى...؟

هل يكون هذا اليوم يوم فجر جديد على الرغم من السماء السوداء التي كانت مخيمة على الكويت منذ نحو ساعتين...؟

لا أحد يسير في الشوارع منذ الأمس، بل يمكن القول إنه ومنذ أول أمس خلت الشوارع من المارة... والصمت يخيم على الحياة بشكل عام... والكل ينتظر ما ستسفر عنه المشاريع والمبادرات...

نحن في اتجاه الحرب الشاملة... إلَّا إذا كان العراق قد اقتنع بنصحية السوفييت... أما إن كان رد العراق مراوغيًا كعادته... فالحرب واقعة لا محالة... ويكون السؤال في هذه الحالة: كيف ومتى ستنتهي...؟

الكل يقول إن صدام وحده يملك اليوم قرار استمرار الحرب أو وقفها.. وعليه أن يبلغ قراره هذا المساء... هكذا أرادت سيادة العالم أمريكا.

آذار / مارس ١٩٩١

(الاثنين ٤/٣/١٩٩١) وكانت آخر مرة كتبت فيها يومياتي هذه قبل نحو عشرة أيام، كان يوم الإنذار الأمريكي الأخير لصدام حسين... يوم السبت ٢٣/٢/١٩٩١..

اليوم أكتب بعد أن نفذ الرئيس الأمريكي تهديده لصدام حسين، ومنح رئيس أركان القوات الأمريكية، الذي اشتهر اسمه في هذه الأزمة، نورمان شوارتسكوف الصلاحيات باتخاذ ما يراه مناسبًا لتحرير الكويت.

فبعد نحو ثماني ساعات على الموعد المحدد لصدام حسين بضرورة امتثاله لقرارات المجتمع الدولي، وبدء سحب قواته من الكويت، وإنهاء انسحابه من العاصمة الكويتية خلال أربع وعشرين ساعة... ثمَّ انسحابه كلية من الكويت خلال أسبوع واحد.. كي يوقف الحرب ضده... والتي لم يستجب لها مجنون بغداد... أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطاب قصير جدًا أنه فوّض العسكريين باتخاذ اللازم لإخراج العراقيين من الكويت. واندلعت الحرب البرية، الشاملة، ودخلت القوات المشتركة أرض الكويت والعراق في آن من عدة محاور... وذلك فجر يوم الأحد ٢٤/٢/١٩٩١.

استيقظنا باكراً على طرق باب غرفتنا من الشقيق جمال وزوجته العزيزة لميس وهما يخبراننا بأن القرار اتخذ، وأن المعركة البرية قد بدأت... قلنا: «اللهم اجعله بداية لأيام خيرة...».

وكان التيار الكهربائي قد انقطع قبيل الساعة الرابعة فجر ذلك اليوم، أي قبل بدء، أو ربما مع بدء المعركة البرية، وعلمنا بشكل مؤكد أنّ محطة توليد الكهرباء في «الدوحة» والتي كانت تزود الكويت بالكهرباء حتى ذلك الوقت قد دمرها العراقيون تمامًا.

ورحنا نتتبع الأخبار ونستمع لهدير المعركة...

وما إن بلغ النهار منتصفه حتى غطت السحب الدخانية السوداء سماء الكويت وتحول نهار الكويت إلى ليل داكن مخيف.

الجميع في بيوتهم قلقون مثلنا... يدعون الله أن يحقق النصر... ولم نسمع صوتاً لأحد... وكان دوي الانفجارات مريعاً ومرعباً وقريباً...

فجأة استمعنا لصراخ امرأة تستغيث في الحي... هرع كثير من رجال ونساء الحي لنجدتها ومعرفة سبب صراخها، وظن معظم الناس أنّ أحداً من العائلة التي ينبعث من بيتهم الصراخ قد أصيب بشظية أو رصاصة طائشة... أو لعل أحداً من الجنود العراقيين اقتحم منزلهم.. لكن الأمر لم يكن يعدو كونه خوف أم على ولد لها مصاب بحمى شديدة جعلته يفقد وعيه ويتصلب، فظنت الأم أنه قد مات... أجريت الإسعافات اللازمة وعاد كل إلى منزله وهو يردد... «لا حول ولا قوة إلا بالله...».

النتائج الأولى للمعركة بدت مشجعة جداً... حيث نقلت الأخبار أنّ القوات المشتركة لا تواجه مقاومة تذكر من قبل القوات العراقية... وأن مئات الجنود يستسلمون للقوات المشتركة... وأن المعركة تسير وفق الجدول الموضوع لها وتحقق أكثر مما هو منتظر حتى اللحظة..

وفي المساء نقلت الأخبار، التي كنا نسمعها من الراديو الذي شغلناه على البطاريات، أن آلاف الأسرى والمستسلمين العراقيين أصبحوا في أيدي القوات المشتركة... وأن الأمور تسير لصالح القوات المشتركة أفضل بكثير مما هو متوقع.

فكرنا في تشغيل المولد الكهربائي الذي بحوزتنا في المساء... لكننا آثرنا عدم تشغيله لأننا لم نسمع صوت أي مولد في الحي... فالكل يود سماع هدير المعركة الذي يصلنا من بعيد...

وفي المساء دُعيانا (أنا وجمال) للسهر في ديوانية الرجال عند الجيران... وكان هناك كل من وليد ووحيد وعلي وأحمد وأبو خماس وأبو علي وبعض من الأبناء، شباب الغد. وتناولنا بالطبع الأوضاع وسير المعركة... معركة تحرير الكويت... وما نتوقعه.. وما ينبغي عمله... كما أعلمناهم بأننا سوف نشغل المولد الكهربائي في اليوم التالي. عشنا كلنا في تلك الليلة على أضواء قناديل الشموع ومصابيح الغاز.

صباح اليوم التالي (الاثنين ٢٥/٢/١٩٩١) استيقظنا باكراً لنستمع إلى آخر الأخبار... فإذا بنا نعلم أنّ القوات المشتركة تمكنت من اختراق خطوط الدفاع العراقية ووصلت إلى مواقع أكثر عمقاً مما هو مخطط لها... وأن عدد الأسرى والمستسلمين من العراقيين صار يعد بالآلاف.

شغلنا مولد الكهرباء... ومددنا للبراد والمجمدة (الفريزر) خطاً منه ثمّ مددنا للجيران خطاً آخر لتشغيل برادهم، وخطين آخرين، واحد إلى بيت «أبو خماس» والآخر إلى بيت «جميلة»....

أمكنا أن نشاهد من محطات التلفزيون البحريني والقطري اللتين كانتا تبثان برامج الـ CNN مباشرة، والتي كانت تنقل لنا آخر الأخبار أولاً بأول... ما أروع هذا الاختراع «التلفزيون» بقدر ما هو مخيف...!

الطيران الحربي يعمل بشكل مكثف، ولكن دون اضطراب، ومدفعية المدمرتين الأمريكيتين (ميسوري ووسكانسون) تطلق قذائفها فتحدث هزات فظيعة...

توقفت إذاعة وتلفزيون بغداد عن البث.. ولم يعد هناك إلا إذاعة ضعيفة مخنوقة من الصعب سماعها...

وإذاعة صوت النظام العراقي المخنوق لا يزال يردد أن القوات العراقية دحرت الغزاة وكبدتهم خسائر هائلة في الأرواح والمعدات...

لكن تصريحات قادة القوات المشتركة تقول عكس هذا تمامًا...

صار عدد الأسرى والمعتقلين العراقيين يعد بعشرات الآلاف... وأصبحنا نشاهد على شاشة التليفزيون حطام آليات القوات العراقية ودباباتهم على الطرقات وفي الصحراء...

بدأنا، على الرغم من التقدم السريع للقوات المشتركة في ساحة المعركة، نفكر في كيفية حماية أنفسنا في حال اقتحمت القوات العراقية العاصمة الكويتية... والتي يمكن أن تتسبب في حرب الشوارع... وبالسلاح الأبيض.. أو ما يمكن أن يقدم عليه العراقيون من حماقات، غير مستبعدة على الإطلاق، كتدمير الكويت وإلقاء القنابل الكيميائية والبيولوجية والجرثومية... دعونا الله للمرة الألف أن يلطف بنا... والله خير الراحمين..

في مساء ذلك اليوم التاريخي، يوم الاثنين ٢٥/٢/١٩٩١، بدأ صوت المعركة يقترب منا... ففي حوالي التاسعة أحسنا وكأن اقتحامًا للعاصمة يجري من جهة وسط العاصمة وأطرافها... وكان صوت ودوي الرصاص والقنابل والقذائف يقترب منا شيئًا فشيئًا... إلى درجة أحسنا بأن المعركة تدور في «الدائري الرابع والخامس» ونحن نقع فيما بينهما...

ازداد صوت المعركة وقرب إلى سمعنا بعيد منتصف الليل... ظللنا نتابع الأخبار إلى أن هدنا التعب والنعاس... ونحن نجهل ما يجري.

في نحو فجر الثلاثاء سمعنا من ينادي بأعلى صوته «الله أكبر.. الله أكبر...».

استيقظنا متلهفين على سماع خبر طالما انتظرناه... وما إن انزاح ظلام تلك الليلة حتى علمنا أن ظلام وجود جنود صدام قد انزاح هو الآخر عن العاصمة الكويتية، وأن العراقيين انسحبوا من العاصمة خلسة في الليلة السابقة...

كم هو عظيم انتصار الخير على الشر..!

كم هو عظيم اندحار الظلم عن المظلومين..!

كم هو عظيم تحرير الوطن من العدوان والاحتلال..!

وفي شارع الحي راح الناس، ونحن معهم، يقبل بعضهم بعضًا ويباركون تحرر الكويت العاصمة من الاحتلال العراقي الغاشم... وزغاريد الفرحة تطلقها النسوة في الحي... والأولاد والبنات مبهجون فرحون لفرح آبائهم وأمهاتهم الذين افتقدوا الابتسامة على وجوههم منذ نحو سبعة أشهر.

وراحت أعلام الكويت ذات الألوان الأربعة، هي ألوان علم فلسطين أيضًا، ترفرت على المباني... وعلى السيارات... وفي أيدي الأطفال الفرحين...

علمنا أنَّ المعركة التي كنا نسمعها في الليلة الماضية لم تكن إلاَّ إطلاق رصاص وانفجار قنابل قام بها الجنود العراقيون لتغطية انسحابهم في الليل من العاصمة الكويت. كما علمنا أن شباب المقاومة الكويتية تسلموا منذ منتصف الليل تقريبًا مقاليد الأمور في معظم أنحاء العاصمة.

في حوالي العاشرة من صباح الثلاثاء حضر الصديق جميل لمعرفة آخر الأخبار، وكان قد مر من أمام مخفر الجابرية حيث سأله شباب المقاومة الكويتية عن هويته، دون أن يدري أن الذين يسألونه هم من الكويتيين... فأخبرناه بواقع الحال. ثمَّ حضر الصديق مثقال للتهنئة... وكان عندنا أيضًا اثنان من شباب الحي الأخوين وليد ووحيد، وجلسنا نتبادل التهاني لخلصنا من ذلك الكابوس المريع... داعين الله أن يتمم الأمور على خير.

بعد دقائق من وصول مثقال، طرق باب الدار... خرج جمال.. ثمَّ عاد.. لكن تعبيرات وجهه ولون بشرته تقول إنَّ ثمة أمر ما...

قلت لجمال: ما الأمر؟

قال إن الجار أبلغه أن ثمة من كان يتتبع رجلاً دخل عندكم منذ دقائق... وأنه يعتقد أن المتتبعين هم من الشباب غير المعروفين لنا، ومن المحتمل أن يكونوا من شباب المقاومة

الذين يمكن أن يكون لهم على من دخل عندكم مأخذ ما أو أنهم يشكون فيه...!

عمّ الصمت للحظات... وعرفت من الأوصاف التي ذكرها جمال نقلاً عن الجار أن المقصود هو الصديق مثقال.. ومثقال لا يشك فيه ولا في ولائه لهذا البلد الذي عاش ويعيش فيه، ومتزوج من أهله، وهو موضع ثقتنا التامة... لماذا إذن يتبع ويلاحق...

قلت بيني وبين نفسي: لا بد وأن هناك التباساً في الأمر..

لكننا شعرنا بالخوف... ليس من شيء إلا من عمل طائش في مثل هذه الظروف... يندم الفاعلون عليه بعد أن تكون الواقعة قد حدثت لا قدر الله...

الأخوان العزيزان الجاران وليد ووحيد، وهما أخوان كويتيان شهमान، قالوا لنا: لا تخافوا، فإن أصدقاءهم هم إخوة لنا، وسنحميهم بكل ما نستطيعه... وقالوا إن أراد صديقكم البقاء، فأهلاً وسهلاً... وإن أراد العودة إلى بيته فنحن على أتم استعداد لنقله إلى منزله، وعلى ضمانتنا... شكرتهم جداً، وقدرت فيهم هذه الروح الأصيلية.

قربنا وصديقنا جميل خاف مما سمع، وصار قلقاً على مشواره من بيتنا إلى مكان سكنه (في الجابرية) فتبرع الأخوان بتوصيله آمناً.

قلت للصديقين جميل ومثقال، رغم دعوة تمام إياهما لتناول طعام الغداء معنا، الآن عليكما الذهاب، كلاً إلى بيته... مع رجائي الشديد أن يلزم كل واحد بيته في هذه الأيام، ولا داعي إلى التعبير عن الشوق والمحبة لنا في هذه الظروف...

اصطحب وليد مثقال بسيارته (وكان مثقال قد جاء إلينا مشياً على الأقدام فهو يسكن في القطعة العاشرة المجاورة في الجابرية) كما اصطحب وحيد جميل بسيارة جميل ووصل الاثنان بيتهما بسلامة الله وبفضله ومساعدة العزيزين وليد ووحيد.

على الرغم من أنّ الكويت العاصمة لم تنحصر كلية، فقد ذكرت الأخبار، وخاصة أخبار إذاعة الكويت التي صارت تسمع بشكل جيد جدًّا، بأن هناك جيوبًا للعراقيين لم تنزل تقاوم في الكويت العاصمة... إلّا أنّ الناس راحوا يعبرون عن هذه الفرحة الكبرى بإطلاق العيارات النارية من كافة الأنواع... تذكرت بيروت وطريقة التعبير عن الحدث السعيد بوابل من إطلاق النار...

«هنا الكويت من الكويت» بهذا بدأت إذاعة «حركة المقاومة الكويتية» تبث نداءات باسم «أبو فهد» تدعو الناس إلى التزام الهدوء والبيوت، وتقول لهم إنّ هناك أخطارًا لا تزال موجودة... وتدعوهم إلى عدم إطلاق النار وعدم الاقتراب من أية أسلحة أو ذخائر أو أشياء أخرى مما خلفه العراقيون بعد هربهم...

وكانت النداءات موجهة إلى المواطنين الكويتيين والمقيمين الشرفاء... وفي أحد النداءات ذكر تعبير «المقيمون الشرفاء وخاصة الفلسطينيين منهم الذين هم إخوة لنا...».

وقد كانت هذه النداءات مطمئنة للفلسطينيين المقيمين في الكويت، وعملت على تهدئة أعصابهم المتوترة بسبب ما سمعوه خلال فترة الاحتلال العراقي من اتهامات تقول إن الفلسطينيين قد خانوا الكويت وتعاونوا مع العراقيين المحتلين لوطنهم الكويت...

وللكويتيين الحق في إطلاق مثل هذه التهم.. فلا أحد ينكر أنّ عددًا من الجبهة والعملاء والخونة والمضلل بهم من الفلسطينيين تعاونوا مع العراقيين، لكن نسبة هؤلاء لا يمكن أن تتعدى الواحد في المئة...

لكن وفي المقابل هناك ما نسبته تسع وتسعون في المئة من الفلسطينيين الذين ظلوا على أرض الكويت ولم يتعاونوا مع العراقيين... بل أكثر من ذلك... هناك نسبة تزيد على الواحد في المئة ممن تعاونوا مع المقاومة الكويتية، أو قاموا بشكل أو بآخر بعمل من أعمال المقاومة ضد الاحتلال العراقي... كما أنّ هناك أعدادًا كبيرة ممن استشهد من أجل الكويت

في محنتها هذه، وهناك مئات، إن لم يكن آلافًا، من الفلسطينيين المعتقلين عند العراقيين بسبب مشاركتهم في مقاومة الاحتلال العراقي.

أضف إلى ذلك أنَّ الفلسطينيين رفضوا بإصرار تحقيق حلم صدام وزمرته لقيام الفلسطينيين بمظاهرات التأييد لصدام حسين ونظامه وما قام به ضد الكويت... إلا أنَّ هذه المحاولات قد فشلت ولم تخرج مظاهرة واحدة تأييدًا له من قبل الفلسطينيين المقيمين في الكويت.

بقينا في البيت طوال يوم الثلاثاء، شغلت سيارتي السوداء، وسيارة يزيد، وأخرجتهما من المرآب بلوحاتهما الكويتية... وكنا نشعر بفرح عظيم... يشوبه ألم دفين مبعثه أن عربيًا يقودهم طاغية بغداد الذي أودى بحياة الآلاف من أبناء شعب عربي.. ودمر منشآت هذا البلد، الكويت، كما تسبب في دمار بلده العراق... يا لهول المصيبة...

مر إِياد علينا، فطمأننا عنه وعن والديه وشقيقتيه.. وحمدنا الله على سلامتهم جميعًا... وكان إِياد سعيد بهذا اليوم... وحضر مع اثنين من أصدقائه، أحدهم كويتي والآخر فلسطيني فرحين بتحرر الكويت العاصمة والتي سيتبعها تحرر كل الكويت، وهو أمر لم يكن يشك فيه أحد...

يوم الأربعاء (٢٧/٢/١٩٩١) ركبنا سيارة يزيد وذهبنا بها إلى منزل الصديق علي للاطمئنان عليه، والحقيقة أن بالنا قد انشغل عليه كثيرًا... فهو لم يتصل بنا منذ أيام... خشينا أن يكون قد اعتقل مع من اعتقل من الكويتيين في الأيام الأخيرة... لكننا لم نجد أحدًا في البيت... وددنا لو نطمئن عليه ونقبله ونبارك له بتحرر الكويت.

ثمَّ مررنا ببيت يزيد، لنطمئن على أصدقائنا الذين يسكنون في نفس المبنى، الدكتور صلاح وبهاء وعمه... الذين وجدناهم يقفون قرب سياراتهم عند مدخل المبنى... تبادلنا القبلات والتهانى بزوال الكابوس... وقلنا: «عقبال ما يزول الكابوس عن وطننا الغالي... ونعود إليه...».

في حوالي الثالثة بعد الظهر تغير الجو بشكل غير مألوف أبدأ... وبدأ الظلام يزحف بسرعة غير معقولة... وما هي إلا بضع دقائق حتى أصبح النهار ليلاً للمرة الثالثة خلال أيام... عتمة كاملة... تبعها عاصفة هوجاء... برق ورعد... ثمّ مطر أسود..

وظل الطقس على هذا الحال لمدة ساعتين تقريباً... انقشع بعدها بعض الظلام... لكن السحاب الرمادي الداكن بقي مخيماً على الكويت.

في حوالي الخامسة مر بنا الصديقان ليلى ووليد أبو بكر.. تعانقنا كما لم نتعانق من قبل.. مباركين بعضنا لبعض انتصار الحق على الباطل...

دوي الانفجارات اختلط مع أصوات الرعد... والمعركة بقيت مستمرة... ولكن عن بعد. فقد نقلت الأخبار في مساء هذا اليوم أنّ القوات العراقية في حالة اندحار شامل، وقد تشتت عملها وفقدت الاتصال فيما بين وحداتها.. وأن المعارك تدور الآن في أراضي جنوب العراق...

العراق راح يستجدي ويطلب وقف إطلاق النار...

إنها الآخ الأخيرة... التي توقعناها نتيجة لفعل خاطئ أو لخطيئة لا نتغتر أقدم عليها نظام فاشي ظالم... ومتخلف... ضيّع كل الفرص التي أتيحت له خلال الأشهر الماضية لكي يبقي على جيشه وعلى سمعته وعلى منشآت بلده.. بل قل ليبقي على بلده التي دمرت بفعل «تياسته» وعجرته في هذه الحرب التي ما فتئ يدعي بأنها ستكون «مقبرة للغزاة الكفرة... حلفاء الشيطان.. وإن مئات الآلاف من جنود الشيطان سيسبحون في دمائهم... وإن الحيوانات والطيور الضواري ستلتهم جثثهم... عندما تبدأ أم المعارك...».

كلام كبير... وكلمات إنشائية بليغة... لكنها بلهاء ولا يسندها أي منطق أو فكر عاقل...

إن عدد القتلى في جانب القوات المشتركة في هذه الحرب الرهيبة لا يكاد يذكر.. وهو لا يتجاوز العشرات، وعدد الأسرى من هذه القوات كعدد القتلى يعد بالعشرات...

أما قتلى الجيش العراقي فيعد بعشرات الآلاف... جثثهم تركت في الصحراء... وقامت جرافات القوات المشتركة بحفر قبور جماعية لها في الصحراء، التي قال إعلام النظام العراقي إنها ستشهد «مئات الآلاف من جثث قتلى القوات المشتركة تسبح في دمائها فيها...».

أمريكا، وحلفاؤها، لم يقبلوا طلب العراق... لأنه لا يفي بالمطلوب... ولأن أمريكا تريد أن تقول لصدام وللعالم إن الذي حدد موعد بدء المعركة هو وحده الذي يقرر أن يوقفها...

بعد منتصف ليل الأربعاء، يوم الخميس، أعطى الرئيس الأمريكي أوامره بوقف إطلاق النار ابتداء من الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس بتوقيت الكويت، على أن يعلن العراق خلال ثمانٍ وأربعين ساعة قبوله كافة قرارات مجلس الأمن، وتشكيل وفد عراقي عسكري للتباحث مع وفد عسكري يمثل القوات المشتركة حول تفاصيل وقف إطلاق النار وما ينبغي أن يتبعه من قضايا... كالإفراج عن الأسرى والمعتقلين والعقوبات الاقتصادية والتعويضات... وما إلى ذلك.

وسكتت مدافع الحرب في الثامنة من صباح الخميس الموافق ٢٨/٢/١٩٩١... بعد مئة ساعة من القتال... بعد مئة ساعة على بدء المعركة البرية الفاصلة...

ثلاثة أرباع القوة العسكرية العراقية دمر أو أعطب..

البنية التحتية للعراق دمرت والمنشآت الأساسية للحياة في العراق ضربت وتعطلت إلى أمد طويل...

1. الغلاف
2. أيام الغزو
3. شكر وامتنان
4. إحدى وثلاثون سنة...
5. آب / أغسطس ١٩٩٠
6. أيلول / سبتمبر ١٩٩٠
7. لكن هذه الأوضاع كانت، رغم كل ما سبق ذكره...
8. ومن لا يرغب في التوطن في المنطقة سوف تفت...
9. تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٠
10. - أولاً، المشاركة الشعبية القائمة على حرس
11. تشرين ثاني / نوفمبر ١٩٩٠
12. كانون أول / ديسمبر ١٩٩٠
13. كانون ثاني / يناير ١٩٩١
14. والاتصالات مع الشقيقة إنعام وزوجها ابن اس...
15. شباط / فبراير ١٩٩١
16. القوات المشتركة العسكرية بقيادة الولايات...
17. آذار / مارس ١٩٩١